
دعوة الحق
عرش التحدي
■ العرش المغربي من معركة التحرير الى معركة البناء
■ مغرب جديد أساسه الإسلام والعروبة ودعامته العرش والشعب

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني
السنة الثامنة عشرة
ربيع الأول 1397
مارس 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادى عن سنة 30 درهما ، والشرفى 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدى 55 - 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادى والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر

في هذا العدد :



العرش يحفظ كرامة الانسان

«هناك الطاف من الله وعون منه وشيء خفي من الله اراده لهذا الشعب بينه وبين ملوكه لانه لم تنقطع الصلة بين الملك وشعبه منذ 1300 سنة ، فمنذ 1300 سنة والمغرب يعيش في ظل الملكية في ظل أئمة يرعون امانته ويحيطون بجميع الوسائل امانته وكرامته .. بائعة بيايعهم الشعب بكيفية اوتوماتيكية . لا لانهم ابناء آبائهم بل لانه تغرس فيهم الغيرة وتغرس فيهم الثقة وتغرس فيهم حفظ الامانة ، هذا تراث مهم جدا اتكا عليه المغرب وكلما راى المغاربة انفسهم ان اسرة من الاسر المالكة حادت عن الطريق او خرجت عن الجادة سارعوا في طلب النجدة من اسرة اخرى » .

جلالة الملك
الحسن الثاني



« المغرب الذى كان كما هو معلوم مهد حظارة ومصدر اشعاع ، وشهد التاريخ ، القديم والحديث بمساهمته في اقامة صرح المدنية شامخ لم يبن مجده على وسائل القوة والعنف ، ولا على الكراهية واثارة البغضاء بل وطد ذلك الاشعاع وتلك الحضارة على دعائم السلام واشاعة الاخوة بين الانام فاستطاع بذلك أن يسهم بحظ وافر في الانشاء والابتكار ونقل الفلسفات والمذاهب وطبعها بطابعه الخاص » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

تهنئة

بمناسبة ذكرى ميلاد سيد الخلق أجمعين سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تصادف الذكرى السادسة عشرة لجلوس سبطه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده على عرش أجداده المنعمين، تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة مجلة "دعوة الحق" بأزكى التهاني وأخلص المتمنيات إلى سيدنا المنصور بالله الملك المؤمن المجاهد محرر الصحراء وموحد البلاد مولانا الحسن الثاني زاده الله توفيقا وسؤددا، وإلى ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي رشيد وإلى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة سائلة الله جلت قدرته أن يحفظ مولانا الإمام ويسدد خطاه على طريق الخير والتقدم والرفاهية لشعبه المؤمن.

« ان الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه البلاد كانوا يمارسون طيلة قرون طائفة من المهام هي عادة من اختصاص الملكية المطلقة ، اما نحن فقد أبينا الا أن نتنازل بمحض اختيارنا وطوع ارادتنا للامة عن جملة من هذه الاختصاصات مقتصرين على المهام التي يزاولها رؤساء الدول في البلاد الديمقراطية ، ولم نقف عند هذا الحد ، بل أبينا الا أن نلقي على كاهلنا التكاليف التي تعلمونها والتي ينص عليها دستور مملكتنا ، من ذلك ضمان دوام الدولة واستمرارها واستقلال البلاد وصيانة ترابها ، وحماية حمى الدين ، والسهر على احترام الدستور ، وصيانة حريات المواطنين والجماعات والهيئات ورعاية حقوقهم » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

تحيّة وإكبار

لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

السيد الداي ولدسيدي بابا



أن من نعم الله تعالى على هذه الارض ان خصها بعرش مجيد يجسم امارة المؤمنين والسيادة الوطنية ويعبر بصدق عن ارادة الامة وينطق بلسانها ويرمز الى عزتها ووجودها المعنوي والحضاري، ولم يكن العرش فى المغرب نظاما سياسيا تقليديا جامدا يتخلف عن ركب التطور ويقصر عن ارتياد آفاق المستقبل بل كان على العكس من ذلك يتفاعل ويتجاوب مع التاريخ ويؤثر فى أحداثه وتطوراته ويوجه الامة نحو السمو والرفعة والنصر ، ويقودها الى البناء والتشييد وأثراء الحضارة الانسانية ، وبذلك ارتبط تاريخ العرش المغربي منذ الفاتح الاكبر المولى

ادريس الاول رضوان الله عليه بملاحم الجهاد ومواقف الشجاعة والإباء ومعارك الشرف والكرامة وهو بهذا الاعتبار عرش مجاهد سواء اتخذ هذا الجهاد شكله الطبيعي المتمثل في حماية الوطن من الغزاة والطامعين ورد غارات المغيرين عليه ، أو اصطبغ بصبغة المقاومة المعنوية والذود عن القيم والمقومات والانتصار للحق الخالد والاسهام في البناء الحضاري.وسيبقى العرش مستمرا الى ان يرث الله الارض ومن عليها لا يفتر ولا ينقطع يتوارثه الخلف عن السلف جيلا بعد جيل لا يزيده مر العصور وكر الدهور الا فتوة وشبابا .

واذا كان العرش المغربي ينهض بالمسؤولية التاريخية على هذا النحو ويخلص لقضايا الشعب بهذا القدر الرفيع من الامانة والتفاني فان الاسرة العلوية الشريفة التي قيضها الله تعالى لهذا الامر واصلت العمل على هذا النهج مجددة شباب الامة ومضيفة الى تراث العرش امجادا عظيمة مع المحافظة على الشعلة المقدسة في قلوب الشعب تنفخ فيها روح الايمان والعزم وتحفز الانسان المغربي المسلم للبذل والعطاء تحت راية الاسلام والعروبة .

لقد تقلدت الاسرة العلوية مسؤولية الحكم في ظروف تاريخية دقيقة تعرض فيها المغرب لاطماع الطامعين الغزاة الصليبيين فانصرف اهتمامها منذ اول عهدها بالملك الى توحيد البلاد ولم شتات الامة والسير بها الى الاجتماع على كلمة سواء وقد مكن الله لها في الارض فأعاد – سبحانه – على يدها القوة والمناعة وذيوع الصيت لهذه البلاد ورفع مكانتها واعلاء شانها بين الامم والشعوب بفضل اخلاص ملوكها ويقظتهم وشعبيتهم واخذهم الامور بالحزم والتبصر وسهرهم الدائب على تحقيق الازدهار العام ، والرخاء الشامل .

وبفضل ذلك الالتحام ظل العرش العلوي المجيد رمزا لوحدة البلاد وحصنا منيعا من حصون الحرية ودعامة من دعائم الاصالة والذود عن الحمى والحفاظ على المقدسات وردع البدع والضلالات ، وهو الى جانب ذلك محور الشخصية المغربية وركيزة الكيان الوطني والضمانة المؤكدة ضد الانحراف والزيغ ، فلا غرو ان يتمسك المغاربة منذ ثلاثة عشر قرنا بعروة العرش الوثقى ويتشبثوا باهدابه ويدافعوا عنه ويفتدوه بالمهج والارواح ، فهيأ الله جل شانه من هذا التجاوب والالتحام أسباب القوة وعوامل النصر والفوز في تسلسل تاريخي متواصل تعتبر المسيرة الخضراء المظفرة اقرب حلقاته الينا .

هذا الارث الحضاري الضخم،الذي تسلمه مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله كان بالتاكيد اقوى حافز للاستمرار والانتصار ، واوفى مصدر للاعتزاز والافتخار واصفى منبع للاقتباس والامتداد .

ولقد اثبتت لنا تجربة الكفاح الوطني انه بقدر ما يتعلق الشعب بالعرش ويلتف حوله تتحقق المعجزات وتفشل كل مخططات العدو التي

تستهدف المس بالوطن والمواطنين ، حدث هذا في ايام الكفاح من اجل الحرية والاستقلال في عهد جلالة المغفــور له محمد الخامس وعشنــاه بالامس القريب مع جلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله ايام مســيرة التحرير والوحدة المظفرة .

وان احتفالنا اليوم بالذكرى السادسة عشرة لجلوس صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على عرش اجداده المنعمين الذي صادفت في هذه السنة ذكرى مولد جده المصطفى عليه افضل الصلوات وازكى التسليم . ليعبر في الواقع عن متانة الوحدة الوطنية وسلامة الراي العام المغربــي واستقامة الخط السياسي الذي يسلكه المغرب في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العالم ، وبهذا الاعتبار فان الاحتفال بهذه الذكرى العظيمة يتعدى مجال المراسيم والشكليات الى اعمق المعاني والدلالات من حيث انها تاكيد وتجديد للعهد على مواصلة السير نحو تحقيق اهداف الوطن العليا .

لقد استطاع المغرب ان يخرج من معركة الصحراء منتصرا ظافــرا مرفوع الراس عزيز الجانب بفضل التحام الشعب بالعرش . ولو كــان عرشنا العلوي من نوع الانظمة التي تؤثر السلامة وتنشد النجاة وتناى عن تحمل اعباء المعارك وتكاليفها الباهظة لما كان ليعلنها مسيرة خضراء نحو الصحراء في ظروف جد حرجة ودقيقة ولما كان ليدعو الى تلك التعبئــة الشعبية من اجل التحرير واستكمال الوحدة الترابية للمملكة ولكن جلالة الحسن الثاني المنصور بالله ــ وهو المؤمن الواثق بشعبه ــ ابــى الا ان يوحد البلاد ويدرأ عنها الخطر ويؤدي الامانة كاشرف ما تؤدى الامانات .

لقد سار عاهلنا المفدى على نهج آبائه واجداده واخذ بناصية الحق وآثر شعبه على نفسه في صوفية عاقلة مدركة ، وما عرف عنه الا السعي المتواصل والداب المستمر وما عهد فيه الا التفكير والابتكار والتجديــد والانفتاح على ما ينفع وطنه وشعبه بالدرجة الاولى ، حتى اجتمعت بقيادته الامة والتفت حوله القلوب وتوج الله سبحانه وتعالى جهــاده وجهــوده باسترجاع الصحراء على يده واستكمال الوحدة التي تركها ملوكنا الاماجد امانــة في اعناقنــا .

واذا كانت ست عشرة سنة من عمر الزمن لا تكاد تذكر في تاريــخ الشعوب فان الاعمال والمنجزات والانتصارات الاقتصادية والاجتماعيــة التي حققها جلالة الحسن الثاني المؤيد بالله خلال هذه الفترة القصيــرة تفوق بدرجات عالية ما انجزه غيره في اضعاف هذه المدة ، وليس مــرد ذلك الى شيء بقدر ما يرجع الى شخصية جلالته وتكوينه وما يتحلى به من عبقرية سياسية وخلقية ومزايا عقلية وثقافية وقدرة على العمل في مختلف الظروف ، وهي جميعها مميزات تقوي ارادة التحدي وتزكيها وتنفخ فيها روح الحزم والعزم والمثابرة وهذا هو السر ــ بعد توفيق الله ولطفه في النجاح المطرد الذي تتوج به أعمال جلالة الحسن الثاني .

لقد أعد جلالته نصره الله لقيادة امة عظيمة الشان ، وكان اعداده في مستوى عظمتها حتى اذا ما تسلم زمام الامر انبسطت امامــه السبــل وانفتحــت الافــاق ...

وتقمصت شخصية جلالته الفذة روح الاستمرار والمثابرة: يقطف ثمار كده وعمله وينشر ألوية الخير والمحبة والسلام .

ان الشعب المغربي وهو يحتفل اليوم بهذه الذكرى الجليلة يستحضر امام ناظريه بطولات جلالة الحسن الثاني وفتوحاته العمرانية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية وانتصاراته السياسية العظيمة فلا يزيده ذلـــك الا تعلقا بالعرش وولاء لصاحبه وحبا للاسرة المالكة الشريفة .

الداى ولد سيدي بابا
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

عرش التحدي

● يتميز تاريخ الدولة العلوية بالصراع المحتـــدم بين عوامــل الاحباط والانتكاس ، واسباب الغزو والاحتلال ، ونوازع السيطرة والتحكم ، وبين ارادة الخير والبناء ، والنزوع الى الاستقرار والاطمئنان ، والميـل الى السلم والامان ، وايثار مصلحة الشعب فى المقام الاول ، والتطلع الى الرفعة والعزة والكرامة .

وقد تقلد العرش العلوي مسؤولية الحكم فى ظروف بالغة التعقيد ، ومناخ سياسي مضطرب ، وكلمة الامة مشتتة ، والاطماع محدقـــة بها ، والوحدة الوطنية مهددة ، والعزم كليل ، والعزيمة خائـــرة ، والايمـــان ضعيف ، والجهل منتشر ، والخلود الى الراحة وايثار السلامة مطمـــح النخبة الواعية بله السواد الاعظم من الشعب . بينما يقف على مرمـــى البصر عدو لدود ، حاقد ماكر ، يحركه الحقد الصليبي ، ويحفزه الثار من الهزائم الشنيعة التي مني بها فى عشرات المواقع والمعارك الفاصلـــة ، ويتحين الفرص للانقضاض على المغرب ، واذلال أهله واحتلال شواطئه . وفى الجناح الشرقي من الوطن الاسلامي تعاني دولة الاسلام والعروبـــة سكرات الاحتضار ، وتطوى الصفحة الاخيرة من حضارتنا الباذخة ، بعد ان فشا التكالب على السلطة، وانتشر التآمر بين الاشقاء وساد الاضطراب السياسي حتى لم تعد بقعة من العالم العربي الاسلامي الفسيح الارجاء تنعم بهدوء نسبي يمكنها من اعداد العدة لرد العدوان وصد الهجـــوم الزاحف مـــن اوروبـــــا .

قامت الدولة العلوية الشريفة فى هذا الجو المشحـون بالاضطراب وارهاصات الانهزام الفكري والحضاري وتحملت العـبء الثقيل وارست لنفسها قاعدة متينة للانطلاق منذ أول عهدها بالحكم مستانفة بذلك دورة حضارية جديدة للاسلام والعروبة فى المغرب بعد ان أوشك أن يفتك بهمـا الحقد والمكر والتآمر والخيانة والاعراض عن الجهاد والاغراق فى الفساد.

واتضح مسار الدولة الجديدة القائمة على الحق والعدل والاحسان، الملتزمة بالتقوى والورع والصلاح ، المتطلعة الى القوة والوحدة والتضامن. وانبسطت أمام الملوك العلويين الاشراف آفاق العمل الاسلامي الجـاد لرأب الصدع ، ولم الشمل ، وتجديد حماس الشعب ، واشاعـة الامن ، ورفع لواء السلام الاجتماعي ، وحشد همم العاملين وطاقات المجاهدين . ولم يمض وقت طويل حتى استرجعت البلاد وحدتها وهيبتها وسطوتهـا وقوتها ، واطمانت الامة الى استقرارها ورخائها ورفعة شانها ، واستعادت النفوس املها وثقتها ويقينها ، وكان العرش من وراء ذلـك كله الرائـد والقائد والذائد عن حق المغرب المسلم العربي فى الحياة الحرة الكريمة .

وتوالت البطولات الطافحة بالعبر والموعظات ، وتدعم الوضع الدولي لبلادنا ، وذاع صيتها ، وسمت سمعتها ، بين الامم والشعوب ، حتى ان مخططات الدول الاستعمارية الاوروبية عقب ما يسمى بعصر النهضة كانت تركز على دولتين عربيتين اسلاميتين من العالم العربي والاسلامـي : المغرب ومصر ، لما كانا يقومان به من دور قيادي فريد فى حماية الحضارة العربية الاسلامية والحفاظ على استقلالهما والنهوض بشعبيهما . وعاشت الدولة العلوية عصورها الزاهرة فى عهد المولى اسماعيل والمولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان والمولى محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن الاول الذي تعرض لضغط شديد من الاستعمار المتحفز وصمد فى شجاعة نادرة وحافظ على مناعة المغرب واستقلاله فى الوقت الذي كانت البلاد العربية والاسلامية كلها – باستثناء الجزيرة العربية – قد وقعت ضحية فى يـد الاحتلال من الهند الى الجزائر .

واذا كان العرش العلوي قد عرف بعض الهزات العنيفة فى عهـد الملوك الاشقاء المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف – رضوان الله عليهم – من جراء ارتفاع درجة التآمر الاستعماري ضـد بلادنا ، فان الله – والمؤمنين والتاريخ – يشهد أن المقاومة الباسلة التي ابداها ابناء المولى الحسن الاول كان لها دورها الفعال الذي لا ينكر بحال فى التخفيف من آثار الوطاة التي اصابت المغرب من يوم 30 مارس 1912 الى يوم 18 نوفبر 1955 وهي فترة الحماية التي قال عنها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده انها لم تكن الا بمثابة حادثة سير ، وان كان هذا لا يمنع من القول ان ما اظهره العرش العلوي من تضحية وصبر وقوة احتمال وشدة شكيمة ورباطة جاش خلال هذه الفترة الوجيزة لا يعادله الا ما بذله مؤسس الدولة العلوية رضي الله عنه ، بحيث يحق لنا أن نقول – مطمئنين الى صحة وقوة حجتنا – ان مصير المغرب ، ومصير العرش والاسـلام والعروبة فى هذه البلاد قد تقرر خلال تلك المرحلة الحاسمة والفاصلة من

تاريخنا الوطني . فلولا ايمان المغاربة بدينهم ، وتمسكهم بشريعتـــه ، وتعلقهم بعرشهم ، وايثارهم سلامة البلاد ووحدتها على سلامتهم الشخصية، ولولا ارتباط العرش بهذا الشعب ارتباطا شرعيا اولا ثم وطنيا ثانيا ، ولولا التحدي العظيم الذي واجه به جلالة المغفور له محمد الخامس دهاقنـــة الاستعمار والى جانبه عضده الايمن ووارث سره جلالة الحسن الثانـــي ـ اطال الله بقاءه ـ لتغيرت الخريطة المغربية لا قدر الله .

● والحق اننا مدينون للعرش العلوي بوجودنا الوطني بقدر ما نحن معترفون له بالفضل الاكبر فى الحفاظ على كياننا المعنوي ونقصد بـــه بالدرجة الاولى ديننا ولغتنا وتراثنا وثقافتنا وحضارتنا واصالتنا المميزة .

لقد كانت فترة الحماية البغيضة امتحانا صعبا للعرش العلوي اجتازه بتفوق باهر مبرهنا اصدق ما يكون البرهان عن قوة تمثيله لارادة الشعب المغربي وصدق تعبيره عن رغباته ومطامحه وتطلعاته واحقيته لقيادة معركة الحرية والاستقلال ومؤكدا بتضحياته وصموده ومقاومته وفاءه العميـــق بالعهد والتزامه القوي بالدفاع عن مقومات الوطن وكيانـــه الحضـــاري وتفانيه فى خدمة جماهير الشعب واستعداده لمواجهة اسوا الاحتمالات حفاظا على الشخصية المغربية من أن تمس فى جانب من جوانبها .

ولقد خرج العرش العلوي من هذه المعركة مرفوع الراس مهـــاب الجانب قوي البنيان شديد الاعتزاز بجهاده الملحمي الصامد .

وترعرع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فى هذا الجو النضالي الشريف فما ان شب عن الطوق حتى رأيناه فى طليعة المقاومة اقدامـــا وشجاعة وصبرا واباء ورفضا للمناورات الاستعمارية باشكالها وطرقهـــا واسهاما فى الحركة الوطنية المتحمسة الامر الذي قـــوى من التحـــام الشعب بالعرش وزكى تلك العلاقة المقدسة التي تربط الملوك العلويين الاشراف بابناء المغرب الاشاوش مما جعل انظار سلطات الحماية تتجـــه نحو الامير المناضل وتسعى جاهدة لتفت فى عضده واضعاف حماســـه واندفاعه واستغراقه الكلي فى العمل الوطني الموحد .

فالعرش ـ اذن ـ لم يكن منعزلا باي وجه من الوجوه عن الاحداث الجسام التي عرفتها بلادنا طيلة النصف الاول من هذا القرن ، وان كان الاستعمار سعى منذ البداية الى انعزاله والحد من فعاليته وتاثيره البالغ فى نفسية الشعب ليخلو له الجو فينفذ خططه فى مامن من كل خطـــر او تهديد . ولذلك لم يكن محمد الخامس ملكا كالملوك ولكنه كان مناضلا عزيز النفس قوي الشكيمة وطيد العزم شجاع القلب ، ولم يكن الاميـــر مولاي الحسن (جلالة الملك الحسن الثاني) كالامراء ولكنه كان وطنيا مقدامـــا ثائرا منضبطا وموجها للتحركات النضالية كاقوم واحكم ما يكون التوجيه فى ظروف الحصار والتطويق والارهاب البوليسي والعسكري ، وعـــرف فيه المقربون اليه من رفاقه فى الدراسة وخلانه ابناء الشعب ومعارفـــه من رجال القصر ـ بما فى ذلك قلة من الاجانب الذين لم يكونوا على وفاق مع سلطات بلادهم ـ صفات وطنية وثورية قلما تتوفر فى اقرانه الامـــر

الذي كون فى أعماق نفسه بذورا تربوية اخصبت مع توالي الاعوام وتعاقب أشواط المعركة الى ان اتت آكلها باذن ربها يوم فيضه الله تعالى للامارة والحكم واختاره الشعب عن بكرة ابيه ملكا واماما وقائدا وزعيما يدين له بالولاء والسمع والطاعة .

ولقد كانت السلطات الاستعمارية تأخذ حذرها من جلالة الملك الحسن الثاني وهو بعد شاب يافع يتفتح عقله ووعيه على مغرب مكبل بالاغلال وتضيق نفسه بالجو الخانق المحيط به من كل جانب ، واعتبرته حجر عثرة فى طريقها الى تنفيذ مخططاتها العدوانية ، وكانت تضرب حوله حصارا رهيبا لئلا يختلط بالشعب تحسبا من ان تسري منه عدوى الوطنية المؤمنة الى شباب البلاد الناهض . وهو أسلوب سخيف فى القمع والعنف الاستعماري عرف العرش والشعب كيف يتجاوزانه ويبطلان مفعوله بحيث لم تنفع الاستعمار اجراءاته المشددة ومواقفه المتطرفة وانتصر المغرب فى الاخير لانه استمسك بالعروة الوثقى :

— الاسلام

— العروبة

— العرش

ومن هنا نبع التحدي الحسني القاهر الذي قصم - بتوفيق من الله وعونه - ظهر اعداء المغرب سواء ممن وفدوا علينا غازين من وراء البحار أو من ابناء جلدتنا الذين لم يرعوا للعقيدة والدم والجوار حرمة فتطاولوا على النيل من سيادتنا فرد الله كيدهم فى نحرهم .

التحدي الحسني المعزز بمدد من الله سبحانه وتعالى والمدعم بولاء من الشعب لن تنقطع أسبابه هو وحده الذي مهد لنا السبيل الى الحرية والوحدة والعزة تحت راية القرآن .

● لقد تجلى التحدي الحسني بصورة واضحة فى اختيار طريق وسط بين الاتجاهات السياسية والاقتصادية المعاصرة حفظ على المغرب كرامته واستقلاله ووقاه شر الانزلاق فى مهاوي سحيقة والارتماء فى احضان المعسكرات والمذاهب وصراع القوى الدولية . وهي تجربة ليست هينة على كل حال ، خاضها المغرب - ولا يزال - بوعي وتفتح وادراك كامل لطبيعة العصر . وهذا هو السر فى المناعة الذاتية للعرش المغربي بالاضافة الى الولاء الشعبي العميق الجذور .

وهذا الاعتدال المنضبط اكسب المغرب قوة ونفوذا ووضعا دوليا متميزا ، وجعل دول العالم تتعامل معه على قدم المساواة ومن غير ضغط او اكراه او ارهاب سياسيا كان ام اقتصاديا ام اديولوجيا ، فى الوقت الذي تتزايد فيه الضغوط الاجنبية على مجموعة العالم الثالث وتشتد المناورات الاستعمارية للنيل من استقلالها واخضاعها للتبعية الذليلة .

هذا الانتماء المغربي المحض .. وهذا الارتباط العضوي بعقيـــدة الشعب وقيمه ومقوماته ومقدساته وتقاليده .. وهذا التجاوب الصوفي بين العرش والشعب هو القاعدة العريضة الراسخة للتحدي الحسني .

فهو ـ اذن ـ تحدي من اجل الخير والنماء والسلام ، واذا أردت الدقة والتعبير الجامع المانع قلت عنه انه تحدي من اجل ارساء حكم الله فى الارض ومحاربة الطواغيت التي تسعى لتستبد بالامـــر وتعيـــث فى الارض فســـــادا .

وحينما يقول المغرب : لا للتبعيـــة ، ولا لاستيـــراد المذاهـــب والايديولوجيات ، ولا للتكتلات العسكرية المشبوهة ،ولا لليمين الرجعي المحنط ، ولا لليسار المتطرف المنفلت من كل الضوابـــط الايمانيـــة والاخلاقية والمتنكر للتراث والاصالة .. فانما يرفض فى الواقع ذوبان الشخصية المغربية القحة ويبقى على كياننا الوطني قويا متينا حرا مستقلا.

وهذا منطق الاســــــلام ...

وليست رجعية أو انعزالا او تقوقعا او انكفاء على الذات ..

ان استيراد التكنولوجيا واقتباس احدث النظريات العلمية لن يكونا على حساب العقيدة والاصالة .

ان تخلفنا فى جوهره مادي تكنولوجـــي وليس تخلفـــا فكريـــا او ايديولوجيـــــا ..

اننا نعرف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونؤمن به ـ جلـــت قدرتـــه ـ وناخذ بالاسلام طريقا ومنهجا واسلوبا ونجتهد ونكدح لنكون فى مستوى اسلامنا العظيم ، وفى نفس الوقت نعتز اعتزازا حارا بالعرش العلـــوي المجيد وندين بالولاء الشرعي العميق الجذور لرائد المسيرة الخضــــراء ومحرر الصحـــراء .

وولاؤنا نابع من عقيدتنا .. ومستوحى من تقاليدنا وأعرافنا .

ومن هنا ـ ايضا ـ ينبع التحدي الحسني ...

فليـــدم عـــرش التحـــدي ..

وليحفظه الله ذخـــرا للمغـــرب ..

وبعد ، فان اقتران الذكرى السادسة عشرة لجلوس جلالة الملـــك الحسن الثاني نصره الله على عرش أجداده المنعمين بمرور أربعـــة عشر قرنا وخمسين سنة على ميلاد سيد الخلق اجمعين مولانا وحبيبنـــا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرمز فى الواقع الى مغزى عميق لـــه ارتباط باللطف الالهي الخفي الذي يشمل هذا العرش المجاهد وصاحبه المنصــور بالله .

وان شعب المغرب المؤمن ليسعه الا التفاؤل والاستبشار خيرا بهذا التوافق الذي ترتاح اليه النفوس وتقر به العيون ويثلج الصدور .

وهذا برهان جديد من الله تعالى على تطابق سياستنا واتجاهاتنـــا وخطواتنا لما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدايـــة وشريعة ومنهج حياة متكامــل .

اننا اذ نحتفل بالمولد النبوي الشريف فى هذا اليوم الاغر – يـــوم عيد العرش السعيد – لنستشعر عظمة هذا الدين القويم الذي ارتبط به العرش العلوي وسار على نهجه لا ينحرف ولا يزيغ . وهـــذا ما يمـــلأ قلوبنا ايمانا وولاء وطاعة لله ولرسوله ولامير المؤمنين سبـــط رسول الله الاعظم عليه الصلاة والســـلام .

دعوة الحق

إحتفلنا بعيد العرش لتأكيد وجودنا الدولي ،

ونحتفل به لتأكيد وجودنا الإسلامي

للأستاذ عبد الله كنون

مع عيد العرش تتجدد ذكريات الكفاح الوطني ، والانتصارات السياسية التي حققناها في ميدان الكفاح، أيام أراد الأجنبي المتسلط على بلادنا ، اهدار الذاتية المغربية ومحو وجودنا السياسي من صحيفة المنتظم الدولي .

وأذكر انني في العام الذى تقرر فيه الاحتفال بعيد العرش ، لأول مرة ، ذهبت الى البريد لبعث برقية التهنئة بهذه المناسبة الى جلالة الملك الراحل سيدى محمد الخامس قدس الله روحه ، فما ان دفعت بنص البرقية الى موظف البريد ، وكان فرنسيا ، الا وقد وقف الى جانبي مخبر معروف ينتمي الى بلاد شقيقة، وكان أحول ، فالتهم البرقية بعينيه المحملقتين في استغراب شديد ، وحدد النظر الي ثم ذهب مسرعا كأنه يسعى الى موعد يخاف أن يفوته .

ولما رجعت أخبرت جماعتنا المحتفلة بخبره ، فقالوا كلهم لقد ذهب يحمل الخبر الى أسياده ، ولا بد أنه سيحصل على مكافأة مجزية ، وكثر التندر به ، وتمثيله وهو يتحامل باحدى عينيه على الأخرى ليتحقق من أمر المفاجأة . وسخرنا منه ومن أسياده . وكان حديثه من المسليات التي زادت جو الاحتفال بهجة وحبورا .

واستدعيت من الغد الى المراقبة ، فقال لي المراقب : ما هذه البرقية التي أرسلتها الى السلطان ؟ قلت انها برقية التهنئة بعيد جلوسه على العرش . فقال لي : ومتى كان هذا اليوم عيدا ، فالحكومة لا تعرف هذا العيد ؟ وأجبت : اننا كرعايا لجلالته نعرف هذا اليوم ، ونعطيه أهمية عظيمة ، لأنه يثبت (بتشديد الباء) وجودنا كدولة ، لها كيان وسلطان ! قال : وهو ينظر الى البرقية ، وكانت بين يديه : وما هو الاحتفال الذى تتحدث عنه في البرقية ، وأين كان ؟ قلت اننا احتفلنا في بيوتنا وفي أحيائنا ، وكان المحتفلون من جميع الطبقات ولاسيما الطلبة والتجار والعمال ! قال انكم تعبثون . وهذا العيد لا ذكر له في قائمة الأعياد ، والسلطان نفسه لا يعرفه وسيعد برقيتكم افتياتا عليه، الى كلام آخر يتردد بين التوعد والاستنكار ! .

وانصرفت عنه وهو يهزأ بما قلت له وأنا به أكثر استهزاء . وفي الحقيقة فان الاحتفال كان متواضعا جدا ، وكان وحيدا في البلد كله ، ولم يكن هناك احتفال آخر في بيت ولا حي ، لأن الدعاية للاحتفال لم تكن كافية ، والناس لم يفهموا مغزاه من أول يوم ، والجهات الرسمية لم تعرفه أو على الأصح لم تقره لانه لم يخف عليها ، فلم تقع استجابة له على النطاق العمومي ، ولكن البادرة على ضعفها كان لها صدى في الأوساط الشعبية بقي حديث الناس في كل مكان أياما عديدة .

وهكذا كان الاحتفال في العام الثاني أظهر واشهر ، ومن مختلف الطبقات بحيث لم تستطع السلطات الرسمية أن تتجاهله ولا أنتناقش أحدا من أجله . اما في العام الثالث فقد أصبح احتفالا رسميا ، وصدرت به الأوامر ، وكان المراقب من جملة المحتفلين أو على الاقل من جملة المشاركين مع الولاة المخزنيين في الاحتفال .



ولا حاجة الى القول بأن خضوع سلطات الحماية وأعوانها لهذا القرار الوطني كان انتصارا حاسما للحركة الوطنية ، لا سيما وقد تطور عيد العرش الى ما يعرفه الجميع ، اذ أصبح أكبر تظاهرة وطنية في البلاد ، وصار جلالة الملك يلقي فيه خطابا سياسيا يطلق عليه خطاب العرش يستعرض فيه المنجزات ويحدد المطالب، ويصفق له الشعب من أعماق قلبه ، ويجيء المقيم العام ومعه كبار رجالات الادارة من مدنيين وعسكريين لتقديم التهاني الى جلالة الملك ، وأنف الاستعمار راغم ! .

ونحن اليوم بعد الاستقلال ، نحتفل بعيد العرش لمعنى أسمى وأعلى ، انه **الوجود الاسلامي في هذا الوطن، الذى يحميه العرش ويمثله ، ولا نجد ملجأ للدفاع عنه والمحافظة عليه الا في العرش .**

لقد ثارت علينا الأعاصير من كل جهة ، وهبت الاديولوجيات المختلفة قوية جارفة ، تريد الاطاحة بكياننا السياسي والاجتماعي والديني ، وانتشر الالحاد ، وعم الفساد ، وطلع قرن العنصرية والنعرة الجنسية المفرقة ، حتى طمع فينا المارقون وشمت بنا الأعداء ، والجهات التي يتوقع أن تكون مصدر انقاذ وتغيير ، أكثرها ضالع مع تلك التيارات ، ويدعو بدعوتها . **وليس هناك مرفأ للسلامة ترسو فيه سفينة هذا الشعب المومن الموحد (بفتح الحاء المشددة) الا العرش الذى كان سبيل النجاة وملاذ الامن بالامس ، عند استشراء خطر الاستعمار ومؤامراته ضد وجودنا الدولي** ، فلنتعلق به كما فعلنا من قبل . ولنجعل احتفالنا به تظاهرة جديدة لحماية عقيدتنا وصيانة وحدتنا ومقاومة المذاهب المادية والأفكار الهدامة التي فغرت فاها لابتلاعنا وتحطيم جميع مقوماتنا .

اننا مسلمون قبل كل شيء ، ومغاربة عرب بعد ذلك ، فاديولوجيتنا هي الاسلام وجنسيتنا هي العروبة، ولو خيرنا بين الجنسية والاديولوجية لاخترنا الاديولوجية التي هي الاسلام لا غير ، حتى ان ملكنا المفدى ، أى صاحب العرش لما اضطر الى الكلام على الاشتراكية قال : **ان الاشتراكية التي يومن بها هي اغناء الفقير وعدم افقار الغني . وهذه هي الاسلامية التي نعيش من أجلها ونموت عليها .**

اننا أصحاب رسالة في غنى عن أى دعوة أجنبية ، وأى فكرة مستوردة ، وسبيلنا هو العمل برسالتنا واعلاء منارها ورفع رايتها، لا أن نذوب في الاديولوجيات الاجنبية أو نخادع الشعب بتفسير الاسلام تفسيرا مزيفا محرفا وندعي أنه هو هذه الاديولوجيات .

ان جلالة الحسن الثاني هو الملك الذى يفتتح خطبه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ، وهو الذى يطرز خطبه بآيات الذكر الحكيم . ويختمها بالدعاء الذى هو مخ العبادة ، وليكن ذلك سياسة كما يقول الخصوم ، **فان هذه السياسة من الاسلام** ، وكفى أنها تغيظ خصومه ، ألم يستنكر أحدهم على خطيب افتتح خطابه باسم الله الرحمن الرحيم في جمع عام ؟ .. !

ان الصبابة الباقية بأيدينا من الاسلام هي هذه المظاهر التي تربطنا برسالته المقدسة ، وهي في اعتقادنا الخميرة التي سوف تنمو بها وتزكو حياتنا الدينية ونهضتنا العصرية في حظيرة الاسلام الحنيف . **فلنلتف حول العرش الذى هو رمز هذه الحياة ورائد هذه النهضة** ، ولنحتفل به تأكيدا لوجودنا الاسلامي وسوف تكون النتيجة ان شاء الله كنتيجة الأمس ، وما بالعهد من قدم ،

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .)

انطباعات وطنية :

عهد الحسن الثاني

مكسب ضخم للأمة والوطن

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

يحتفل الشعب المغربي بالذكرى السادسة عشرة لجلوس صاحب الجلالة الملك المفدى الحسن الثاني على عرش أجداده المكرمين ، وهو اذ يحتفل بهذه الذكرى انما يعبر عن ولائه الدائم للأسرة العلوية المالكة ، وعن امتنانه العميق لوارث سرها الجالس على عرش المغرب .

واذا كان هذا النوع من الاحتفالات بذكرى رؤساء آخرين لعدة دول يصطبغ بالصبغة (البروتوكولية) أكثر من أية صبغة أخرى ، فان الاحتفال بذكرى رئيس الدولة المغربية يصطبغ بصبغة أنفذ وأعمق ، وينبع عن أساس أقوى وأمتن .

ان الحسن الثاني في نظر الملاحظين الأجانب والمواطنين المخلصين يمثل نوعا فريدا في بابه من بين الرؤساء والملوك ، فهو حركة دائبة لا تفتر ، وهو عبقرية ناضجة لا تكدر صفاءها السحب والغيوم ، وهو رئيس دولة يعتبر الرئاسة تكليفا لا تشريفا ، ومسؤولية أمام الله والتاريخ والأجيال الحاضرة والقادمة قبل كل شيء ، فهو لذلك يسابق الاحداث ويلاحقها ، ويستلهم الحلول حتى للمشاكل التي لم تصل بعد الى حيز الواقع ، وهو لا يترفع عن أن ينزل الى مستوى رجل الشارع من مواطنيه ، ليتحدث اليه باللغة التي يفهمها ، ويعبر له عن مشاعره الدفينة ، دون تحفظ ولا تملق .

ان الحسن الثاني ليشرف بحق منصبه الكبير ، ويقدر تمام التقدير مسؤوليته الثقيلة كملك لمملكة فتية ، عريقة في النخوة والشهامة، حريصة كل الحرص على قطع المراحل التي فاتتها في مختلف المجالات ، واللحاق بمقدمة القافلة ، التي كانت في عهود تاريخية سابقة ، هي احدى طلائعها الاولى .

ولا يشرف الحسن الثاني منصبه ومسؤوليته فحسب ، بل انه ليشرف ذكرى ملهم الوطنية وراعيها والده المرحوم بطل الوحدة والاستقلال ، **محمد الخامس طيب الله ثراه** ، بل ذكرى كافة الملوك العلويين الذين سبقوه في خدمة هذه الأمة ، والحفاظ على حريتها ، والدفاع عن مقدساتها ، والذين بذلوا كل ما وسعهم من جهود وتضحيات ، في سبيل الابقاء على كيان المغرب والحفاظ على الوحدة المغربية عبر القرون والأجيال .

وها هو الحسن الثاني لا يمر يوم من الأيام الا ويلتفت بنظره السامي الى ترميم ما تصدع من بنيان ، واصلاح ما فسد من أوضاع ، واحياء ما اندثر من أمجاد، واسترجاع ما ضاع من حقوق ، وها أن نشاطه قد أصبح مع مرور الأيام يمس جميع الجوانب الروحية والمادية ، السياسية والاجتماعية ، بحيث أصبحت عملية الترميم الحسنية تمتد الى جميع مرافق الحياة المغربية ، رغما عن أن المغرب لم يمر بفترة بلغت الغاية في التعقيد والحساسية كالفترة التي يمر بها في هذا العهد .

واذا كان ملوكنا السابقون يجعلون « عروشهم فوق سروجهم » ويتنقلون عبر المملكة باستمرار ، في (حركات) متواصلة الحلقات ، للاتصال برعاياهم ، ولحل مشاكلهم في عين المكان ، ولضمان الارتباط الروحي

العميق الذى يربط بين العرش والشعب . فان الحسن الثاني قد جدد هذا التقليد الملكي الحكيم . وفقا لوسائل هذا العصر . وطبقا لما تعارف عليه الناس ، ومنذ اعتلى عرش المملكة جعل من زيارة أقاليمها زيارات متلاحقة فرضا اساسيا من فروض الدولة . ونمطا جديدا للحكم، وتقليدا حكيما من تقاليد العهد الحسني . وعن هذا الطريق المباشر اخذ الحسن الثاني يتعرف على مشاكل شعبه وجها لوجه . ويضع لها الحلول الملائمة . ويراقب فعالية اجهزة الحكم . ويمحص مبلغ ما عندها من اهتمام واخلاص . ويربط العلاقات المتينة القائمة بينه وبين شعبه باوثق رباط . لا فرق بين العامة والخاصة .

والخلاصة أن عرشا كعرش الحسن الثاني . وملكا كملكه ، لا يعتبر متعة ولا تشريفا ، وانما هو عبء ثقيل ، ومسؤولية كبرى . وتضحية متواصلة ، وكفاح مقدس في سبيل شعب وفي ، حسن النية ، نبيل الشعور، طموح الى تسلق القمم ، بماضي العزائم والهمم .

واذا احتفل الشعب المغربي بعرش الحسن الثاني فانما يحتفل في الحقيقة بنفسه الفياضة ، وبآماله العريضة ، التي تجسمت في افكار الحسن الثاني وأعماله . أدامه الله ذخرا لهذه الأمة ، وحماها في عبقريته ومواهبه واخلاصه ، وهدى نخبة الشعب الوفية المخلصة الى التعاون مع ملكها العبقرى الهمام . على خدمة الصالح العام ، في ظل العروبة والاسلام.

« يقول النبي صلى الله عليه وسلم او كما قال في حديث شريف : ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها » وانا اقول : ان الله سبحانه وتعالى يخلق لهذه الامة المغربية على رأس كل عشرين سنة فرصا لتجدد أمر وطنيتها .

فاذا نحن انطلقنا من سنة 1912 وسنة 1916 ثم انطلقنا الى سنة 1936 الى 1950 والى 1975 نجد أن هناك ستين سنة على رأس كل عشرين منها أعطانا الله سبحانه وتعالى الفرص ليجدد لنا أمر وطنيتنا » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

نصر من الله وفتح قريب وشكر لله القوي المعين

للأستاذ الرحالي الفاروقي

في العقد الثاني من شهر ذى القعدة عام ألف وثلاثمائة وستة وتسعين – وفي اليوم السادس من شهر نونبر سنة الف وتسعمائة وست وسبعين – حلت الذكرى الأولى لمسيرة فتح الخضراء، التي كانت زحفت باذن الله لتحرير الصحراء، والتي كانت تولدت عن **عقلانية الحسن الثاني وفلسفته القانونية**، وتفتقت بها ثقافته الفطرية وموهبته التطبيقية، فكان الفتح السلمي دليلها، وكان النصر الالهي حليفها، وتمت بهذه المسيرة المخترعة المباركة عملية التحرير، وتقرر باللقاء الأخوى الصحراوى المصير، فاجتمع الشمل بها من الأول الى الآخر، وان لم يرق ذلك حكام الجزائر، الذين خالفوا وفارقوا البصائر.

أما الأراضي المحتلة من جيراننا، في ظروف خارجة عن ارادتنا، وفي أحوال كانت قد اشتبهت علينا، فانيا ترتقب ميقاتها، وتنتظر ايجابيتها، اذ كل مشكل له منفذ ومجاز، كما ان كل داء له دواء وعلاج، وكل شيء له أجل مسمى، كما ان كل ما هو ءات قريب، الا أن اكتمال الوحدة الترابية شيء ضرورى وطبيعي، وأمر شرعي واجماعي، فلا سبيل دونه، ولا خلاف حوله. – **ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم –**

وأما التحريش والتشويش النابع من سلطات الجزائر، فبابه التعدى والتحدى وركوب المخاطر، وذلك ظلم للخلق، هضم للحق، وتجاوز للحد، والظلم ظلمات في الدنيا والآخرة وفي العاجلة والآجلة، ونعوذ بالله ان نكون من الذين يزجون الأيام في الباطل، وفي تعطيل العاطل، فلا هم في عمل الدنيا السار، ولا هم في عمل الآخرة البار.

ومما لا ريب فيه أن الحق يعلو ويثبت وان دأبت على ابطاله، وان الباطل يخفت ويسكت وان بالغت في احقاقه، اذ الحق اسم من أسماء الله العظيم، والباطل اسم من أسماء الشيطان الرجيم.

ولا قرابة بين الحق والباطل كما انه لا صلة بين الخير والشر دائما وأبدا.

على أنه من الرشد والاستقامة أن يتعقل المرء في نزاعه، ويتبصر في خلافه ما دامت له مسكة من العقل والبصر، فيحكم شرعه وايمانه، ويجنب هواه وشيطانه ليتكشف له الأمر ويتوصل الى حل العقد النفسية، وسل السخم الصدرية، التي تكون قد المت بصاحبها في وقت سابق وعند الصدمة الأولى، فيخضع للحق الثابت، ويرجع عن الباطل الباهت، عملا بقوله سبحانه وتعالى: – وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله – فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء –

وأيا ما يكون فعلى المتعدى والمتحدى، أن يشفق على نفسه من التصدى والتردى فان الذى يصدم الحق ويعصف عن الطريق لا محالة انه ستريه الأيام لمحا باصرا، وأمرا واضحا.

وما هي الحياة بعد انهاء خطة التحرير ، واطواء صفحة المستعمر ، وجلائه عن البلد المنتصر ، بدأت تدب في شرايين الصحراء ، وتسير سيرها التدريجي ، وتجرى مجرى النشوء الطبيعي في ظاهر الأرض وباطنها ، وفي سائر الشعب وفروعها ، الى أن تصل بحول الله الى الحد الذى اراد الله لها من البناء والترميم ، والنهوض والتنظيم ، وذلك ان شاء الله من اليسارة والسهولة بمكان ، اذا صحت العقائد والمقاصد ، وكفت الايدى الآثمة عن المكايد ، ـ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين ـ

وعلى أى حال فان الجلاء والنجاء من عذاب الاستعمار وبلائه ـ يعتبر من اجل النعم التي يجب ان تقابل بالشكر الدائم ، والعمل القائم ، لتحقيق أمر الله في خلقه وفي أرضه ، فان أهم الواجبات ، وآكد المامورات اذا استخلفك الله في أرضه التي جعلها مسرحا للناس ومكنك من الاشراف عليها ـ أن تومن بالآخرة ، وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحكم بين الناس بالحق ، وأن تعمر الارض الموات ، باطراح الاشواك والاحجار ، وتفجير الانهار والآبار ، وحرث الحبوب والثمار ، حتى تصبح الارض حية ، والحياة طيبة بعقلك الراجح ، وعملك الصالح ، وبما آتاك الله من فضله ، واسبغ عليك من نعمه كما قال سبحانه ـ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ـ

فالانسان الصالح اداة الاصلاح في الارض ، والانسان الفاسد اداة الافساد فيها كذلك ، فاذا استقام قلب الانسان استقامت أحواله وأعماله ، واذا انحرف قلبه انحرفت اخلاقه وافعاله ، وكل ميسر لما خلق له .

وبالجملة فالانسان مسؤول عن كل ما يروج في عالم الدنيا من زيغ وفساد ، وغلو واستبداد ، وحرب وعناد ، ـ ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ـ ثم ان هذه المسيرة التي وسمنا موسميا وعيدنا عيدها ، قد حلقت في سماء الذكريات ، وسجلت ذكرها في سجل المعجزات ، من حيث أنها قد وصلت الى مبتغاها ، وحصلت على مرتجاها ، في زمن قليل وفي أجل قريب وبشكل بديع لم يثر حربا ولم يحدث رعبا ولم يخلف عيبا في الممتلكات والمكتسبات ، وهذا حقا شيء يبعث الدهشة والاستغراب في النفوس الا ان الفضل في تقدير الاحتمالات السياسية ، وتنسيق العمليات التحريرية ، وترتيب التحريات المادية يعود الى حكم القائد البصير والرائد الخبير جلالة الحسن الثاني الذى أعد المسيرة واحكم اعدادها ، وقادها وأحسن قيادتها ، وجعلها في وقت واحد تتجه اتجاها امنا وسلميا ، وتهدف هدفا ساميا وتحريريا مما انبأ عن البلاغة والبراعة التي جعلته يمارس الأحداث بحنكة، ويعالج المشكلات بحكمة في أضيق الأوقات واحرج الساعات، ثم يخرج من هذه المعركة التي احتدت واشتدت بسلام وعطاء ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وان هذه العمليات الحكيمة الايجابية ، البعيدة عن الذبذبة والسلبية ، التي حققتها هذه المسيرة الابداعية ـ ستظل عبر التاريخ مضرب الأمثال ، في أى جيل من الاجيال ، وستبقى كذلك تتلقى التحيات ، وتتحدى ان شاء الله الحركات ، التي تذهب هذا المذهب وتركب ذلك المركب ، الذى بيض وجوه الصفحات التاريخية ، وحقق تطور الحياة النضالية ، وكم كان لبناة المجد والمكارم ، وحماة السرح والمعالم ، ملوك الدولة العلوية ذات النسب الصحيح والحسب الصريح، من فضل الدفاع عن المغرب وتاريخه ، وحماية حدوده وأجزائه يوم كان المشاغبون والمغاورون في الفتن المختلفة، ويبعثون مع الناعقين والمرتزقة ، وعند ما طغت تصرفات الاستعمار ومؤامراته ، وتجاوزت أطماعه الحد ومناوراته فسهرت أعينهم على حفظ حقيقته ، وصون حضارته ، وتقدمت كتائبهم لصد الطغاة المستعمرين ، ورد العتاة المستكبرين ، بكل ما أوتوا من حول وقوة ، كهذه المسيرة التي فرضت وجودها على الغاصبين والخائنين من الحكام ، بفضل ما سلكه القائد من سياسته الأخذ بسلام ، والتي تميزت بادراك الغايات ورفع الرايات ، وتسلحت بملامح الكفاح ، مستغنية عن صفائح السلاح، فتسابقت الى الميدان ، لاقامة الدليل والبرهان ، على تمسكها بقوانين القضاء ، وروابط الصحراء .

وذلك حينما جد الجد وصرح الشر ودعاها سليل الرسول ، وابن فاطمة البتول ، الى تلبية الواجب المشروع والمعقول ، فانعمت واستجابت دعاءه ، وأذعنت له والتزمت آراءه ، ونذرت أن لا تتحرك الا باذنه ، ولا تتوقف الا بأمره ، ولا تستمع الا لقوله .

فالمسيرة الخضراء التي يتحدث الناس عنها سرا وجهرا ، والتي استلفتت الأنظار اليها شرقا وغربا ،

كانت في المستوى حسا ومعنى ، وهي وان كانت من جملة حركات التحرير في العالم فانها فاقت كل حركة بأسلوبها المبتدع ، وصورتها الرائعة ، وقوتها المعنوية، وبخلائها من الشعارات التي تمتلىء بالتضليل والاختلاق والتلفيق والنفاق ، وانما شعارها الوحيد ، ولباسها الجديد ، كان هو التكبير والتسبيح والتوحيد ، وتلاوة الكتاب العزيز والقرءان المجيد ، فما هي الا ثورة ايمانية تحريرية ، مبادئها دينية واسلامية .

ولعل ذلك هو سر ظفرها ونجاحها الى حد ما كنا نتوقعه لها ، ولا كنا ننتظره منها .

لاكن سر الله في صدق الطلب
كم رىء في أصحابه من العجب

وهذا هو الفتح والنصر الذى حازته وانجزته ، وما الفتح الا باذن الله وما النصر الا من عند الله .

هذه هي مسيرتنا الخضراء ، وفرحتنا الكبرى ، وهذا هو أسلوبنا الذى ارتضاه قائدنا وشعبنا في تفكيك المسائل المتعقدة ، وتخليص الأراضي المستعمرة .

أسلوب التجاوب والتفاهم الانساني والتحاور والتفاوض المنطقي ، الذى يقوم على أساس الاعتراف بالحق وبعودة الارض الى طبيعتها، والأمة الى سيادتها.

فعلى الذين يومنون بدين الحق وشريعة الله أن يتجنبوا الغرر والخطر ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما قال سبحانه ـ **يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** ـ أى لما فيه حياتكم ومصلحتكم ونهضتكم .

وظاهر أن الاستجابة تكون بالايجاب لا بالنفي والسلب ، ولا بالسب والثلب ، وأن الاعتراف بالحق شأن المومنين ، وسبيل المتقين ، وعلى الذين يدينون بدين الله ، ويسيرون على صراط الله ، أن يعلموا أن الرفق واللطف ، قبل الشدة والعنف ، وأن الدخول في السلم ، خير من الدخول في الحرب ، فان الحرب فساد وخراب ، والله لا يحب الفساد والخراب ، كما قال وقوله الحق ـ **يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** ـ وكما قال لرسوله في شأن الكفار ـ **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ـ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يومنون ـ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون .**

وبعد فان كثيرا من شعوب الاسلام في آسيا وفي افريقيا كانوا الى عهد قريب في محنة الاستعمار وفتنته العارمة ، وقد حقت بهم عناية الله فتحرروا من أغلال الاستعمار واستغلاله، وتمكنوا من أسباب المجد ووسائله، وءاية هذه العناية الشاملة ، التضامن البشرى الذى أجمع على عدم صلاحية الاستعمار جملة وتفصيلا ، وتلك هي مشيئة الله ـ **وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما** ـ

وان الله جلت قدرته عندما حكم بفك هذه الشعوب التي كانت ترزح تحت وطئه ، وتئن من ضغطه امتحن قلوبهم للتقوى مرة أخرى هل هم سيشكرون لله نعمته، ويلتزمون صراطه بقصد صحيح وعمل خالص أم انهم سينحرفون عن سبيله ، ويعودون الى عصيانه ، فان ساروا على صراطه ، وءامنوا بنظامه ، فتلك ءاية شكره ، وغاية حمده ، ومن شكر الله فقد أقرها وأبقاها، وان عادوا الى مخالفته ، عاد الله الى معاقبتهم كما قال ـ **وان عدتم عدنا** ـ

وكيفما كان الامر فالمسلمون وان اخذوا يستيقظون فانهم ما زالوا يتخبطون من مس الشيطان وتصرفه الاثيم والى ذلك فهم متنافرون ومتخالفون في التربية وفي الأنظمة ، وفي حكم التبعية ، والعلة في تخلفهم وتخالفهم ترجع الى الخطوط التي رسمها الاستعمار في الشرق والغرب للافتقار الادبي وللافتقار المادى ، ولا سبيل الى مناهضة ذلك الا باجماع المسلمين على توجيه وتنظيم يشمل سائر أطراف الحياة ومواقع النهوض بوحي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبقياس النهوض المادى الاوربي على ما جاء من تعاليم الاسلام السامية ، وعقائده الايمانية وقواعده الاساسية.

وان الاسلام اليوم في حاجة الى الايمان به والى العمل به أكثر من ترداد الخطب والمحاضرات وتكرار الاجتماع والمناظرات ، اذ الاسلام الصحيح هو الواقع الصحيح ، والجهاد الفصيح ، وليس هو الأقوال التي لا تصدقها الأعمال .

وان أسلافنا الاولين وءاباءنا الاقدمين كانوا يعملون أكثر مما يقولون .

فعلى العالم الاسلامي الذى يحس في قرارة نفسه بالاضطراب الداخلي والتهديد الخارجي ، وعلى الحكومات الآخذة بزمام



الأمر أن يدركوا جميعا أن الوقت قد حان لازالة الأوحال ، وتنقية الأحوال ، والى جهاد صادق وناطق يجمع جامعة المسلمين على أساس نظام اسلامي ينطق بمعاني الاسلام ، ويملأ الارض صدقا وعدلا وسلاما عله ينقذ البشرية اذا قام هذا النظام بين المسلمين وتحققت تجربتـه ، وثبتت نتيجته ، في هذا العصر الطاغي بمادته وفلسفته ـ عله ينقذ البشرية مما آلت اليه من كساد الضمائر وفساد البصائر ـ ومـن المغالاة في تقديس المادة التي أصبحت تهيمن على مشاعر الانسان وتهدد ايمانه ووجـوده بالدمار والخراب .

واذا كان المسلمون في هذه الفترات الأخيرة اعني فترات تحررهم واستقلالهم قد عبروا عن الوحدة بينهم، لأنها قوة الانسان في حياته ، فانهم لا ينشدونها مـن طريقها ولا يطلبونها من موضعها ، اللهم الا اذا استندت الى نظام الاسلام الحقيقي ونبتت جذورها من أصـل التربية التي بثها نبينا صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه ، وقررها بواقع حياته .

وكيف تتحقق الوحدة بين المسلمين ونحن عـن جادة الاسلام منحرفون ، وعن صراطه المستقيم ناكبون، وكيف نترجاها ونحن لا نستطيع أن نؤدى معناها في نفوسنا ولا أن نرسم الخطوط لها في حياتنـا ، وكيف نراها وشيكة ولغة القرءان تستغيث ودعائم الاسـلام تختفي ، وصور المكارم تنمحي وأين هـي مقومـات الوحدة ، وأين هو الوجود الصحيح لأصحاب هـذه الوحدة فلقد ثرنا على تراثنا ، ولبسنا جلدا غير جلدنا ، واستبدلنا الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وان الوحدة والاخوة اللتين أشار اليهما القرءان الكريم بقوله ـ **وان هذه أمتكم أمة واحدة** ـ وبقوله ـ **انما المومنون اخوة** ـ لا يتحققان الا بالتزام الاسـلام الخالص من البطلات والترهات ، والانصـراف الـى أسباب التواطؤ والترابط في كل مقوم من مقومات حياة الخير والبرور ، وفي كل طارىء من طوارىء حياة الاثـم والفجـور .

وان الخيرية التي وصف الله بها أمة الاسلام لا تقوم الا بالايمان الصادق الذى يخلق الشعور بالعـزة والكرامة وذلك لا يسمح أن يكون للكافرين على المومنين سبيل من قريب أو بعيد ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك ما يهدف الى سلامة المجتمع من كل مـا يعرضه الى الآفات والأزمات والى المكاره والمظالم فـي حياته وفي حاله ومئاله .

وان الشهادة التي اثبتها الله كذلك لامة الاسلام على غيرهم من الأمم لا تقبل الا اذا استقامت قلوبهـم وصدقت أقوالهم ونهضت أعمالهم وتحسنت أحوالهـم كما الشرط في كل شهادة لقوله تعالى ـ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهـداء علـى النـاس** ـ أى خيـارا وعدولا ناهضين ، اذ لا يشهد على الناس الا من كان من أهل العدل والفضل ، وأما الذين لا يقيمون وزنا للاسلام في وسطهم ، ولا ينهضون في حياتهم ، بل تتلاعب بهم الاهواء والاعراض ، وتجتاحهم العلل والامراض ، فليس لهم أن يشهدوا به على غيرهم .

وقد يكون فصل الخطاب في هذا الموضوع أن العلماء والرؤساء والزعماء عجزوا أن يمهدوا السبيل الى غيرهم من عوام الناس وجماهيرهم وعجزوا أن يمثلوا الاسلام على وجهه في حياتهم فلم يستطيعوا مقاومة التيارات الخارجيـة ، والاعتبارات الاجنبية ، والمؤامرات السياسية بأقوى الوسائل المنطقية ، وأصـح العوامـل الدفاعية ، ولم يقدروا أن يقربوا للناس الاسلام بقانون حياتهم ، ولا أن يظهروا لهم المعانـي بأسلوب عملهم .

وفوق ذلك فقد غرتهم الحياة الدنيا وانحاشوا الى مناصب المادة السافلة ، وانسلخوا الا مـا رحم الله من المثل العليا والقيم السامية ، وما اكثر المسيئيـن والخطائين ، **وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين** » ، **«وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين»**

لقد عادت الينا بفضل الله ورحمته العزة والكرامة فتحررنا من الكبول والقيود ، وتجردنا من مصطنعـات الحدود ، ومارسنا حياة الحرية والاستقلال وتعرفنـا حقيقة تقرير المصير والمئال ، فكانت النعمة سابغـة والعيشة آمنة ، وكان فضل الله عظيمـا ، وصنعـه حكيما ، الا أننا ما قدرنا الله حق قدره ، ما شكرنا الله على فضله ، وما وفينا بعهد الله الذى واثقنا بميثاقه ، وما اتبعنا صراط الله الذى أمرنا باتباعه ، بل اتبعنا السبل المفرقة والمعوقة عن النهوض والبرور ، والمنذرة بالشر والويل والثبور ، فسرنا في هذا الطريق الشائك ،

وذهبنا في هذا المذهب الخاطيء الذى لا تحمد ولا تغبط مسيرته ، وعدنا نتودد الاستعمار ونسير في تخطيطاته وطريقته ، ونطمع في معونته ومادته ، ويتوعد بعضنا بعضا بقوته ، ومرجع هذا كله الى ضعف العقيدة واليقين ، وقلة العقل والدين ، والى كفر النعمة وجحد المنة .

فاللهم اصلح أحوالنا وصحح أوضاعنا ، وتقبل أعمالنا ، وغير ما بنا من سوء ، فانك انت الله الواحد الموجود ، وانك انت الاحد الصمد المقصود .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



خواطر عن

الدّعوة الاسلامية

ومناهجها

للأستاذ محمد العربي الخطابي

أكتب هذه المقالة تلبية لطلب كريم من « دعوة الحق » ، وهل هناك خير من أن نختار الكتابة عن الدعوة الاسلامية في ذكرى مولد سيد المرسلين وأعظم الدعاة المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، الذكرى الملهمة التي تشع أنوارها هذه السنة في عيد جلوس ملك مسلم يحمل لواء الدعوة في قوله وعمله ، ويؤمن بها ايمان المناضلين ، ملك تتجلى فيه روح الأصالة نقية باهرة ، ويأخذ من كل جديد لبه وجوهره ؟ ذلكم هو الحسن الثاني وفقه الله ، ملكا وقائدا ومرشدا ، ومتعه بالعافية وطول العمر .

الدعوة ، بمفهومها الاسلامي ، ليست « تبشيرا » تمليه الرهبنة وتوجهه الكهانة ، وهي ليست « دعاية » يفرضها الكبرياء وحب الغلبة والسيطرة، بل انها توجيه بالعقل ، واقناع بالحجة ، وارشاد بالحسنى .

والدعوة ليست بالكلام المرصوف ، ولا بالخطب الرنانة الجوفاء ، بل هي منهج وسلوك ، خلق وقدوة .

الدعوة ركن من أركان الحضارة الاسلامية لم تعدلها قط جيوش ، ولم تغن عنها فتوح ، انتشرت في أرجاء الأرض كما ينتشر ضوء الشمس ، وكان القرآن رائدها ، والسنة سندها ، والقدوة الصالحة قوامها . انتشرت بالعلم والعمل معا ، بالمثابرة والمصابرة ، فكان ما كان من اشعاع الاسلام وتفوق حضارته ، وتزايد معتنقيه واتساع رقعة أقطاره .

– – –

ألم يقل الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين** » (النحل ، 125) .

فالحكمة هي المعيار الذى به يعرف الصواب في القول والعمل ، فهي اذن الحق يدعمه العلم . وفي هذا يقول الراغب الاصفهاني « الحكمة اصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ، ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات » والحكمة التي يريد الله لنبيه أن يستعين بها في دعوته هي الحكمة المستمدة منه سبحانه المقصودة بقوله تعالى « **يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** » ، ويرى الامام الغزالي « أن المختص بهذه الكرامة يتعين عليه اقامة الشكر ، وليس شكره الا بافادة المستعدين، وافاضة العلم على المسلمين، وهكذا تصبح الدعوة واجبا على كل من اكرمه الله باتيانه الحكمة ، فذلك منه شكر بالقلب والجوارح وحمد بالعمل .

ونعود الى الآية الكريمة التي سبقت الاشارة اليها ، فنرى أن الله تعالى يريد من نبيه أن يشفع الحكمة بالموعظة والمجادلة بالتي هي احسن، أى باسلوب رفيق مهذب يعتمد على المنطق ويفحم بالحجة . والقرآن الكريم مليء بأمثلة من هذا الأسلوب . واننا لو تأملنا

هذه الآيات البينات « **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، في أى صورة ما شاء ركبك** » (الانفطار ، 6 ـ 8) لوجدناها دليلا رائعا على اسلوب الجدل المنطقي الرفيق ، يخاطب الله به عباده في نسق من الفاظ بسيطة جميلة ، وعبارات منظومة مستساغة ، وجمل مترابطة متكاملة ، ومنطق يجعل من الانسان حجة قائمة به عليه . ويزيد هذه الآيات روعة انها ـ باعتبار مقاصدها الوعظية والتدبرية ـ تخاطب الانسان وهو في الدنيا ، الا انها في نفس الوقت تنظر اليه من خلال يوم البعث والحساب ، وتذكره في حاله بمآله : « **اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت** » ، (الانفطار ، 1 ـ 5) ، فهي اذن آيات جليلات تدعو الانسان في الدنيا ، من خلال الآخرة، الى تدبر أمر نفسه والتفكر في حكمة صنع الله فيه ، خلقه فآتاه العقل ومهد له بذلك سبيل العلم بنفسه وبما يحيط به . والانسان كما قال عنه الله تعالى : « **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** » (النحل ، 4) يميل الى الجدل والخصومة ، ولا ضرر في ذلك اذا كان مصحوبا بالتأمل والتدبر والطموح الى المعرفة التي تؤدى الى الايمان بالله وبوحدانيته ، ولذلك قام أسلوب القرآن والسنة على الجدل بالحجة ، والاقناع بالبينة ، وتوجيه العقل والبصيرة وجهة التدبر والتأمل والاستنتاج . وقد يصل بعض الناس الى فهم حقيقة الوجود فيقوى ايمانهم ويصح عملهم ويتفتح ادراكهم ، الا أن أناسا آخرين قد يأخذهم الغرور بأنفسهم ، جهلا ، مع انهم يظنون انهم عالمون : « **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**» (غافر، 57) فالانسان ذرة في السموات والارض ، وهو ذرة فاعلة موجبة متى أدرك الحق وانفتحت أمامه أبواب العلم . اذ بالعلم وحده يمكن أن ينطبق عليه القول الصوفي المشهور : « وفيك انطوى العالم الاكبر » .

ـ ـ ـ

جاء في حديث شريف : « **لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا ينفقه في سبيل الله ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه** » .

ان صاحب المال لا يحسد على ماله ، بل لانفاقه في سبيل الله، وسبيل الله لا نهاية له، هو نشر دعوة القرآن في كل زمان ومكان ، هو نفع الناس بتعميم التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية ، هو رفع الظلم ، واحقاق الحق ، ونشر العدل والمساواة بين الناس ، هو هدم الأصنام كيفما كانت وأينما كانت ، هو احترام الانسان الذى كرمه الله بالعقل والمشاعر ، احترامه بعدم التطاول على حريته وشرفه وعرضه ، احترامه بتشجيعه على اظهار قوى الخير والابداع الكامنة في نفسه .

وصاحب العلم لا يحسد على علمه ، بل على نشره لهذا العلم ودعوة الخلق اليه دون تمييز . فتأمل لفظ الحديث : « **فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه** » ، فالعلم اذن هنا اكتساب وتفاعل ، أخذ وعطاء ، وهو العلم الذى ينفع الناس ، ويوجههم الى الخير والصلاح ، ويقرب بعضهم الى بعض ، ويثبت قلوبهم على الايمان بوحدانية الله ومطلق تصرفه في ملكه ، سواء كان هذا العلم دينيا أو دنيويا ، عقليا أو نقليا، رياضيا أو طبيعيا أو نفسيا. فغاية العلم واحدة : أن يتحرر الانسان روحا وجسدا وأن يتمكن من نفسه الايمان بربه ، « والانسان الحر ـ كما يقول محمد اقبال ـ يسخر هذا العالم ، الا أنه يقيد نفسه بالشريعة » .

ان العلم الذى يقر الملحد على الحاده ، ولا يرد الضال عن ضلاله لا يمكن أن يسمى علما مهما كانت نظرياته ومعادلاته وبراهينه ومسلماته .

ـ ـ ـ

يخطىء من يظن أن الدعوة ، بالمعنى الذى حدده الاسلام لها ، هي مجرد وظيفة وعظية مقصورة على خطباء الجمعة في المساجد ، أو أنها تنحصر في التبشير والانذار ، والوعد والوعيد . اننا نعلم أن خطب الوعظ والارشاد لم تتوقف في مسجد باية بقعة من بقاع العالم الاسلامي منذان كانت هذه المساجد ، ومع ذلك فان المسلمين أصابتهم نكسات ، وضعفت شوكة أقطارهم ، وتغلبت عليهم الأمم بجهلهم وانحطاطهم ومشاحناتهم وتنكبهم عن طريق الله .

واذا كان الاسلام ـ دينا وحضارة ـ قد عاش واستمر مقاوما تقلبات الزمن ، فالفضل في ذلك يرجع ، أولا الى قوته الذاتية النابعة من الكتاب والسنة ، وثانيا ، الى الصرح العلمي المتين الذى أقامه علماء السلف الصالح ومجددو الدعوة والفكر الاسلاميين .

الدعوة الاسلامية واجبة على كل قادر عليها ، لأنه لا كهانة في الاسلام ولا رهبنة : فكل مسلم مسؤول ومكلف متى توفرت فيه شروط التكليف والمسؤولية : ومنها الرشد ، وصحة العقل والبدن ، والعلم . وتكون الدعوة بالتبليغ الشفوي والكتابي كما تكون بالقدوة الصالحة .

يقول الامام الغزالي من رسالة بعث بها الى الوزير ضيا، الملك : « ان مدينة كركان منذ زمان كانت خالية من عالم يحسن الاقتداء به حتى عاد اليوم الى موطنه ناصح المسلمين . ابرهيم السباك وأحيا هذه الناحية بعلمه وورعه وشاعت فائدته في التدريس والتذكير وانتعش أهل السنة بالحياة من جديد » . فانت ترى كيف اكد حجة الاسلام على حسن الاقتداء والعمل والورع ، اذ العلم وحده لا يكفي ، وربما كان في كركان — عند قدوم ابرهيم السباك اليها علماء ، لكن لم يكن يحسن الاقتداء بهم ، فلم تنتعش المدينة ولم تتدفق الحياة في شرايينها من جديد حتى ورد عليها داعية توسل بالعلم والعمل لتجديد دعوة الدين ، وجعل من نفسه قدوة للناس بالورع وجمال السيرة .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » (التوبة ، 71) والمعنى ان بينهم نسبة ومشاركة ومناصرة في الدين والاعتقاد فهم لا تجمعهم الألفة والمودة فحسب بل واجب مشترك هو الدفاع عن القيم الخلقية التي أمر بها الله ، يسند بعضهم بعضا في ذلك فيأمرون بكل عمل مستقيم نافع (المعروف) وينهون عن كل انحراف وفساد (المنكر) ، لا يستثني الله من النهوض بهذا الواجب مؤمنا أو مؤمنة ، كل واحد منهم مرآة أخيه في العمل الصالح والايمان القويم ، والغيرة الاسلامية ، فهم يتعاونون وتبرز قوتهم مجتمعين فتستقيم أحوال الأمة الاسلامية وتتمهد أمامها سبل العزة والاستقرار بالايمان والعلم والعمل الصالح .

— — —

من خواطر الداعية المصلح جمال الدين الافغاني قوله : « اذا أخذنا ما تجمع للخليفة الأول أبي بكر ، وللخليفة الثاني عمر الفاروق — رضي الله عنهما — من الجيوش ... وعلمنا أن مجموع الجيوش الاسلامية في العهدين لم يتجاوز الأربعين الفا ، وقسنا ما دخل من الممالك في حوزة المسلمين ... تبين وتحقق لنا أن عمل الجهاد بالسيف لم يكن ليذكر في جانب الدعوة بالحكمة، والأخذ بالعدل المطلق، والمثال الحسن، والقدوة الصالحة، وما فتح من البلدان والامصار صلحا أكثر بكثير مما فتح عنوة وحربا » هذه حقائق يثبتها التاريخ والواقع ، لقد انتشرت دعوة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالاقناع والاقتناع ، بالقدوة الصالحة والعلم ، بفضل طائفة من الدعاة الأبرار الذين ينطبق عليهم هذا القول الكريم : «**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين** » (آل عمران ، 114) .

— — —

العالم الاسلامي اليوم ، قوة بشرية هائلة ، ورقعة جغرافية شاسعة الاطراف ، وأقطار العالم الاسلامي كلها تسير في طريق النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، الا أن هذه الأقطار تواجه تحديات ملحة ومستمرة في شتى الميادين : في التعليم والثقافة ، في الاقتصاد والاجتماع ، في الحكم والسياسة ، في الأخلاق والقوانين.

وأخطر هذه التحديات جميعا ما يحدث منها في ميدان الفكر والاعتقاد ، اذ من هنا يتسرب الفساد الى بقية الميادين الأخرى . وليس المهم هو أن نقف من هذه التحديات موقف الحذر والتخوف ، بل أن نتسلح لمواجهتها وصدها .

انها تحديات تصور الباطل حقا ، والسفاهة رشدا ، مستعينة في ذلك بأسلوب في الجدل والتغلغل تسنده الوسائل العلمية والمادية والتقنية التي ينتجها العصر . فهي تجعل في خدمتها علم النفس وعلم الاجتماع وفن الاعلام ووسائله السمعية البصرية ، وينفق أصحابها في سبيل ذلك الأموال الكثيرة، يصدرون بها الكتب والمجلات ، ويبعثون الرسل والمبشرين، ويصورون الافلام ويسجلون الأشرطة ، ويقيمون المؤتمرات والندوات ، كل ذلك بقصد نشر افكار تمجد المادة وحدها وتجعل منها مبدا الحياة وغايتها ، وتنشر عقائد يؤدي اعتناقها الى الالحاد . وتتخذ هذه الأفكار والعقائد أشكالا وصورا شتى ، وتتباين أسماؤها ومقاصدها الظاهرة ، الا أن غايتها واحدة : القضاء على كل حضارة قوامها الايمان بوحدانية الله وبقدرته المطلقة وبكون الانسان

مسخرا هذه الدنيا لعمارة الارض وخلافة الله فيها بالبر والعدل والاحسان والتقوى استعدادا لدار البقاء التي لا تفنى .

ولمواجهة هذه التحديات يجب على الداعية المسلم الذي يتصدى لارشاد الشبان وتعليمهم وانارة سبل المستقبل والحياة أمامهم ، أن يأخذ بالوسائل العلمية والتقنولوجية التي يتيحها العصر لابطال الباطل بالحجة ، وللوقوف في وجه الخصم بسلاحه . ولا يتصور في العقل أن يقف الداعية المسلم في وجه مروجي الافكار والعقائد المادية الالحادية ، ولا سلاح معه الا معرفته بالفقه والتفسير والحديث وعلوم اللغة والبلاغة على الأساليب القديمة ، بل لا بد له من أن يكون ذا ثقافة واسعة ومعارف متنوعة كفلسفة التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع مع الالمام بلغة أو بعدة لغات أجنبية .

ولست أقصد بالداعية المسلم ، الذى يتصدى للوعظ والارشاد في المساجد فحسب ، **بل كل مسلم متعلم سواء كان معلما أو طبيبا أو مهندسا أو مؤرخا أو باحثا أو صحافيا أو موظفا ..**

لقد كان السلف الصالح من العلماء كلهم دعاة بلسانهم وقلمهم وعملهم ، لا يستثنى من ذلك المحدث والمفسر والمؤرخ والطبيب والفيلسوف والرحالة والأديب. اقرأ ، مثلا أى كتاب لابن قتيبة الذى اشتهر بكونه اديبا، تجد أنه لا يخلو من الدعوة للاسلام والدفاع عن مبادئه وعقيدته . وقل مثل ذلك في رجال أمثال ابن سينا ، وابن الهيثم ، والغزالي ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن حزم ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن بطوطة ، وابن جبير ، والادريسي ، وابي حيان التوحيدى ، وابن عبد ربه . كلهم كانوا دعاة على اختلاف بينهم في الاتجاه الثقافي والتخصص العلمي

والدعوة الاسلامية ، لها قادة وجنود ، فقادتها هم ملوك الدول الاسلامية ورؤساؤها وزعماء الرأى والفكر والعلم فيها ، وجنودها هم جميع أفراد الأمة الاسلامية الذين اتيح لهم نصيب من الثقافة ويعملون في مختلف ميادين الحياة .

والدعوة الاسلامية -وهي رسالة دائمة مستمرة- مسؤولية جماعية وواجب فردى .

فالمسؤولية الجماعية تتولاها الحكومات والهيآت السياسية والثقافية والاجتماعية والمهنية المختلفة ، تتولاها أولا وقبل كل شيء ، في ميدان التربية والتعليم بجعلهما اسلاميين في توجيههما وغايتهما ، عصريين في مناهجهما وطرق تلقينهما . ويستحسن أن نورد هنا كلمة للداعية المسلم الجليل ابي الحسن علي الحسني الندوى قالها في معرض التحدث عن الغزو الفكرى الجارف الذى استهدف له المسلمون في أقطارهم في طور ضعفهم وتأخرهم ، قال : « وحل هذه المشكلة .. ليس الا أن يصاغ النظام التعليمي (في الأقطار الاسلامية) صوغا جديدا يلائم عقائد الأمة المسلمة ومقومات حياتها واهدافها وحاجاتها ، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية وتعبد الجسم والمادة ، وينفخ فيه من روح التقوى والانابة الى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الانسانية كلها » .

نعم ان **المادية الملحدة تمارس عملها الهدام أول ما تمارسه في المدارس والمعاهد والكليات عن طريق الكتب المدسوسة ، والبرامج الملغومة ، وبواسطة مدرسين ذهبوا ضحية استلاب فكرى أفقدهم** الصواب وحسن التمييز .

وتواصل المادية الملحدة عملها عن طريق الأفلام والكتب والمجلات والندوات مستعينة بأحدث الوسائل العلمية والفنية لبث فسادها ، فلا بد اذن من أن تواجه الحكومات الاسلامية كل هذه الوسائل بوسائل من جنسها .

وانني بهذه المناسبة أود أن أنوه بالجهود الحميدة التي تبذلها في هذا السبيل هيآت رشيدة مثل « رابطة العالم الاسلامي » التي نتمنى لها مزيدا من النجاح في أداء رسالتها . كما ينبغي الاشادة بالجهود الفردية التي يبذلها دعاة أجلة من قادة العالم الاسلامي وعلمائه ومثقفيه بما يؤلفونه من كتب ويلقونه من محاضرات ويشاركون فيه من ندوات ومؤتمرات فيواجهون التيارات الضالة المضلة بعلم وكفاية ودراية ، وفيهم الفلاسفة والمؤرخون والأطباء والادباء وعلماء النفس والاجتماع .

وقد قيض الله للاسلام ، في هذا العصر ، علماء من الغرب أتيح لهم أن يتفقهوا في علوم القرآن وأن يطلعوا على كثير من مناحي الثقافة الاسلامية الرائعة ، فجندوا معارفهم وحملوا أقلامهم ورفعوا صوتهم في سبيل التعريف بالاسلام والدفاع عنه وابراز القيم الانسانية والروحية المثلى التي ينطوى عليها القرآن . ويكفي أن

نذكر من هؤلاء عالما فرنسيا جليلا صدر له منذ شهور قليلة كتاب قيم أشاد فيه بالاسلام وأكد ، بما لا يترك مجالا للشك ، اعجاز القرآن وموافقة كل ما جاء فيه من اشارات علمية للمعارف العصرية ، هـذا العالـم هـو الأستاذ الطبيب الجراح موريس بوكاى صاحب كتاب «التوراة والانجيل والقرآن والعلم» الذى صدر بالفرنسية ولخصناه تلخيصا وافيا في تقديم سيصدر في مجلـة « المناهل » التي تشرف عليها وزارة الدولة في الشؤون الثقافيـة .

وبعد ، فان هذا العصر عصر صـراع وتهافت ، ونحن **لا يخامرنا شك في أن الاسلام ـ دينا وعقيـدة وحضارة ـ هو الكفيل وحده بانقاذ الانسان** مما تردى فيه من انحلال وانسياق مع المادية والالحاد ، وهـو القادر وحده أن يقدم الأجوبة الكافية على ما تطرحـه الحضارة العصرية من اسئلة عديدة. فلا بد اذن أن ينهض من بين المسلمين دعاة نيرون يبصرونهم بحقيقة الرسالة الاسلامية على ضوء معارف العصر ووفقا لتنظيم وتخطيط محكمين . والمجتمع الاسلامي المعاصر لا بد لـه من أن ياخذ بأسباب العلم والتقنولوجيا ، على أن يسخرهما لخدمة مقاصد الاسلام ورسالته ، اذ في ذلك خـلاص البشرية مما يستبد بها من هم وقلق وخوف ...

« غير خاف عليك شعبي العزيز اننا كبرنا في مدرسة وطنية مدرسة محمد الخامس رحمه الله الذى ألقى خطابه التاريخي سنة 1944 ذلك الخطاب الذى قال فيه مقالتين مهمتين : الاولى : ان الملك والشعب يرغبان في العيش في ظل ملكية دستورية ، وفي نفس ذلك الخطاب قال رحمة الله عليه : (يجب علينا أن لا ننسى في الثورة التي نقوم بها للتحرير وللتعليم وفتح المدارس وارسال البعثات الى الخارج ، يجب علينا أن لا ننسى سواد الامة الـذى يكونـه الفلاحون) .

واذن فان مدرسة محمد الخامس الوطنية كانت مبنية على ثلاثة أسس : الاطار العام ألا وهو الملكية الدستورية والرفع من مستوى شعبه، وذلك بتعميم الثقافة والتعليم وبعث البعثات الى الخارج دون أن ينسى ذلك المشاكـل الحقيقية والثروات الحقيقية للبلاد التي يكونها ثمانون في المئة من السكان ألا وهي مشاكل الفلاحة » .

جلالـة الملك
الحسن الثاني

الوثائق المغربية في عهد جلالة الملك
الحسن الثاني

لمؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور

لم يفتأ المؤرخون والسياسيون المغاربة (I) وحتى علماء الاقتصاد والاجتماع منهم يشعرون بالحاجة الماسة الى الاطلاع على الوثائق والمستندات المغربية للاستعانة بها على كتابة ما يرغبون في تأليفه من كتب واعداد ما يحضرونه من دروس ومحاضرات ، ومنهم من يرغب في الاطلاع عليها بدافع وطني لمقارنتها بما نشره الاوربيون والامريكيون عن بلادنا من وثائق ومستندات تحتفظ بها المكتبات الرسمية وغير الرسمية ببلدانهم ، تلك التي بنوا عليها أحكاما واستنتجوا منها نتائج تبدو أحيانا لمفكرينا وشبابنا الغير متحيزة وبعيدة عن الصواب ، ماسة ـ بالتالي ـ بكرامة المغرب وما رسخ في أذهانهم عما لماضيه من مفاخر وأمجاد .

والمفكرون المغاربة والشبان منهم على الخصوص عندما يحسون ذلك الاحساس ويرغبون تلك الرغبة انما يصدرون عن عاطفة نبيلة وطموح حميد ، لانهم يستهدفون من جهة تقصي الحقائق ، كما يستهدفون من جهة أخرى درأ أكثر ما يمكن درؤه من الشبهات عن ماضي الوطن المغربي الذى لم يكن كل ما كتب عنه من طرف الاجانب خالصا سليما بعيدا عن الغرض المقيت والهوى المطاع .

وكان يزيد في لوعة مفكرينا وشبابنا وحسرتهم أن الاطلاع على هذه الوثائق والمستندات لم يكن بالامر الهين ولا الاهتداء الى مكامنها والوصول الى مخابعها بالشيء الذى لا يكلف عناء ولا يرهق عسرا ، فالمستندات المغربية بقيت حبيسة غميسة مفقودة الاخبار مجهولة الآثار حتى حسب الكثير أن المغرب ليست له وثائق بالمرة ، واحسن الناس ظنا وأطولهم أملا من تخيل أن ما كان منها موجودا استولى عليه الاجانب أيام حكمهم وأتلفوه أو نقلوه الى مكاتب بلادهم وحرموا الاستفادة منه على غير مواطنيهم .

والحقيقة أن الوثائق والمستندات المغربية موجودة وكائنة منذ كان المغرب دولة ، اذ من شروط الدولة ومستلزماتها أن يكون لها جهاز حكومي واداري يشرف على تدبير أمورها وتسيير شؤونها ، وهذا التدبير يتوقف على جهاز كتابي يتولى تبليغ التعليمات الحكومية والتوجيهات الادارية الى ولاة الاقاليم وقضاة الاحكام ، وقواد الجيش وجباة المال وسفراء الدول كما يتلقى أجوبتهم عنها أو يتلقى منهم المكاتيب التي يكتبونها بدءا بانتظام .

انما الذى لم يكن يفهمه المغاربة ـ ومن الفضيلة أن نعترف بما ارتكبنا في ماضينا من أخطاء ـ أن رجال الدولة والموظفين منهم على الاطلاق كانوا يعتبرون المراسلات الصادرة عنهم أو الواردة عليهم حال ممارستهم للوظيف وتلبسهم بالحكومة ملكا شخصيا لهم لمجرد أن أسماءهم مذكورة فيها ، فلهذا كانوا ينقلون معهم الى

(I) المقدمة الضافية التي صدر بها الاستاذ بنمنصور العدد الاول من الدورية الجديدة الوثائق .

دورهم تلك المستندات الحكومية والادارية عند ما يتخلون عن الوظيف بمحض ارادتهم أو عند ما يقصون عنه بغير اختيارهم . وبذلك تشتت شمل المستندات وانتثر سلكها وتفرقت شذر مذر وذهبت ايادي سبا، وصارت موزعة مجزأة في قصور الوزراء والموظفين السابقين بدل ان تبقى محفوظة بالدواوين الحكومية والمكاتب الادارية .

ولم تقف المصيبة عند هذا الحد ، فان تلك المستندات كانت بعد انتقالها الى دور الخواص تطرح غالبا في زوايا الاهمال وتترك بدون أدنى عناية ، معرضة للآفات الطبيعية من مطر السماء ورطوبة الارض ونخر الارضة وقضم الجرذان ، وأفظع من هذا واشنع ان أيدي الجهال كانت تمتد اليها فتأتي عليها حرقا واتلافا وأحيانا كانت تبيعها بثمن الورق الرخيص لمن يكمش فيها القطاني او يلف البهارات من الباعة المتجولين .

وفي العقد الثاني من هذا القرن العشرين شرعت الحكومة المغربية تجمع ما تفرق من وثائق المغرب ومستنداته مما عثر عليه في مكاتب الموظفين المخزنيين أو صادرته مع ما صادرت من ممتلكاتهم وممتلكات قنصليات الدول المعادية خلال الحرب العالمية الاولى ، ولما انشأت بالرباط المكتبة العامة انشأت بجانبها قسما للوثائق كما انشأت بباريس (قسما تاريخيا)(عهدت اليه بجمع كل ما تحتوي عليه مكاتب الدول الاوربية مما يتعلق بالمغرب ، وعمل هذا القسم التاريخي عملا جليلا بما جمع وترجم ونشر ، ولا مثل سلسلة الكتب المعنونة بـ (المصادر الغميسة لتاريخ المغرب) .

وسارت الحكومة أشواطا في جمع الوثائق ، وتضخم قسم المستندات في الخزانة العامة بالرباط بما حفظ فيه من وثائق القنصليات الفرنسية بالمغرب ومن الوثائق الحكومية والادارية التي كانت تبعث اليه للحفظ من دواوين الحكومة بالعاصمة أو من مكاتب الادارة بالاقاليم ، كما نشط بعض الواطنين المغاربة والاجانب لنشر عدد من الوثائق على حدة كـ (الرسائل الشريفة) التي نشرها الكمندان فهليل ، و (الرسائل الموحدية) التي نشرها المستشرق ليفي بروفانصال ، و (رسائل سعدية) التي نشرها الاستاذ عبد الله كنون، أو تضمينها الكتب التاريخية والمدونات القانونية التي ألفوها وجمعوها ونشروها ، كـ (اتحاف أعلام الناس) لسلفي مؤرخ الدولة السيد عبد الرحمان بن زيدان ، و (مدونة القوانين) الخاصة بمنطقة الحماية الفرنسية، والاخرى الخاصة بمنطقة الادارة الدولية بطنجة .

ولكن هذه العملية الاولى الناجحة اصيبت بنكسة عندما استعاد المغرب استقلاله في أواخر سنة 1955 لان دولتي فرنسا واسبانيا حاميتي المغرب السابقتين عمدتا الى نقل اكثر ما كان بالمكتبات الرسمية المغربية من المستندات الى بلديهما ولم تبقيا بها الا القليل منها .

حدثني الاستاذ محمد الفاسي أول وزير للتربية الوطنية في المغرب المستقل ان سيارات الجيش الفرنسي حضرت ذات صباح في أوائل سنة 1956 الى المكتبة العامة بالرباط ومعها الجنود بكامل أسلحتهم ، ففتح لهم محافظها ، وكان يهوديا جزائريا متفرنسا ، ابوابها ومكنهم من جميع ما كان مخبوءا فيها من المستندات فنقلوه الى قشلة من قشلاتهم ثم أرسلوه فيما بعد جوا وبحرا الى فرنسا بواسطة القواعد الجوية والبحرية التي كانت يومئذ تحت قبضتهم بالمغرب .

ومرت السنتان الاوليان على اعلان الاستقلال والدولة المغربية منصرفة الى معالجة المشاكل المترتبة على الغاء الحماية كتثبيت السلطة ومغربة الادارة وانشاء الجيش وفرق الامن واجلاء القوات الفرنسية والاسبانية والامريكية عن القواعد التي تحتلها بالمغرب وتحرير الاقتصاد والعملة من التبعية للاجانب . وكانت مسائل ذات أهمية ثانوية في ذلك العهد كجمع الوثائق والمستندات وترتيبها ونشرها آخر ما يخطر على البال ويصرف اليه الاهتمام ، على أن الدولة بدأت تصطدم بالمشكلة منذ البداية ، لان الفرنسيين والاسبانيين لم يردوا الى المغرب جميع اراضيه السليبة بالجنوب والشرق والجنوب الشرقي رغم تعهدهم بالمحافظة على وحدة ترابه بمقتضى الاتفاقيات التي عقدوها معه في مارس وأبريل 1956 ، فاسبانيا لم تعد اليه قطاع سيدي يفني واقليم طرفاية دع عنك الساقية الحمراء ووادي الذهب ، كما أن فرنسا لم يكفها ما قصت في الماضي من اقاليمه في الجنوب والشرق والحقته بمستعمراتها في شمال افريقيا وغربها ، فاحتفظت لاسباب عسكرية محضة بأجزاء أخرى بقيت تسير من طرف مندوبيتها السامية بالرباط الى آخر أيام الحماية والحقتها رغما عنه وجعلت من بعضها حقولا لتجاربها الذرية ، فكان المغرب وهو يحاج ويحتج في أشد الحاجة الى مستندات أصلية يثبت بها صحة دعواه ويقيم بها


الوثائق
1


الوثائق
2

الحجة على الدولتين الحاميتين السابقتين ، فلم يجد منها الا ما نشره الاجانب في فترا تمتقطعة من عهد الاحتلال والاستعمار ، وهو لا يفي حق الوفاء بكل ما كان يبغي الاستدلال به ويتمناه .

ولفتت نظري هذه الظاهرة ، ظاهرة فقدان الوثائق والمستندات المغربية في ذلك الوقت الذي اشتدت فيه الحاجة اليها ، وصار من أكبر ما يشغل بالي كعضو في الديوان الملكي وواحد من المهتمين بتاريخ المغرب البحث عن مخابئها والسعي في ترتيبها استعدادا لدرسها ونشرها ولما أسند الى جلالة الملك المرحوم محمد الخامس (09 — 1961 م) طيب الله ثراه أمر خزائن الكتب المحفوظة في قصوره في خريف سنة 1958 عثرت على عدد من الكتب والكنانيش المخزنية سجلت فيها مراسلات ملكية ترجع الى العصرين السعدى والعلوى ، وعدد آخر من المستندات الاصلية التي لم تقيد في كتاب ولم تسجل في كناش كعقود بيعة السلطان المرحوم مولاى يوسف (1882 — 1927) ، كما سلم الى الوزير المرحوم السيد محمد المعمرى (1885 — 1970 م) عددا من المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها المغرب مع الدول الاجنبية ، من بينها مجموعة الاتفاقيات المتعلقة ببنا، منار رأس سبارتيل الواقع الى الغرب من طنجة في أعلا نقطة بالساحل الغربي للقارة الافريقية . وضممت الى هذه الكتب والمستندات ، مستندات حديثة ترجع الى السنوات الاخيرة لعهد الحماية والسنين الاولى لعهد الاستقلال ، عثرت عليها بالديوان الملكي ، وكذلك المجموعة الكبيرة النفيسة من الوثائق والمستندات التي صودرت من دار الوزير الاول السابق الحاج محمد المقرى (1860 — 1956 م) وهي الوثائق المتعلقة بأيام خدمته الاولى مع الدولة الى سنة 1912 .

ولما تربع على عرش المغرب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوم 26 فبراير 1961 وزار فاس زيارته الرسمية الاولى لفتت نظر جلالته الى الكتب المحفوظة في خزائن قصرها الملكي والتي لم تر النور سنين طويلة ، فامر جلالته بفتح تلك الخزائن فاذا هي تضم في مرافقها جزءا من الكتب السلطانية التي كانت تحفظ في قصر فاس منذ العهود المرينية والسعدية والعلوية الاولى ، كما كان بعض هذه الخزائن مليئا بالكتب التي طبعها الملوك العلويون داخل المغرب وخارجه من عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان الى عهد السلطان عبد الحفيظ .

وكانت هذه الكتب في حالة يرثى لها من الاهمال بحيث لم يكن من الممكن ابقاؤها حيث هي الا اذا اريد أن تزداد ضياعا وتلفا ، فامرني جلالته بنقلها الى القصر الملكي بالرباط فنقلت ووجد من بينها عدد من الكتب والكنانيش التي قيدت فيها مراسلات الملوك والحكومة وحسابات المالية ، ثم نقلت اليه بامر جلالته بعد ذلك جميع ما كان ببنائق قصر فاس وأهريته من الرسائل والاوراق التي عاثت فيها الجوائح الطبيعية وأيدى الجهال عيثا فظيعا ، وكانت هذه الاوراق أكثر ما عثر عليه قبل وبعد من المستندات عددا واكبرها قيمة ، وبها وحدها صار من الممكن انشاء قسم خاص للمستندات والوثائق بالقصر الملكي .

ولما زار جلالته مراكش بعد ذلك زيارة رسمية أحيط علما بما في بنائق قصرها وأهريته من سجلات واوراق ، فامرني بنقلها الى قصر الرباط وضمها الى ما نقل اليه من قصر فاس ، وخلال ذلك وضعت الترتيبات لتصفح ما يوجد داخل 53 خنشة من اوراق صادرها جيش التحرير في قصر الحاج التهامي الكلاوى (1878 — 1956) باشا مراكش أوائل سنة 1956 وتم انقاذها وحفظها في أقبا، الامانة الملكية الخاصة ، فتصفحت وضمت الى ما سبقها من نظائر واشباه .

وعرفت المكتبة الملكية بعد ذلك ثلاث مجموعات مهمة من الوثائق والمستندات ، الاولى المجموعة المهمة التي كانت محفوظة بالقصر الملكي بمكناس وآلت الى المكتبة الزيدانية قبل ان تؤول هذه بدورها الى المكتبة الملكية ، والثانية المجموعة التي كانت محفوظة بقصر السيد الطيب المقرى بفاس والتي تكمل مجموعة ابيه الوزير الاول الحاج محمد المقرى المشار اليها من قبل والثالثة مجموعة السيد الحاج محمد بن المدني بنيس أمين الامناء في عهدي السلطان سيدى محمد الرابع وابنه السلطان مولاى الحسن الاول ، التي كانت محفوظة عند ورثته في حانوت بفندق القاطنين بفاس ، ثم نقلتها بامر من جلالة الملك الى الرباط يوم السبت 31 مايو 1975 ، يضاف الى هذه المجاميع مجموعة أخرى خامسة من الكنانيش والوثائق الملكية كانت زحزحت عن مكانها الاصلي بقصر فاس ثم أعيدت اليه ، وكذلك جزء تم تصويره من مستندات ووثائق الحاج المهدى المنبهي وزير الحربية السابق المحفوظة عند ورثته بطنجة ، مع مستندات أخرى متفرقة قليلة العدد كثيرة الاهمية

ضمت أصولها الى صورها او نسخها الى المستندات التي تقدمتها .

ومن جهة اخرى جدت الدولة في البحث عن الوثائق وجمع المتفرق منها بالحيازة أو النسخ أو التصوير ، فانشأت مركزا وطنيا للمستندات بكتابة الدولة في التخطيط . وامتازت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية على الخصوص بجهودها الموفقة الحكيمة في هذا الباب ، ولاسيما بتنظيمها لمعارض المخطوطات والوثائق التي أمكن بواسطتها تصوير عدد من المستندات المعروضة كل سنة ، كما نشط أيضا الافراد لدراسة الربائد ونشرها خصوصا في هذه السنين التي يناضل فيها المغرب النضال المرير لاسترجاع صحرائه واثبات ما له من حق في أقاليمه الاخرى التي سلبت منه أيام ضعفه وتآمر القوى الاستعمارية الاوربية عليه ، ونذكر منها : الاتفاقيات الدولية للسلطان سيدى محمد بن عبد الله التي نشرها الاستاذ كايي بالرباط سنة 1960 ورسائل مولاى اليزيد التي نشرها الاستاذ ضون ماريانو أريباس بالاو بتطوان سنة 1960 ، والوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك (يوغوسلافيا) التي نشرها الاستاذ نسيم تورقوت بسرايبو سنة 1960 ، والرسائل المتعلقة باقليم توات التي نشرتها بالرباط سنة 1962 ، ورسائل السلطان مولاى اسماعيل الى الاسرة الفاسية التي نشرها الاستاذ الوزير السيد محمد الفاسي بالرباط وتطوان سنة 1962 بمناسبة مرور ثلاثة قرون على تولي مولاى اسماعيل الملك ، ورسائل مولاى اسماعيل الى ولده الامير مولاى المامون التي نشرتها بالرباط سنة 1967 ومجموعة الرسائل القيمة التي ضمنها الاستاذ البحاثة السيد محمد داوود موسوعته عن تاريخ تطوان والاخرى التي ضمنها الوزير المرحوم السيد المختار السوسي موسوعته القيمة عن تاريخ زاوية الغ المسماة (المعسول) وكتبه القيمة الاخرى عن اقليم سوس ، ومجموعة الوثائق التي نشرتها طيلة تسع عشرة سنة في كتاب (انبعاث أمة) الذى يتضمن كل الآثار المنطوقة وبعض الآثار المكتوبة لجلالة الملك المرحوم محمد الخامس وخلفه المنصور جلالة الملك الحسن الثاني وكتبا أخرى غابت عني اسماؤها في هذا الوقت ، دع عنك مئات الوثائق التي نشرت في الصحف والمجلات الوطنية حجة لحقوق المغرب في أقاليمه المغتصبة ، وكذلك الفهارس القيمة التي وضعتها الخزانة العامة بتطوان لجزء من الربائد المحفوظة بها .

وازاء تواتر عدد هذه الوثائق وتكاثرها وتعاقب وصول مجاميعها وما ينتظر ان يلحق بها مستقبلا صار من الحتم اللازم والواجب الاكيد انشاء جهاز ادارى متميز يعنى بحفظها وتبويبها وفهرستها وتيسير الاستفادة منها على الباحثين والدارسين ، مثلما يعنى بالحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من المستندات والوثائق المغربية المتفرقة في جميع أنحاء العالم وخاصة في خزائن ومكتبات الدول الاوربية التي كانت تربطنا بها في الماضي روابط الكراهية والعداء تارة وروابط الصداقة والتعاون تارة أخرى . وهذا ما فعله الملك العالم المثقف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذى أنشأ مديرية الوثائق الملكية ابتداء من فاتح يناير سنة 1975 وعهد الى بادارتها .

– – –

ليس في نيتي أن أتحدث الآن عن الوثيقة الربيدة فاضع لها التعاريف وأورد مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية في أدمغة العلماء ، ولا أن أتعرض لعلم الربادة أو الارشيف فاذكر تاريخ نشأته ومراحل تطوره وعناية الامم المتقدمة به فان ذلك هو من لغو الحديث وسخف القول بعد ما ألف في هذا العلم من كتب ونشر عنه من دراسات بمختلف اللغات ، وانما الذى أريد أن أضيف الى ما تقدم أننا الآن أمام ثروة ضخمة من الوثائق الربيدة والمستندات الغميسة المغربية نعتقد جازمين أن اعدادها ستتكاثر مستقبلا ومددها سيتوافر بما سيرد منها على مديرية الارشيف الملكي بطريق الشراء أو الهدية أو التصوير أو النسخ أو الاسترجاع القانوني ، والذى امكن جمعه منها حتى الآن بعضه موجودة أصوله في أوراقها التي كتبت فيها لاول مرة مختومة بخواتم الملوك والرؤساء أو ممهورة بامضاءاتهم أو امضاءات الوزراء والسفراء والقناصل والعمال والقضاة والامناء وحتى الجواسيس والمخبرين المتطوعين ، وبعضها منقولة نصوصه في الكنانيش الحكومية والسجلات الادارية والدفاتر الرسمية ، وكذا في الكتب التاريخية والادبية والمجامع الانشائية التي اثبتت فيها لعدد من فرسان البلاغة كتاب القصور وأمناء أسرار الملوك نماذج مما كتبوه عنهم وبأمرهم ، وهي تتناول جميع ما كان يهتم به المسؤولون على مختلف المستويات ومراتب الولايات

من القضايا الداخلية والخارجية ، والخصوصية والعمومية .

وان تصنيف هذه الوثائق والمستندات التي تعد لحد الآن بعشرات الالوف واستخراجها ليتطلب جهدا جهيدا وأمدا طويلا وصبرا جميلا ، كما يتطلب وجود نخبة متفقة واعية متخصصة في هذا الفن مقتدره على العمل ثاقبة الذهن عارفة بالمقاصد مستجمعة للادوات ، غيورة قبل كل شيء على تاريخ وطنها شديدة التعلق بامجاده كثيرة الحرص على تبيين الحقائق بدون تاويل منبعث عن التعصب منبثق عن الكبرياء ، لان من الوفاء للوطن والنصح للشعب ان ندل بنيه بالبينة على مواطن القوة والعظمة في حياته الماضية ليترسموها ويسيروا في هديها ، ونرشدهم بالحجة الى نقط الضعف في سياسات حكوماته ومفاهيم مجتمعاته ليتجنبوها ويبتعدوا عن طريقها حتى لا نتعرض لهزات وانتكاسات كالتي تعرضنا لها في عصورنا المتاخرة وصرنا بها في المؤخرة بينما سار غيرنا في طليعة الركب ومقدم القافلة ، ولم يخلق الله شعبا متحليا بالفضائل كلها او متخليا عن الرذائل جميعها ، لذا وجب أخذ العبرة ممن ارتفعوا بالفضيلة الى القمة أو انخفضوا بالرذيلة الى الحضيض ، وهذا هو سر التاريخ على الخصوص وحكمة وثائقه ومستنداته على الاخص .

وقد يتخيل المتخيل – بعد أن شوقناه الى الوثائق واطلعناه على المصاعب والمتاعب المترقبة – أنه سينتظر السنين ذوات العدد قبل ان يطلع عليها ويكتشف ما فيها ، ولازالة مخاوفه نبادر فنقول : اننا نشرع فورا في نشر كل ما تم ترتيبه منها سواء كان مما قدم عهده او قرب زمنه ، وسواء كان يتعلق بشؤون السياسة والديبلماسية ، أو أمور الاقتصاد والاجتماع ، أو كان يتعلق بنوازل خاصة وقضايا معينة قد تكتسي طابعا أسرويا ، مقدمين كل وثيقة بدراسة او كلمة تحدد زمانها وتبين أعلامها وتشرح مضامينها ، فاسحين المجال لكل من يبغي نقدها أو تكميل ما يراه ناقصا في حقها أو مقارنتها بنصوص أخرى وطنية او اجنبية .

وستكون الوثائق التي تنشر متعاقبة بتعاقب أزمانها متلاحقة حسب تواريخها ، معززة ببعض نصوصها المطبوعة بصور أصولها ، مزينة بما له ارتباط بها من رسوم زيتية أو صور فتوغرافية ، وكل ما نعتقد ان الفائدة منها تزداد به كأنواع الخطوط واشكال الزخرف وطوابع الملوك وخواتم الولاة وعلامات القضاة وامضاءاتهم .

وسننشر مع كل مجموعة من هذه الوثائق يصدر بها كتيب او كتاب فهرسا ملونا يسهل على الباحثين والدارسين الوصول الى الوثيقة التي يرغبون في الاطلاع عليها ، اذ سيكون بجانب كل موضوع رقم او أرقام ترتيبية ترشد الى مكان الوثيقة او الوثائق التي نشرت متعلقة بذلك الموضوع .

ونعتقد جازمين ان هذا العمل سيتيح الفرصة لتصويب كثير من الاخطاء التي ارتكبت عن قصد او بغير عمد في حق تاريخنا ، وتصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بسياسات حكوماتنا واوضاع مجتمعنا ، ويكمل نقصا كبيرا ويسد ثغرات طالما أحس بها الباحثون والدارسون وهم يضعون الموازين لتقييم الادوار التاريخية التي قام بها الشعب المغربي في مختلف الازمنة والعصور ، ويخرس لسان كل حسود لئيم يستنقص قدر المغرب ويفقأ عين كل حقود زنيم يزعم في قحة انه لم يكن في تاريخه دولة متميزة ، فالوثائق الثابتة الصحيحة السليمة من كل شائبة هي وحدها الكفيلة بتوضيح الرؤية وكشف الحقيقة سواء كانت لنا او علينا ، وبدون وثائق يصبح التاريخ والتقييم مجرد تخمينات وتقديرات واجتهادات ، وبدونها أيضا لا يمكن الجزم بصحة رأى ولا القطع بوجهة نظر .

واذا كان لي من كلمة في الختام فهي الاقرار بالفضل لصاحب الفضل ، والاعتراف بالجميل لسدى الجميل جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره الذى رأت بعنايته هذه المديرية عالم النور ، وانبعثت برعايته وثائقنا ومستنداتنا للظهور والنشور ، فلجلالته يدين كل باحث بما يسر له ، ويمتن كل دارس بما وفر له من مادة ووفر عليه من جهد .

أطال الله أيامه ، ونصر أعلامه ، ومنحه النصر والتمكين والفتح المبين .

الرباط – السبت 1 محرم 1396 – 3 يناير 1976

مسيرة

روعتها من روعتك

للأستاذ الشاعر عبد المجيد بن جلون

الى الذي استلهمها فى خلوته
فى وطن تمزقت اوصاله
خاطرة .. عبرت الى أن اصبحت
تحديا للجشعين والغلا
والذين غرهم وقاره
ووجهة الله ... أن يصرفه
الشعب صال صولة تاريخها
وفتن اناس ... ولكن شعبنا
حتى استرد فى هبوب قاهر
تحت قيادة عزيز ملهم
ما زال يرعى وطننا بحبه
الا تحقق الرجاء ... يوم أن

مسيرة روعتها من روعته
مزقها العدو فى وحشيته
تحديا يخيف فى دمدمته
ة وللذين استهتروا بقوته
وحسبوا الخذلان فى مروؤته
ذو ثقوة ـ مهما سعى ـ عن وجهته
سجل باللؤلؤ نور صولته
ظل قويا جأشه فى وقفته
ما ضاع من وحدته وعزته
اذا خطا فحققنا فى خطوته
ووطنا عزته من عزته
يعاد للوطن باقي وحدته ...

عبد المجيد بن جلون



ماهي الدواعي التي تدعو أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها.

د. محمد تقي الدين الهلالي

هذه الدواعي كثيرة اعد منها ولا اعددها .

1 ــ قوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ــ دلت هذه الآية الكريمة على أن محبة الله للعبد وهي اشرف المطالب تحصل ولا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتم اتباع الرسول الا بنصر سنته ونشرها والعمل على احيائها والعمل بها وتكثير متبعيها ، أخرج الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض .

وروى الامام مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم ثقلين كتاب الله وعترة أهل بيتي فحث على كتاب الله ثم قال وعترة اهل بيتي لا تتخذوهم غرضا من بعدي وفيه ولن يفترقا حتى يردا على الحوض هذا معنى الحديث فالعترة الذين وصى بهم النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انهم لا يفترقون مع الكتاب حتى يلقوه على الحوض جديرون باتباع سنته بعد كتاب الله وجديرون بأن يحبهم المؤمنون بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في صفة المستحقين لرحمته الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى ان قال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون ثم قال بعد ذلك واتبعوه لعلكم تهتدون (سورة الاعراف) 157 الى 158 ــ نفهم من الآيتين أن رحمة الله وان كانت وسعت كل شيء فانها لا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الفلاح وهو النجاة من كل مرهوب والظفر بكل مرغوب لا ينال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكل مؤمن صادق بريء من النفاق يرغب في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يعرف كيف يتبعه الا اذا كان عالما بسنته وهديه ولا يكون عالما بذلك الا اذا كانت السنة منصورة منشورة قد رفعت اعلامها ووضحت احكامها فهذا من البواعث والاسباب التي تحمل جلالة الحسن الثاني على العناية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر والنشر والآيات التي تحض على الاتباع ونصر السنة اكثر من أن تحصى وكذلك الاحاديث .

2) تقدم حديث مسلم في الوصية بالعترة وهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انهم لا يفترقون مع الكتاب والسنة ، والمعنى بذلك هم الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم وقد جمعهم بعض العلماء في بيت واحد فقال .

على وعباس عقيل وجعفر
وحمزتهم آل النبي بلا نكر

وهؤلاء هم الذين تحرم عليهم الزكاة في مذهب مالك رحمه الله ويرى الشافعي رحمه الله زيادة بني المطلب أما المحبة فتشمل الجميع ولا شك ان ذريتهم اذا اتبعوهم باحسان لهم نصيب وافر من هذه المنقبة واتباعهم باحسان يقتضي نصر سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها ولما كان جلالة الحسن الثاني من ذرية هذه العترة فلا غرو أن يسير على نهجهم في نصر السنة ونشرها لينال اوفر نصيب من هذه الخصوصية

وقال تعالى في سورة النساء (59) « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا) أمر الله جميع المؤمنين فى كل زمان ومكان بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بامتثال الاوامر واجتناب النواهى وكرر الفعل ليبين لعباده أن من أطاع رسوله فقد أطاعه ومن عصى رسوله فقد عصاه كما صرح بذلك فيما بعد بقوله عز من قائل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ثم عطف أولى الامر وهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يجمعون كلمة المسلمين ويحافظون على شريعة الاسلام وينفذون احكامها ويدافعون عنها بدون اعادة الفعل وهو « أطيعوا » وفى ذلك نكتة لطيفة كشف الغطاء عنها علماء الكتاب والسنة وهى أن طاعة الله ورسوله مطلقة لان الله هو الشارع ورسوله هو المبلغ وهو معصوم عن الخطأ فيما بلغه اما أولوا الامر فليسوا كذلك لان طاعتهم مقيدة بان يامروا بمعصية وقد جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار فيها يتعلق بطاعة الامير وتقييدها ، رايت ان اتحف القراء بذكرها لان أكثر الناس فى هذا الزمان عنها غافلون ، الحديث الاول فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعصى الامير فقد عصانى

الثانى عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان خليلى صلى الله عليه وسلم اوصانى ان اسمع واطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف « هو المتطوع الاذن او الانف او اليد ونحوهما » وفى رواية البخارى ولو لعبد كان رأسه زبيبة .

الثالث وفى الصحيحين على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا ان يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

الرابع عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى من أمير شيئا يكرهه فليصبر، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية . وفى رواية فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه .

الخامس عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخير منهما .

السادس عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، فقلنا يا رسول الله افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك ؟ قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال فرآه ياتى شيئا من معصية الله فليكره ما ياتى من المعصية ولا ينزع يدا من طاعته . قال شارح العقيدة الطحاوية بعد أن ساق أحاديث من هذا الباب فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة اولى الامر ما لم يأمروا بمعصية ، ثم قال واما لزوم طاعتهم وان جاروا فانه يترتب على الخروج عليهم من المفسدة أضعاف ما يحصل من جورهم ، فان الله تعالى ما سلطهم علينا الا لفساد اعمالنا ، قال تعالى (أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم) فاذا أراد الرعية ان يتخلصوا من ظلم الامير فليتركوا الظلم ، وعن مالك بن دينار انه جاء فى بعض كتب الله يقول الله تعالى انا مالك الملك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا اعطفهم عليكم .

« توضيح لما تقدم »

1 — قوله وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف اى وان كان الامير الادنى عبدا حبشيا ولاه امام المسلمين عملا من اعماله او جعله اميرا على بلد يجب على الناس طاعته وان كانوا من اشراف العرب ولا يجوز لهم أن يستنكفوا ويندفعوا مع النخوة والحمية الجاهلية فيقولوا نحن من أشرف العرب وأوسطهم فكيف يولى علينا هذا العبد ، لان طاعتهم لذلك الامير العبد هى طاعة للامام الذى ولاه ، وليس المقصود بذلك ان يكون الامام عبدا لان امام المسلمين يجب أن يكون حرا ولا يجوز أن يكون عبدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش ما أقاموا الدين لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه فى النار وفى رواية فى الصحيح الخلافة فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ، فلهذا قلنا ان المراد بكون الامير عبدا الامير الادنى .

الثانى — قول النبى صلى الله عليه وسلم فان أمر بمعصيةفلا سمع ولا طاعة ، هذا من فضائل الاسلام الذى هو دين الله الحق وهو ملة ابراهيم ودين جميع الانبياء والرسل خالص صاف لم يصبه تبديل ولا تحريف وقد تكفل الله بحفظه الى قيام الساعة ، قال تعالى فى سورة الحجر « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » سورة الحجر رقم 9 . وهذه معجزة خالدة باقية الى يوم القيامة لا يزيدها تطاول الزمان وتوالى العصور الا جدة وقوة بشرى للمؤمنين وحسرة على

الكافرين فانك تجد القرآن الكريم فى البلاد الشيوعية الجاحدة لا يستطيع احد ان يغير منه حرفا ولا نقطة وتجده فى البلاد التى تدين بالنصرانية محفوظا كذلك وتجده كذلك فى البلاد التى تدين بالوثنية محفوظا من التغيير مع شدة عداوتهم له ولا تجد كتابا مقدسا لاى طائفة من البشر قد تكفل الله بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن ، فتحريف الكتب المقدسة عند الامم المختلفة واضح لاهل العلم لا يخفى على باحث وكذلك تكفل سبحانه بحفظ السنة المحمدية فى الجملة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فسنة النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يكن لها ما للقرآن من الحفظ فان الله يكفل بتقييض رجال علماء امناء ينفون عنها كل ما ادخله فيها المبطلون فهى فى كل زمان سهلة التناول من طلبها وجدها عند الطائفة المنصورة عذبة الموارد صافية المشارب .

وهذا الملك الذى سدده الله وحبب اليه نصرها ونشرها احد انصارها فى هذا الزمان وسأذكر برهان ذلك فيما بعد ، ونفهم من الحديث الذى نحن بصدد ايضاحه ان الاسلام ليس فيه طاعة عمياء فمهما بلغ الرئيس من علو المنزلة وسمو المكانة لا يطاع طاعة مطلقة ، بل متى امر بمخالفة الكتاب والسنة فلا طاعة لامره . فالكتاب والسنة هما الحاكمان على الامير والمأمور والرئيس والمرؤوس ولهم اليد الطولى على الجميع وهذا سر بقاء الاسلام صافيا محفوظا من التغيير الى يوم القيامة .

الثالث — قوله عليه الصلاة والسلام فاقتلوا الآخر منهما انما امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الخليفة الثانى لانه شق عصا الطاعة الواجبة عليه لامام المسلمين وفتح فتنة على المسلمين لا يمكن الاحتراز منها الا بقتله فانه كالعضو المتسمم من الجسد . لا تمكن سلامة الجسد من التلف المحقق الا ببتره ، ومن المعلوم ان المسلمين كما جاء فى الحديث الصحيح فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الرابع — قوله عليه الصلاة والسلام خير ائمتكم يعنى الخلفاء والامراء الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم . الصلاة هنا على معناها الوضعى اللغوى لا على المعنى الشرعى فان الصلاة فى اللغة الدعاء قال الاعشى .

وصهباء طاف يهوديها وابرزها وعليها ختم
وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم

فقوله وصلى على دنها اى دعا للخمر أن لاتحمض ولا تفسد والدن هو الذى يسمى بالعامية البرميل تحفظ فيه الخمر .

وقال تعالى يخاطب نبيه الكريم فى سورة التوبة رقم 103 (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) فمعنى صل عليهم ادع لهم ، وقوله تعالى ان صلاتك اى ان دعاءك رحمة لهم . وقد امتثل النبى صلى الله عليه وسلم امر ربه سبحانه فكان يصلى على من جاءه بالزكاة وفى حديث ابن ابى اوفى انه قال اعطانى ابى صدقة ماله فأتيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم صل على آل ابى اوفى ، قال فى اللسان : قال الازهرى هذه الصلاة عندى الرحمة

وقولهم افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك . يعنون افلا نقاتلهم ونشق عصا طاعتهم اذا تعدوا حدود الله بارتكاب الظلم والمعصية حتى لعنتهم الرعية ولعنوها فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمنع ما داموا يقيمون الصلاة التى هى عنوان التمسك بالاسلام ، لان الخروج عليهم فيه من الشر والفساد اضعاف ما فى جورهم وظلمهم ، وقد قرأنا تاريخ الخوارج من اوله الى آخره فما وجدنا فيه الا الشر على الخوارج انفسهم وعلى المسلمين وكلام شارح الطحاوية فى ذلك واضح لا يحتاج الى شرح .

الخامس — بيان معنى قوله تعالى « أو لما أصابتكم مصيبة » قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية وهى ما اصيب منهم يوم احد من قتلى السبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يعنى يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا . واسروا سبعين اسيرا ، قلتم انى هذا اى من اين جرى علينا هذا (قل هو من عند انفسكم) قال ابن ابى حاتم بسنده الى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء فقتل منهم سبعون

وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه وسال الدم على وجهه ، فانزل الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) باخذكم الفداء وهكذا رواه الامام احمد اه . فاذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير هذه الامة علما وعملا وابرها واتقاها لله عوقبوا بسبب ميلهم الى اخذ الفدية من السبعين أسيرا الذين اسروا فى غزو بدر وفضلوا اخذ الفدية منهم واطلاق سراحهم على قتلهم والاستراحة من شرهم عوقبوا بقتل سبعين منهم فى غزوة احد وهزيمتهم وفرارهم عن النبى صلى الله عليه وسلم واصاب النبى صلى الله عليه وسلم من شر عملهم ما تقدم ذكره من كسر سنه وتخضيب وجهه الكريم بالدم فما بال اهل هذا الزمان الذين ملئوا الارض جرائم وآثاما يستغربون ويتعجبون مما اصابهم من البلاء على يد الاستعمار المدبر والصهيونية الحاضرة فلسان الحال يقول لهم كل ما اصابكم فهو بسبب ما كسبته أيديكم ويعفو عن كثير . فتوبوا من آثامكم وانيبوا الى ربكم يعطكم من العزة والنصر فوق ما تؤملون . اما أنكم تصرون على ما انتم عليه وتريدون أن ينصركم الله وقد خذلتم دينه فقد غرتكم الامانى والاحلام « أن الامانى والاحلام تضليل » فأنتم تريدون حصادا بلا زرع ولآلىء بلا غوص وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى رواه احمد والترمذى وغيرهما من حديث شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أكرمه الله بكرامة جديدة بهرت العالم كله وخصصتها بقصيدة نشرت فى مجلة الارشاد التابعة لوزارة الاوقاف حيث وقوع الكرامة الا وهى استرداد الصحراء الغربية وانتزاعها من اليد الاجنبية وهى أرض خلقها الله يوم خلق السموات ، والارض مغربية باجماع علماء الارض لا يمكن أن تخرج عن المغرب حتى تخرج لندن من بريطانيا وباريس من فرنسا والقاهرة من مصر ومن زعم غير ذلك كذبه أهل السموات وأهل الارض .

الثالث — أن أبناءه الاكرمين منذ حلوا بالمغرب بنوا أمرهم على طاعة الله واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته فان جده الاعلى الامام عليا الشريف كان من اهل العلم والورع والجهاد فى سبيل الله . فحذت ذريته حذوه حتى اختارهم الله تعالى لجمع شتات اهل المغرب . وتوحيد كلمتهم فى دولة واحدة حفظت ثغور المغرب وحدوده من عدوان المعتدين وغارات الافرنج المغتصبين وطهرت ما اصابه رجسهم من البلاد كطنجة والعرائش وغيرهما فى الزمان السابق ثم طهرت المغرب برمته من رجس الاستعمار الا قليلا منه على يد الامام المفرد العالم محمد الخامس نضر الله وجهه فى الجنة وشاركه فى ذلك وآزره الامام الحاضر أبو محمد الحسن الثانى زاده الله نصرا وقوة وتوفيقا واطال بقاءه وادام فى سماء المعالى ارتقاءه حتى يطهر ما بقى ، فانه مع اشتغاله بالسياسة الداخلية والخارجية للمغرب وتحمل ثقل اعبائها وحل مشاكلها لم يهمل جانب السنة المحمدية الكريمة وسار على سنة اسلافه وزاد عليهم بما خصه الله به كتاسيس دار الحديث التى هى غرة فى جبين عهده الزاهر وكاحياء الكنز الثمين واخراجه من صدفه الى حيز الوجود وانتفاع الناس به الا وهو نشر كتاب التمهيد وهنا اتوقف قليلا لابين ما شاهدته فى جميع انحاء البلاد الاسلامية وغيرها من تلهف اهل العلم على سرعة انجاز هذا العمل العظيم لان اهل العلم فى أشد الحاجة اليه لا تطمئن نفوسهم ولا يطيب لهم عيش حتى يروه كاملا قد صفت مجلداته بعضها الى بعض كاللآلىء البهية والدرارى المضيئة تشهد لهذا الملك الهمام بادراك ما قصر عنه الاولون من الفضل والاحسان .

ونسال الله ان يزيده توفيقا لادراك المفاخر واحياء السنن واماتة البدع وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الوراقة المغربية
في عهد السلطان العلوي محمد الثالث

للأستاذ محمد المنوني

الوراقة بكسر واوها ، تستوعب ـ في مدلولها ـ النساخة للكتب وتصحيحها وزخرفتها وتفسيرها وما الى ذلك .

وقد عرضت ثلاث دراسات سابقة نشاط الوراقة بالمغرب الاسلامي ، انطلاقا من عهد الولاة فالدولة الادريسية ... حتى العصر العلوى الاول (1) .

ثم يبتدىء العصر العلوى الثاني من ولاية السلطان محمد (الثالث) بن عبد الله بن اسماعيل وتمتد ايامه من عام 1171 هـ. ـ 1757 م. الى عام 1204 هـ. ـ 1790 م.

وبما ان الوراقة في هذه الحقبة تتسم بطابع مميز ، يكون من المناسب تخصيصها بدراسة على حدة حسب الابواب التالية .

ـ طابع الوراقة الرسمية .

ـ وراقون في المنتسخات السلطانية .

ـ وراقون غير رسميين .

ـ الوراقة في بلاط الامير علي بن السلطان محمد 3 .

وسيسير هذا العرض في الاحالة على أماكن المخطوطات كالتالي :

المكتبة الملكية الرباط — م. م.

قسم الكتب الزيدانية بنفس المكتبة — م. م. ز.

الخزانة العامة بالرباط باعتبار مخطوطاتها القديمة — خ. ع. د

قسم الاوقاف بنفس الخزانة — خ. ع. قلا

قسم المخطوطات الكتانية بنفس الخزانة — خ. ع. ك

قسم مخطوطات الجلاوى بالخزانة ذاتها — خ. ع. ج

قسم مخطوطات الجامع الكبير بالرباط من هذه الخزانة — خ. ع. ر.

خزانة ابن يوسف بمراكش — خ. ى.

الخزانة الناصرية بتمكروت — خ. ن

خزانة الجامع الكبير بوزان — خ. و

(1) الدراستان الاولى والثانية في مجلة « البحث العلمي » : العدد 16 ص 37 ـ 65 . العدد 18 ص. 17 ـ 47 الدراسة الثالثة في مجلة دعوة الحق : العدد 10 ، السنة 16 ، ص. 80 ـ 92 .

1 – طابع الوراقة الرسمية

ويتدرج تحليلها هكذا :

– وفرة اعداد المنتسخات .

– خضوعها لمنهجية محددة .

– اعتماد النقل من الاصول الجيدة

– العناية بالمقابلة والتصحيح

– السرعة في العمل

– ※ –

وبالنسبة للنقطة الاولى ، نشير الى أن عملية الوراقة في هذا العهد ، كانت تتوزع بين عدد من المدن المغربية : مراكش ، والرباط ، وسلا ، ومكناس ، وكانت فاس هي المركز الاكثر نشاطا في هذا الاتجاه ، حيث يذكر وراق معاصر أن السلطان محمد الثالث بعث الى فاس بسبعة وخمسين جملا تحمل أصول الكتب قصد الانتساخ منها ، ومرة أخرى يتحدث المصدر ذاته عن سبعة عشر مائة سفر انتسخت في العاصمة العلمية .

وقد وردت هذه الارقام ضمن رسالتين (2) دون أن يقع تأكيدها من أى جهة أخرى ، غير أنه يعرف – لحد الآن – مجموعة من المنتسخات التي كتبت بأمر محمد الثالث ، وسنتبين أن لائحتها الاولى ترتفع الى 134 بين سفر ومجلد حسب العرض التالي :

1 – « فتح البارى » لابن حجر العسقلاني – 20 سفرا – انتسخ بمدينة مراكش ، ووقع الفراغ من كتابته أوائل شعبان عام 1173 هـ . – م. م. 3352 .

2 – « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » – 20 سفرا – برسم الخزانة السلطانية ، تمت كتابة جميعه – بفاس – أواخر ربيع النبوي عام 1174 هـ . م. م. 1556 .

3 – « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » – 18 سفرا – برسم الخزانة الناصرية بتمكروت ، انتهت نساخته – بفاس – في صفر الخير عام 1178 هـ . خ. ع. ق. 439 .

4 – « ادراك الاماني ، من كتاب الاغاني (3) » ، عمل عبد القادر المدعو السلاوى بن عبد الرحمن الاندلسي ثم الفاسي ، بتوجيه السلطان محمد 3 – 25 سفرا – بتاريخ أواسط جمادى الاخيرة عام 1180 هـ . يوجد منها 24 سفرا ، وضاع السفر 18 . م. م. 2706 .

5 – « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » – 20 سفرا – برسم خزانة الجامع الكبير بالرباط ، أواسط رجب عام 1180 هـ . خ. ع. ر. 4

6 – « صحيح » البخارى نسخة تامة في مجلد ، بتاريخ 10 ربيع الثاني عام 1192 هـ . م. م. ز. 217

7 – « النهاية » لابن الاثير – 4 أسفار – 20 جمادى الاخيرة عام 1195 هـ . خ. ى. 2/2

8 – « المنتقى » للباجي (4) – 7 أسفار – 6 محرم 1197 هـ . م. م. 7654 .

9 – «الجامع الكبير» للسيوطي – اربعة مجلدات تضم عدة أسفار :

المجلد الاول: خال من تاريخ الانتساخ م. م. ز. 371

المجلد الثاني : نسخة خاصة بتاريخ 16 ربيع النبوى عام 1201 .

---

(2) كاتبها هو الحسن بن عبد القاهر الوافلاوي آتي الذكر ، والرسالتان – معا – من محتويات مجموعة طومباي .

(3) أنظر عن كتاب « ادراك الاماني ... » محمد المنوني : « ملامح الحركة الادبية في العصر العلوى الثاني » ، مجلة دعوة الحق : العدد 8 ، السنة 15 ، ص. 87 .

(4) لم يقع في هذه النسخة تصريح باسم الامربكتابتها ، وانما جاء اخر رسالة من محمد 3 : « وها نحن وجهنا للفقيه السيد التاودى ثمانية أسفار من المنتقى ، يقف وقوف الحزم على اكمالها ، وينسخ نسختين منها » ؛ « النهضة العلمية . في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان ، بواسطة مقتبسات من المخطوطة الاصلية .

المجلدان : الثالث ، والرابع وهو الاخير الذى يحمل تاريخ ثاني قعدة عام 1200 هـ . م. م. 3873 .

10 ـ « تهذيب مسائل المدونة » للبرادعي ـ المجلد الاول ـ خ. ع. د. 1189 .

11 ـ « شرح المختصر الخليلي » لابي علي ابن رحال ـ 14 سفرا ـ برسم الخزانة الناصرية بتمكروت (5) .

فهذه أسماء 134 بين سفر ومجلد مما كتب بأمر أو رسم محمد 3 ، يضاف لها مؤلفات السلطان نفسه ، في نسخ متعددة تصل الى عشرات الاسفار ، يضاف لذلك مؤلفات أخرى يفترض أنها من هذا القطاع ، حيث تحمل تاريخ وطابع الحقبة ذاتها ، وسترد نماذج منها عند باب « الوراقين غير الرسميين » خلال عرض منتسخاتهم .

وهذا شاهد اخير لوفرة المنتسخات في هذه الفترة ، ننتزعه من رسالة للعامل العلوى ، الى الوراق على الوافلاوي ، وفيها يأمره بتمييز الكتب الثلاثية بالخزانة السلطانية بفاس ، ثم توزيعها على النساخين ليقوموا بكتابتها من جديد : « الملحق » رقم 1.

* * *

وهكذا نتبين من هذا العرض كثرة المؤلفات التي انجزت كتابتها على عهد السلطان محمد بن عبد الله ، وبعد هذا نعاود قراءة لائحة الكتب المنوه بها ، فنستنتج أن مجموعها يخضع الى منهجية خاصة ، منهجية العامل التي تهدف للرجوع الى كتب السلف ، او الى المؤلفات الحديثة التي تعتمد الاصول القديمة ، كشرح المختصر الخليلي لابي علي بن رحال .

* * *

ومن هذه الميزة الثانية للوراقة ، ننتقل الى التي تليها : نقطة اعتماد النساخة من الاصول القديمة ، ومن نماذج ذلك فقرة ضمن رسالة رسمية ، عن نسخة البيان والتحصيل برسم الخزانة الناصرية : « وها نحن امرنا علماء فاس وقاضيها ، بنسخه من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين ، ليس بها تصحيف ، ولا مسخ ولا تحريف » ، انظر « الملحق » رقم 2 .

* * *

الميزة الرابعة : وهي العناية بالمقابلة والتصحيح ، وهي ظاهرة لا تزال آثارها باقية ، وبالخصوص على هوامش الكتب المنوه بها وشيكا ، هذا فضلا عن التنصيص على ذلك عند افتتاحية ، أو خاتمة بعض المنتسخات المشار لها .

ويتعلق الامر بخمسة نماذج تبتدىء من « البيان والتحصيل » : المخطوط رقم 2 من اللائحة ، حيث صدر بمدخل مطول عند مفتتح كل من الاسفار : 1 ، 6 ، 11 ، 16 ، فيذكر أن هذه النسخة اشرف على كتابتها أربعة من أعلام فاس ، على أن يقدموا لذلك من ثبت اتقانه وتحقيقه ، ليأتي الكتاب سالما من التصحيف ، محفوظا من الخلل والتحريف ، واختص كل واحد من الاربعة بخمسة أسفار من البيان والتحصيل ، والتزم القيام بمقابلته .

وكان العلماء المنوه بهم هم :

ـ محمد التاودى ابن سودة : الاسفار الخمسة الاولى .

ـ أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي : الخمسة الثانية .

ـ محمد عبد الصادق الدكالي : الخمسة الثالثة .

(5) هذا يستفاد من محمد بن عبد السلام الناصرى ، حيث يتحدث ـ في كتابه : « المزايا » ـ عن البيان والتحصيل لابن رشد ، ثم عن شرح المختصر الخليلي لابن رحال ، بمناسبة انتساخها للخزانة الناصرية بتمكروت ، وهو يقول في هذا الصدد : « ... وما انعم بنسخة جيدة من البيان لابن رشد من 18 جزءا ، الا امير المؤمنين ابو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، حضرت استنساخه لها أواخر السبعين ، فبعثه محبسا له هنا ، كشرح أبي علي بن رحال في 14 جزءا ، بعث ـ رحمه الله ـ بنسخة منه ومالا نحو 400 مثقال حتى استنسخه هنا ، فحبسه واستخرج الاصل » .

– القاضي عبد القادر بن العربي بوخريص : الخمسة الرابعة .

وبعد البيان والتحصيل نلتقي مع «ادراك الاماني»: المخطوط رقم 4 من اللائحة ، وجاء بافتتاحيته خلال الحديث عن العامل المعني بالامر : تسجيل امره للقائم بتجديد كتاب الاغاني : بأن يعمل على تحرير النسخة المستجدة ، وتصحيحها وتحقيقها .

وهذا كتاب « البيان والتحصيل » : نسخة الرباط رقم 5 من اللائحة ، فقد جاء على السفر الاول منه : أن هذا الديوان كتب على يد قاضي الرباط : المهدى مرينو ، وكان الفراغ من نسخه وتذهيبه ومقابلته ...

النموذج الرابع : كتاب «الجامع الكبير» للسيوطي رقم 9 من اللائحة ، حيث يرد «اخر المجلد الثاني : « بلغت المقابلة – جهد الاستطاعة – من أصل بخط مشرقي لا بأس به ... على يد كاتبه : سعيد بن احمد الجزولي ... » .

وفي المجلد الرابع : « وفرغ كاتب ما بقي منه في يوم الاحد ... بعد أن بذل جهده في مقابلة ما كتبه له النساخ بمحروسة فاس ومكناسة ... عبد ربه : سعيد ابن احمد الجزولي ... » .

وخامسا : « تهذيب مسائل المدونة » للبرادعي : المجلد الاول رقم 10 من اللائحة ، كتب عليه انه وقعت مقابلته على نسخة القرويين بين يدى الشيخ التاودى .

* * *

والى هنا تنتهي نماذج العناية بالمقابلة والتصحيح : الموضوع الرابع من طابع الوراقة الرسمية في هذا العهد ، ويصل بنا المطا فالى النقطة الخامسة والاخيرة : ميزة السرعة في العمل ، فتنتهي كتابة الاسفار العشرين وما يفوقها خلال المدة اليسيرة ، هذا كتاب البيان والتحصيل : المخطوط رقم 2 من اللائحة ، ترد بآخر السفر العشرين منه ، فقرة تشهد ان مدة نسخه – بكامله – انما هي شهران وثمانية ايام .

وبعد هذه المدونة ، تتم كتابة السفر 25 من «ادراك الاماني» – المخطوط رقم 4 من اللائحة – عند اواسط جمادى الثانية عام 1180 هـ. بعد ما كان اوائل المحرم من نفس العام ، هو تاريخ صدور الامر للوراق بانتساخ الكتاب .

2 – وراقون في المنتسخات السلطانية .

– وراقون ناسخون .

– مصححون أو مشرفون .

– الزخرفة أو تنويع الكتابة .

وسنعتمد – غالبا – في معرفة الاسماء المعنية ، على الاشارات الواقعة عند أوائل أو خواتم المؤلفات المكتوبة بامر أو برسم محمد الثالث ، وهي ذات اللائحة – بالعناوين وما يليها – الواردة صدر الباب الاول من هذه الدراسة ، وقليلا تستخرج بعض الاسماء بواسطة مصدر من نوع اخر .

* * *

وراقون نساخون

1 – علي بن الطاهر بن التهامي الشريف الحسني – اخر المخطوط رقم 6 من اللائحة المشار لها وشيكا .

2 – محمد – بفتح أوله – بن علي السوسي ثم السلوى (6) – اخر أجزاء النهاية لابن الاثير ، رقم 7 من اللائحة .

3 – أحمد التونسي – اسما – المالكي الزميرى – كاتب السفر الثالث من المنتقى للباجي، رقم 8 من اللائحة

4 – احمد بن محمد – بفتح اوله – المهدى الحلو (المريني الفاسي) – كاتب نحو الثلث من السفر السابع والاخير من المنتقى للباجي ، رقم 8 من اللائحة .

(6) سيلمع اسمه في الفترة التالية ، كوراق تصعد به خطاطته الى القمة ، وهو ما يستوضح عند موضوع الوراقة في الدولة السليمانية باعانة الله سبحانه .

5 ـ اليماني بوعشرين (المكناسي) (7) ـ كاتب السفر الثاني من المجلد الاول من الجامع الكبير للسيوطي، حسب اشارة بخط دقيق رقمت اعلى الصفحة الاولى من جهة اليسار بالسفر المشار له برقم 9 من اللائحة .

6 ـ محمد الشنتوى (المكناسي) (8) ـ كاتب السفر الذى يبتدىء به المجلد الثاني من الجامع الكبير ، حسب اشارة بخط دقيق أعلى الصفحة الاولى من جهة اليسار ، رقم 9 من اللائحة .

7 ـ على بن عبد الله : « مولاى » ؟ ـ ناسخ السفر الذى يلي الاول من نفس المجلد الثاني من الجامع الكبير ، حسب اشارة مماثلة ، رقم 9 من اللائحة .

8 ـ الهادى ابن عبود (المكناسي) ـ كتب 51 كراسا وثلاث ورقات من المجلد الثالث من الجامع الكبير، حسب اشارة مماثلة ، رقم 9 من اللائحة .

9 ـ الطيب بن عبد الرحمن ابن سليمان (الغرناطي ثم الفاسي ظنا) ـ ناسخ مؤلف السلطان محمد 3 : « بغية ذوي البصائر والالباب . المنتخبة من تاليف الامام الحطاب » : المؤلف الثاني ضمن المجموعة رقم م. م. 7307 .

مصححون او مشرفون

ونشير ـ اولا ـ الى العلماء الفاسيين الاربعة الذين اشرفوا على نسخ البيان والتحصيل : المخطوط رقم 2 من اللائحة .

10 ـ محمد التاودى ابن سودة (المرى) (10) ، المتوفي عام 1209 هـ. ـ 1795 م.

11 ـ ابي حفص عمر بن عبد الله (الفاسي الفهري) (11) ؛ المتوفى عام 1188 هـ. ـ 1774 م.

12 ـ محمد بن عبد الصادق (الدكالي الفرجي) (12) المتوفي عام 1175 هـ. ـ 1762 م.

13 ـ عبد القادر بن العربي بوخريص (الكاملي الجعفري) (13) ؛ المتوفى عام 1188 هـ. 74 ـ 1775م

حسب المخطوط المشار له ، عند طالعة الاسفار : 1 ، 6 ، 11 ، 16 .

14 ـ المهدى مرينو الاندلسي الرباطي قاضيه ـ (14) افتتاحية السفر الاول من البيان والتحصيل : مخطوط

---

(7) الظاهر أن هذا غير اليماني والد الوزير الطيب بوعشرين ، وتوجد مخطوطة من كتاب « الجامع » لابن البيطار بتاريخ 17 رجب عام 1288 هـ. وبذيلها كاتبها باسمه هكذا : اليماني بن الفضل بن اليماني بوعشرين المكناسي » ، خ. ع. د 759 ، ويمكن أن اليماني جد هذا الناسخ هو الوراق الذى نعلق عليه .
وهناك مقدمة ديوان محمد بن محمد بن صالح الفيلالي قاضي رودانة ، وقد ورد فيها ذكر محمد اليمني بين أسماء فقهاء مكناس الذين أخذوا عن أبي العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي عند زيارته لهذه المدينة ، انظر كتاب « المعسول » ج. 6 ص. 33 .

(8) هناك معلم لاحد ابناء السلطان أبي الربيع ، حيث يخطط بالفقيه الشنتوى ، في مطلع رسالة سليمانية وردت عند ابن زيدان في « النهضة العلمية » ، فهل هذا هو الذى نعلق على اسمه ؟ مع ملاحظة أن عائلة الشنتورى من الاسر القديمة بمكناس .

(9) في وثيقة حبسية مؤرخة بعام 1200 هـ. وردإسم الفقيه العدل السيد الهادى ، بن الفقيه العلامة ابن عبود ، فيكون هذا هو الذي نعلق عليه .

(10) تعددت مصادر ومراجع ترجمته ، ونشير من بينها الى « سلوة الانفاس » ج. 1 ص. 112 ـ 115 . وهي التي سنعتمدها مصدرا للمترجمين بها في الاحالات الآتية :

(11) ترجمته في سلوة الانفاس ج. 1 ص. 337 ـ 339 .

(12) ترجمته « بالمصدر » المذكور ، ج ، 1 ص. 273 ـ 274 .

(13) ترجمته « بالمصدر » نفسه ، ج. 2 ص. 12 ـ 14 .

(14) ترجمته في « الاغتباط » . بتراجم أعلام الرباط » ، لمحمد بوجندار ، خ. ع. د 1287 .

مدينة الرباط رقم 5 من اللائحة ، وكانت وفاته عـــام 1188 هـ. / 74 – 1775 م.

15 – سعيد بن أحمد الجزولي (15) ، مصحـــح نسخة الجامع الكبير رقم 9 – حيث جاء التصريح بذلك عند خواتم المجلدين : الاول والرابع .

16 – محمد (بن محمد) بن عامـر (التادلـــي المعداني) (16) ؛ انتسخ على يده كتـــاب محمد 3 : « الفتح الرباني ، فيما اقتطفناه من المساند وفقه الحطاب والشيخ ابن أبي زيد القيرواني » – حسب أمر سلطاني بذلك كتب على لسان تجليدة تكسو كتاب « طبـــق الارطاب ... » لنفس المؤلف م. م. 1771

وفي تعبير البعض (17) : ان ابن عامر هذا ، كان يضطلع بتقييد المؤلفات السلطانية ، وكانت وفاته عام 1234 هـ. – 1819 م.

الزخرفة او تنويع الكتابة :

17 – عبد القادر السلوى (18) سابق الذكر ، كاتب ومزخرف « ادراك الاماني » : المخطوط رقم 4 .

18 أحمد بن المهدى بن محمد الغزالي الحميـــرى الاندلسي ثم الفاسي (19) . المتـــوفي عـــام 1191 هـ. – 77 – 1778 م. وهو مزخرف مخطوط البيان والتحصيل رقم 2 ، حيث يشير الى انه الذي قام بتذهيب تراجم الكتاب ورقمها ، والحاق اولها بآخرها ، من بدءها الى ختمها ، حسب خواتم الاسفار : 1 ، 11 ، 16 ، 20 من هذه النسخة .

19 – محمد بن الطيب بن عبد القادر سكيـــرج الفاسي (20) ، المتوفي عام 1194 هـ. – 1780 م. يذكر عنه الجريرى في شرح القصيدة الشمقمقية : انه ابن مقلة زمانه في ترصيف الخط وابداع الرسم ، وكان مبتكـرا فنانا في بسط الخط المغربي والمشرقي والكوفي (21) .

20 – علي عبد القاهر بن محمد الوافلاوى اليدراسني ثم الفاسي ، الوراق المجيد في كتابته وزخرفته ، وفي وصف خطه يقول ابو الفيض حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي :

بـــدوت للخـــط أنـــت مقلتـــه
ما لابنها رقـــم خطك الحسن

يقـــول كـــل لبيـــب أبصـــره
لله درك يا أبا الحسن (22)

ولبراعته في الوراقة ، رشحه السلطان محمد 3 – من عام 1202 هـ. لنشر هذه المهنة ، وعينه لتعليـــم الكتابـــة والزخرفة والجدولة بفاس مع 140 من الصفار ، فيهـــم أبناء الجيش البخارى ، ومن مراكش والصويرة وسلا والرباط ومكناس ، على أن يكون مكان تعليمهم داخـــل بيت المال من نفس المدينة ، ويتقاضى على عمله مرتبا من الاوقاف ، مبلغه 15 مثقالا عن كل شهر، انظر نص الامر بذلك ضمن الملحق رقم 1 .

ونذيل موضوع الزخرفة الرسمية بالاشارة الـــى هدية فاخرة بعث بها السلطان المغربي الى الخاقـــان

(15) ذكره الزياني كاحد رفقائه في الدراســـة ، وقال : انه يعرف بالشيخ ، حسب صدر الترجمانـــة الكبرى ، نشر وزارة الانباء ، ص. 61 – 62 .

(16) ترجمته في سلـــوة الانفـــاس ، ج. 3 ص. 16 – 17 .

(17) هو المقيد الجماع المرحوم احمد بن محمـــد التميشي في احدى كناشاته .

(18) لا تعرف له ترجمة منتظمة بالمصادر المتداولة ، وهناك معلومات عنه متناثرة ، نسقتها دراسة منشورة في مجلد « دعوة الحق » : العدد 8 ، السنة 15 ، ص. 85 – 87 .

(19) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج. 1 ص. 331 – 332 .

(20) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » ج. 4 ص. 120 – 127 .

(21) ورد نقل هذا عن الجريرى في مقال للاستاذ السباق للنشر في الصحافة المغربية والغربية : عبـــد الكبير عبد الحفيظ الفاسي الفهرى ، كتبه في جريـــدة السعادة ، بالعدد 4449 : السنة 34 ، بتاريخ السبت 3 ربيع الثاني 1356 هـ. – 12 يونيه 1937 م. ص. 6

(22) مخطوط « رياض الورد ... » لمحمد الطالب بن أبي الفيض حمدون ابن الحاج .

العثماني عبد الحميد الاول ، وكان من محتوياتها مصحف شريف ، محلى بالذهب ، مرصع بالالماس ، يساوى – حسب المصدر المعني – مائة ألف دينار (23) .

3 – وراقون غير رسميين

ويشتغلون بهذه المهنة تلقائيا دون أن يكونوا مؤجرين لجهة رسمية ، وفي الغالب نعتمد في معرفتهم على ذكر اسمائهم الواردة بذيل منتسخاتهم ، وهم – بدورهم – ينفرعون الى وراقين نساخين ، وءاخرين مزخرفين ، وعلى هذا الترتيب ياتي عرض كل فريق على حدة ، مرتبين حسب تسلسل تاريخ الانتساخ ، وقليلا تاريخ وفاة المعروفة ترجمته .

أولا : وراقون نساخون

القرءان الكريم وتفسيره

21 – ابن مومو : محمد التهامي بن الطيب بن محمد بن العربي بن عبد القادر ، المكناسي نزيل الزاوية الادريسية .

كتب مصحفا شريفا في حجم صغير بخط مغربي يميل للبسط دقيق مليح مجدول ، مشكول – في غالبه – بالحمرة، والشدات والسكون باللون الازرق، والهمزات ونقط ألفات الوصل بالصفرة ، وعلامات القطع بالحمرة ايضا ، وأسماء السور بالخط الكوفي ، توازيها زخرفة صغرى بالهامش .

فرغ من نساخته يوم الاحد مفتتح صفر الخير ، عام 1191 هـ. خ. ع. ج. 736 .

22 – الزهوني : محمد بن محمد بن حسين الشريف الحسني الغازي ، الفاسي الدار والمنشا .

الربع الاول من « المحرر الوجيز . في تفسير الكتاب العزيز » لابن عطية : أواخر جمادى الاولى عام 1195 هـ. م. م. 8089 .

23 – ابن زاكور : عبد الرحمن بن الخياط بن احمد بن عبد القادر الفاسي .

« التسهيل لعلوم التنزيل » لابن جزى ، في سفرين فرغ منهما يوم الاحد منتصف شعبان عام 1198 هـ.

وهو يسلسل اصولها من نسخة محمد بن صالح بن محمد الاندلسي ، الى نسخة أبي عمران موسى بن علي بن موسى الوزاني (24) ، الى أصل المؤلف ابن جزى

م. م. ز. 69 .

24 – المعين – عمر بن الحاج الناصر التسولي ثم الورتناجي ثم التمدرتي .

ثلاثة أرباع من « المحرر الوجيز » لابن عطية في مجلدين .

الربع الاول : ضحوة السبت 25 صفر عام 1199 هـ.

الثالث : زوال السبت 8 شعبان عام 1201 هـ.

الرابع : 27 شعبان عام 1202 هـ. م. م. 8531

25 – احمد بن يحيى الفاسي نزيل سجلماسة .

الاول من « لباب التاويل ، في معاني التنزيل » للخازن ، ضحى الاحد 9 ربيع الاول عام 1206 هـ . م. م. 8281 .

الحديث الشريف

26 – الوزير : محمد – بفتح أوله – بن عبد السلام بن محمد – بفتح أوله – بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد – بالفتح ايضا – بن ابراهيم الغساني الاندلسي ثم الفاسي .

أ – « الموطا » للامام مالك : الثلاثاء 4 شعبان عام 1185 هـ. في خوزة البعض بالجلد البيضاء .

ب – الموطا : 20 جمادى الاولى عام 1186 هـ. م. م. 2621 .

ج – فتح البارى لابن حجر العسقلاني : السفر التاسع من نسخة عشارية بتاريخ ضحوة الثلاثاء 16 جمادى الاولى عام 1196 هـ. م. م. 8623 .

---

(23) مخطوطة « درة السلوك ... » للامير عبد السلام بن السلطان محمد 3 .

(24) هذا المترجم عند ابن عسكر في « دوحة الناشر » ، دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر » بالرباط ، ص. 40 – 41 .

د ـ فتح الباري : نسخة تامة من ثمانية أسفار خالية من التاريخ ، م. م. 3326 .

27 ـ الدلائي : محمد بن محمد ـ أربع مرات ـ ابن عبد الرحمن البكري الفاسي ، المتوفى عام 1197هـ/ 82 ـ 1783 م. يقول عنه أبو الربيع الحوات (25) : « ويحكي انه من كان يكتب نسخا من صحيح البخاري ويتقوت من ثمنها » .

ولحسن الحظ لا يزال بقيد الوجود اربع نسخ من صحيح البخاري بخطه ، كل واحدة في مجلد ضخم بخط مغربي مجوهر مدمج مليح ، مكتوب ومقابل من فروع نسخة ابن سعادة :

الاولى : تحمل تاريخ 1172 هـ. م. ز. 211 .
الثانية : عام 1176 هـ. خ. و. 70 .
الثالثة : عام 1179 هـ. خ. و. 72 .
الرابعة : عام 1180 هـ. خ. و. 71 .

الفقه

28 ـ الغرابلي : عبد الله عبد السلام القصري الشاوي الاصل .

أ ـ تحرير الكلام . في مسائل الالتزام ، للحطاب عام 1175 هـ. م. م. 3691 .

ب ـ شرح ارجوزة المنهج المنتخب للزقاق
م. م. 3316 .

29 ـ محمد بن أحمد الحاج الحسني .

تبصرة الحكام لابن فرحون عام 1195 هـ. من نسخة مقابلة بأصل بخط مشرقي قرئ على مؤلفه .
م. م. 3461 .

30 ـ الفجيجي : محمد بن ابراهيم بن عبد الجبار .
ترجيز المختصر الخليلي ، لناظمه ابي القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفيجيجي ، فرغ من انتساخه بعد ظهر الخميس الاول من ربيع الثاني عام 1197هـ ، برسم ابي العباس احمد بن الشيخ مولاي الطيب الحسني الوزاني م. م. 1407 .

31 ـ بصرى : محمد بن محمد المكناسي الافريقي .
شرح المختصر الخليلي في أربعة اسفار يتخلل بعضها نقص كثير :

الاول : وقع الفراغ من انتساخه بعد عشاء يوم الاثنين 9 صفر عام 1200 هـ.

الثالث : عشية السبت 16 رجب عام 1200 هـ.

الرابع : يوم الاحد 19 ربيع النبوى عام 1202
مخطوط خاص

المواد اللسانية

32ـ الخلوفي : ابراهيم بن محمد العيساوي الحسني (26)

أ ـ « اتحاف ذوى الاستحقاق . ببعض مراد المرادى وزوائد أبي اسحاق » ، لابن غازى ، فرغ من انتساخه ، اخر النصف الاول من رمضان ، عام 1170 هـ.
م. م. 8497 .

ب ـ « ايضاح الاسرار والبدائع ، في شرح الدرر اللوامع ... » لابن المجراد عام 1197 هـ. م. م. 5411

ج ـ « الفاتيح المرزوقية لحل الاقفال واستخراج خبايا الخزرجية » ، لابن مرزوق الحفيد ، عام 1202 هـ.
م. م. 2058

د ـ « شرح الخلاصة » للمرادى ، من نسخة بخط أبي زيد المنجرة استاذ الناسخ : الاحد ، اخر ذى القعدة 1168 هـ. م. م. 8576

33 ـ ابن ابراهيم : أحمد بن أبي القاسم بن محمد الدكالي المشترائي الفاسي .

كتب بخطه نسخة من القاموس » للفيروزابادي في مجلدين ، وفرغ من انتساخها في منتصف شعبان عام

---

(25) مخطوطة البدور الضاوية ، حيث ورد اسم المعني بالامر ، اخر تراجم الكتاب ، وقد كرر هذا المصدر اسم محمد في ، اباء المترجم أربع مرات ، خلاف الوارد في سلوة الانفاس ج. 2 ص. 100 .

(26) هو مؤلف شرح « المنظومة الداليــة » في القراءات للمغراوى ، مخطوط م. م. 763 . وبنفس المكتبة توجد « اجازة » برسمه من جهة أبي زيد عبد الرحمن بن ادريس المنجرة الشريف الحسنـي ، م. م. 2209 ضمن مجموع .

وله ترجمة عند ابن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » ، ج. 1. ص 188 ـ 189 ، حيث يسميه بابراهيم السرغيني الخلوفي .

1203 هـ. بسجلماسة ، وسلسل في ختامها أصولها واحدا فواحدا حتى الاصل الذى عليه خط المؤلف (27) .
م. م. 8148 .

34 ـ الفاسي : محمد بن عبد السلام بن محمد الفهرى (28) ، المتوفى عام 1214 هـ. ـ 1799 م.

الاول من « القاموس المحيط » حتى نهاية حرف الطاء ، في سفر تحمل نهايته تاريخ ضحوة الاحد ، لتسع بقين من رجب عام 1173 هـ.

مع تذييله بـ «اضاءة الادموس . ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس » ، لاحمد بن عبد العزيز الهلالي ، فرغ من كتابتها في فاتح شعبان من نفس العام : 1173 هـ.

وخطه فيهما ـ معا ـ مجوهر مدموج مليح ملون .
خ. ي. 3/49

السياسة

35 ـ التونسي : محمد التهامي بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الغني القرشي الزبيرى ، الاندلسي ثم الرباطي ،

« الشهب اللامعة » لابن رضوان عام 1183 هـ.
م. م. 1103

مواد متنوعة

36 ـ معنينو : محمد بن عبد القادر بن العربي بن أحمد السلوى .

أ ـ « الشفا » للقاضي عياض ، فرغ منها ضحوة الثلاثاء 10 رمضان عام 1177 هـ. خ. ن. 398

ب ـ « العهود المحمدية » للشعراني ، ضحوة الاربعاء 7 جمادى الثانية عام 1201 هـ. برسم الباشا بوعز بن الباشا محمد القسطالي . خ. ن. 1346

37 ـ المصباحي : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن طيفور الحسني القصرى .

أ ـ « التاج والاكليل » للمواق ، 20 رمضان عام 1182 هـ. م. م. 1140

ب ـ « المقامات الحريرية » ، 4 ربيع النبوى عام 1190 هـ. برسم ابن عمه عبد الله محمد بن الشيخ السيد الجيلاني المصباحي الحسني . م. م. 535

38 ـ البزور : محمد بن عبد الله التازى .

أ ـ « شرح الخلاصة » للمكودى : الخميس 2 شوال عام 1182 هـ. خ. ي. 6/54

ب ـ ارشاد السارى للقسطلاني ، نسخة تامة من ثمانية أسفار ، برسم الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله التوزيني عام 1198 هـ. م. م. 3879

39 ـ التازى : محمد بن أحمد السلوى .

أ ـ تفسير الجلالين : الخميس 24 صفر عام 1196 هـ. م. م. 2732

ب ـ نسخة أخرى من التفسير ذاته ، عام 1196 هـ.
خ. ع. ك 410

ج ـ سنن المهتدى للمواق ، كتبه ـ على حد تعبيره ـ لاخيه في الله : الفقيه العدل الطيب ، بن العلامة محمد بن دحمان ، وفرغ منه يوم الاربعاء 4 ربيع الثاني ، عام 1198 هـ. م. م. 3575

40 ـ عديل : عبد العزيز بوجيدة بن عبد الخالق بن محمد الاندلسي ثم الفاسي ، وكان ـ حسب الكتاني (29) ـ من العدول المبرزين بفاس ، ذا خط حسن ، يقيم الهجاء ، ويضع الحروف على أحسن صورها ، نسخ بيده

(27) انظر هذه النسخة وكاتبها : محمد المنوني : « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوى » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 ، السنة 11 ، ص. 58 ـ 59 .
(28) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج. 2 ص. 318 ـ 319 .
(29) أبي المواهب جعفر بن ادريس الحسني ، عند خاتمة كتابه : « الرياض الريانية ... » ، خ. ع. ك 497 .

عدة كتب في غاية الاتقان، والحسن والضبط والجودة والبيان، وهذه ثلاثة من منتسخاته:

أ ـ شرح الخلاصة للمرادى: الجزء الثاني، برسم الشريف عبد الهادى بن عبد الواحد القادرى الحسني، بتاريخ زوال الثلاثاء 5 شعبان عام 1204 هـ.

م. م. 7203

ب ـ الفتح والتيسير، على آية التطهير لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادرى الحسني م. م. 4476

ج ـ غنية الطالبين لطريق الحق، للشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني. م. م. ز 1004

41 ـ أخريف: عبد القادر بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحسني السلماني.

أ ـ شرح تحفة الحكام لمحمد بن أحمد ميارة: ضحوة الثلاثاء 10 رجب عام 1200 هـ. نسخة خاصة

ب ـ شرح الشمائل الترمذية لجسوس: 3 ذى القعدة عام 1205 هـ. م. م. 552

42 ـ التاشفيني: محمد المختار بن عمر بن على بن مسعود بن عبد الرحمن الفاسي (30)، المتوفى عام 1224 هـ ـ 09 ـ 1810 م.

أ ـ شرح الحكم العطائية لجسوس: الجزء الاخير: الخميس 13 جمادى الاولى عام 1194 هـ. م. م. 1208

ب ـ تيسير الوصول للشيباني: السفر الثاني: ظهر الثلاثاء 5 ربيع الثاني عام 1199 هـ. م. م. 6337

ج ـ شرح الهمزية البوصرية لبنيس، عام 1205 هـ. خ. و 363

43 ـ ابنه محمد التاشفيني.

شرح العقائد النسفية لبدر الدين محمد بن الغرس الحنفي: السبت 25 ذى القعدة عام 1193 هـ.

م. م. 7575

ثانيا: نساخون مزخرفون

44 ـ الحلو: محمد ـ بفتح أوله ـ بن محمد المهدى بن أحمد بن محمد المريني الفاسي.

أ ـ مجموعة تشتمل على الشمائل الترمذية، فتأليف للسهيلي ـ عام 1175 هـ. خ. ع. ج. 435

ب ـ المقامات الحريرية، عام 1178 هـ.

م. م. 1544.

ج ـ الموطا للامام مالك، عام 1185 هـ.

م. م. 1781

د ـ نسخة أخرى من الموطا، 20 جمادى الاولى عام 1186 هـ. برسم الطالب محمد المكي بن عبد الله بن المحجوب بن سالم الزمودي م. م. 2661

هـ ـ الشفا للقاضي عياض، منتصف جمادى الثانية عام 1189 هـ. م. م. 574

45 ـ ابن الحرار: المفضل بن محمد الادريسي.

سفران من ذخيرة المحتاج: أحدهما برسم السيد عبد الخالق بن مؤلف الذخيرة: الشيخ المعطي الشرقي العمرى. م. م. 7878

والآخر يحمل تاريخ 1184 هـ، وبه رسوم منوعة مزخرفة. م. م. 7954

46 ـ الحلو: عبد العزيز بن محمد بن محمد المهدى المريني الفاسي، المتوفي عام 1233 هـ ـ 1817 م.

وكان حسب ابنه عبد الرحمن (31) ـ ولوعا بانتساخ كتب الحديث ودلائل الخيرات للجزولي، وكتب من خصوص صحيح البخارى عدة نسخ، بينها اثنتان كتبهما بقلم واحد: احداهما في خمسة أجزاء، والاخرى في مجلد واحد، مع اتقان وبراعة في الخط، ومهارة في صناعتي الزخرفة والتسفير، ومن منتسخاته المزخرفة في هذا العصر وما قاربه:

---

(30) له ترجمة وجيزة في «سلوة الانفاس»، ج. 3 ص. 355.
(31) في كناشته.

أ ـ الموطا ، بتاريخ الاثنين 14 رمضان عام 1187 هـ. م. م. 4095

ب ـ نسخة أخرى من نفس الكتاب عام 1188 م. م. 1903

ج ـ صحيح البخارى في مجلد : أوائل المحرم عام 1206 خ. ع. ج 695

47 ـ الحلو : محمد بن محمد ـ ضما ففتحا بن محمد المهدى المريني الفاسي .

الموطا ، عام 1206 هـ. خ. و 97

48 ـ الوافلاوى : الحسن بن عبد القاهر بن محمد اليدراسني ثم الفاسي .

كتب وزخرف بخطه منتسخات كثيرة ، ومنها ـ في هذا العصر ـ الدر المصون ، في علم الكتاب المكنون ، لاحمد بن يوسف الحلبي المشتهر بلقب السمين»،وفرغ من الربع الاخير منه أواخر ربيع النبوى عام 1204 هـ. م. م. 5186

الوراقة في بلاط الامير على بن السلطان محمد 3

ولم يعمر طويلا ، فتوفي ـ في حياة والده ـ عام 1187 هـ. ـ 1773 م. (32) ويقول عنه الزياني (33) : «وكان له اعتناء كثير بنسخ كتب العلم الغريبة وكتب الادب » ، غير أن المعروف ـ لحد الآن من منتسخاته لا يتعدى كتابين اثنين ، يبلغ مجموعهما سبعة عشر بين سفر ومجلد :

أ ـ « اللباب من علوم الكتاب » : اسم تفسير القرءان الكريم لابن عادل الحنبلي : الموجود منه ثمانية أسفار من تجزئة 13 .

الاول : يبتدىء بتسجيل أمر الامير المنوه به بنسخ الكتاب الذى جاء في 13 سفرا ، ثم ذيل السفر ذاته بقصيدة تكرر ذكر الامر بكتابة هذا التفسير ، مع اسم ناسخ الاول منه : محمد الندرومي ، حيث فرغ منه عام « شوقي صح » على طريق التاريخ الشعرى ، بحساب الجمل بالترتيب المغربي : وهو عام 1184 هـ. خ. و 792

الثاني والثالث : ءاخر عام 1183 هـ. ، وهما خاليان من اسم الناسخ . م. م. 8017

الرابع : عام 1183 هـ. خ. و. 793

الخامس : في نفس العام خ. و 794

السابع : العام ذاته ، وبآخره اشارة الى انه كتب باشراف خديم الامير العلوي:عمر بن الحاج محمد بن العروصي الهلالي . خ. و 795

التاسع : بخط محمد بن عبد السلام بن محمد الوزير الغساني ، سابق الذكر عند رقم 26 ، حيث فرغ منه صبح الجمعة 7 رمضان عام 1183 هـ. خ. و 796

الحادى عشر خ. و 797

ومن تواريخ هذه الاسفار ، نستنتج طابع السرعة في وراقة الامير العلوى ، حيث تمت كتابة أغلب الاجزاء في عام 1183 هـ. وقد تبينا ـ سلفا ـ نفس الظاهرة في وراقة والده السلطان محمد 3 .

ب ـ والآن نشير للمنتسخ الاميرى الثاني ، وهو تفسير الفخر الرازي» في أربعة مجلدات ضخمة خالية من اسم الناسخ ، وختم ءاخرها بشعر يشتمل على الرمز ـ بحساب الجمل المغربي ـ الى تاريخ الفراغ من الكتابة: عام 1186 هـ. مع التصريح باسم الامير على الذى وقع الانتساخ برسمه م. م. 2640

ومن هذا العرض نستخرج ثلاثة أسماء من الوراقين في بلاط الامير العلوى :

49 ـ محمد الندومي كاتب السفر الاول من اللباب ، ويوجد بخطه ـ أيضا ـ الارباع الثلاثة الاولى من احياء الغزالي ، في ثلاثة اسفار كتبها بعد وفاة مخدومه ، حيث فرغ منها ضحوة السبت 24 رجب عام 1204 هـ. وهو يذكر اسمه هكذا : محمد عبد الكريم الندرومي . م. م. 7652

---

(32) انظر عن مصادر ومراجع ترجمته مجلة « دعوة الحق » : العدد 8 ، السنة 15 ، ص 84 .

(33) « البستان الظريف ... » خ. ع. د 1577 ص. 140 .

50 – عمر بن الحاج محمد بن العروصي الهلالي ، المشرف على كتابه السفر السابع من اللباب وهذا له ترجمة معروفة تضيف الى نسبة الهلالي : « المصباحي الدكالي » ، ثم الرباطي قاضيها أواخر القرن الهجرى الثاني عشر في ظن المصدر المعني ، ثم كانت وفاته عام 1215 هـ. – 1800 م. (34) .

أ – ومن منتسخاته بعد وفاة مخدومه : « أوضح المسالك » لابن هشام ، بتاريخ الثلاثاء 22 رجب عام 1192 هـ.

خ. ي. 3/54

ب – الفتوحات الالهية ، في أحاديث خير البرية للسلطان محمد 3 : في مخطوطة رائقة ، زينت طالعتها بترجمتين ملونتين مذهبتين ، في شكل يميل للشرقي زخرفة وكتابة ، وبناخرها ترجمة مماثلة ، كتب بداخلها: انه وقع الفراغ من انتساخ الكتاب في ضريح السبطين ؟ بالقاهرة ، بتاريخ أول ذى الحجة عام 1200 هـ. على يد ... عمر بن الحاج محمد بن (العروصي) الهلالي .

م. م. 3303

وسيبقى – بعد هذا – الاسم الثالث من وراقي الامير العلوى ، وهو محمد بن عبد السلام الوزير الغساني،كتاب السفر التاسع من اللباب، وقد تبين – وشيكا – انه سبق ذكره بمناسبة منتسخاته الاخرى عند رقم 26 .

والآن نذيل باثبات الملحقين اللذين تكررت الاحالة عليهما في هذه الدراسة ، وأولهما : من السلطان محمد 3 الى الوراق علي الوافلاوى ونصها بعد الافتتا ح:

« نامر الناسخ الزواق ، الفقيه السيد علي الفلاوى : أن يقدم كل يوم الى بيت مال المسلمين ، ويقعد مع تلك الصبيان « كذا » ويعلمهم الكتابة والتزويق والتجدويل ، وأذنا للسيد محمد الشامي ناظر الاحباس : أن يدفع لك – كل شهر – خمسة عشر مثقالا من مال الاحباس ، ولا تغفل عنهم في التعليم ، والله – سبحانه وتعالى – يحفظ « كذا » ويرعاك .

ومما نامرك به أن تقف مع الامناء والنظار في أمر الخزانة ، وتزمم كتبها ، وتنظر في الكتب الذين هم تمزقوا ، من غيرهم ، وتجتهد في تفريقهم على الطلبة لكي ينسخونهم « كذا » ، وتجعل ذلك كله في كناش وتبعث لنا ، والله يعينك ، والسلام ، عام 1202 » (35)

الملحق الثاني : رسالة من السلطان المنوه به ، الى كبير الزاوية الناصرية بتمكروت : الشيخ يوسف الناصرى ، في موضوع كتابة نسخة من البيان والتحصيل لابن رشد ، برسم خزانة الزاوية المشار لها ، ونص الرسالة بعد الافتتاح :

« ... محبنا في الله : السيد يوسف الناصرى ، وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال ، وبلغنا واياكم المقصود والآمال ، سلام عليكم ورحمة الله وأتم البركات ، والتوفيق المصاحب لكم في الحركات والسكنات .

وبعد : فقد وافانا كتابكم ، وسرنا العذب خطابكم، واستروحنا كانكم تستنجزون ما وعدناكم به من (البيان والتحصيل) ، اعلم ان ذلك منا على بال ، ووعدنا – والحمد لله – كالاخذ باليد لا تطرق ساحته اغفال ولا اهمال . وها نحن امرنا علماء فاس وقاضيها ، بنسخه من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين ، ليس بها تصحيف ، ولا مسخ ولا تحريف، فكونوا على تشوف اليه عن قريب ان شاء الله ... وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ، عام 1177 هـ. »(36)

(34) الاغتباط ، بتراجم أعلام الرباط ، .
(35) مجموعة طومباى .
(36) ضرب نطاق الحصار للعلامة الاديب محمد بن اليماني الناصرى ، المطبعة الاهلية بالرباط ، ص. 47 – 48 ، مع النهضة العلمية لابن زيدان .

الأمير أبو عبد الله محمد العالم (المعلوم)

للأستاذ سعيد أعراب

اذا ذكر العالم الاديب ، والملك الشاعر عبد الله ابن المعتز — بالمشرق ، ذكر معه بالمغرب ابن المعز الصنهاجي ، وابو الربيع الموحدي ، وابو عبد الله محمد العالم العلوي ، وما اكثر شبه هذا الاخير به ، فكلاهما عاش للعلم والادب ، وكلاهما خطبته الرئاسة ، وجاءته الامارة تجرر اذيالها فلم ينل منهما شيئا ، وكان كما قال القائل :

ما فيه لـولا ولا ليت فتنقصه
وانما ادركته حرفة الادب

وادبنا الامير محمد العالم — وهو الذي نسوق اليه هذا الحديث — كان متبحرا في علوم اللغة ، ماهرا في فنون شتى ، ولذا يلقب بالعالم .

اما الادب فبحر لا تكدره الدلاء ، ينفعل للشعر ، وتهزه أريحية الادب .

ولاه والده السلطان المولى اسماعيل — خليفة عنه — على سوس ، وكانت (تارودانت) مقر عمله ، وعاصمة خلافته ، وكان محبا للعلم ، مؤثرا لاهل الادب تأتيه وفود العلماء ، وافواج الادباء ، من كل جهة ومكان ، فيكرمهم ، ويغدق عليهم العطايا ، وكانت له مجالس علمية ، عاطرة الشذى ، — ولا سيما في مواسم رمضان — يحضرها علية العلماء ، ونبهاء الفقهاء ، وكان يرأسها بنفسه ، ويفتح باب المناقشة على مصراعيه ، فاذا احتدم الخلاف وتصارعت الآراء ، تدخل بلطف وحكمة ، وكانت الكلمة الاخيرة له ، فينفض المجلس عن نكت ولطائف ، دونها خرط القتاد !

وكانت له ندوات أدبية يساجل فيها الادباء ، ويقارضهم الشعر ، فخلق بذلك — في اقطار سوس — حركة علمية ، ونهضة ادبية ، لم تعهد هذه البلاد مثلها من قبل ولا من بعد ، ويؤثر عنه انه كان يقول : « انني ما فرحت بالقيادة على سوس ، كما فرحت بوجود الادب والشعر فيها » .

وسنورد في هذه العجالة صورا من ندواته الادبية وانماطا من مساجلاته الشعرية ، وما كانت تطفح به من روح شاعرة ، ونقد هادف بناء ...

— كتب اليه اخوه المولى الشريف في صدر كتاب بعث به اليه ، ما خاطب به سيف الدولة بن حمدان ، اخاه ناصر الدولة :

رضيت لك العليا — وان كنت اهلها
وقلت لهم بيني وبين اخي فرق

اما كنت ترضى أن اكون مصليا
اذا كنت ارضى أن يكون لك السبق

فاقترح على الشيخ المسناوي أن يجيبه عنه فقال :

بلى قد رضيت أن تكون مجليا
ويتلو نداكم في العلى من له السبق

وما لي لا ارضى لك المجد كله
وانت شقيق النفس — ان عرف الحق

ولكن ذوي الضغن انتحوا ذات بيننا
فغادرها افسادهم وبها رتق

— ومن شعره يخاطب شيخه أبا عبد الله القسمطيني — أيام خلافته بسوس ، ويتشوق الى فاس الفيحاء :

الا ليت شعري هل انزه ناظري
وللنفس اقبال بوادي الجواهر

أمتع طرفي في رياض أنيقة
واقطف أزهارا بها كالزواهر

بحيث ترى أسد العرين صريعة
وقد فتكت بها ظباء المقاصر

وحيث ترى غلب الحدائق سلسلت
حديثا صحيحا عن نسيم الازاهر

وقد نسجت كف النسيم عشية
دروع مياه بين تلك النواعر

وأصبحت الاطيار فوق غصونها
فصاحا تقص فوق خضر المنابر

سقى الله أدواحا بفاس عهدتها
تغازل انواء الغيوث المواطر

ولا برحت عين تراها قريرة
وان قذفت بالقلب جمرة حائر

لك الله من الف بدرعة جسمه
وقلب بفاس في قدامة طائر

تراوحه الاشواق في كل ليلة
فما بين مزور هواه وزائر

ولو انه يعطي على قدر قدره
لكان له ما بين بسر وباسر

فمن مبلغ عني رسالة شيق
الى علم الاعلام صدر الاكابر

— * —

هنالك هاض القلب سهم ابن مقلة
فادمى فهل تروى حديث ابن جابر

عليك سلام الله ما هاج شيقا
بريق وما لاح الصباح لناظر

فاجابه الشيخ بقصيدة مطلعها :

خليلي عج بالركب من أم عامر
وعرج على كثبان نجد وحاجر

وكتب الى الوزير الاكبر ، ركن الدولة أبي العباس اليحمدي يشكره — وقد بلغه انه اثنى عليه عند والده المولى اسماعيل — :

« .. حيا الله — بمنه — ركن الدولة الاسماعيلية وسميرها ، ومنتقى هاتيك الحضرة ووزيرها ، مطلع انوارها ، ومعدن أسرارها .. فقد احسنت — ابا العباس — ولم يتقدم منا اليك احسان ، وقمت في نصرتنا مقاما لم يقم معك فيه انسان ، وقد اسديت — والله شكور ، واتجرت تجارة لن تكسد ولا تبور .. ومن قبل كنا بحقك جاهلين، وعن تدرك ذاهلين، والان تبين الحق، وحصحص الصدق ، واتضح الكهام من الحسام ، والصيب من الجهام .. »

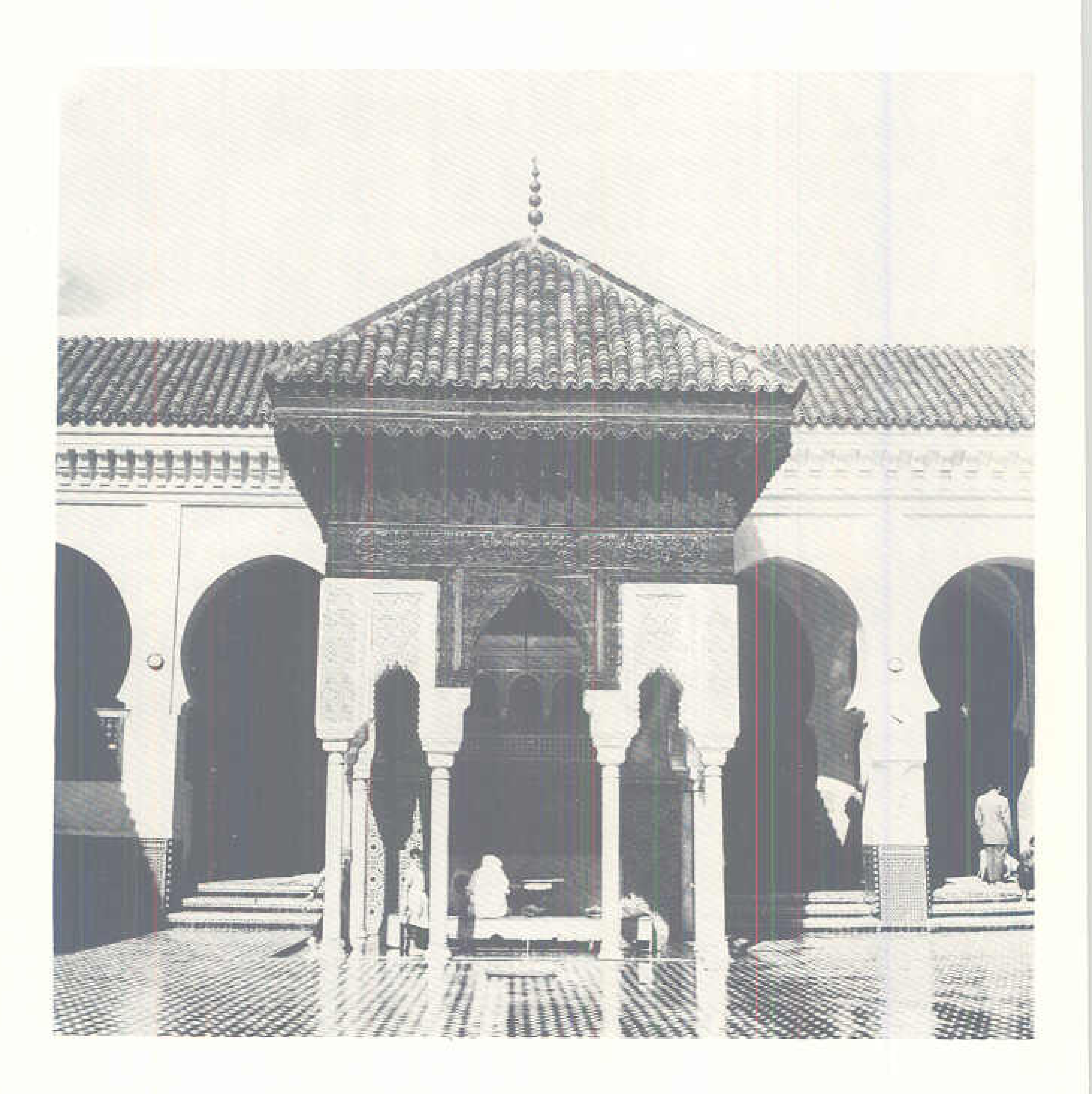
ومن ندواته الادبية ، ما يذكره صاحب كتاب (نزهة الالباب ، بذكريات الاحباب) (1) ، وان شئت سميته (نفحات الشباب) — كما يقول مؤلفه .

الندوة الاولى :

... حضر ثلاثة من الفقهاء جاءوا من قرى نائية ، للمشاركة في الدروس الرمضانية التي يرأسها خليفة السلطان محمد العالم ، — وهم : أبو عبد الله الزدوتي ، وأبو اسحاق السكتاني ، وأبو عبد الله الهلالي الايلاني، فمثلوا بين يديه — والجمع حافل بالعلماء ورجال الفكر، ومن عادته أن يختبر العلماء الجدد ، ولاسيما الذين تبدو عليهم سمة الادب ، وبعد أن سألهم عما درسوا ، وعن الشيوخ الذين اخذوا عنهم ، — فالفاهم جميعا من خريجي جامع القرويين بفاس — آنسهم ببعض اسئلة في اللغة والصرف ، منها وزن (المرايا) واصلها ، فكانت أجوبتهم في غاية من الدقة ، وفي مستوى عال من الاحاطة والشمول ، ثم دخل معهم في شؤون الادب ، وكان أول سؤال وجهه اليهم : من قائل هذا البيت :

ان الاسود أسود الغاب همتها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

1) مخطوطة نادرة مبتورة الاخير ، توجد بخزانة استاذنا المرحوم محمد المختار السوسي ، وما اجدرها بالتحقيق !



فأجابوا — متبادرين ، مبتسمين من سؤاله عن ضروري — : ان قائله ابو تمام الطائي ، ومطلع القصيدة

السيف أصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وقال له الهلالي الايلاني : ان شاء مولانا سردتها عليه كلها — مع ذكر حكاياتها ، وتاريخ المعتصم الذى قيلت له ، ثم أضرب عن ذلك وقال : من قائل هذا البيت:

واصرع اى الوحش قفيته به
وانزل عنه مثله حين اركب

فقال السكتاني : انه لاحمد بن الحسين المتنبي ، من قصيدة يقولها في كافور ، اولها :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

وان شاء سيدنا أمليتها عليه كلها ، وامليت على مسامعه الشريفة تاريخ كافور ، والمتنبي ، وكل القصائد التي قالها فيه — وهي معدودة ، حتى هجو ابنته التي شبهها بـ (الكركدن) ، قالوا وكان يرى الخليفة — وهو يهتز اهتزاز القصبة في يوم مريح ، لما سلسل عليه السكتاني ذلك كله بعبارة عربية فصيحة ، ثم قال : من القائل :

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

قال الزدوتي — مبادرا قبل صاحبيه ، لتعرفه أيضا مكانته — : ان البيت لبشار بن برد الاعمى ، واحفظ مع البيت قطعة كبيرة ، فان شاء مولانا تلوته عليه مع قطع وقصائد لبشار ، خصوصا في عشيقاته وهو الذى يعشق بأذنه قبل عينه ، (2) ، فقال الخليفة : لله درك ! فانني كنت أحسب انك تقول : انني حفظت القصيدة كلها ، مع انني ما رايتها كلها في كتب الادب التي طالعتها (3) ، وحيث قلت ما قلت ، فان ذلك يدل على صدقك ، ثم قال من الذى يقول :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها
افاويق حتى ما يدر لها ثعل

قال فسكتنا — لاننا لم نسمع بالبيت قبل ذلك الوقت ، وجعل بعضنا ينظر الى بعض، ثم قال السكتاني يا مولانا ، لنا الفضل في ان يكون هذا اول ما نستفيده من حضرتك العلامة ، فاننا لسنا بمكاثرين ، ولا بمفاخرين، فما علمناه فبفضل سيدنا السابق الينا قبل المثول بين يديه، وما جهلناه — وهو كثر من قل — فلنا الفخر العظيم في أن نكون فيه تلاميذ لسيدنا ، فقال : لله دركم ! فانني عمدت الى ما ليس للشعراء المشاهير ، لانظر هل تقولون لا ندري فيما لا تدرون،أم تهرفون بما لا تعرفون ومن تمام عقل الرجل في علمه ، أن لا يتبجح بما لا يعلمه، وأن لا يستنكف عن قوله لا ادري فيما لا يدري ، ثم قال ان البيت لابي سلول ، وهو شاعر مقل في التابعين ، وقبل البيت :

اذا انتصبوا للقول قالوا فاحسنوا
ولكن حسن القول خالفه الفعل

ثم قال : انني مبتهج بكم كثيرا ، فقد ساءنا من كثير من علماء هذه البلاد ، انهم لا يستحضرون التاريخ والادب — كما هو ، مع أن لهم يدا طولى في اللغة ، وما الادب الا ابن اللغة — ان صادفت فطنة سليمة ، وقريحة سيالة ، ثم قال لهم : كيف نحكم في الشعر ؟ فقال السكتاني : اننا — يا سيدي في ذلك — كما قال بعض من قبلنا : ما يعجبنا منه لا يأتينا ، وما يأتينا لا يعجبنا ، وما واحد منا الا كان له بعض الشيء ، ثم اطرق الخليفة لحظة ، ثم رفع راسه وقال : اجيزوا هذا البيت متابعين بيني كل واحد على ما قبله — :

خليلي سبق السيف العذل
حشو اذني صمم عمن عذل

ففكروا كلهم ، فاذا بالسكتاني — وكان ابده الجماعة — قال :

قضى الامر فاصبحت لقى
بلحاظ لا بيض واسل

---

2) يشير الى قول بشار : (والاذن تعشق قبل العين احيانا) .

3) وقد طبع الشيخ الطاهر بن عاشور بتونس ديوان بشار ، او على الاصح ما وجد منه ، وبه القصيدة كاملة .

فكاد الخليفة يهتك وقاره — استحسانا للبيت ! وبعد لحظة قال الزدوتى :

من يكن يشكو جراحات الظبــــا
فأنــا اشكــو جراحــات المقــل

فانتفض الخليفة — ولم يملك أن مد يده بالمصافحة فاهوى اليها الزدوتى — مقبلا ، فقال له ، ما اعجب ما تكنه جبال سوس من بلغاء عظام ! ثم انتظر ما يقوله الآخر ، فبعد لحظة قال الهلالى :

فليزرنــى ليــرى كيــف الهــوى
من يرى أن الهــوى امــر جلــل

فقال الخليفة : لا فض فوك أيها الاخير ، فقد كنت احسبك انك تتأخر عن حلبتك ، فاذا بك بينها بلا تقدم ولا تأخر، ثم قال لهم ها انتم جئتم الى، ولابد لكل قادم من تحفة ، وتحفة الاديب قصيدة يقدمها امامه ، فهل صنعتم شيئا ؟ فقالوا لم نصنع شيئا ، لاننا ما كنا نحسبك — يا مولانا — فى مثل هذا المقام العالى فى الادب، وكنا نعهد الى سوس ، من لا يرفعون للادب راسا ، او يسوون بين الشعرور والشاعر، ولذلك طلقنا الادب فىمجامع الفقهاء، وانخرطنا فى المفتين والعدول ، ولم نقدم على حضرة سيدنا الا بصفة فقهاء ؟

ولكن حين بدا لنا ما بدا ، فأبلغنا — سيدنــا — الريق ، حتى نقدم ما تيسر غدا او بعد غد ، وكان الذى يتولى الكلام السكتانى ، لانه اسن القوم ، واجراهــم واشجعهم ،واكثرهم مخالطة للعمال ، ثم قال لهــم : اننا سنوصى على منزل يفرغ لكم تنزلون فيه ، ومؤونتكم تأتيكم فى كل وقت ، مع لزومكم للباب ، ولمجالـــس البخارى — دائما

ثم افرغ على كل واحد كسوة تامة ، امرهــم أن يلبسوها ثم يرجعون اليه ، قال السكتانى : فخامرنى حياء عظيم من هذا الاعتناء ، فقلت فى نفسى لابد مــن بيتين فذين ، الان ارتجلهما — وانا البس الكسوة اقدمهما له ، فكان هذا ما سنح :

ما الموج فى ازبادها ما السحــب فى
امطارها ما الريح فى اعصارهــــا ؟

اندى ولا اسخــى مما ضمتــه مــن
راحات مولانــا لــدى ايثارهـــا !

فانشدتهما له ، فقال : هذا ابن ساعته ؟ فقلت نعم يـا مولانا ، نفحة من نفحات الحلة العطرة ، فتناول كناشه فكتبهما بيده . ثم اوما الينا الحاجب الواقف مع العبيد ، فخرجنا . . .

— ⁂ —

. . . انفرد كل واحد من الادباء الثلاثة — بعـد صلاة التراويح — تلك الليلة — لينشىء قصيــــدة ، وتواصوا على ان لا تتجاوز القصيدة خمسة وعشريــن بيتا ، لان الاكثار قلما تجيء معه الاجادة ، كما تواصوا على ان لا يجعلوا فى القصائد نسيبا ، وأن تكون كلهــا مدحا ، وعند السحور جعل كل واحد يلقى ما صنــع ، وبعضهم ينتقد بعضا ، فيجادلــون — وربمــا احتــدم النقاش بينهم — حتى يتفقوا على ما يتركون عليه المنتقد اخيرا ، لانهم يعرفون أن الخليفة ناقد بصير !

ومن الغد قدموا على مجلس الخليفة ، وكـــان موضوع الدرس ذلك اليوم ، حديث من كتاب الصيـام للبخارى ، فوزعت عليهم النسخ ، وكان الذى يتولـى التدريس بين يدى الخليفة ، احد العلماء الذين جــاءوا معه من مكناس ، ويتولى السرد جماعة مناوبة ، واحيانا يسرد ابو عبد الله الفاسى السارد الدائم للخليفة ، وكان الخليفة هو الذى يثير المناقشات ، ويجيب عن كــل سؤال او اشكال يطرح فى الموضوع ، وكان لهيبته قلما يتقدم على ذلك الا علماء مكناس ، وابو عبد الله المسناوى الذى قدم على حضرته بهذه المناسبة ، ولم يشارك احد من الضيوف الثلاثة — هذه المرة — فى المناقشــة — ولكل قادم دهشة ، فعاتبهم الخليفة ، ولكن ابا اسحاق السكتانى كان بعد ذلك لا يترك شيئا ، مما جعلــه فى مقدمة الشيوخ عند الخليفة ، ويحظى لديه بكل اعتبار وتقدير ، وبعد انتهاء الدرس ، اشار اليهم الخليفة هل قلتم شيئا من الشعر ؟ فقالوا نعم ، فناولوه ما كتبوا ، فتامله قليلا ثم اعاده اليهم ، وقال : ليقرا كل واحد منكم قصيدته قائما ، قال السكتانى : فسبقت انا وانشدته :

(ردانة) فى بشر وحق لها البشــر
ففى افــق من عليائها اشرق البــدر

يهنىء بعض الناس بعضهم بــــه
وترقص بالافراح فى خدرها البكــر

فحتــى الجمادات انتشــت بوروده
كأن قد غدا من بين اشخاصها فكــر

فهذى الرياض المونقات تمايلــت
بمقدم مولانا فمائلها الخضــر

وتلك الجبال الشامخات وهذى الـ
ـسائط قد هنا مساهلها الوعــر

قد ارتج سوس كله يـوم اقبلـت
كتائبه يقتادها العـز والنصــر

حظينا بخير الناس علما وحكمـة
ورأيا سديدا حين يشتبـه الامــر

وافضـل اولاد الامام ومـن غـدا
يتيمتهم فى عقدهـم وهـم الـدر

وافضل خريـت العلوم وكـل مـا
يسوده فى ظهر مهرتـه الحبــر

— * —

بأى لسـان او بايـة لهجـة
يقام بها حمد الخليفة والشكــر

فانعم مولانا على (سوس) كلهـا
بطلعته لالا يحيـط بهـا الحصــر

قال السكتانى : فحين وصلت هذا البيت :

حظينا بخير الناس علمـا وحكمـة
ورأيا سديدا حين يشتبه الامــر

تهلل وجهه فالتفت الى من عن يمينه من علمـاء (مكناسة) — مبتسما ، وحين وصلت الابيات التى فيها وصف ثباته فى الحرب ، رأيته تحرك فوق سريـره ، وتحمل كثيرا حتى لا يخرج عن وقاره امام العلمـاء الشيوخ ، قال السكتانى : وحين ختمتها قال لـى : لله درك من عربى مبين !

ثم وقف الزدوقى فأبدأ وأعاد ، وكـان رقيـق الصوت ، جميل الالقاء ، ومما جاء فى قصيدته قوله :

ثناؤك فى الافواه احلى من الشهــد
وخلقك للجالس اذكى من الـورد

يزين فلق الشعـر ذكرك مثل مـا
تزين مسك الصدغ سالفة الخـد

بهرت كمالا وانفردت محاسنـا
فكنت فريد القـدر فى كامل المجـد

فما أنت الا ءاية فى مزايـاك ان
تجل فى الوغى او فى المعارف او تسدى

تحدثت الركبان عنـك فمـا راوا
وما لم يروه منك اعظمهـا عنـدى

معارف تطمو من لسـان كأنـه
لسان اخى ذبيان او لهجة الجعـدى

يحاورنا حتى طغى البحر فوقنـا
فأغرقنا حتـى الغـدائـر بالمـد

مثلنـا لديـه خاشعين لهيبتـه
تذوب بها حتى الضوارى من الاسـد

فجاذبنا الاداب يسبـر غورنـا
واين من السادات معرفة العبـد

كأن جميع الشعر تحت عيـونـه
فيترك عن قصد وينشد عن قصـد

الى ان يقول :

نعيذك يا مولانـا ان تحسب اللقـا
عظيما وذر النمل فى الوهد كالطـود

فكـل اماتينـا رضـاك فأهلـه
يحلون فى الفردوس او جنة الخلـد

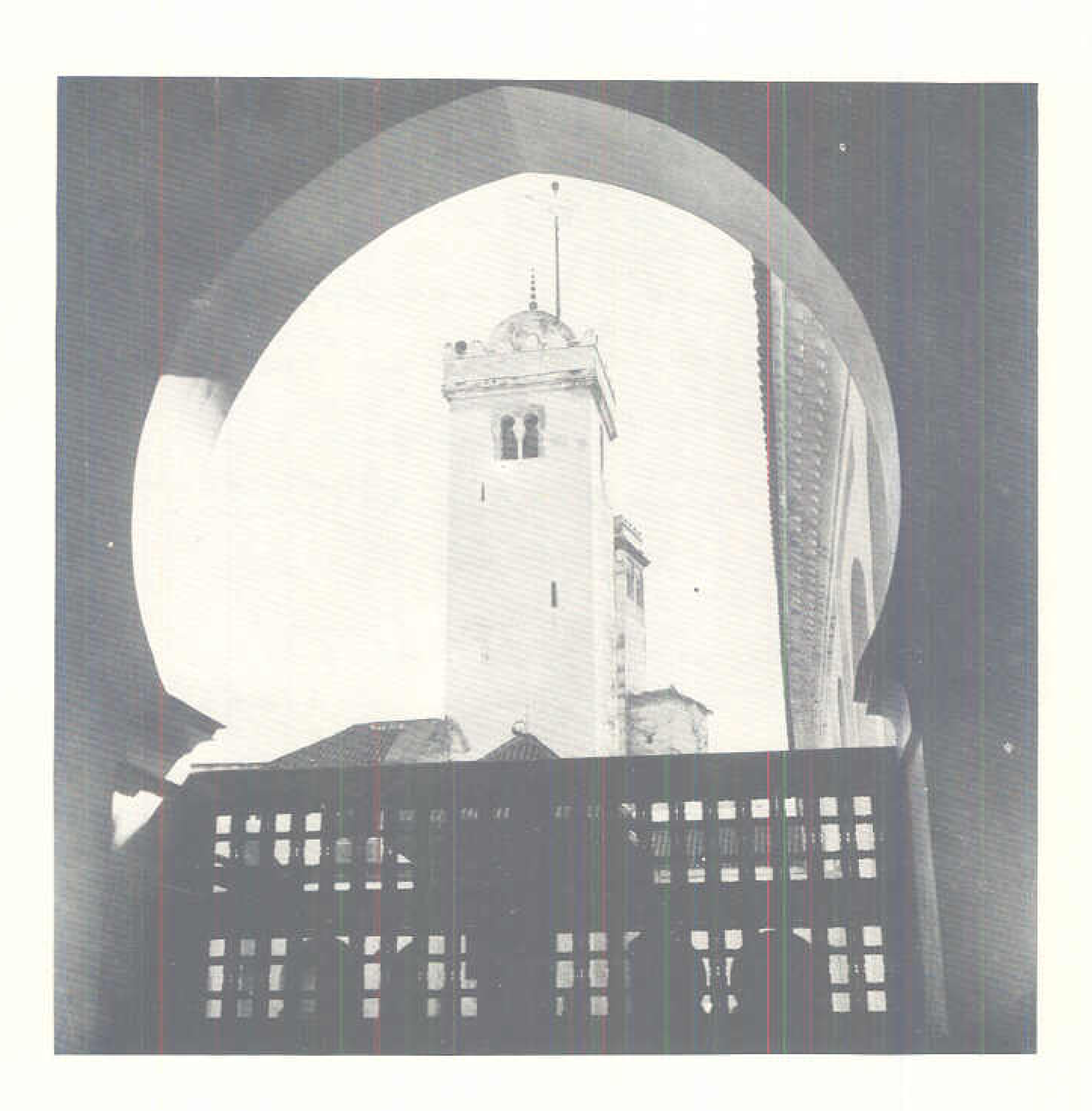
قال الراوى : فلما وصل فى انشاده الى قوله :

فجاذبنا الاداب يسبـر غـورنـا
واين من السـادات معرفة العبـد

رأيناه مطرقا — وكأنه تواضع لله لما جعل سيدا وغيره عبدا . وعندما قال :

كأن جميع الشعـر عند عيونـه
فيترك عن قصد وينشد عـن قصـد

التفت الخليفة الى المكناسيين — مبتسما ، وحين وصل قوله :



فكل أمانينا رضـــاك واهلــه
يحلون فى الفردوس او جنة الخلــد

قال : نطلب جميعا رضى الله الاكبر ، ثم قــال للزودتى ـ صاحب القصيدة ـ : ابيتم ايها السوسيون الكرام ، الا التواضع ، وذلك من مكارم الاخلاق .

ثم جاء دور الهلالى ـ وربما كان اصغرهم سنا ، فأنشد قصيدته التى يقول فيها :

سعد الزمان وطابــت الايــام
لما بدت من جيشــك الاعـــلام

فالدهر عيــد كلــه ومســرة
وتعانق وتحيـــة وســـلام

فكأن رغد العيش حين حللت يـــا
خير الخلائق عندنــا احــلام

همعت علينا الغاديــات بغيثهــا
لما انجلت عن كفــك الاكمـــام

من صافحته يمين مولانا فقــد
اعطتــه أوثق عهدهــا الايـــام

— ❋ —

هذي علومك للــرواة وهــذه
بيض الذكور لمــن هــم ظــلام

اين الرواة فهذا مرامهــم بــل ابيــ
ـن الظالمون فذلــك الصمصــام

هل جئت مولانا بجيشــك قائــدا
فى جانبيك حمائــل وحســام

أم جئتنــا للدرس والتعليـــم فى
أيمانــك الصفحــات والاقـــلام

فلتزهون (ردانة) القــراء اذ
اضحى لها مقامــك الاعظـــام

ولتغبطنها (فاس ودالخضراء ، والــ
ـأقطار حتى (مصرها) و (الشام)

فلقد اقيمت السوق حافلة بهــا
تنتاب حضرة علمك الاعـــلام

فيرى جميعهم علومهــم علــى
أنواعهـــا يطمـــو بها عـــلام

للنحويين خليلهــم ، للفقهيـــين
ـن خليلهم لذوى الحجــا النظــام

ويزيدهم فهــم الجيوب ومــن يفـد
فهــم الجيوب فائــه الفهـــام

والكــل يشكر كيســه وصميـــره
شكر تباكــم دونــه الافمـــام

قال الهلالى : فبمجرد الافتتاح ، جعل الخليفــة يبتسم ، ويكرر الانظار الى المكناسيين مرارا ، الى ان تمت القصيدة فقال : جزيتم خيرا ، وما انا الا واحد من العلماء ، وأرجو الله ان احشر بينهم ، ثم اعلن الدعاء .

وبعد استراحة عاد الخليفة ، وما ان استــوى المجلس ، حتى نودى على الادباء الثلاثة : ليقرا كــل واحد منكم قصيدته ، وهنا بادر الخليفة فقال : ان دابى ـ دائما ـ أن انتقد من استجيد اقوالهم ، وهذا فلان ـ يشير الى بعض المكناسيين ـ يعرف ذلك .

قال السكتانى : ثم قال لى : اقرا قصيدتــك ، فأنشدته ، فلما وصلت البيت الثانى :

يهنىء بعض الناس بعضهم بـــه
وترقص بالافراح فى المخدع البكــر

وكان البيت هكذا فى الاصل ، قال الخليفــة : ان المخدع ـ هنا ـ ينبغى أن يبدل ، ثم قال : أما يصلح هكذا :

(وترقص بالافراح فى خدرها البكر) ، فقلنا له : ان البيت استتم ما ينقصه، ثم انتقد فى البيت الثالث لفظة: (أشخاصها) وقال : انها نابية ، ولكن لم يوجد ما تبدل به فبقيت ثم زدنا قدما الى أن وصلنا هذا البيت :

(وقد قام ميزان الهزيمة فانتفــى
عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر)

فقال : ان هذا الابن ـ هنا ـ ينقصه أن يوصف بالشجاعة ، والا فالحياء والبر ـ وحدهما ـ لا يمنعان الجبان من الهروب ، ولكن ابقى البيت على ذلك ، ولــم يهتد الجالسون لاصلاحه ، وبعد ما انتهت القصيدة ، قال الخليفة : احاجيكم ما هو الاصل فى هذا المعنى الذى فى آخر هذه القصيدة ـ وقد وصفه وصفا دقيقا ؟ فقــال

الزدوتى فقال : انه المتنبى فى ميميته المعلومة التى يقول فيها لسيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

الى آخر المقصود من تلك القصيدة، فقال الخليفة: لله درك ! فهذا ما اريد ، ولكن ابشر اديبنا السكتانى فى انه اخذه اخذا حسنا ، وذلك الوصف مما جعل للقصيدة قيمة عظيمة — فى نظرى .

ثم انشد الزدوتى قصيدته — الى البيت الثانى ، فانتقد لفظة (الخال) فقال : ان الاولى أن تكون الصدغ والبيت — فى اصله — هكذا :

يزين فلق الشعر ذكرك مثل ما
يزين مسك الخال سالفة الخد

فقال : لو ذكرت صفحة الخد ، لكان الخال موافقا ولكن حين ذكرت (السالفة) وهى موضع الصدغ ، كان الصدغ اولى ، ولما وصل قوله :

معارف تطمو من لسان كأنه
لسان اخى ذبيان او لهجة الجعدى

قال الخليفة : ما يظهر لكم فى مقابلة النابغتين : الذبيانى والجعدى فى الفصاحة اللسانية — وهى المقصود بقول الشاعر ؟ فسكتنا ، قال : ان فى قلبى من ذلك شيئا تأملوا فى ذلك بعد الان ، ثم مد فى القصيدة ذكر الاسئلة ، الا اننا توقفنا عن الجواب اخيرا ، فالتفت الخليفة الى المكناسيين ، فقال : لا يمكن ان يقر احد من اهل الحضر بعجزه ، كما اقر هؤلاء — وهم يرون اقرارهم شرفا ، واهل الحضر يرونه عارا ، — وشتان ما بين اخلاق الناس .

ولما وصل قوله :

نعيذك يا مولانا ان تحسب اللقا
عظيما ، وذر النبل فى الوهد كالطود

قال له الخليفة : الم تكن تحفظ قصيدة المتنبى التى اولها :

واحر قلباه ممن قلبه بشحم .. ؟ قال نعم ، قال : اذن نظرت فى بيتك هذا الى قوله :

اعيذها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكأن الزودتى استحيا ، فقال له الخليفة : لابأس، فقد تركت المتنبى وورمه ، وملت الى عظمة اللقا ، وعظمة الطود ، اما انا فلا اسمى هذا سرقة ، وان كان هذا — واشار الى مكناسى — يسمى كل شىء مثل هذا سرقة ، وذلك — عندى — غلط ، والبيت حسن ملائم للقصيدة ، كما ان بيت المتنبى ملائم لقصيدته ، ثم قال الخليفة : ان الكتب التى يتشكى من قلتها اهل البادية قد جهل قيمتها اهل المدن الموجودة عندهم ، فعندنا فى مكناس خزانة عظيمة ، لا ارى من يطالع فيها الا قليلين ، ثم ختم الزدوتى قصيدته ، فجازاه الخليفة خيرا .

ثم تقدم الهلالى ، فما افتتح حتى قال له الخليفة : ان هذا وشى حضرى لا بدوى ، كأنك سرقت هذا من فاس ، وقد اعجبت بهذين البيتين :

والدهر عبد كله ومسرة
وتعانق وتحية وسلام

فكأن رغد العيش حين حللت يا
خير الخلائق عندنا احلام

ثم قال : ان البيتين جيدان محكمان — وان كان معناهما غير مبتكر ، فان الثانى ينظر الى قول الشاعر:

ثم انقضت تلك السنون واهلها
فكأنها وكأنهم احلام

ولكن ذلك معنى ، وهذا معنى آخر فى محله ، كما انه يوجد معناه فى خطبة (القلائد) للاندلسى — حين قال والدنيا تحية وسلام .. لكن البيت مع ذلك محكم حسن، وقد زاده انسجامه لطافة ، ثم استحسن ايضا هذا البيت :

من صافحته يمين مولانا فقد
اعطته اوثق عهدها الايام

قال : بمثل هذا البيت يتقدم الشعراء المتقدمين عند خلفاء بنى العباس ، ثم استوقفته أيضا هذه الابيات :

هل جئت مولانا بجيشك قائـــدا
فى جنابـك حمائـل وحســام

أم جئتنا للـدرس والتعليـم فى
ايمـانـك الصفحـات والاقـلام

أم انت نعمـة ربنا المهـداة فيـ
ـهـا كـل مـا يحتته الانعـام

فقال : ان مجموع الابيات فى غاية الحسـن والجودة ، — وان كان الاولى ان تكون كلمة اخـرى فى مكان (الصفحات) — ان تيسرت ، والا فهذه أيضا لا باس بها ، ثم انتقد المكناسى لفظة (يحتته) ، فقال له الخليفة : انما فيها الحذف والايصال ، ومكـان ذلك مقبول ، خصوصا فى معنى مطرد فى أبيات — كمـا هنا — فان الكلمة مغمورة لا تستحق الانتقاد ، ثم قال له : قد يسلم لك السوسيون ذوقا ، واما العربية والنحو ، فهم — فى بلادهم — احسن اليوم من غيرهم — كما رأيته ، الا ما كان فى الحواضر ، فانها مقدمة علـى غيـرهـا .

ولمـا وصـل قـولـه :

للنحويـن خليلهـم للفقهيـ
ـن خليلهم لـذوى الحجا النظـام

قال : ان البيت — وان كان فيه الجنـاس بالخليلين ، ليظهر لى فيه انتقاد وجيه فى عدم الوصل فى جملة « للفقهيين خليلهم » والمقام مقـام الوصـل ، لا الفصل ، وكذلك (لذوى الحجا النظام) .

ففى هذه الجملة الاخيرة انتقاد ثان ، فـان المقصود ان يقول الشاعر : ان مثل النظام النظـار لاصحاب المناظرة ، ولكنه تنكب ذلك الى قول (لذوى الحجـا) — وهل يسلم النحويون والفقهاء — انهم بغير حجـا تـام ؟ ثم قال لنـا : ما يظهر لكـم ؟ فوافقنـاه علـى ذلك .

ثم اعجبـه قـولـه :

ويزيدهم فهـم الجيوب ومن يفـد
فهم الجيوب فانه (1) الفهام (2)

فقال انه معنى حسن ، مبنى على المشاكلة — بعد ذكر فهم العلوم — غير اننى احب أن يعرف (فهام) — بالالف واللام ليفيد الحصر المدعى ، — وقد كان الشاعر قال (فانه فهـام) — هكذا — بالتنكير ثم سألنا عن ذلك فوافقناه .

ثم اتم الهلالى قصيدته ، فالتفت الخليفة الـى المكناسي وقال له : ما ظهر لك من ادباء (تارودانت) ؟ فقال له : انك فى اليوم مدحت بشعر حسن ، واما ما يجيئك به الفقهاء ، فانا استحيى لهم — حيـث لا يستحيون لانفسهم ! فقال الخليفة : ان الادب لا ينال ذوقه الا بنظرة سليمة ، لا بكثرة العلوم ، ثم ذكـر حكاية مضحكة عن بعض فقهاء (فاس) مدحـه بقصيدة غير موزونة ، ثم قال له : ان نقصها — يـا سيدى — شىء ، فزده لها ، قال فاغضيت .

ويذكر الراوى انه عندما اذن العصر ، ذهب الخليفة الى مسجده ، وفى الحين ، جـاء صاحبـه يدعو الشعراء الثلاثة ويقول لهم : ان الخليفة يقول لكم : ليكتب كل واحد منكم حاجته ، فطلبوا منه — اولا التحرير لقراهم ، كل واحد لقريته ، ثم نفذ لهم حبوبا ، ودراهم ، وظهار التحرير .

أديـب رابـع :

وعلى الاثر التحق بهم اديب رابع ، وهو ابو عبد الله محمد بن احمد الرسموكى ، ذكر السكتانـى للخليفة وقال له : ان ها هنا اديبا كبيرا ، وابوه ايضا اديب كبير ، فأمر باحضاره فمثل بين يديه فامتحنه فوجده كبير القدر ، حافظ لاشعار العرب ، وربمـا كان احفظ من الآخرين .

ولنذكر هنا المساجلة التى جرت بينه وبين الخليفة، وقد دخل عليه — وهو جالس فى منتزه يشرف على بستان فيه اشجار ، وحولها كوم رمل — فقـال له : اجـز :

اختيـال الغصون فى الاحقـاف

---

1) فى الاصل (فانهم) — ولعل الصواب ما اثبته

2) يقال ان أهل دكالـة لا يزالـون يستحسنـون هذا البيت ، ويرددونه بينهم ، حتى صار مثلا عندهم .

فقال : كاختيال القدود فى الارداف .

فاعجب به الخليفة ، لانه اجاب بديهة من غير تأمل ، ثم اشار الخليفة الى اغصان — وقد مالت نحو أزهار ، فقال — بانيا على ما تقدم :

مائلات الى الزهور كماما ؟

فسكت الخليفة فى نصف الكلمة ، فقال الرسموكى :

ـت قدود الحسان عند اقتطاف

فلم يملك الخليفة أن قال لمكناسى من أهله : هكذا تكون القرائح والافكار المتقدة !

ثم أراد أن يستزيد فى سرعة فكرته وضوحا فقال له : اجز — وهو يشير الى حصاد بمنجل فى السنبل يضربه فيبدده عمدا ليلتقطه كبش معه — :

فكأن منجله اذا ما بددا

فقال الرسموكى :

سيف الخليفة حين يفتك بالعدا

ثم قال الخليفة — وقد أشار الى صقر انقض على حمامة فى البستان :

فكأن ذاك الصقر اذ
ينقض فوق الحمامه

فقال الرسموكى :

طرف الخليفة حين يهـ
ـوى للعدو يقد هامه

فازداد عجب الخليفة وقال له : لقد أعدت (1) عصر ابن عطية ، فقال الرسموكى : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن على ، فكان امتحانا آخر عرفه بل الخليفة انه عارف لقضيتهما المشهورة .

وقد اجازه الخليفة بظهير احترام قريته ، وبكسوة وحبوب ودراهم ، — كما أجاز زملاءه الآخرين ، ثم صاروا جميعا يحضرون مجلس الخليفة كل نهار ، وبعد اداء مراسم العيد ، خرج الخليفة لتوديع العلماء ، ومن بينهم أدباؤنا الاربعة ، — وقد أغرق عليهم العطايا ، وأثقل كاهلهم ببره واحسانه .

---

1) فى الاصل : (أعددت) ولعله تصحيف .



النفحات الزكية فى الاخبار المغربية

قام الاستاذ زين العابدين الكتاني فى نطاق البحث الذي يواصله فى موضوع (الصحافة المغربية) برحلة تنقيب جديدة الى عـــدد من الدول العربية وخاصة مصر وتونس .

وفى هذا النطاق فقد عثر بمجموعات المكتبة الوطنية التونسية على اشياء مهمة من ذلك انه عثر بالخصوص بجريدة (الحاضـــرة) فى عـــدد رقم : 33 الصادر يوم الثلاثاء 17 رجب 1306 الموافق لـ : 19 مارس 1889 وبالصفحة الثالثة انه صدرت بالمغرب جريدة مغربية باسم : (النفحـات الزكية فى الاخبار المغربية) .

والسؤال المطروح الآن هـــو :

أيـــن هـــي هـــذه الصحيفـــــة ؟

نضال المغرب الدبلوماسي

من أجل مركز للصيد

للدكتور ابراهيم حركات

بالرغم من أن الصحراء المغربية تعد منطلقا لاحداث جسام في تاريخ المغرب وتطوره فالدراسات الجادة والهادفة حولها لا تزال ضئيلة محدودة جلها كتابات عابرة تصف سفرا او اتصالات بهذه البيئة او تلك ، من البيئات القبلية التي تعمر هذه المنطقة الشاسعة . فجل الدراسات اذا كتبها اجانب اغلبهم له ارتباط او هدف سياسي .

وان الذي يعود الى الوثائق التي لم يسبق نشرها حول المناطق الصحراوية والتي تعد فريدة في اهميتها ومحتواها ليعجب من هذا التشبث المستمر بحق المغرب في ترابه المغتصب والذي يبرز جليا من ثنايا هذه الوثائق التي يطلع عليها القارىء الكريم في هذه الدراسة ، فلم يكن دفاع المغرب عن مراكزه النائية وليد الساعة ولا الصدفة ولا المصلحة ، وانما هو دفاع يوضع في نفس مستوى الدفاع عن أي مدينة داخلية كفاس او الرباط او الدار البيضاء ، أي ان هناك اطارا جغرافيا لهذه البلاد لا ينتهي الا حيث تبدا شخصية جغرافية اخرى بكل مقوماتها الوطنية والتاريخية .

على ان المراكز الساحلية المغربية تعتبر أول حلقة في سلسلة الفتوحات التي قام بها كل من البرتغال والاسبان عبر السواحل العالمية .

وبالرجوع الى احداث التاريخ نجد اول محاولة للتدخل في التراب المغربي من قبل الدولتين تبتدىء من عهد المرينيين ، وبالذات من عهد يعقوب المنصور المريني حيث حاولت مجموعة من الاسبان الذين رست مراكبهم بصورة مفاجئة بميناء سلا ، ثم اتفقوا مع بعض التجار المسيحيين المتوطنين في عين المكان على الانقضاض على المسلمين وهم يؤدون صلاة الجمعة في المسجد الجامع ؛ لكن لحسن الحظ تم احباط المكيدة على الفور .

ولما كانت سبتة اول مدينة تتجه اليها عادة اطماع الغزاة من الخارج ، بالاضافة الى انها أقرب مركز مغربي الى التراب الايبيري فقد استغل البرتغال الفرصة للاستيلاء عليها سنة 818 / 1415 في الوقت الذي كانت الدولة المرينية قد اصبحت تعاني من الضعف والازمات ما منع بني مرين من رد الهجوم البرتغالي عليها .

واستولى البرتغال بالتوالي على عدد من المراكز الساحلية الاخرى ومنها :

— قصر الجواز (القصر الصغير) سنة 1458 م
— آنفا 1468 .
— أصيلا 1471
— أكادير 1505
— آسفي 1508

— آزمور 1513

— البريجة (الجديدة) 1514

— حلق الوادي (المعمورة او المهدية) 1515

ولم يكن الاحتلال البرتغالي ولا الاسباني للشواطىء المغربية ليمر دون رد فعل شديد وصامد من السلطة المركزية الممثلة في الوطاسيين والمقاومة الشعبية التي تولى كبرها جماعة من الصلحاء والصوفية وسائر الاطراف الوطنية ، وكل هذا في الوقت الذي كان المغرب يعاني فيه من التمزق والتفكك السياسي ما زاد من طمع الاسبان والبرتغال فيه ، وتدل الفترة الطويلة التي قضاها التدخل المزدوج المذكور ، على مدى اهمية الكفاح الذي خاضه المغرب من أجل الدفاع عن ترابه جزءا جزءا.

ولن نعالج هنا مراحل المقاومة المغربية على الصعيد الرسمي والشعبي لهذا التمركز المتسلسل، لان ذلك يحتاج الى حيز أضخم من هذه الدراسة التي نركزها فقط حول نقطة معينة كثر حولها الخلاف بين اسبانيا والمغرب وتردد الرسل طويلا من الجانبين بشأنها واثارت مع هذا كبير اهتمام في دوائر الحكومتين المتنازعتين الى سنة 1934 . ويتعلق الامر بمركز ساحلي للصيد ادعت اسبانيا ملكيته وحدث خلاف طويل الامد حول اسمه ومكانه بالضبط . وكان الاسبان والبرتغال قد احتلوا هذا المركز وبنوا به برجا سنة 1476 وبقي الى 1524 حين استعاد السعديون المنطقة ، لكن البرج اختفى بعد ذلك ولم يعثر على مكانه ، وكان على شاطىء وادي نون ، او قرب اكادير حسب ادعاءات السلطة الاسبانية احيانا .

المعاهدات :

في عهد محمد الثالث عقدت معاهدة بين المغرب واسبانيا بتاريخ 28 مايو 1767 وهي تتعلق بالامن والعلاقات التجارية ، وبموجبها يتنازل المغرب لاسبانيا عن حق الصيد في المياه الاقليمية ابتداء من « سانتا كروز » شمالا . وفي عهد مولاي سليمان جددت هذه المعاهدة سنة 1799 ، لكن لا يوجد في المعاهدتين ما ينص على تنازل ترابي . وفي عهد محمد الرابع انتزعت اسبانيا من المغرب بناء على اتفاقية تطوان 1860 حق الحصول على مركز للصيد بما يسمى « لا سانتا كروز لا بيكينيا » على ان يقوم الطرفان بتحديد المنطقة بواسطة ممثليهما .

وكان الاسبان قد بنوا في وقت سابق ، بناء على المعاهدات الماضية مركزا في « لاسانتا كروز » المذكورة ، وكانت بريطانيا تخشى ان تضع اسبانيا اقدامها في اكادير فيؤدي ذلك الى تغلغلها في التراب المغربي شيئا فشيئا ، حتى طلبت رسميا على لسان سفيرها بمدريد ان يتم التأكيد من طرف الدولة المغربية على ان الامر لا يتعلق مطلقا باكادير . كما ان السر « هاي » الذي يتظاهر بالصداقة للحكومة المغربية اتهم الاسبان بأنهم حاولوا ان يحدثوا الخلط بين « سانتا كروز لا بيكينيا » وسانتا كروز اكادير (اي اكادير كما كان يسميها البرتغال) ، ذلك ان عدة مراكز شاطئية بالجنوب حملت اسم «سانتا كروز»

وهكذا اصبحت نوايا الاسبان لا ان يحصلوا على مجرد مركز بسيط للصيد ، بل :

1) أن يكون المركز تجاريا وفي ذلك تضييق بالاقتصاد الوطني

2) ان يكون استراتيجيا يسمح بتحويله الى ميناء عسكري حقيقي

3) أن يكون قريبا أكثر ما يمكن من منطقة العمران شمالا لاعداد خطة للتغلغل العسكري .

لكن الحكومة المغربية امام ضغط الاحداث . وامام التكالب على ثروات المغرب وترابه من قبل عدد من الدول الطامعة بما فيها اسبانيا ، لم تر بدا من الاستناد بشكل مستمر الى الوسائل الدبلوماسية سواء في علاقاتها الثنائية مع اسبانيا او في علاقاتها الدولية مع سائر الاطراف التي تهتم بقضية المغرب .

موقع « سانتا كروز لا بيكينيا » :

قبل ان نشرع في تحديد مراحل الخلاف حول المركز الذي اشارت اليه معاهدة 1860 دون تحديد دقيق نعود الى التأكيد هنا بان التفاوض من الجانب الاسباني بدا على اساس مركز كان به ما يشبه برجا اسبانيا فيما مضى لم لم يبق من هذا البرج الا آثار سفلية تختفي عند مد الرمال وتتكشف عند جزرها . على ان مكان هذا المركز المحتمل حول اكويدير

(تصغير اكادير ، لانه مجرد حصن صغير) وهو يقع عند مدخل مضيق صغير حول منطقة خنيفيس فيما بين طرفاية وطنطان . وقد تعرفت بعثة من المعهد الجغرافي المغربي على هذا البرج أو بقاياه على الاصح في ابريل 1962 وهو مربع الاركان يبلغ عرض كل من جوانبه 30ر8 م وعرض جدرانه حوالي مترين، وكان الصعود الى اعلاه بواسطة سلم حجري ، ويبلغ ارتفاع البرج ما بين اربعة امتار وخمسة . وقد اقيم هذا البناء من الحجر الصلب المنحوت .

وقد كان اكتشاف المكان بمساهمة أستاذ فرنسي سابق بمعهد العلوم الاجتماعية هو بول باسكون Paul Pascon الذي ضمن نتائج ابحاثه دراسة صغيرة بعنوان « اطلال اكويدير خنيفيس » . وقد اعتقد هذا الاستاذ نظرا للاسم المصغر الذي اطلق على البرج « اكويدير » أنه يمكن ان يكون هناك حصنان او ان هذا الحصن الصغير اقيم مقام حصن كبير . والواقع ان لفظ التصغير اطلق على عدة ابراج من هذا النوع فلا مجال اذا للافتراض على هذا الاساس ، وانما البناء صغير فاخذ اسما مصغرا ؛ ومع هذا فلا مانع من قبول وجود حصنين في المنطقة، احدهما اكبر من هذا الذي نتحدث عنه .

ان المنطقة التي يوجد بها هذا الاثر لا تخلو من مزايا سياحية فضلا عن ثروتها السمكية التي اغرت الاسبان مدة بضعة قرون حتى شق عليهم بعد استقلال المغرب ان يتخلوا عن الصيد بها خصوصا وهي بعيدة عن مناطق التلوث . ومنذ معاهدة تطوان 1860 تهافت على المنطقة عدد كبير من السفن والتجار فيهم فرنسيون واسبان وبرتغال وانجليز وبلجيكيون . وبعضهم كالكومندان جونيس تعرف بالفعل على حصنين احدهما شمال فم اكويدير والثاني جنوبا .

فهل المكان الذي يوجد به برج « اكويدير » هو المقصود « بسانتا كروز لا بيكينيا » والذي اشارت اليه معاهدة تطوان ؟ هذا ما نعالجه فيما يلي :

قضية تحديد « سانتاكروز لا بيكينيا » ومضاعفاتها

بالرغم من ان المغرب قبل مكرها ، على اثر معاهدة تطوان ، التنازل عن مركز للصيد لاسبانيا ، فقد فضل التريث في تطبيق البند الثامن المتعلق بهذه القضية حيث عرض على الحكومة الاسبانية مبلغ ثلاثة ملايين ريال سنة 1862 كتعويض عن المركز المذكور حتى لا يضيع للمغرب مزيد من الاراضي المغتصبة . وقد رفضت اسبانيا هذا العرض ، وطالبت بتطبيق نص اتفاقية تطوان ، وحينئذ ، عرض المخزن على الحكومة الاسبانية اقامة مركز للصيد براس كبدانة الواقع في اتجاه الجزر الجعفرية التي اغتصبتها اسبانيا ايضا سنة 1848 .

ومرة اخرى رفضت الحكومة الاسبانية العرض الجديد متشبثة بتطبيق معاهدة تطوان ، وهكذا عينت لجنة مغربية اسبانية للتحقق من المكان الذي تطالب به اسبانيا ، وابحرت اللجنة من الصويرة سنة 1877 ثم بدات تحرياتها فيما بين اكادير وراس اخفنير دون ان تعثر على المركز القديم الذي كان به حصن ورد الحديث عنه سابقا . وكانت السلطة المغربية تؤكد ان الحصن يوجد فيما وراء راس اخفنير جنوبا بينما تؤكد السلطات الاسبانية انه يقع ابعد شمالا .

وفي سنة 1878 اوفدت لجنة ثانية على ظهر باخرة انطلقت من الصويرة . وبحث الوفد الاسباني بدقة حتى عثر على آثار حصن قديم بايفني فقرر ان هذا هو المركز البحري القديم الذي كان يستعمله الاسبان قديما ، وانتهزوا فرصة وجودهم في عين المكان ، وانتزعوا صك اعتراف من احد رؤساء القبائل المحلية بأن المكان المذكور هو الذي استعمله الاسبان سابقا ! واستصدروا من هذا الشخص تصريحا بالتنازل لهم عن جزء من المنطقة ليستغلوها ميناء تجاريا ، وكل هذا على مرأى ومسمع من ممثلي السلطة المركزية الذين لم يقبلوا بطبيعة الحال هذه الطريقة في التعامل بين دولتين .

وفي سنة 1297 / 1879 طالب الاسبان القاطنون في كناريا بتطبيق الاتفاقية بشأن سانتاكروز واحدثوا شغبا من اجل ذلك اشارت اليه الوثيقة المغربية الآتية :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أدام الله العز والنصر والتمكين والتأييد والفتح المبين لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين .

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، واداء ما يجب لمولانا من (التعظيم ؟) والتشريف ، ينهي

لكريم علم سيدنا أيده الله ونصره أن باشادور الصبنيول كتب له وزير (؟) يخبره بان جزر كلانيا المقابلة لوادي نون : كثر فيها الهرج واللغط على الدولة بسبب ال (؟) عن مكينسي النجليزي النازل هناك ; ويطلبون وفاء الشرط الثامن والدولة لم تدر ما تجيبهم لانها تحب المحافظة على محبة المغرب بجميع ما يمكنها . وان اراد سيدنا ايده الله قطع الشرط فيوجه أعزه الله من يتكلم معهم فى شان ذلك ليجدوا ما يجيبون به .

وذكر الباشادور المذكور انه تكلم مع خديم سيدنا : الحاج عبد الكريم بريشة . ليبلغ كلامه فى هذه القضية ، وانه لم يرد له جواب ; فيطلب التعجيل بما يظهر لسيادة مولانا اعزه الله ليعرفوا ما يجيبون (به ؟) للرعية ولاهل الجزر المشار اليها ، طالبا من مولانا رضاه والسلام .

في 9 رمضان المعظم عام 1297
خديم سيدنا اعزه الله محمد بركاش
لطف الله به

وتؤكد هذه الوثيقة :

1) أن الانجليز حاولوا بكل الوسائل الدبلوماسية ان يؤجلوا ما امكن تمكين الاسبان من مركز ساحلى فى الجنوب حيث كان « مكينسي » يتتبع تحركاتهم بهذا الصدد .

2) رغبة السلطان ومساعديه فى عدم الالتزام بشرط كان قبوله تحت الضغط والاكراه ; سيما والامر يتعلق بتنازل ترابي مهما تدنت قيمته .

وقد توصل محمد بركاش بجواب السلطان يخبره فيه أنه سيعين ممثلا عنه لمفاوضة السفير الاسباني بطنجة . ثم يستشيره فى تعيين بريشة . وقد حبذ بركاش تعيين بريشة على ان يفاوض وزارة الخارجية الاسبانية رأسا . اذا تعذر الاتفاق بينه وبين السفير الاسباني . وفيما يلي نص مراسلة بركاش الى القصر الملكي بهذا الشان :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ادام الله العز والنصر والتمكين ; والظفر والتأييد . والفتح المبين لسيدنا ومولانا امير المؤمنين . ابن سيدنا ومولانا امير المؤمنين .

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، واداء ما يجب من الاجلال والتشريف ينهي لكريم علم سيدنا أعزه الله انه وصلنا كتابه الشريف اسماه الله ، جوابا عما كتبنا لسيادته ادام الله علاه ، فى شأن الهرج الواقع بجزر كلانية بسبب مكينسي النجليزي ، وفى شأن قطع الشرط الثامن مع الصبنيول .

وذكر مولانا أيده الله ، انه فى الاثر ، يرد علينا من يتكلم فى قطعه مع الباشدور ، وامرني مولانا ايده الله ان نشير هل يوجه رجل آخر غير بريشة ; لكونه حديث عهد بالورود من هنالك ، او يوجه هو ولو كذلك .

فيعلم مولانا ادام الله علاه انه ظهر لي أن توجيه بريشة افضل لكونه له معرفة باناس بمدريد من جانب المخزن . وقد استشرت مع الباشدور فى شانه ، فاشار بان توجيهه أفضل . بحيث اذا لم يقع اتفاق بينه وبين الباشدور فى ذلك . فيتوجه بنفسه لمدريد ، ليقطع ذلك هناك . وهم فى ضيق كبير مع الرعية لكثرة الكلام فيهم فى الكوازيط (الجرائد) .

واطلعنا علم سيدنا اعزه الله بما ظهر لنا وما ظهر للباشدور ; ونظر سيدنا اوسع . طالبا من مولانا رضاه . والسلام .

في 26 شوال الابرك عام 1297

خديم سيدنا أعزه الله
محمد بركاش . لطف الله به

اما مكينسي المشار اليه فى هذه الوثيقة فهو شخص انجليزي كان يعمل لصالح الطرف البريطاني ويتظاهر بالنصح للحكومة المغربية . وكان يهم الحكومة البريطانية ان لا تحصل اسبانيا فى الجنوب على اية امتيازات تقرها الحكومة المغربية على الاقل .

ومنذ هذا التاريخ تكونت وفود عديدة وجرت مساع متواصلة بشأن التعرف على منطقة سانتاكروز دي مار بيكينيا . وهكذا ففي سنة 1301 / 1883 تكون وفدان مشتركان عن اسبانيا والمغرب للتعرف على المكان . وكان الوفد المغربي برئاسة مولاي احمد البلغيثي . والوفد الاسباني باشراف دون بيدرو دي الكستيليو . ولكن الباخرة التي طافت بسواحل السوس لم تتمكن من الرسو بمرسى « اكوديير الرجيلة » الواقع ببلاد تكنة ; والذي اكد الخبراء

المغاربة فيما بعد انه هو المكان الذي اتخذه الاسبان فيما قبل مركزا للصيد .

ويبدو ان السلطان الحسن الاول كان حريصا على ان لا يتمكن الاسبان بأية حال من الحصول على مركز في منطقة استراتيجية قد يدعون انه هو موضع بحثهم ولذلك كانت اوامره صارمة لوفد المغربي حيث يقول كاتبه الخاص على لسانه :

« ... واما ما طلبوه من انهم اذا عينوا محلا غير اكويدير الرجيلة تحوزوه لهم فبأمركم مولانا اعزه الله ان لا تساعدوهم عليه الا اذا كان أعلى من اكويدير المذكور لناحية الطرفايا حسبما أجبتموهم به . واما اذا كان أدنى منه لناحية اصاكا فلا » .

والحقيقة ان اسبانيا لم تعد تقبل ان تكون لها منطقة صغيرة ولا شبه جرداء كهذا الموقع الذي اثبت المغاربة انه هو الموضع الذي نصت معاهدة 1860 على التنازل عنه . ومن اجل ذلك كانت تتذرع بالحاح الصيادين الاسبان وارباب بواخر الصيد بالخالدات لتقوم بعمل عسكري حقيقي في منطقة الجنوب الغربي بما فيها الصحراء . وهذه رسالة كتبت باسم السلطان الى وزيره محمد بن العربي بن المختار ، وهي تثبت مدى تتبع المغرب بدقة ، لما كان يجري من تحركات معادية للسيادة المغربية :

« الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

سيدنا ، الفقيه الاجل الامجد ، وزير مولانا الارضى سيدي محمد بن العربي المختار ، حفظك الله وسلام الله عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا دامت سعادته ايده الله ونصره

وبعد ، فانهي لسيادتك ، ان يوم الخميس ورد مركب حربي اصبانيولي فيه كبير جزائر كنريه ، اخبرنا بعض الصبانيوليين هنا انه كان في قادس يتكلم مع وزير الامور الخارجية عندهم ، اما مشافهة أو في سلك التيلغراف عن هذه القضية ، وامضى معه ما يكون فيها ، كذا قيل ...

وهؤلاء سكان الكنرية مجدون في اتمام هذا الامر ولو بالحرب حسبما يظهر لنا من احوالهم ، بل قيل لنا انهم اراحوا دولتهم من هذه القضية والتزموا القيام بها بانفسهم وقوتهم ، رد الله كيدهم في نحرهم ، ووجب اعلام سيادتك بهذا ولو كان من فضول الكلام . وعلى الخدمة الشريفة والسلام .

في 11 رجب الفرد عام 1300

احمد بن عبد الله الصويري لطف الله به »

واحمد الصويري هذا كان كبير المهندسين وقائد المدفعية (الطبجية)

ولما كانت اسبانيا قد يئست من احتلال اكادير التي ادعت في بعض الفترات انها المقصودة بسانتاكروز دي مار بيكينيا ، فقد تحولت الى المطالبة بايفني عوضها لان المانيا أبدت معارضتها ايضا للوجود الاسباني في اكادير . غير انها لم تحظ في النهاية بشيء من مولاي الحسن . وما كاد السلطان مولاي عبد الحفيظ يستقر بعاصمة ملكه حتى كانت الاحوال قد بلغت من التردي مبلغا خطيرا بالشمال والجنوب فقد احتلت القوات الاسبانية العرائش والقصر الكبير، وظلت في الوقت ذاته تطالب « دبلوماسيا » بايفني ، فرفض السلطان بشدة موقف اسبانيا وأعلن استنكاره امام الدول الاوربية التي تملصت من الامر باعتبار انه يهم الجانب المغربي والاسباني لا غير . وجاء في رسالة باسم السلطان مولاي عبد الحفيظ الى نائبه محمد الجباص ، بطنجة :

« ... لا احد من الناس مطلقا تسمح همته بالسكوت عن الكلام في حقوقه وتركها لحيز الضياع والاهمال ، او تساعده قواعد الانسانية على تحمل الاعتداءات التي يحسبها فاعلها حقوقا »

وكل هذه الاجراءات الدبلوماسية كانت تجري في الوقت الذي يمارس فيها الاسبان الصيد فعلا بسانتا كروز دي ما بيكينيا من زمن بعيد ولكنهم كانوا يبحثون في الواقع عن مركز اكثر امنا على ما كانوا يظنون . فان سكان الصحراء الغربية والسواحل السوسية لم يسلموا قط شبرا من تراب بلادهم على الرغم من بعض الخيانات الفردية التي لم تكن تجدي نفعا امام المواجهة الوطنية الصارمة والموقف الحكومي الصلب .

وقد عرض السلطان الحسن الاول على الحكومة الاسبانية ابتداء من سنة 1831 ان تؤدي حكومته تعويضات لاسبانيا لتنسحب نهائيا من ميناء

سانتاكروز (دي مار بيكينيا) ، وتجدد هذا العرض عدة مرات مع تأكيد الملك المغربي حق بلاده في السيادة على ترابها المغتصب (1) .

وقد تلقى الحسن الاول عرضا من بريطانيا سنة 1871 بفتح ميناء جديد باكادير (2) ثم تجدد نفس العرض في سنوات 1874 ، 1876 ، 1878 ، 1879 .

وفي سنة 1881 قبل المغرب افتتاح هذا الميناء الذي عرف المخزن كيف يستغله تجاريا وعسكريا . وكان على مولاي الحسن ان يقبل عرضا جديدا لفتح ميناء ابعد جنوبا على شاطىء الاطلس حتى يؤكد سيادته على الاجزاء النائية من البلاد والتي هي موضع اطماع بعض الدول الاجنبية . وكان هذا العرض مرة اخرى من بريطانيا . وقد راى مولاي الحسن ان يستغل هذا التنافس خصوصا بين بريطانيا وفرنسا لضمان سيادته على الاجزاء المذكورة ، حيث تتعذر المواصلات ولا يجد السكان وسيلة ملائمة للتبادل التجاري في عين المكان . وكان الميناء الجديد هو (اساكا) على وادي آقشاكا الفاصل بين منطقتي سوس ونون . ولكن الواقع ان كل من ميناءي اكادير واساكا كان عليهما أن يؤديا قبل كل شيء مهمات عسكرية من شأنها مراقبة تحركات السفن الاجنبية والعناصر الداخلية التي يمكن أن تخضع لتهديد او اغراء الاجانب . ولحسن الحظ لم تكن هناك حاجة في الواقع لحملات داخلية لان الزعماء الشعبيين تسارعوا الى اعلان ولائهم للسلطان تلقائيا،سنة 1882 بل اكدوا رغبتهم في صد كل هجوم خارجي محتمل . ثم كانت الحركة الثانية سنة 1886 والتي سار فيها السلطان الحسن الاول على راس جيش يبلغ اربعين ألف مقاتل (3) .

ولقد سارت هذه القوة نحو تزنيت دون ان يكون هناك اي اعتراض لها ، وكان لها اثر معنوي لا في اقرار هيبة السلطان في سوس وما وراء سوس فحسب ، بل حيال الدول الاوربية التي يراقب ممثلوها في الصويرة كل شاذة وفاذة في تطورات السياسة المغربية ايضا . وهكذا احدث السلطان مراكز حراسة عسكرية في كل من تزنيت واساكا وكوليمين وقصبة باعمران ، ووضع بذلك حدا لاطماع الدول الاوربية لامد طويل ، ذلك لان اسبانيا كانت تدعي أن مركز الصيد الذي كانت تريد استعادته يقع بقرب اكادير . ومن ثم بدات مطالبها تتخذ صورة الجشع الى تملك اكادير التي طالبت بها رسميا سنة 1877 . وبعد ان استنفذ السلطان الحسن الاول جهوده الدبلوماسية معلنا منذ سنة 1880 انه يؤكد سيادته على الاراضي الجنوبية الغربية لجا الى الاستعداد للطوارىء كما مر .

اما ما حصل في منطقة الصحراء الغربية في هذه الفترة وبعدها الى اقرار الحماية الاسبانية تقريبا فقد تمسكت بسيادة السلطان المغربي واعلنت ولاءها على لسان زعمائها لا سيما ماء العينين وابنه احمد الهيبة الذي جاهد الفرنسيين والاسبان معا حتى وفاته عام 1910 ، بينما لم يتمكن الاسبان من احتلال ايفني الا سنة 1934 بعد نضال مستميت ابداه سكان المنطقة الذين بعد صمودهم هذا مثالا للبسالة والوطنية ، والذي يتفق تماما مع الموقف الرسمي والوطني للدولة .

---

(1) Miège, le Maroc et l'Europe, 3, 344-345.

(2) نفس المصدر ، ص 346 .

(3) نفس المصدر ، ص 353 .

لسنا في حاجة إلى استيراد نظريات

« يقول أهل الاجتهاد ان الفقه ينقل ولا يتعقل ، أنا أقو ل- **وهذه نظرية** شخصية - ان الفقه ينقل ويتعقل ، فاذا كانت هناك **ديانة سماوية تتحاشى** النقل بل وتتحاشى أن تورث عقيدتها كما يرث الابن دار **أبيه فهي الديانـة** الاسلامية ، انها ديانة بلا اسرار ومن أجل ذلك فهي **تتطلب من معتنقيها جهدا** يوميا للبحث ، والذين يقولون ان في العقيدة الاسلامية ثغرات هم الذين يجهلون أعماق الفلسفة الاسلامية ، فالاسلام ليس الصلاة والصوم واغتسال ولا حـج بيت الله فقط بل هو كما قال النبي **«الدين المعاملة»** ، ولم يقل **«الدين العبادة»** والمعاملة لا تعني هنا المعاملات والعلاقات بين الافراد من بيع وشراء وما الى ذلك ، بل تعني المعاملات التي نسميها الآن بالتعريف العصرى « المعامــلات العامة » أى واجبات المجتمع نحو الفرد وواجبات الفرد نحو الجماعة انه مـا نسميه « القانون العام » ولذلك قلت وأكرر القول بأن الدول العربية غيــر محتاجة لاستيراد فلسفات ، ولا الى وضع نظريات ثالثة أو رابعة أو خامسة، ان حاجتها تنحصر في تطوير العقاقير.. في ابتكار أصناف جديدة لها، في تجديد وتغيير أساليب استعمالها حسب الحاجة وعلى ضوء التجربة وتطور أساليب الكشف عن الامراض ، وكما قلت ان الديانة الاسلامية هي من أسهل وأصعب الديانات في وقت واحد ، انها تتطلب جهدا يوميا مستمرا للبحث ، لقد قال الله في كتابه : **« ما جعل عليكم في الدين من حرج »** ، وقال النبي (ص) **«الدين يسر وليس بعسر»** وقال أيضا : **« لن يحاج هذا الدين أحد الا غلبـه »** ، ان باب السؤال ، وباب المناقشة ، وباب البحث مفتوحة في الاسلام ، هناك بعـض الاسئلة يحرم طرحها عند المسيحيين واليهود ، ولا يمكن أن يطرحها ويناقش فيها الا رجال الدين ، ومن هنا قلت ليس في االاسلام أسرار ، وانه يحتاج الى جهد وارهاق ... ولكنه ارهاق حلو لا ارهاق مر ، لانه ارهاق العالم الباحث الذى يجهد فكره يوميا .. »

جلالـة الملك
الحسن الثاني

كانت اعظم شريط حي شاهدته البشرية في القرن العشرين .. اخرجه الملك الحسن الثاني من أعماق التاريخ الاسلامي ، واروع بحث سوسيولوجي ميداني قام به لابراز خصائص المجتمع المغربي .

وكانت ثورة تحريرية شعبية ، اسلامية الفكر والعقيدة والقيم والشعارات ، أعادت الصحراء الى المغرب وموريطانيا قبل ان يعود متطوعوها الى بيوتهم .

خصائص ظاهرة الإستمرار

في المجتمع الاسلامي المغربي من خلال المسيرة الخضراء

للدكتور ادريس الكتاني

من بين الموضوعات التي تنال اهتماما بالغا لدى المفكرين والباحثين الغربيين ، ولا نستثني منهم السياسيين المتخصصين في شؤون العالم العربي والاسلامي ، ظاهرة استمرار وتغلغل الفكر الاسلامي

التحرري الثوري في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، شرقا وغربا ، رغم مرور أربعة عشر قرنا على ظهور الاسلام ، ورغم الحروب والمواجهات التاريخية الكبرى التي مرت في حياته ، ورغم الحملات الصليبية

والاستعمارية والشيوعية والصهيونية ، ورغم الغزو الثقافي والايديولوجي والاقتصادي والحضاري المعاصر، رغم ذلك كله ، ترفع المجتمعات والاقليات الاسلامية راسها عاليا حيثما وجدت، بعد استعمار طويل او قصير، في القارات الكبرى او في الجزر الصغيرة المنعزلة في المحيطات ، لتطالب بالحرية والوحدة والاستقلال ، باسم الاسلام ! .

وأمام هذه الظاهرة ، « ظاهرة الاستمرار » في الحضارة الاسلامية ، — ولم يعرف تاريخ العالم المتغير استمرارا لحضارة اخرى في الزمن ، وفي العقيدة ، وفي الثقافة واللغة والفكر ، وفي القيم الانسانية، مثل حضارة الاسلام — يتساءل الباحثون الغربيون ، ويسالون علماء الاجتماع المسلمين (1) ، عن ماهية خصائص هذه الظاهرة ؟ .

كيف استطاع المجتمع الاسلامي أن يثبت أمام الزلازل والاعاصير كل هذه القرون ؟

ما هو الاصيل الثابت الذي لا يتغير ؟

وما هو القابل للتغير في الحضارة الاسلامية ؟

وهل الدعوة للمعاصرة (اي للانسياق مع تيار تغيير كل شيء ، حتى العقيدة والقيم واللغة والثقافة) تستطيع اذابة عناصر الاصالة في هذه الحضارة وامتصاصها ؟

للاجابة على هذه الاسئلة — التي تتطلب تخصصا في الفكر الاسلامي وعلم الاجتماع — قام جلالة الملك الحسن الثاني باعظم وأروع بحث ميداني سوسيولوجي تم حتى اليوم ، لا على ساحة بيئة ، او طبقةاجتماعية، أو قرية ، أو منطقة جغرافية معينة ، ولكن على ساحة مجتمع كامل ودولة .

ان تحرير الصحراء المغربية بأسلوب « المسيرة الخضراء » ، كان تحديا سليما صارخا للاستعمار الاسباني، اقدم عليه جلالة الملك ، في مغامرة فريدة في التاريخ ، واضعا ثلاثمائة وخمسين الف مواطن ومواطنة من شعبه الغيور المخلص ، في مواجهة جيش مدجج بالاسلحة ، تعود الشعب المغربي ان يواجهه منذ الف عام بالايمان والسلاح ، فكيف يواجهه اليوم بالايمان دون سلاح ، في عصر كفر بالايمان ، وتعبد بالقوة والسلاح ؟ .

ان تحرير الصحراء ، كان يعتمد ولا شك على النتائج الايجابية لعمليات هذا البحث الميداني في نظر الملك الحسن الثاني ، فقد قررت اسبانيا منح الصحراء المغربية المحتلة من طرفها استقلالا مزيفا، تسنده معنويا، وتستغله سياسيا واقتصاديا حكومة الجزائر ، وأصبح المغرب مهددا بالحصار الجغرافي والعسكري، والتطويق السياسي والاقتصادي ، فما هي الوسيلة للخروج من هذا المازق ؟ .

كان من راى بعض الهيئات السياسية ذات الفكر التقدمي الثوري ، طبق النمط اليساري ، الالتجاء الى حرب التحرير الشعبية بالاعتماد على نحو 30.000 فدائي يتسللون الى قلب الصحراء ، هو الوسيلة الوحيدة لتحرير الصحراء ، ونسي هؤلاء ، أن مثل هذه الحرب في أرض عارية كالصحراء ، لا شجر فيها ولا ماء ، في مواجهة دولتين عسكريتين ، احداهما مارست حرب التحرير الشعبية ثمان سنوات ، سوف تصبح حرب استنزاف للمغرب ، قبل ان يتمكن من غلبة دولتي المواجهة ، وارجاع الصحراء للوطن الام .

هذا الحل ، كان آخر حل يمكن الالتجاء اليه ، لو لم تكن الجزائر قد أصبحت طرفا في النزاع ، ليس لان المغرب لا يتقن « حرب العصابات الشعبية » ، فالكل يعلم أن المغرب كان أول من استعمل هذه الحرب بنجاح، ضد الاستعمار الاسباني نفسه ، خلال الثورة الريفية ، ومنه انتقلت الى الشعوب المستعمرة الاخرى ، ولكن فقط لاختلاف ظروف المكان والمواجهة ، ان حلول المشاكل والازمات التي تواجهها الدول النامية يجب أن تنبع من ذاتها وطاقاتها وحضارتها ، وهذا ما كان يوحي به جلالة الملك الحسن الثاني بالنسبة لمشكل تحرير الصحراء .

وفي مساء ذلك اليوم (الخميس 11 شوال 1395 — 16 اكتوبر 1975) كان الشعب المغربي على موعد مع ملكه لسماع الحل المقترح لتحرير الصحراء ، واعلن جلالته قرار المسيرة الخضراء ، وعمت الشعب موجة من الارتياح والحماس ، كانت فرحتي يومئذ تفوق

---

(1) منذ سنوات نظمت البعثة الثقافية الالمانية بالمغرب ندوة بفاس دعت لها لفيفا من اساتذة التاريخ والاجتماع الجامعيين لمناقشة هذه الظاهرة بالـذات .

الوصف ، ولا تعادلها الا فرحة اعلان الاستقلال ، قبل عشرين عاما . وجاءت (المسيرة الخضراء) لتفاجىء العالم بحدث فريد في التاريخ ، وفي تاريخ حركات تحرير الشعوب في القرن العشرين .

350.000 مواطن متطوع ، عشرهم من النساء ، كعينة مختارة عشوائية ، من بين ثمانية عشر مليونا من السكان ، بنسب تمثيلية متعادلة تقريبا ، لسكان ثلاثين اقليما جغرافيا بالمملكة ، ينوبون عنهم ويمثلونهم في أكبر زحف سلمي ، مشيا على الاقدام ، لتحرير الصحراء .

هل سيلبون نداء الملك للتطوع ؟
هل سيسيرون فعلا نحو الصحراء ؟
هل ستستطيع مؤسسات الدولة نقلهم، وتموينهم، وتخييمهم ، وتنظيمهم ، ورعاية صحتهم ، وضمان أمنهم ؟؟

هل سيتحملون مصاعب السفر الطويل والسير والزحف ؟

هل سيتحملون قساوة الصحراء ولدغات العقارب والافاعي ؟

هل سيصمدون للتهديدات الاسبانية ، وحملات التخويف والتثبيط الجزائرية ؟؟

هل سيحمي الشعب ظهرهم ، ويخرج قاطبة لوداعهم ؟

هل ستتحقق النتائج المرجوة من (المسيرة الخضراء) ؟ .

تلك بعض الاسئلة التي كان يضعها المفكرون السياسيون والاجتماعيون الغربيون على أنفسهم ، في شك كبير من أجوبتها الايجابية أحيانا ، وفي سخرية ممزوجة بالشفقة أحيانا أخرى ، وكان لا بد من أن تجرى عملية « المسيرة الخضراء » لينجز المغرب أكبر دراسة ميدانية (سوسيولوجية) في تاريخ البحوث الاجتماعية ، وليجيب عن هذه الاسئلة بالافعال لا بالاقوال .

رد الفعل الغربي :

كان رد الفعل الغربي من اصحاب اليسار واليمين بعد الاعلان عن المسيرة ، مليئا بالسخرية والشفقة ، وانطلاقا من مقاييس الفكر والحضارة الغربيين ، وامكانيات المجتمع الاستهلاكي العجوز ، الخاضع لحكم المادة ، فان التفكير في مسيرة بهذا الحجم ، تدخل الصحراء مشيا على الاقدام ، عزلا، الا من سلاح الايمان، اذا لم يكن على سبيل الفكاهة والاسطورة ، فهو لا شك ضرب من الهوس او التهور .

لنستمع ، على سبيل المثال ، الى المهندس الفرنسي جان بول ايشتر المقيم بمدينة فاس ، يخاطب الرأي العام الفرنسي بواسطة صحيفة « لومند » في محاولة لتصحيح نظرة الغرب الخاطئة ، ومقاييسه الفاسدة ، عندما يتعلق الامر بشعوب تختلف عنه حضارة وقيما ودينا :

« ... ان هذه الاحزاب،خصوصا احزاب المعارضة، الا تعطي درسا رائعا عن نضجها ، وذلك بانضمامها الجماعي الى حملة استرجاع الصحراء ؟ ، لا شك ان هذه المواقف ستزعزع شيئا ما التخطيطات الجاهزة لليمين واليسار ، والتي يستمر اليسار الفرنسي في حصر فكره داخلها ، حيث يتضح انه لم يعد يملك استيعابا كبيرا لهذا العالم الثالث ، الذي يفسد تلك المعايير التي يعتقدها اليسار شمولية . فهل لا يدل ذلك على وجود رواسب غير واعية عنده من العقلية الاستعمارية ؟

ويظهر بالتالي أن المجهود الذي يقوم به المغرب لاستعادة الصحراء التي يعتبرها سائر المغاربة جزءا من التراب المغربي ، بثرواتها الهائلة والحيوية ، هذا المجهود لا يدخل بدوره ضمن تلك التخطيطات ، « فكيف يحدث ان يكون الحق الى جانبه حكم ملكي ؟ ، وكيف يحدث أن تحصل سياسة ملكية على مساندة شعبية ؟ »

ويبدو مسبقا أنّ هذا الامر «مستحيل» فيّ منطقتكم، ولذا فانكم ستلجأون الى سائر « الحجج » لاثبات كون هذه المساندة « مزيفة » و « مختلقة » ! . عودوا الى صوابكم ، فالامر يتعلق حقيقة بحركة تاييد حر ، ولن تتمكن بعض التفاهات – التي قد تكتشف – من تكذيبه.

هذه المسيرة السلمية ستبدو غير متلاحمة بالنسبة لتخطيطاتكم « التي لا تفهم » ، والتي تشمل حوالي نصف مليون من الرجال والنساء ، والتي ستنطلق نحو جزء من التراب المغتصب ، وستبدو التعبئة العامة « غير متلاحمة ومتهورة » ، ونفس الاحكام ستصدرونها حول اعداد كل التجهيزات والناقلات والاطباء والاطر والادوية

والتموين والخيام . وستبدو لكم « متهورة » . وتؤدى الى شلل شبه تام للاقتصاد . ولكنكم تتناسون ذلك الحماس الذى افتقدته اوربا العجوز منذ امد طويل . والذى يستحيل عليها الآن مجرد التفكير فيه (1) » .

هذا النموذج ، لرد الفعل الغربي ، وقد جاء على لسان غربي يقيم في المغرب ، كان ايضا موقف بعض السياسيين المستلبين المغاربة ، الذين يتبجحون بشعار التقدمية والمعاصرة ، وينشرون الكراهية والعداء للتراث العربي والحضارة الاسلامية ، وهو يظهر مدى الخطورة والمغامرة في الاقدام على عملية من حجم « المسيرة الخضراء » ، لو فشلت لا قدر الله .

في بعض المراحل التاريخية للشعوب ، يحدث اغتصاب الحكم ، ولا يكون رئيس الدولة في مستوى الدولة ، وتلك حالات استثنائية ، اما القانون الاجتماعي العام ، للتطور العادى للحكم ، فهو ما عبر عنه الحديث النبوى : « كما تكونون يولى عليكم » ، وهكذا كانت اصالة الملك الحسن الثاني كرئيس دولة اسلامية عريقة في الحضارة والسيادة والحكم ، مثلا حيا منبثقا من اصالة الشعب المغربي ، كان خبيرا بخصائص مجتمعه الاسلامي ، واثقا من طاقاته الدينية والخلقية والوطنية، وقدرته على تحمل مسؤولياته كاملة في معركة تحرير الصحراء ، وكان هو الرئيس المحنك ، والقائد الشجاع لهذه الدولة الفتية التى لم تتغلب فيها المعاصرة على الاصالة ، والرائد الحكيم الذى يتمتع بشخصية قوية وفذة ، تتميز بعمق التفكير ، وحسن التقرير ، ورحابة الصدر ، والقدرة العجيبة على اجتياز أصعب الجسور ، وأخطر الازمات .

كانت المسيرة اذن تجربة سوسيولوجية فذة في تاريخ البحث المنهجي الميداني ، لاستكشاف خصائص المجتمع الاسلامي المغربي ، وخاصة منها تلك التي تتصف بالاستمرار او التغير ، وتحديد مدى فعاليتها في التحرير والتطور ، ليس فقط لاستغلالها في وضع تخطيطات البناء والتنمية في المستقبل ، ولكن أيضا لاثراء علم خصائص الشعوب L'Ethnologie بنتائج هذه الدراسة ، وتزويد علم الاجتماع المغربي والاسلامي بنماذج تطبيقية ، لميزات المجتمع المغربي وخصائصه ، وتحديد العناصر الاساسية في بنية شخصيته الوطنية.

واذا كانت (المسيرة الخضراء) لم تدرس حتى الآن من الوجهة الاجتماعية (السوسيولوجية) ، فاننا سنحاول في هذا البحث الصغير ، أن نحلل جانبا من معطيات هذه التجربة ، يتصل بتحديد بعض الخصائص البارزة في ظاهرة الاستمرار التي اشرنا اليها آنفا . منها ما يتعلق بالعقيدة والقيم . ومنها ما يندرج في نماذج السلوك ، ونشير اليها باختصار فيما يلى :

1 ـ التطوع للجهاد وتحرير الارض :

من خصائص المجتمع الاسلامي التي كونها وركاها الاسلام كعنصر رئيسي في بناء قيمه ، مبدأ التطوع للجهاد وتحرير الارض الاسلامية ، وخاصة عندما توجه الدعوة للتطوع من الخليفة أو السلطان أو القائد الحاكم. وقد برهن المجتمع المغربي على انه لا يزال يحتضن في اعماقه قيمة الايمان بهذا المبدأ ، والرغبة الجامعة في ممارسته كسلوك ، رغم مرور عدة قرون لم يمارس أثناءها هذا النوع من السلوك الا في فترات متقطعة من التاريخ . وجاء النداء الملكي للتطوع في المسيرة يوم 16 اكتوبر 1975 ، وكان واضحا للشعب أن المسيرة السلمية الى الصحراء لم تكن عبارة عن نزهة مريحة وقصيرة، كل متطوع ومتطوعة كان يعلم سلفا أنه مقدم على معركة شاقة لا يحمل فيها سلاحا ، وقد لا يعود منها الى بيته ، والنداء الملكي حذر فعلا من امكانية حدوث مواجهة مع العدو ، ولكنه عاد فذكر بأن الشعب المغربي الذى تعود أن يواجه رصاص المستعمرين بصدره في عهد الحماية ، لا يزال هو نفس الشعب ، بنفس العزيمة والايمان والتضحية ، وقد أقدم المواطنون والمواطنات فعلا على التطوع بايمان وحماس ورغبة جامحة يعجز القلم عن وصفها ، انها فرصة العمر ان يتطوع المرء للجهاد ، ولم يمض أسبوعان على فتح أبواب التطوع حتى فاق عدد المسجلين مليون نسمة ، رجالا ونساء وشبابا ، ولم ينقطع سيل المتطوعين الذين يقفون في صفوف طويلة ينتظرون التسجيل . ولم يكن في الامكان قبول اكثر من 350.000 متطوع ، فعلى أى شيء يدل هذا الاقبال المنقطع النظير ؟ ، هذا زوج يودع زوجته وأولاده ، وهذه أم تصر على الذهاب تاركة اولادها الصغار لجدتهم ، وهذا طالب يضحي بدروسه .

---

(1) جريدة « العلم » بتاريخ 28 اكتوبر 1975 .

« ... ان هذه المعركة او درس المسيرة ، يقول الملك الحسن الثاني ، لم تستغرق الا شهرا واحدا ، لكن هذا الشهر ، بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، جعل كل هذا الشعب ، وكأنه اعطى حقنة مليئة دفعة واحدة ، بالوطنية والوعي ، والمسؤولية ، وحتى الذين لم يشاركوا في المسيرة ، كانوا سائرين أكثر من السائرين ، فحتى الاطفال الفتيان ، حتى الذين كانوا لا يعرفون أين تقع مدينة العيون ، أو الساقية الحمراء ، صاروا يرددونها صباح مساء .. (1) » .

« لقد كانت مسيرة فتح الخضراء ، يقول أحد المتطوعين فيها ، ملحمة كبرى ستبقى على مر الازمان عبرة ونبراسا يستنير به الجيل الصاعد ، ودرسا للمستعمر الذى يعتقد أنه بفضل قوته سيبقى جاثما على أرض ليست في ملكه (2) » .

ان مظاهر الحماس التي أبداها الشعب المغربي قاطبة لتلبية النداء الملكي للتطوع في المسيرة الخضراء ، وخاصة اثناء وداع كتائب المدن والاقاليم المغربية، وهي تغادر مراكز تجمعها ، أو تركب القطارات ، أو مئات الشاحنات ، لهي شيء يفوق الوصف ، ويجعل القلم عاجزا عن التعبير عنه ، وأقل دلالاته الاجتماعية ان المجتمع المغربي لا يزال - كما كان اجداده في كل العصور - مستعدا لتلبية نداء ملوكه وقادته لخوض معركة لاعلاء كلمة الله ، والدفاع عن مقدسات البلاد ، وحريتها واستقلالها ووحدتها ، وتحرير كل أرض اسلامية من سيطرة الكفر والاستعمار والصهيونية مهما بعدت ، ومهما كلفت من تضحيات .

ولقد شاهد الشعب المغربي على الشاشة الصغيرة، يوم اخترقت جموع المتطوعين حدود الصحراء الوهمية ، منظر عجوز بدوية بين الستين والسبعين ، كانت تسير مع السائرين بخطى قوية وسريعة ، وفجأة وقفت لتكبر وتصلي شكرا لله ، بعد أن اخترقت حدود الصحراء المحتلة ، وكان المشاة وهم يسرعون الخطى ، يصطدمون بها يمينا وشمالا ، وهي تركع أو تسجد ، دون أن ينتبه احد لها ، ولم تكن هي أيضا تشعر بوجودهم ، أو تهتم باندفاعهم واحتكاكهم بها ، كانت مندمجة بوجدانها ومشاعرها في صلاتها ؛ في تلك اللحظة احست العجوز بأنها وطئت فعلا صحراء آبائها وأجدادها ، وانها حققت أمنيتها مع مواطنيها في تحريرها من حكم النصارى ، كانت فرحتها غامرة ، عظيمة ، ومن يدرى ، لعلها كانت أسعد لحظة في حياتها الفكرية ، فوقفت تصلي شكرا لله ، صلاتك سيدتي ، - علقت جريدة العلم - انها صلاتنا جميعا نحن المغاربة .

من علم هذه البدوية العجوز قيمة حب الوطن ، وقيمة التضحية من أجل تحريره ووحدته ؟؟ ، وهي لم تدخل مدرسة ، ولم تقرأ كتابا ، ولم تشاهد شريطا في سينما أو تلفزيون ، ولم تنتم الى حزب سياسي ، ولا تعلم شيئا عن فوسفاط الصحراء ، ولا تنتظر نفعا ماديا يعود عليها من أرض الصحراء ؟ ! .

من علمها قيمة الشعور بالمسؤولية ، وقيمة الاستجابة لنداء أمير المومنين ، وقيمة التطوع في المسيرة الخضراء ، وقيمة الصلاة شكرا لله ؟؟ .

انها قيم الحضارة الاسلامية التي يندهش الباحثون الغربيون لثباتها واستمرارها خلال الاجيال والقرون ، دون أن تتوقف أو تضعف أو تتغير ، رغم عصور الضعف والانحلال ، ورغم انتشار الامية والجهل، ورغم معاول الاستعمار والغزو الفكرى ! .

واليوم تاتي المدرسة المتفرنسة ، ومناهج التعليم المحشوة بالافكار الالحادية ، والمطعمة بالنظريات الماركسية ، لتهدم هذه القيم عند أجيالنا الناشئة ، باسم التقدمية والمعاصرة ، ويتعلم حفيد هذه البدوية العجوز في (دروس الفلسفة) السخرية بالدين والقيم الخلقية والدينية ، وان الدين هو مجرد صنف من أصناف التفكير ، وان الفكر الديني ليس الا امتدادا للفكر السحرى الاسطورى ، وانه « يتحمل تبعات شقاء الانسان وضياعه ، وتعرضه للاستغلال ، وتهيئته لقبوله والرضى به ، وكلنا نذكر تلك القولة التي أطلقها ماركس صارخة مدوية : « الدين أفيون الشعوب » .

بهذه الاساليب الماكرة يحاول اعداء المغرب تجريد الاجيال المغربية الصاعدة من قيمها الاصيلة ، وطاقاتها التحريرية ، لتصبح معاول هدم وتخريب في يد القوى الاستعمارية الاجنبية ، **« ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين »** .

(يتبع)

(1) من الخطاب الملكي يوم 6 نونبر 1976 بمناسبة ذكرى المسيرة الذى أصبح عيدا رسميا .

(2) السيد المرابط من الدار البيضاء « العلم » 5 نونبر 1975 .

ملامح من أدب عيد العرش

للدكتور عباس الجراري

انبثقت فكرة الاحتفال بعيد العرش عن المؤتمر الثالث لطلبة شمال افريقيا المسلمين الذى انعقد سنة 1933 ، حيث تقررت المطالبة بالاحتفال به ، وتاسست على اثر ذلك في فاس والرباط ومراكش لجان للتخابر بهذا الشان مع سلطة الحماية. وكان ان احتفل الشعب فعلا بعيد العرش في هذه السنة ، ولكن بشكل رمزى ، اذ لم يكتس الاحتفال صبغة رسمية الا في السنة التالية (1934) . وكان صعبا على حكومة الحماية أن تمنع مثل هذه المظاهرة ، ولكنها لا شك فوجئت بها وبما صاحبها من مد وطني كبير .

واذا كان متعذرا علينا أن نحدد الظروف المباشرة التي اوحت باقامة ذكرى العرش ، فاننا نستطيع أن نتصور الاطار العام لتلك الظروف . ولعلنا لا ننسى أن المقاومة الشعبية المسلحة استمرت في مناطق كثيرة للتعبير عن الموقف من الحماية. وبمجرد أن هدات هذه المقاومة بدأ العمل السياسي. وكان حادث الظهير البربرى سنة 1930 بداية مرحلة جديدة ظهر معها وعى متطور أتاح الفرصة لالتحام العملين السياسي والثقافي . وهو الالتحام الذى انطلقت منه الحركة الوطنية . وعن هذا كله نتج احساس قوى بالذات ادى الى ضرورة الالتفاف حول العرش باعتباره رمز الكيان الوطني .

ويمكننا ان نستشف ملامح هذا الشعور في الخطبة التي القاها جلالة الحسن الثاني سنة 1945 — وهو يومئذ ولي العهد — في تهنئة والده المغفور له محمد الخامس بذكرى الجلوس على العرش . وكانت العادة أن يلقي في كل مرة خطبة يهيء فيها والده بالمناسبة . فقد جاءت في هذه الخطبة فقرة علل فيها للاحتفال حيث قال : « ... ناتي هنا لناخذ حظا وافرا من مظاهرتين عظيمتين : أولاهما حنو عاهل البلاد على أفراد أمته يبذل لهم النصائح ويرشدهم بنفسه قولا وعملا الى أحسن السبل متمسكا في كل ذلك بحبل الله المتين مقويا تلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها من الاخوة الصافية التي ينبغي أن تتصل بين المومنين والتواصي بالحق والصبر الذي أمرنا به رب العالمين . والثانية محبة امة مسلمة مؤمنة تحيط بملكنا المفدى احاطة النحل باليعسوب تطيعه في أوامره وتتسارع الى مرضاته ، تبذل له ما يجب من أكيد الولاء وتؤازره في ثابت الوفاء ليتم بفضل الله هيكل الوحدة الاسلامية والحضارة المغربية في رفاهية تكسو كل نواحي البلاد وسعادة تتمتع بها سائر طبقات العباد » .

— *** —

والحقيقة أن عيد العرش بهذا الاعتبار وبهذا البعد وبالحصانة التي كانت تحيط به ، أصبح — بالنسبة لجميع المغاربة — الفرصة التي تتيح لهم التعبير عن مشاعرهم الوطنية ، لا سيما وأن عهد الحماية كان لا يبيح مثل هذا التعبير .

واستمر هذا الروح حتى بعد الاستقلال ، بل غدا التعبير منطلقا دون قيود بحكم جو الحرية الذي بدا يتنفس في المغاربة . وأصبحت المناسبة لا تقتضي تناول قضايا الحرية والاستقلال ، ولكن غدت فرصة للتجاوب مع المنجزات وللتعبير عن التطلعات ولطرح مختلف القضايا الوطنية وعلى مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

ونحن حين ننظر في الادب الذى صدر مرتبطا بالعرش منذ ظهر هذا الادب الى الآن ، فاننا نستطيع تناوله من خلال ثلاثة أصناف :

أولا : الخطب السلطانية

وعندنا أنها مرت في عهد الحماية بمرحلتين :

الاولى : المطالبة بتحقيق بعض الاصلاحات ، ولاسيما فيما يتصل بالمجالات الحيوية في الامة ، وخاصة التعليم الذى كان يكتسي صبغة الالحاح والاستعجال . ويكفي للدلالة على روح هذه المرحلة أن نشير الى الخطبة التي القاها جلالة المغفور له محمد الخامس في ذكرى الجلوس سنة 1943 ، والتي ادارها حول العلم وضرورة طلبه باعتباره فريضة على كل مسلم . فقد ورد في هذه الخطبة قوله بان المغرب « ... يفتقر قبل كل شيء الى رجال العمل المنتج ولا يكون أولائك الرجال الا العلم ... لذلك جعلنا اساس النهوض بالبلاد والجد وراء مصلحة العباد الاعتناء بمعاهد العلم واثمارها حتى يدنو قطوفها ، ولا وسيلة بدون العلم لسعادة بني الانسان ولا ذخر كالعلم يجمل به الفرد والامم مدى الحقب والازمان . خطا المغرب بفضل الله خطوات حميدة في هذا السبيل فأصلح الموجود من معاهد العلم قدر الامكان وأسست مدارس جديدة يتنور فيها الشبان ، فاقبل شباب المغرب في جمع متزايد على حياض العلم وصار يبشر بما يملا القلب سرورا ويثلج للمؤمنين صدورا . الا ان ذلك لا يكمل الا اذا حصلنا على اصلاح كل أفراد الامة لنخرج مما كان يحيط بنا من الظلمات المدلهمة ، فان الامة كالجسر لا يمكن اصلاح نصفها مع بقاء النصف الآخر ناقصا أو عليلا . فلا صلاح الا بصلاح جميع اعضائها ، لذلك تنبهنا لتربية بناتنا لرتق حالة عائلاتنا » .

الثانية : المطالبة بالحرية والاستقلال ، وقد تبلورت في خطاب سنة احدى وخمسين واثنتين وخمسين ، والعلاقات المغربية الفرنسية متأزمة بسبب المطلب المغربي الملح على ضرورة انهاء عهد الحماية .

أما الخطاب الاول فتكفينا منه هذه السطور برهانا على ما بلغته الظروف من حدة توحي بالاختناق ، ولكنها في نفس الآن توحي بالصمود والثبات والتصميم على الاستمرار . قال جلالة المغفور له : « ... نشكره جلت قدرته لما يسر لنا من رعاية هذه الامة المغربية وحفظ مصالحها الدينية والدنيوية ... والسر كل السر في ذلك هو الثبات على المبدأ والمثابرة والصبر والمصابرة ... فقد جرت سنة الله في خلقه بامتحان الانبياء والصديقين وفتنة المخلصين والمصلحين ليبلوهم أيهم احسن عملا . قال تعالى: (احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وكفى بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام برهانا ساطعا ونبراسا نيرا لامعا . أوذى صلى الله عليه وسلم فما وهنت عزيمته ولا ضعفت حجته ولا استكانت في الحق صرامته ، التفت في أحرج المواقف الى عمه حين عرض عليه المال والجاه ليتخلى عن تبليغ الدعوة فقال : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته) ... وقد آلينا على انفسنا منذ قيضنا الله لذلك أن نسعى غير وانين ولا متهاونين وندأب غير متخلفين ولا متقاعسين حتى نعيد لها مجدها التالد وعزها الخالد » .

وأما الخطاب الثاني فقال فيه رحمة الله عليه موضحا ضرورة استرجاع السيادة : « فمنذ تولينا الامور بنفسنا ونحن نذود عن تلك السيادة ... لكن الحماية سلكت منذ تأسيسها سياسة .. لم تجار روح العصر وتطور الشعب المغربي . وقد ضربنا في ذلك مثلا لاحد رجالات فرنسا المسؤولين في محفل رسمي سنة 1944 بقولنا ان الحماية مثلها كمثل قميص جعل لطفل صغير فكبر الطفل ونما وترعرع وبقى القميص على حاله . » .

وقد أخذت الخطب الملكية غداة الاستقلال ، وخاصة في عهد جلالة الحسن الثاني ، تكتسي طابعا آخر يتفق ومرحلة البناء والتشييد . فهي تطرح المشاريع والمنجزات في جميع القطاعات ، وترسم الاهداف وتخطط وسائل



تحقيقها ، وتوضح المشكلات وتفتح الآفاق لمختلف القضايا الوطنية . وهي بعد هذا تعالج جميع اهتمامات المغرب بالعالم ، وخاصة فيما يتصل بقضايا التحرير وتحقيق مصير الشعوب وتصفية الاستعمار .

ولا شك أن الخطب الحسنية ، سواء ما قيل منها في مناسبة ذكرى عيد العرش أو غيرها من المناسبات ، تعتبر بهذه الخصائص ميثاق عمل دائم ، وهو ميثاق يتجدد في كل مرة ، ويكتسي بذلك طابعا يجعل منه ـ وعلى التوالي ـ فصولا متلاحقة لايديولوجية واضحة الملامح والمعالم . وعلى الرغم من أني في غير حاجة الى التمثيل لهذه الخطب لانها أبدا نابضة بالحياة والقوة في أذهان وقلوب المواطنين ، فاني أود أن أورد في هذا المضمار فقرة من خطاب جلالته في عيد العرش سنة 1974، يكشف فيها حفظه الله عن سر التلاحم بين الملك والشعب خلال التاريخ اذ يقول : « وليس ببدع أن تتآزر فوق أرض هذا الوطن العزيز رغائب ملوك هذه البلاد ورغائب الشعب وتتعاون المشيآت المتماسكة المتعاضدة وتتلاقى على صعيد واحد ونهج لا تباعد فيه ولا خلاف . ذلك أن الشعور بالصالح العام والشعور بالواجب المفروض والمهام التي تولدت عن هذين الشعورين خلال القرون المتعاقبة حتى أصبحت لازمة من لوازم الحياة ، هذا وغيره من مشاعر الثقة والصفاء المصاحبة لاتحاد الدوافع والمقاصد تآلف منه ذلك الاصل المشترك الذي خلق القربى واحكام الروابط والصلات . . فلم يكن دأب الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه الدولة ولا كان همهم الاخلاد الى الراحة والسكون الى الدعة والاستنامة الى الترف والاستمتاع ، وانما كان كدهم وهجيراهم أن يكافحوا ويناضلوا ويقاوموا ويجادلوا ويحرروا ويوحدوا ويؤسسوا وينشئوا دفاعا عن حوزة البلاد وصدا لاطماع الطامعين وردا لعدوان المعتدين وحفاظا على الكرامة وابقاء للسيادة وابتغاء لامنك ورقيك واعلاء لشانك ومدا لجاهك وتامينا لكريم عيشك وتوفيرا لاسباب ابهاجك واسعادك » .

كذلك أود أن أورد فقرة من الخطاب الذى القاه جلالته في ذكرى ثورة الملك والشعب سنة 1975 والذى عبر فيه عن عزمه على تحرير الصحراء داعيا الشعب الى التعبئة للمعركة ، في نفس يذكر بقادة الجهاد ومواقف البطولة التي يشهد بها تاريخ المغرب في أزهى مراحله وابهى أزمانه ، واسلوب يتسم بالصدق والتلقائية وينم عن العزيمة والاصرار . قال نصره الله: «نحن في طريق المعارك الدبلوماسية وأملنا أن تنجح ، ولكن ـ شعبي العزيز ـ اذا هي لم تنجح فلن يبقى لنا الا أن نخوض غمار المعركة الاخيرة ألا وهي معركة التضحية والاستشهاد. لا اريد أن أطيل عليك في هذا المضمار شعبي العزيز ولكن أريد من الجميع ... أن يعرف ... ان هدفنا هو نيل أرضنا اما بالوسائل السلمية واما بغير الوسائل السلمية . وحينما يحين شعبي العزيز ويدق الوقت يجب على كل واحد فينا أن يهيء حقيبته ويبرىء ذمته ويركب مطيته لكي يذهب الى الساحة في ذلك الوقت سوف اخاطبك لا ببذلتي هذه ولكن بالبذلة العسكرية حتى أكون على رأس كل من أراد أن يجاهد ويستشهد في سبيل أرضه ووطنه . »

ثانيا : الكلمات

وتعتبر في طليعتها الخطب التي أسلفنا عنها القول، وهي التي كان جلالة الحسن الثاني وهو ولي للعهد يهنيء بها والده ، وكذلك صاحبة السمو الاميرة للا عائشة . وكانت هذه الخطب تاتي لتعبر على لسان الامة جمعاء عن مدى التعلق بالعرش ، وتاتي كذلك لتؤكد الاهداف وتوضح المطالب ، سواء في مرحلة المناداة بالاصلاح أو مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال .

وقد برز في هذه الكلمات على عهد الحماية كتاب في طليعتهم الاساتذة الحاج محمد أبا حنيني ومحمد أبو بكر التطواني وعبد الرحمن الفاسي وعبد الله الجرارى . أما بعد الاستقلال ، وخاصة في عهد جلالة الحسن الثاني ، فتكاد تكون كل الاقلام منطلقة للتعبير ، الى حد أن يصبح من الصعب علينا أن نحاول استقصاء أسماء الكتاب في هذا العرض المحدود ، فهم أكثر من أن يستوعبهم . ولعله يكفي أن يرجع الدارس للاعداد الخاصة التي تصدرها مجلة (دعوة الحق) بالمناسبة لكي يتبين ملامح الكتابات المتنوعة التي توحي بها ذكرى عيد العرش .

ثالثا : القصائد

وغير خاف أن الشعراء كانوا ـ وما زالوا ـ يتبارون في الانشاد . ويمكننا أن نذكر منهم في عهد الحماية على

سبيل المثال الشعراء محمد معمرى الزواوى وعبد الرحمن الدكالي وعلال الفاسي ومحمد بن المهدى العلوى وعبد الملك البلغيثي وعبد الله كنون ومحمد الحلوى والحسن البونعماني ومحمد العثماني وعلى الصقلي والمدني الحمراوى .

أما في ظل الحسن الثاني أيده الله فيكاد الشعراء المعاصرون جميعا يتسابقون للتعبير عن المناسبة ، على اختلاف أجيالهم وتباين انتماءاتهم السياسية والفكرية، مما يجعلنا نقصر في استعراضهم مهما ذكرنا من الاسماء، وكذلك نقصر في استعراض أسماء الشعراء العرب الوافدين الذين لا شك في أنهم يغنون بعرشياتهم مجال القول في المناسبة .

— *** —

ولا يخامرني أدنى شك في أن الادب المرتبط بهذه المناسبة ادب وطني (1) بكل ما يحمل هذا الوصف من مضامين وأبعاد . ويكفي أن انظر مثلا في الكتابات العرشية منذ بداياتها حتى الآن ، لاجد أنها حقا تعبر عن عواطف الكتاب نحو الجالس على العرش ، ولكنها الى جانب ذلك تتناول جوانب من تاريخ الدولة العلوية ، تاريخ المغرب عامة ، في محاولة جادة للكشف عن الصفحات المجددة من هذا التاريخ . كما انها تتناول المشاعر الوطنية ، تناقش القضايا القومية ، غيرها مما يدخل في اهتمامات المغرب الداخلية والخارجية .

واذا كان هذا الرأى ينسحب على النثر فهو كذلك ينسحب على الشعر الذى أرى امكان النظر اليه من خلال مرحلتين :

الاولى قبل الاستقلال

وكانت العرشيات في هذه المرحلة تشيد بالملك ونضاله ومبادراته ودوره في اذكاء شعلة الوطنية وما يبذل من جهود لتحقيق مصير المغرب . وكانت كذلك تعبر وفي قوة عن الافكار والمبادىء الوطنية ، وتمجد الحمية وتشيد بأمجاد المغرب والعرش والشعب . ويكفيني هنا أن أمثل بابيات من قصيدة للشاعر الاستاذ عبد الرحمن الدكالي يقول فيها مخاطبا جلالة المغفور له محمد الخامس :

في عيد عرشك نور الاستقلال
وعلى يديك تحقق الآمال

يسعى اليك الشعب وهو مهلل
ومكبر يا كاسر الاغلال

يسعى اليك وكله بك هاتف
عش للبلاد ،وعش للاستقلال

قد قلت ان الشعب يطلب حقه
قد قالها والله غير مبال

حق لنا سنناله بدمائنا
ان لم ننله بحجة وجدال

فليستعد المعتدون لقمعنا
بسلاح الاستعباد والاذلال

أما في المرحلة التالية أى بعد الاستقلال ، وفي عهد الحسن الثاني ، فقد ظل الشعر ينحو هذا النحو من التعبير ، من حيث الاشادة بجلالة الملك ومبادراته وجهوده في الداخل والخارج ، ومن حيث الاشادة كذلك بأمجاد المغرب والعرش والشعب ، ولكنه أضاف الى ذلك التعرض لمختلف المشاريع والمنجزات وطرح القضايا الوطنية والقومية ، مما يجعلنا نقرأ هذه القصائد فنجدها تتحدث مثلا عن سياسة السدود والمليون هكتار واسترجاع الاراضي والمغربة وتحرير الصحراء ، كما تتحدث عن قضية فلسطين وحرب الكرامة التي خاضها العرب ومشاركة الجيش الملكي بفعالية وتشريف في هذه الحرب . وساكتفي بأن أطرح نموذجين :

(1) سبق للكاتب أن تناول هذه القضية في عدة أبحاث منها :
- النضال في الشعر العربي بالمغرب .
- الشعر المغربي في مرحلة النهضة (مجلة المناهل العدد الخامس)
- مقدمة ديوان الشاعر مفدى زكريا : (من وحي الاطلس) .

أحدهما يشيد بجلالة الملك وهو للشاعر ادريس الجاى ، وفيه يقول :

بك ما بغيرك يفخر الاحرار
وتشاد أمجاد ويعلو منار

كرم الزمان فكنت خير عطائه
وكذاك تحسن صنعها الاقدار

لما طلعت بمغرب الشمس امحى الليل القتام واشرقت أنوار

وتألقت بك يا بهي سماؤنا
وتبسمت لشموسها الاقمار

فالافق حال بالمنى مستبشر
وديارنا يزهو بها الديار

اكرم به ذاك الجبين مكللا
بالمكرمات يغار منها الغار

أعظم به نمى البذور فاينعت
فاذا الزهور براعم وثمار

يفديك يا حسن الفعال وصانع التاريخ شعب ذاكر شكار

ولعلنا نحس بشيء غير قليل من النبض والصدق يتدفق من هذه الابيات ، مما يجعلها وهي تشيد بجلالة الملك لا تقع في فتور المدح التقليدي .

أما النموذج الثاني في قصيدة الشاعر الحلوى « طلائع النصر » وكان قد أنشأها في الذكرى الثالثة عشرة ، وكانت سنة عمل فيها المغرب بكل طاقاته وامكاناته من أجل الوحدة حيث كان له موقف مشرف في حرب أكتوبر . يقول الشاعر في أول هذه القصيدة :

الله أكبر ان النصر يقترب
وجيش صهيون منسيناء ينسحب

قد زلزل البغي وانهارت قواعده
فالارض من تحته أحشاؤها لهب

من بعد ما شمخت في أرضنا زمنا
قلاعه طاطات هاماتها النوب

كأنها لم تكن يوما ولا رصدت
قنالنا تتحدانا وترتقب

من بعد عطرسة الباغي ونخوته
سكران يختال في كبر ويغتصب

قمنا نذكر صهيونا وقد نسيت
ان الذين غزوا أوطانهم عرب

لا يركعون لباغ جاء يرغمهم
وليس يرهبهم شيء اذا غضبوا

من بعد ما أمنت صهيون ثورتنا
وآمنت أنما الدنيا لمن غلبوا

ثرنا فدارت عليهم شر دائرة
لم يشهدوا بعدها فيما به نكبوا

فوق القنال وفي الجولان ملحمة
لم ترو اهوالها الاحقاب والكتب

كم خيم الصمت في ساحتنا وشكت
سيوفنا وهي في الاغماد تضطرب

وكم دعونا لهذا اليوم قادتنا
وكم أقمنا على الاطلال ننتحب

حتى استجابوا وعبوا من مرابضهم
فحققوا معجزات شانها عجب

ولكن الشاعر لا ينسى المغرب وملكه في هذه الصورة حيث نراه يقول :

أكبرت في المغرب السباق عاهله
لقد تباهى به الاسلام والعرب

هناك شاد سدودا من اشاوسنا
بالموت تقذف لا بالماء ينسرب

وأظنني في غير حاجة الى القول بان السنتين المنصرمتين بما تميزتا به من تعبئة لتحرير الصحراء واسترجاعها بالفعل في مسيرة شعبية خضراء ، قد فتحت للادباء مجال التعبير عن هذه القضية في روح نضالي قوى كشفت عنه القصائد والكلمات التي أبدعتها القرائح المتنبهة .

ولم يكن الادب المدرسي وحده في الساحة الوطنية، بل كان الى جانبه الادب الشعبي الذى كان أبدا موجودا فيها يثبت حضوره في مختلف المواقف والمناسبات ، يعبر في تلقائية عن عواطف الشعب واحاسيسه وتطلعاته واهتماماته ، ويؤدى من خلال هذا التعبير دوره في تعبئة الجماهير وتوعيتها وتحميسها . ويمكننا أن نميز من أنواعه :

1 ـ الاهازيج والمرددات المتداولة بمختلف اللهجات وفي سائر المناطق .

2 ـ الاغاني الموضوعة كلماتها بالعامية .

3 ـ قصائد الملحون .

وأود هنا وبالنسبة لهذا الشعر أن أذكر من الشعراء الذين برزوا في عيد العرش على عهد المغفور له محمد الخامس الاشياخ العيساوي الفلوس والحاج محمد ابن عمر الملحوني ومولاى احمد العلوى . اما الذين لمعوا في التجاوب مع ذكرى جلوس الحسن الثاني فكثيرون يكفينا أن نذكر منهم الاشياخ الحاج محمد العوفير واحمد سهوم . وعبد المالك اليوبي وعبد القادر الجراري واليعقوبي وعبد الحميد العلوى .

⁂

ولا أريد أن أختم هذا العرض السريع عن بعض ملامح أدب عيد العرش دون أن أشير الى بعض الظواهر التي ارتبطت بهذا العيد :

الاولى ـ أن مباريات للكلمات والقصائد تنظم وتمنح فيها جوائز للفائزين .

الثانية ـ ان الناشئين في مجال الكتابة والشعر يغتنمون المناسبة وما يعتمل عنها في نفوسهم ليعبروا عما يحسون من عواطف ومشاعر ، وغالبا ما تلقى هذه المحاولات في حفلات المدارس والحفلات الشعبية التي تقام في الشوارع والساحات العمومية .

الثالثة ـ أن عيد العرش كان الفرصة الاولى التي جربت فيها الفتاة المغربية حظها في مجال الكتابة والشعر.

وبعد ، فلعلي بهذا ـ وغيره كثير ـ لا أستطيع أن أتحدث عن مسيرة الادب الحديث والمعاصر في المغرب ، دون أن أسجل أن عيد العرش كان عاملا من عوامل النهوض بالحركة الادبية ، وأنه أظهر نوعا جديدا من الادب الوطني ، أهم ما يمتاز به صدق العاطفة وتأججها والتلقائية في التعبير والبعد عن الغلو والمبالغة .

وهو بذلك صورة من التاريخ النابض بالمشاعر والاحاسيس والمطامح والتطلعات ، بل هو الصورة الحقيقية لتاريخ المرحلة .

التاج المغربي

في عمق الملاحم الاسلامية والعربية

العرش والشعب يخوضان المعركة الفاصلة

للأستاذ محمد العربي الزكاري

كل شعب له خصائصه وطبائعه التي فطره الله عليها ، ومن مميزات شعبنا ان لا يخضع للدخلاء ، ولا يقوس ظهره للغرباء ، ولا يسمح لنفسه بالتبعية في أى مجال من مجالات الحياة ، فهو مرهف الاحساس ، قوى الشكيمة ، أبي النفس ، ولا يؤمن في هـذا البـاب الا بالسباق في ميدان العمل والانتاج والابتكار ، دون توجيه من الخارج ، ومن غير استيراد للافكار والحكام .

من هذه الزوايا اتخذ شعبنا فى جميع أطوار حياته مواقف صارمة وعنيدة ضد كل تدخل أجنبي في شؤونه الخاصة والعامة ، وأعرض عن كل توجيه دخيل فـي سلوكه الاجتماعي والاقتصادى والسياسي والعقائدى ، باستثناء طلائع البداية الاسلامية التي فتح لها قلبه قبل ذراعيه ، واحتضنها الى صدره بشوق وحرارة لا مثيل لهما الا في المهاجرين والانصار الذين آمنوا بالرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .

وعندى أن هذا التحول في طبيعة المغاربة ـ وهم يستقبلون الهداية ـ يعود بالاصالة الى أن الاسلام في عمقه ومنبعه يسير والخصائص المغربية في خط مستقيم، حيث يابى ديننا ان يكون معتنقوه أمعات ، ويربـا باتباعه أن يسيروا وراء كل مهرج وخلف كل ناعق ، بالاضافة الى انه ليس وسيلة للتسلـط والغصـب والاستعمار والاستغلال ، وانما هو دعوة مثاليـة الى الفضيلة والنبل والشرف ، وانتشال للانسـان من عبودية الاصنام والاوثان ، البشرية منها والحجرية ، الى عبادة الله الواحد الاحد ، والايمان برسالة سيدنا محمد الذى جاء مبشرا بالمحبة والاخاء والسلام والصفاء .

ومن الحقائق التاريخية أن شعبنا لم يندمج في الخلافة الاسلامية العامة اندماجا كليا ، بل اكتفى منها بالعلاقات الطيبة والوثيقة التي تجمع بين المسلميـن كوحدة عقائدية ، مثلها الاعلى توحيد الخالق سبحانه ، والايمان برسالة سيدنا محمد ، ونصرة المسلمين والدفاع عن قضاياهم ، وهكذا امتد نفوذ الخلافة العثمانية على العالم الاسلامي في الجزيرة العربية وبسطت سلطتهـا السياسية والعسكرية على أقطار المغرب العربي ، ولكن نفوذها وقف عند حدودنا دون أن يتخطاها ، ومن ثـم كان شعبنا هو الشعب الوحيد الذى اعتنق الاسـلام كعقيدة ورفض الانصياع لاى دخيل ولو كـان يومـن بعقيدته الدينية ، ايمانا منه بأن الاسلام في جوهره لا يبيح لمعتنقيه أن يبسطوا نفوذهم الدنيوى بالاكراه على أية جماعة توحد الله وتومن بشريعته . وموقف المغرب هذا ينسجم تماما مع المميزات والخصائص والطبائع التي فطر عليها شعبنا ، والتي كانت وستظل التاج الوهاج الذى يزين مفرقه على مر العصور والأجيال .

ولعل تلك الخصائص هي السر الدفين في احتفاظ المغرب باستقلاله الكامل في شؤونه الخاصة والعامة ، بالاضافة الى ما نفحته به العقيدة الاسلامية من مفهوم جديد لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من عزة وكرامة، وانقياد شعبنا طوعا الى عقيدة الاسلام جاء كحقنـة جديدة قوت عزيمته في الاستقلال ودفعت به لان يكون قلعة منيعة من قلاع الاسلام التي انطلقت منها جحافل المجاهدين ذودا عن العقيدة المحمدية ونصرة لها ممـا سجله التاريخ لشعبنا الشجاع بحروف ذهبية .

ويكفي دليلا على هذه المواقف البطولية أنه كان سباقا في عبور مضيق جبل طارق عدة مرات لحماية الاسلام والمسلمين بالاندلس من غارات الصليبيين الحاقدين على ديننا الحنيف ، ولولا تلك الحملات التاديبية لسقطت الاندلس عند الضربات الاولى من لدن النصارى . ومع الاسف الشديد أن حكام الفردوس المفقود لم يستغلوا الفرص الذهبية التي اتاحها لهم المغاربة ، ولو فعلوا لامتدت فروع الحضارة الاسلامية الى أقطار بعيدة ، ولكان الحكم الاسلامي في الاندلس قائما حتى اليوم ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

ومساهمة جيشنا الباسل في معارك الجولان وسيناء ليست ببعيدة عن الاذهان ، وهي تزكية لما أشرنا اليه من أن المغرب منذ اللحظة الاولى لاعتناقه الاسلام وهو قلعة من قلاعه ، وهذا في نظرى هو السر في الاختلاقات والاراجيف التي يتعرض لها بلدنا من لدن أجهزة الاعلام في جهات معروفة لا يخلو الامر من أن تكون حاسدة وحاقدة أو موجهة ومأجورة .

ورفعا لكل التباس نشير الى أن موقف المغرب السلبي من التيارات الخارجية ليس معناه أن بلدنا متزمت أو منكمش على نفسه ومنعزل عن العالم ، بل العكس من ذلك حيث نجده متفتحا على العالم كله ، ولكن تفتحه لا يعني التنازل عن أصالته ، أو قبول كل ما تمطرنا به الحضارة الغربية من صالح وطالح ، فهو حذر كل الحذر ، وحتى اذا تسربت اليه بعض الاشياء الضارة لا يلبث أن يتخلص منها بما عهد في شعبنا من حكمة ولباقة ، وما عرف عن ملوكنا من غضبات مضرية ضد كل تيار هدام .

وتعاقبت على عرش المغرب اسر مجيدة منه واليه ، امتازت في مجموعها بالحفاظ على مميزاتنا في تعشق الحرية والهيام بالاستقلال ، الا أنها توارت عن مسرح الاحداث لظروف مختلفة وعوامل عديدة يطول شرحها « سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

وأخيرا تسلمت القيادة الاسرة العلوية الشريفة وتحملت هذا العبء الثقيل ، فوجدت فيها جماهيرنا أمنية غالية من أمانيها ، وضالتها المنشودة التي تطلعت اليها منذ زمن بعيد ، ومن الطرافة في هذا الباب أن المغاربة اتخذوا من الخلافة الاسلامية موقفا وسطا ، ولكنهم انقادوا عن طواعية واختيار لهذه العائلة الشريفة والدخول في طاعتها والدفاع عنها بكل ما لديهم من حول وقوة ودون تحفظ ، ولعل السر الدفين لهذا الانصياع التلقائي هو الاخلاص المطلق لعقيدة الاسلام وحبهم الصادق لآل البيت النبوى الشريف ، ونحن نرى أنه بمجرد ما آلت الامارة الى هذه الاسرة الكريمة ارتمى المغاربة في أحضانها وكأنهم كانوا على موعد مع هذه الفترة الذهبية من تاريخهم الحافل بالامجاد ، ولم يكن لهذا اللقاء بين العقيدة الاسلامية وحكم آل البيت النبوى من نتيجة سوى الانسجام والالتحام ، وهو سر خفي كان محتجبا في الازل ينتظر الوقت المناسب ليبرز الى العيان كحقيقة ناصعة لما كان يحتفظ به شعبنا في أعماقه من عدم الانصياع لاى دخيل حتى يأتي أمر الله بالعقيدة المحمدية ثم بعدها بالدوحة النبوية .

وشاءت الظروف أن يتعثر شعبنا في سيره ، ويكبو في فترة من فترات تاريخه ، فتتكالب عليه قوى الشر والعدوان من كل جانب ، وتطوقه الجيوش الاوربية النهمة من جميع أطرافه ، وتفرض عليه حمايتها البغيضة فرضا ، على أن هذا التدخل نفسه لم يكن المغرب ضحيته الاولى ، وانما جاء بعد سقوط العديد من الدول الاسلامية والعربية والافريقية الواحدة تلو الاخرى فريسة سائغة بين مخالب استعمار لا رأفة فيه ولا رحمة ، وكان شعبنا آخر معقل هوى تحت ضربات ومؤامرات تساندها قوى الشر والبغي والطغيان ، وتؤازرها تكتلات صليبية متعصبة حاقدة .

الذى ينبغي التركيز عليه وابرازه بصورة واضحة أن شعبنا لم يستسلم لاول وهلة ، ولم يقبل هذا الوضع الشاذ بسهولة ، ولم يغمض عينيه على هذا القذى منذ اللحظة الاولى ، بل قاوم الدخلاء بالسلاح ما وسعته المقاومة ، وحتى بعد فرض هذه الحماية ظل يناوش هنا وهناك ، وفي بعض الاحيان قام بثورات مسلحة لم يكتب لها النجاح في النهاية ، وان كانت كبدت حماته الكثير من النكبات والعديد من الخسائر المادية والبشرية ، وأعطت الدليل القاطع على أن شعبنا يرفض هذا التدخل الاجنبي في جميع أشكاله وصوره ، ومهما أسبغ عليه المستعمرون من أردية ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، الامر الذى أدخل في حسبان المستعمر أن شعبنا لا يلبث أن يحطم الاغلال في أقرب الفرص والآجال .

وتشاء الاقدار الالهية أن لا تطول فترة هذه الكبوة، فيتولى عرش المغرب بطل من ابطال التاريخ الانساني ، ويجلس على أريكة هذا العرش العتيد محمد الخامس رضوان الله عليه ، ومن هنا تبدأ قصة من أروع القصص البطولية التي قل نظيرها وعز مثيلها في التاريخ ، ذلك أن محمدا الخامس رأى بفكره الثاقب وفراسة المومن أن التعجيل بالانعتاق يكمن في الاتصال المباشر بشعبه وتحطيم السد المنيع الذى حاول الاستعمار اقامته بينهما ثم تشجيع التعليم الحر للدفع به الى الامام باعتباره حظيرة من حظائر تفريخ أشبال المغرب الذين سيضربون الاستعمار الضربة القاضية ، ومن هذين المحورين سار العرش والشعب جنبا لجنب الى أن برزت فكرة عيد العرش باعتبارها الاعلان الصريح والواضح على أن الوطنية المغربية تسير في ركاب ملك المغرب ، وان الجالس على العرش هو المحور الذى تدور حوله كل مخططات الانعتاق ..

هنا شعر الاستعمار بالخطر المجسم ، وأدرك أن هذا التكتل ليس الا المسمار الاول في نعشه ، فراح يقاوم فكرة عيد العرش بكل ما لديه من خداع ومكر ودهاء ، وما يتوفر عليه من عناد وتهديد ووعيد ، ولكن الشيء الوحيد الذى غاب عن ذهنه المريض أن محمدا الخامس لم يكن ملكا فحسب ، وانما كان بجانب ذلك وطنيا من الصنف الممتاز ، وكان قائدا من الدرجة الاولى ، وكان قبل هذا وبعده مؤمنا كل الايمان بربه ، وبالامانة العظمى التي أصبحت في عنقه ، وبأن التاج ليس اكليلا من الزهور والرياحين ، وانما هو مسؤولية لها أهميتها وخطورتها في قيادة معركة التحرير والمصير، أما الزعيل الوطني الاول فلم يكن ينظر الى العرش والمتربع عليه الا نظرة الاجلال لما امتاز به ، جلالة الملك من خصال القيادة ومزايا الزعامة ، ومن هنا نبع الالتحام والانسجام وتوطدت الصلة بين القوتين الضاربتين في اتجاه واحد وهدف محدد ... واذا ما ذكرنا الرعيل الوطني الاول فالوفاء يحتم علينا الاشارة الى الدور الطلائعي الذى لعبه أبناء التعليم الحر في جميع مراحل الكفاح الوطني ، والواجب الاسلامي والوطني يفرضان علينا التنويه بالمواقف المشرفة والبطولية التي وقفوها في وجه الاستعمار بجحافله العسكرية وأسلحته الجهنمية وجواسيسه الذين أذاقوهم صنوف العذاب وجرعوهم كؤوسا دهاقا من الحنظل ، وزعماء المغرب الابرار لم يتخرجوا من مدارس « فرانكوآراب » وانما كانوا ثمرة من ثمار مدارسنا الحرة وبذرة من بذورها التي آتت أكلها كل حين باذن ربها .

والخلاصة أن الشعب المغربي بجميع طبقاته ومختلف هيآته كان مقتنعا بأن مصيره بمصير عرشه، وبأن جلالة الملك هو الرمز المجسم لوحدته وخلاصه ، وتتعاقب الاحداث بما فيها من خير وشر ، ويتنوع الكفاح من جانب العرش والشعب وفي جميع الواجهات، ويشتد العناد والتصلب من المستعمرين مما أدى بهم الى ارتكاب حماقة فريدة من نوعها وغلطة سياسية بشعة بالاعتداء على حرمة العرش والجالس عليه ، فكانت السبب المباشر في تحنيط الاستعمار داخل تابوت وضعت الامة المغربية فوقه أهراما من الاسمنت المسلح .

ويختار الله جلت قدرته بعد فترة وجيزة من الاستقلال محمدا الخامس لجواره ويتولى ساعده الايمن وعضده المتين ورفيقه في الكفاح وأنيسه في المنفى جلالة الحسن الثاني الامانة في ظرف صعب ودقيق ، ليس من السهل التغلب على مشاكله لو لم يكن جلالته خريج مدرسة والده العظيم الذى أعده لهذه المهمة الخطيرة المتبلورة في العمل والتوجيه داخل واجهات متعددة ومعقدة كالتعليم والاقتصاد والصحة ، والفلاحة ، والسدود ، واستكمال الوحدة ، وحماية الحدود ، مع المساهمة الفعالة في الحقل الديبلوماسي والهيآت الدولية التي جال فيها جولات رائعة ووقف من مشاكلها مواقف مشرفة وبطولية دفاعا عن حقوق الشعوب الضعيفة بما فيها الشعب العربي سياسيا وعسكريا ، بالاضافة الى تبنيه للبعث الاسلامي وحمايته للعقيدة الاسلامية من الموجات الالحادية التي تهدف الى اضعاف روح المقاومة النابعة من العقيدة الاسلامية ، والنيل من المعنويات العالية في جماهيرنا المسلمة .

واذا ما حاولنا تتبع مواقف جلالته بالشرح والتفصيل فنحتاج الى محاضرات لا الى كلمة مقتضبة في هذه المناسبة العزيزة على كل مغربي حر أبي ، ويكفي أن نقول اليوم أن شعب المغرب مدين للحسن الثاني بكل ما وصلنا اليه من رقي وتقدم وازدهار ، وانه فخور بأن يكون شعب هذا الملك الوافي للامة ، والضامن لوحدتها،

والداعي الى لم شعثها ، والحصن الحصين لمكتسباتها السابقة واللاحقة .

ومن البديهيات أن جلالته اعطى أروع الامثلة في الشعور بمسؤولياته للحفاظ على السلم العالمي والتعاون الدولي ، مع الاحتفاظ لامجادنا القومية وحقوقنا الشعبية بمركزها المرموق لتظل وحدتنا الترابية في مأمن منيع من عدوان المعتدين ، وطمع الطامعين وحقد الحاسدين .

من هذه المنطلقات نتخلص الى النتائج التي يتعين استخلاصها من هذا العرض الخاطف وهي أن شعبنا كان وسيظل وفيا للعرش الذى اعطى مآت الدلائل على أنه الضامن للكيان الوطني في أحرج الاوقات وأشدها خطورة، ثم انه يختلف تماما عن كثير من العروش ، فهو ليس بمعزل عن الاحداث ولا ببعيد عن التطورات الاجتماعية بل انه يعيشها يوميا ويحياها باستمرار ، ويؤثر فيها سلبا او ايجابا بما يتخذه من مواقف رائعة ، وتدخلات موفقة ، ومبادرات حكيمة ومتزنة يضامنها النجـــاح التام ، ويحالفها الفوز العام .

وهذه المواقف المشرفة ، والتضحيات العظمى ، والجهود المشكورة من جانب عرشنا وملكنا يقابلها وفاء منقطع النظير ، وولاء ليس له مثيل مـن الجمعيـــات الدينية ، والاوساط الثقافية ، والهيآت السياسيـة ، والمنظمات العمالية ، حيث تجلى ذلك بوعي رائع وحماس ممتاز أثناء الزحف الشعبي الهادر وهو يقتحم الحدود ويتخطى الحواجز التي فرقت بيننا وبين صحرائنـــا حقبة من الزمن ، وسوف لا تزيد الايام والاحداث هذا الوفاء والولاء والانسجام والالتحام الا رسوخا وعمقا ، بفضل الله ورعايته ومدده الذى لا ينقطع عن المؤمنين الصادقين .

على اننا مهما بالغنا في احاطة ذكرى عيد عرشنا بهالات الاكبار والاعجاب فسوف نظل عاجزين عن اعطاء صاحب هذه الذكرى الغالية ما هو اهل له من الشكــر والامتنان على ما قدمه لشعبه من خدمات وتضحيات ، ولعل الذى يفي بشكرنا ويعبر أصدق تعبير عن امتناننا هو مواصلة هذا التلاحم كمربون على ولائنا وتعبيـــر صادق على استعدادنا للسير في ركاب العرش الى النهاية، وأملنا أن يكون شعبنا في مستوى المغرب الجديد ، الذى نأمل ان يكون عظيما عظمة الحسن الثاني في تطلعاتـه لمستقبل شعبه السعيد .



نظام البيعة في المغرب

للأستاذ الحسن السائح

تطور المغرب عبر تجربته الحضارية بين الانظمة السياسية ، في اختيار اداة الحكم الصالح في البلاد ، وقد عرف منذ بداية تاريخه نظام الحكم الجماعي المرتكز على الفرد الصالح للقيادة، ورغم ان الرومانيين لبثوا في المغرب زهاء اربعة قرون فقد ظل المغرب واعيا للعمل السياسي ، يقظا في اختيار الحكام على اساس نظام المشيخة والجماعة ... واستطاع المغربي ان يصل لحكم روما بدربته السياسية والادارية في عهد الامبراطور (سبتيموس سفروس) الذي تسلق الى كرسي الامبراطورية الرومانية ... وكانت حركات المدرسة النموذجية لتكوين السياسيين والحاكمين للبلاد معتمدة تجربة (ماسينسا) و (يوبا) واخيرا (يوغرطا) الذي كان نموذجا للحاكم المثقف والراعي لشخصية المغرب الافريقي . وجاء الاسلام ليؤكد هذه التجربة السياسية المغربية ، حيث وجد المغاربة في دعوته السياسية نموذجا صادقا للحكم العادل ، لهذا فقد تمسكوا بالاسلام عقيدة وسلوكا ، ووجدوا في المذهب المالكي ما يساعدهم على انتخاب الخليفة بطريقة البيعة الديموقراطية . ولما اصبحت الخلافة في يد الامويين ، وشعر المغاربة بتبعيتهم لمركز الخلافة دون سيادة واستقلال في بلادهم ، انتسب بعضهم للحركة الخارجية واعلنوا في عهد (ميسرة المدغري) رفضهم لتبعية الخلافة الاموية ، ولكنهم لم يلبثوا ان وجدوا في الادارسة ضالتهم ، حيث توحدت البلاد مستقلة ذات سيادة ، فقد جاء الادارسة بصفتهم معتدلين سياسيا ، غير شيعة ولا خوارج ، واعلنوا التزاماتهم السياسية السنية والتزم المولى ادريس الاول بالعمل لوحدة المغرب ، والواقع ان هذا الالتزام خضع للشروط التي ينص عليها التشريع الاسلامي، وهو كذلك وفق التجربة المغربية وطبيعتها الديموقراطية واصالتها .. وقد اجتهد العلماء المسلمون المغاربة في الملاءمة بين النظم الاسلامية والاصالة المغربية ، ولهذا يلاحظ اختلاف بين الانظمة سواء في الحكم او القضاء او الحسبة بين بلاد المغرب والبلاد الشرقية ، وقد تحدث ابن خلدون والمقري ، وابن الخطيب ، وابن الازرق عن النظم المغربية ، كما ان مؤلفي كتب الحسبة والقضاء ومؤلفي كتب النوازل والاحكام والفتاوي .. شرحوا النظم المغربية بما يكفي للمتخصص في هذا الموضوع، والواقع ان النظم المغربية تعتمد اساسا على الشريعة الاسلامية وعلى المذهب المالكي بصفة خاصة ، وبالرجوع الى الاصول الاولى لهذه التشريعات ندرك مدى الاتفاق بين الاسلام وما اعتاد عليه المغاربة .

فالانظمة السياسية في الاسلام ترتبط بمبادئه التشريعية ، وبالقواعد التنظيمية وبالاخلاق والقيم . وتستحيل كلها الى عبادة . والدولة نفسها تعتمد على اسس روحية اخلاقية ، ولذلك فهي لا تسيطر بالعنف والقسوة والقوة ، وانما لها صلات روحية وارتباطات اخلاقية تلزمها بالسلوك المستقيم ومراقبة الضمير

.. فالقيم الروحية تسيطر على التكوين السياسي ؛ وترى ان السلطة هي للدستور القرآني الذي يراقبه الجميع في السر والعلانية . ولذلك فالدولة والشعب يخضعان لاحكام الشريعة التي تعتمد على اسس واضحة وهي القرآن والسنة . وكلاهما بيد الامة كلها ، وعلى الاجتهاد الرسمي الذي يقرره كبار العلماء ، ويضمن ذلك المبادىء السياسية التي هي المساواة في الحقوق والواجبات وكفالة الحريات العامة الفكرية والاعتقادية والاقتصادية والسياسية ، والتعبير والثقافة واعتماد التشريع الاسلامي ، والالتزام له والدفاع عنه وعن المواطن والدولة والوطن كما تعتمد على حرية الاقتصاد والاتحاد والعمل وتنظيم الانتخابات لتدعيم الشورى لاعطاء الحكم للمستحقين ، والراغبين فيه وضمان العدالة الاجتماعية ، واعطاء الامكانيات والفرص للجميع والقضاء على الفوارق الاجتماعية ، وتنظيم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية حتى لا تتداخل لتحقيق المساواة التامة بين المواطنين .

وقد اعتمد المغرب على تجربته السياسية التي اظهرت نضجه عبر التاريخ ، فكان نظام البيعة اساس الانطلاقة السياسية ... كما اعتمد الحكم في المغرب على اصوله الحضارية ، وطبيعة البيئة المغربية وما تأثر به من الثقافات والحضارات التي لم تجد الشخصية المغربية فيها ما يفقدها عنصرها الذاتي وتطبيقا لطبيعة الشخصية المغربية التي تمزج الحضارات والثقافات ، وتعبر منها الى اوربا او الى افريقيا ، فان الشخصية المغربية جعلت من الحكم نقطة ارتكاز ومحور حركتها التاريخية ، وهذا لم يمنعها من الاستفادة من الحضارة الفنيقية والرومانية من جهة واعتماد الحضارة الاسلامية من جهة اخرى سواء بالنسبة للتاريخ القديم او للقرون الوسطى .. فالحكم يعتمد الاسس الاخلاقية والعدالة في جوهره، ويضطلع به المواطن العريق معتمدا على عصبيته القبلية ، ومساعدة الاسرة ومن هنا كان تأثير المصريين القدماء الذين اعتمدوا على حكم الاسرة ، (كما يرى جوليان) وكان تأثير البيئة واضحا ايضا في الركون الى شخصية اصيلة ، ولما جاء الاسلام واصطبغ المغرب بالروح الاسلامية اصبح الحكم يعتمد على (الولاء) بين الحاكم والمحكوم . وهو التزام على العمل المشترك لصالح الجميع بواسطة البيعة .. وكان اعتبار الولاء اساسا قويا للحكم في المغرب لمواجهة التحدي المغربي للتكتلات العدوانية المسيحية او التكلات الصليبية في عهد حروبها ضد الاسلام ، او التكتلات الاستعمارية في عهد التسلط الاوربي ، او في الايديولوجيات في عصر التكتلات المادية ، وما يزال الانسان المغربي يرى في مفهوم الحكم رمز عدالة اجتماعية تضع الحضارة المغربية في اطار السلفية الدينية والتطورات المعاصرة ، وتجمع بين روح التراث وروح المعاصرة معا على اساس استمرار الوجود المغربي .

واذا كان من المتوقع أن يزداد عمق الهوة بين المفهوم الحق والشعارات كلما زاد الانفصال عن ثقافة المغرب الاصلية ، فان على المفكرين المغاربة ان يجعلوا من قضية توعية الفكر ، الحل الجدي وان يعتمدوا ارضية الحضارة المغربية والواقع حتى لا تبتعد عن الجذور ، وان كان من الواضح ان المغرب الحق لم ينفصل عن الجذور الاسلامية وان الجماهير المغربية ذات اصالة يصعب اجتيائها ...

وقد تكون هذه الاصالة تعني الانسجام مع الطبيعة العامة ، فالانسجام بين المجتمع والطبيعة وقدرة للانسان على أن يعكس الحقيقة الاجتماعية ليتلاءم معها يؤدي حتما الى المزامنة والاستمرار.. ولهذا فلا بد ان يكون الحاكم في المغرب في مستوى الفهم والوعي والتطور لان المغرب حلقة الوصل بين الحضارات الاوربية والاسيوية والافريقية ، والحضارات لا تنقل وانما تهضم وتتجانس ، ولهذا فقد استوعب المغرب الحضارة الشرقية والاسلامية، وكان ذرعها ضد الغزو الاوربي ... وعندما انهزم المغرب وسلبت منه الصحراء لم تنقل الحضارة العربية الاسلامية الى افريقيا فنجحت اوربا المسيحية واستعمرت افريقيا كلها .

فرسالة المغرب هي ان يوجه التاريخ ، لانه (اولا) على الصعيد الانتربولوجي شعب يمزج العناصر الافريقية والعربية والاسيوية ، فهو شعب شديد الخصوبة الفكرية والوجدانية وشعب متلاقح وبلاده ثغر من ثغور للاسلام ، ويعني ذلك انه في مواجهة دائمة ، ولذلك فهو (رباط) في استعداد دائم للجهاد ، وهذا لم يمنعه من الاستقرار الحضاري الذي يبدو في معالم المدنيات كلها ، فالمغرب يقف في المواجهة والتحدي . ويعيش الاستقرار والهدوء .. فرسالته ليست مجرد حمل الحضارات ، ولكن يستوعبها ويهضمها وينقلها ويحميها ويخصبها .

لقد اسس الادارسة اول حكومة مغربية ثم حقق الذاتية المغربية المرابطون ، وحافظ الموحدون على هذه الذاتية وحقوق الامتداد الجغرافي ، كما أكد المرينيون على الوحدة الاجتماعية والفكرية ، وربط المغرب بالاندلس بالدفاع عنها .. وجاء السعديون ليعيدوا العامل الاقتصادي بالاضافة الى العامل الثقافي ، فوصل المنصور الذهبي الى تمبكتو ، وجاء العلويون ليحققوا للوحدة المغربية ، في اطارها الطبيعي وما يستلزم ذلك من صيانة هذه الوحدة داخلها وخارجها ... ولم يتسرب الاوربيون لافريقيا الا حين ضعف المغرب بعد ان انهكه الاستعمار ، فظل الشعور التاريخي يحافظ على الوحدة العضوية، وكان ضعف هذه الوحدة سبب الوهن الاقتصادي والركود السياسي ... فالوحدة العضوية اساس الاستمرار الحضاري ... وستبقى نوعية العلاقة بين الوحدة العضوية الافريقية اساسا ترتكز عليه الثقافة ويبني عليه الاقتصاد ، ولاجل ذلك يعتمد الحكم المغربي حين ينطلق من خلية الفرد ثم الاسرة ثم القبلية ثم البلاد جميعها ، على الاتصّال الروحي والثقافي ، فلهذا اخذ من الشرق حكومة الامة المساندة للفرد ، ثم اخذ العصبية القبلية عن وحدة القبلية العربية كما اعتمد على الشخص الاصيل ، ولم يمنعه ذلك ان ياخذ اطار الديمقراطية الغربية في الانتخابات والبرلمان وكل ما يحقق الثورة الاصيلة فى الحكم ، وهكذا نجد النموذج التاريخي بارزا من عهد (الاقليد) الى عصر المرابطين والموحدين الذين مزجوا بين الصوفية والايديولوجية السياسية ، ثم السعديين الذين مزجوا بين الدفاع عن المغرب والحاجة الاقتصادية لانقاذ الاندلس ، وتمتين الصلات بافريقيا حماية لها من الاستعمار البرتغالي ... ثم جاء العلويون لحفظ التوازن وتعبئة الشعب ، واعادة المغرب لوحدته بعد ان استنزفته صراعات (الاقطاعات) التي اعقبت عهد السعديين ...

«الاشتراكية الاسلامية تنطلق من مبدأ «الحفاظ على كرامة الانسان» ؛ ففي القرآن نص صريح يقول : « **ولقد كرمنا بني آدم** » ، ومنذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، لم يكن أحد من الخلفاء المسلمين ولا من تبعهم بحاجة لاصدار وثيقة يعترف بها بحقوق الانسان ، فكما قال رسول الله « **المؤمنون سواسية كأسنان المشط** ...» اذن ، انطلاقا من مبدأ الحفاظ على كرامة الانسان ، ومن مبدأ « ضمان الحقوق الانسانية للجميع » ، وهما مبدآن نجدهما في كل باب من ابواب كتاب الله والسنة النبوية ، نستطيع أن نعترف ونعطي كل مسلم فرصا متكافئة وحظوظا متساوية ، ثم نتركه يجتهد ويحتفظ بمبادراته ... نحن لا نقسم المجتمع كما كانت تقسمه أوروبا الى ثلاثة اقسام النبلاء ورجال الدين والرعية . فالاسلام ليس فيه طبقية ولا تمييز بين الناس ، ولا تفضيل لاحد على آخر ، ان مبدأ تساوي الفرص والحفاظ على كرامة الانسان هما من صلب العقيدة الاسلامية » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

الاختيار المغربي الحديث بين المعجزة والتحدي

للأستاذ زين العابدين الكتاني.

تؤكد كل النتائج والدلائل التي يسجلها الملاحظون والمراقبون على اختلاف ميولهم ان كل الخطوات التي نخطوها وجميع المراحل التي نقطعها أو نطويها تثبت أن اختيار المغرب الجديد يتميز بالاسلوب العلمي المحدد الاهداف ، والمرامي ، والابعاد .. التي استهدفها في خطواته الاولى التي انطلق منها ..

ولا يعني هذا الاسلوب والتحديد أن الاسلوب العلمي كان ينعدم من قبل ، ولكن بزوغ العهد الجديد قد اقترن بوضع تخطيط مدقق للخطوات المرسومة التي قطعها المغرب منذ سنة 1956 كظاهرة بارزة في تاريخه الحديث .

**

واذا كان هذا الاسلوب أو التحديد قد ارتكز مكرسا كل جهوده وأهدافه ومراميه منذ البداية طبعا لوضع نقط توازن بين مختلف الاتجاهات ، وبين أسلوب العمل الذى اختاره هذا العهد مسبقا لضمان الاستقرار ، وتكافؤ الفرص ، وخلق المواطن المغربي الجديد الحر .. الشاعر بالحرية في أوضح صورها ، العامل من أجل حماية هذه الحرية وهذا الاسلوب . فان هذه الاسس هي الضمان الاساسي للاستمرار من جهة ، وحماية الوحدة المغربية من جهة ثانية .

ولقد اقترن ظهور أسلوب التفكير العلمي الجديد في المغرب بظهور :



أولا : تحديد علمي لكل الخطوات التي أصبح المغرب يخطوها في مختلف المجالات التي تنتظره وهو يعدو راكضا نحو اللحاق بأمجاده .. نحو آفاق المستقبل الذى تبدو أمامه ، بل للوقوف في صف الدول التي اكتمل نموها للسير الى الامام .. ولهذا الجانب نتائج ملموسة.

ثانيا : ثم عندما أخذ المغرب يبلور أعماله العادية في التخطيطات العلمية والتصميمات التي تضمن نجاح الخطوات التي يتطلبها مستقبل المغرب بتحقيق رغباته في تجاوز مراحل النمو والقضاء على التخلف نهائيا .

وقد بلورت هذه التصميمات والتخطيطات مدى صلاحية الاتجاه الجديد وقدرته على تحقيق الرغبات الشعبية في كثير من المجالات ..

ونفس هذا التفكير الواضح هو الذى يبرز الاسلوب العلمي الذى يميز مغرب ما بعد 1962 في المجالات التالية:

1) بلورة التفكير العلمي .

2) حماية التفكير المغربي وخلق اسلوب للتفكير المعاصر ، واستهدف هذا العمل ، خلق آفاق جديدة وواضحة .

واذا ما حاولنا ان نستخلص النتائج الاولى من هذه الخطوات ،فاننا نقف أمام تجربة واضحة تعمل من أجل تركيز الحرية من جهة ، وتجديد التفكير المغربي على أسس ومقومات ليلائم فكر أمة القرآن ، ويصور واقعها وحقيقتها في عالم تتضارب فيه حياتها ، وواقع الظروف التي تعيشها في عالم اليوم الذى أصبح البون فيه شاسعا بين تفكير الامة الاسلامية ، وواقع التطور الفكرى والعلمي العالمي .. مما يصارع شعوبنا بضراوة لجعلها مادة سائغة للاتجاهات والمذاهب المنحرفة التي تستهدف تحويل الاتجاه الانساني وتقسيم ما يسمى بالعالم الثالث الى أسلوب استعمارى جديد يرتكز على الاستغلال والاستعمار واقتسامه بلغة القوة والسلاح نتيجة صراع خطير .. مبيت .

آفاق الفكـر المغربـي المقبـل

واذا كانت هذه النتائج قد وجدت انعكاسات مهمة داخل البلاد وخارجها وحركت آفاق الشباب العلمية ، ودفعتهم الى التفكير في ماضيهم وفي واقعهم على ضوء المقاييس الجديدة فان هذا يوضح آفاق الفكر المغربي المقبل ، ولو أن الصراع يخفي هذه المعالم في بعض الاحيان ..

هذا هو الاختيار الواضح المعالم والافاق الذى يدعونا للعمل الذى نعمل على ضوئه خصوصا عندما أصبح أسلوب العمل يرتكز على توحيد الصفوف ، واتحاد الجهود انطلاقا من حبل الله المتين ، الذى يصل قلب كل مسلم بقلب كل المسلمين في العالم باسره ، سواء على النطاق الوطني أو الجهوى أو القومي حيث تذوب المؤثرات الخارجية والمطامح التي غالبا ما يبعثها الاستعمار الجديد ، والشعارات التي تقدمها لنا في صور مختلفة عن طريق مدرسته وأسواقه الفنية والادبية والسياسية التي كان القصد منها تفكيك الوحدة والاسرة

وانني اومن وكما أكدت هذه التجربة الصامتة في عدد من الخطوات سواء على الصعيد الوطني أو العالمي في عدد من المجالات التي خاضها المغرب في وضوح وفي جلاء، أن هذه الاختيارات تشير الى أن المغرب الجديد قد قطع في هذا الاختيار خطوات يثني الجهد بالجهد ، لبعث الطاقة الخلاقة لتستمر على هذا المنوال طابعنا قائد محنك ، وشعب يقظ ، وعمل متواصل وارادة خارقة، وايمان صادق ورغبة أكيدة في البناء .. والوصول الى تركيز الاصالة والوضوح ..

والواقع أن هذه النتائج ليست نتائج عادية أو سهلة ، ولكنها ملامح ترتكز على بعث أسلوب مغربي أصيل يرتكز على دعامات أصيلة يستمدها من نضاليته وثقافته وسياسته . هذه الدعامات المغربية الصرفة التي تنبعث اليوم من صميم المغرب الذى ينطلق في خط واضح ، تؤكد الآفاق الانسانية المحيطة به انه خط أصيل وموصل ومستمر لبناء مغرب جديد .. المغرب الذى بشرت به ثورة الملك والشعب ، والمغرب الذى عاهد على بنائه أمة وقائد بشرت بهما هذه الثورة المباركة ..

الصورة الواضحة على مختلف المستويات

واذا كان على أن أتناول ولو صورة واحدة للتعريف بنتائج هذا الاختيار فانني سأختار تجربة (مسيرة فتح) (1) التي تعتبر نتائج تجربة عشرين سنة ، وعنوان الانتقال من حقبة الى أخرى ..

واذا ما حاولت أن ارجع أولا الى الوراء ، وثانيا أن أحاول من خلال التجربة المغربية أن أجد عاملا يجمع بين الاحداث ، وثالثا أن أصل الى نتيجة ملموسة واضحة المعالم فان هذه المسيرة في اختيارها ونتائجها ومعطياتها هي النتائج الاولى في اختيارها ونتائجها المغربي ، الذى يعمل ليصبح باطاره العام منهج هذا الاختيار .

---

(1) أو المسيرة الخضراء .

ومن هنا ، من هذا المنطلق فاننا نجد أن المغرب الجديد عند ما اقدم على بلورة الاختيار الذى أطلق عليه (التجربة المغربية (2) كان العالم المتقدم بالذات ينظر اليها بكل تقدير ، بل وتشجيع ، فاطلق على تجربتنا (المعجزة المغربية) (3) .

ولم تكن هذه التجربة الرائدة بل وهـذه المعجزة التي استخرجت تقدير الكثيرين وتنويه العالم المحب للخير، التعاون من اجله وفي اطاره، ولكن كان تخطيط المغرب الجديد ، يقطع مرحلة جديدة نحو الافضل والاسعد الذى ينطلق ابتداء من (مسيرة الله أكبر) نحـو تخطـي (مغرب المعجزة) الى (مغرب التحدى) للوصـول بالتجربة الى مرحلة الانتقال الطبيعي .

والنتيجة التي لا تقبل الجدل ان هذه التجربـة اختيار .. انطلق من تخطيط علمي صرف شاركت فيه الامة بكل فيئاتها .. وحاول ان يغطي كل المتطلبات والابعاد الذى يحلم بها ، وحطم أكبر عقبات العالـم المتخلف وهي الطبقات التي بعثها الاستعمار ، أو تولدت عن الاقطاعيات التي كان يرتكز على ابقائها .. وارتكز على بعث جمهور للامة الذى يعتبر بالدرجة الاولى هـو صانع التاريخ الحقيقي للمجتمع الاسلامي ، وهو صاحب التحول الاجتماعي الذى ارتكز عليه الفتح الاسلامي منذ البداية ، وفي مختلف مراحله ، ولذلك فان التجربة التي تحولت في نظر العالم الى معجزة شهـادة لقـواعـد الاختيار واصالته ، واطار واضح للذين يريدون المناقشة والتحقيق في الابعاد والنتائج .

ومن هنا فان أى منصف لا يستطيع كما لا يقدر أى ملاحظ ان ينكر مخطط (مسيـرة الله أكبر) . وان الامة التي حققت هذا المخطط انما هي جماهير أمـة واصالة ، وليست جماهير شعارات ومناسبات ، اعطت قدرة للاختيار ونتائجه ، واوضحـت ذلـك لاصحـاب الشعارات الجاوبة أو الموازية للغير .

وهكذا فان التحول واقع ، وان التطور يرتكز على اسس الاختيار الواضح ، وهما معا نابعان من الشروط المادية لوجود المجتمع نفسه (كما يقول هؤلاء) من غير تمرد على الاصالة ، ومن غير اهداف أساسها وعمقهـا الفلسفة الاستعمارية وتسلطها وحقيقتهـا الشعبيـة المباشرة في أهدافها وأبعادها بصور تختلف وبنوع من الروافد الغير الشجاعة في المواجهة ، وهو ايضا مـا يصوره شعار (المغرب الجديد) أو (مغرب التحدى) (4) على أن التجربة المغربية الجديدة لم تقف عند حد التجربة ولكنها وهي تلتقي مع التحدى في معطيات ونتائج مسيرة فتح فهي تؤكد في وضوح اصالة الاختيار المغربي ..

— ** —

انتهيت سابقا الى محاولة الاحاطة بالمقدمـات الاساسية للمغرب الجديد التي اعلن عن ميلاده بانطلاق مسيرة فتح في نونمبر من سنة 1975 لاسترجاع الصحراء المغربية .

ولذلك نعتمد ما نحاول أن نلقي الضوء على جذور صورة هي (المسيرة الخضراء) من خلال الاسلوب المغربي ذودا وحفاظا على وحدة البلاد واستقلالها وعزتها تحت راية القيم المثلى ، فان ذلك ينتهي الى ان فلسفة هـذه الصورة لم تختلف في الهدف عن فلسفة الرحلات الملكية المغربية منذ قيام الدولة المغربية التي تكاملت أسسهـا وقيمها بالفتح الاسلامي ، وتوطدت أركانها بالرسالـة المحمدية ، ورسخت أهدافها بفضل الثقافة الاسلامية العربية ، ومن ثم فمهما تنوعت اسباب هذه الرحلات والتنقلات وتأكدت صلاحيتها ، وتركزت أهدافها القريبة والبعيدة سواء بالنسبة لنفسية الشعب المغربـي ، أو بالنسبة لما ينتج عن هذه الرحلات من أعمال تنجز في عين المكان ، أو ما تحققه من الامال والاماني الخاصة والعامة .. فذلك ما جعلها غالبا ما تعمل عملها في الحيـن فتحرك عواطف الامة ، وتنطق الصامت والجامد فتحدث الحركة ، ويبدأ العمل ، وتسير القافلة ، ويتجدد السير .

---

(2) (التجربة المغربية (كتاب صدر عن دار مكتبة الحياة اللبنانية ، محمد عنان سنة 1968 يقع في حوالي مائتي صفحة .

(3) كتاب للاستاذ أحمد عسة صدر سنة 1975 يقع في : 744 صفحة .

(4) (التحدى) مذكرات صاحب الجلالة الحسـن الثاني ، صدرت بالفرنسيـة في مارس سنـة 1976 وهو في 284 صفحة .





الرحلات موضوع علمي صرف

وفي تاريخ المغرب القريب والبعيد ، رحلات خالدة (5) سجلت أعمال أنجزت في حينها (6) وانتصارات تحققت لغايتها ، وأهداف استهدفها الفاتحون لنصرة الحقيقة ، واقامة الوحدة في سبيل بناء صرح السلام وتعميم الرخاء ، وغرس جذور جديدة للمحبة والوئام والتوحيد ..

واذا كانت حركات الافراد العادية ، وبعض المظاهر الطبيعية الصامتة تترك من الاثر في النفوس ما يطرب، فلا شك أن حركات روادنا غالبا وأعمالهم دائما ما تكون خالدة لانها تسعد دائما ، وتحقق الامال والاماني خصوصا بالنسبة لملوكنا الذين عرفنا منهم من اختار أن يكون عرشه فوق فرسه ، ايمانا منه بان ذلك سيجعل ربوع مملكته مشدودة الاركان متماسكة الاطراف (7)

واذا كان للمغاربة ولوع خاص بالرحلات (8) فلقد أفردوا لها من الكتب والنشرات ما لا نستطيع له عدا في هذا العرض كما سجل الادباء والكتاب هذه الرحلات في صور مختلفة جمعت بين الروعة الادبية ، والتعبير الصادق عن الاهداف التي استهدفتها دائما ، ويمكن أن نحدد رحلاتنا في الصور التالية :

أولا : رحلات الفتح .

ثانيا : ورحلات التعهد والتفقد .

ثالثا : رحلات من أجل الدفاع عن حوزة البلاد وحماية النظام .

وقد أضاف لهذه الرحلات ملك المغرب المقدس محمد الخامس رحلتين جديدتين في تاريخ المغرب ، صاحبه فيهما ولي العهد جلالة الحسن الثاني . وشهد معه المشاهد كلها ، وحقق معه النصر وانطلق من بعده يطبق مخططاته برا بوعده طبقا لوصيته **ولرغبات أمته في الانطلاق نحو مستقبل واضح المعالم و (في احدى يديه قبس من نور الهداية الاسلامية ، وفي الاخرى مشعل العدل والاخاء والحرية لربط أواصر الاسرة الانسانية)**

والرحلات الجديدة هي :

رابعا : رحلة الكفاح والعودة من المنفى .

خامسا : رحلة استقلال الاقاليم الشمالية وتوحيدها .

سادسا : رحلة الوحدة وهي الرحلة التي تسلم فيها تغمده الله برحمته اقليم طرفاية .

سابعا : رحلة الوحدة التي ابتدأت برحلة الحسن الثاني الى ايفني التي تعتبر حلقة جديدة في حياته .

ولما كان جلالة محمد الخامس هو رائد (انبعاث المغرب) (9) فان تخطيطه لانبعاث أمته يرتكز على أسس هي الاسس التي ينطلق منها الاختيار الحسني ، سواء بالنسبة للسياسة الداخلية أو الخارجية ، الا ان نفس هذا الاختيار هو الذي حذا بمحمد الخامس الى أن يبدأ أول رحلة له عبر أقاليم المملكة المغربية سنة 1931

---

(5) رحلات محمد الخامس رضي الله عنه وهي كثيرة ، للداخل والخارج ، أهمها : (رحلة الجنوب) و (رحلة طنجة) و (رحلةفرنسا) سنة 1951 ، ورحلة المنفى سنة 1953 .

(6) أنظر مثلا :

أ ـ مجلة (رسالة المغرب) س : 6 ـ ع : 3 نونبر 1947 ص : 202 .

ب ـ قول القائد موسى بن نصير (نفح الطيب ـ ج : 1 ـ ص : 123 .

ج ـ مجلة (رسالة المغرب) ـ ص : ـ 1 ـ ع : 11 ـ غشت 1943 ـ ص : 12 .

(7) كما اشتهر ذلك عن جلالة الحسن الاول 1290 م. 1311 ه .

(8) أنظر (رحلة الهواري) صفحات : 292/297 .

(9) الاسم الذي أطلق على مجموعة الخطب الملكية الرسمية التي تصدر كل سنة باسم (انبعاث أمة) صدر منها لحد الآن عشرون جزءا .

وذلك بالفعل ما يشير اليه التعليق المنشور يومئذ (10) والذي اثار ضجة غير بسببها رئيس تحرير جريدة (السعادة) من أجل نشره للتعليق الذي جاء فيه :

« **من الامور المقررة في برنامج أعمال جلالة السلطان المعظم أطال الله بهجته وحرس مهجته ان يتجول سنويا بين ربوع ايالته لتفقد شؤون مملكته ، والاطلاع على ماجرياتها . والوقوف على عين حقيقتها ليكون جنابه السامي دائما على خبرة تامة من مهام الملك ، وأحوال البلاد وما أنجز فيها من مشاريع اقتصادية وزراعية وصناعية وغيرها من أعمال هامة ، ومصالح عامة تدعو الى العناية بها وتفقدها من حين الى حين تشجيعا لها على مواصلة السير في طريق التقدم نحو الغاية المنشودة التي يصبو اليها الكل بتعطش واشتياق ..** » (11) .

وفعلا فلقد أثرت الرحلات الملكية (12) على عهد محمد الخامس تأثيرا مباشرا داخليا وخارجيا كان في الحقيقة هو الطريق الاساسي الذي تركزت عليه الحركة الوطنية وعلى مخططاتها كانت تحقق هذه الحركة أهدافها الثورية في بث الوعي ، واذكاء الشعور الوطني ضد الاستعمار والتحركات الانهزامية والرجعية والاقطاعية الموازية للمستعمر حتى تحقق النصر .

المسيرة خلاصة الاختيار المغربي المتسلسل

وهكذا فاذا كان ضروريا أن أصل الى العوامل المؤثرة لاختيار أسلوب المسيرة الخضراء فاننا نجدها تستمد جذورها من فلسفة الاختيار المغربي عبر تاريخه الطويل حيث نستخلص ما يلي :

1) ان تجربة الاختيار بين معجزتها وتحديها مما مهد للمسيرة ونتائجها الواضحة ، السليمة في نظريتها، العلمية في منهجها .

(2) ان فلسفة اختيار الرحلات الملكية التي كانت طوال هذا التاريخ المتسلسل حلقات من المسيرات التي ظلت طوال هذا التاريخ أسلوبا سليما يرتكز على الحفاظ على الوحدة الترابية والوطنية ، ويحقق نتائجه سواء بالنسبة للداخل أو الخارج ، فهزم البعض ، وانهارت الاطماع ، فبلغ الهدف وتحقق ، وتغير التاريخ بالنسبة لعدد من الطامعين والمتطلعين .

ويشاء القدر الا أن تجتمع أغلب هذه العوامل على عهد جلالة الحسن الثاني ، وذلك ما جعلني انتهي الى نتائج هذه العوامل ، وهي التي جعلت التجربة تقف بين المعجزة والتحدي كما أوضحت ..

ولذلك فاذا ما أخذنا رحلات هذه الحقبة (1961/ 1976) فاننا نجدها تنقسم الى نوعين :

أولا : رحلات عبر جهات البلاد للانجاز والتخطيط، وترتكز في أبعادها على التعرف على أحوال سكان مختلف أقاليم المملكة ، ومن أجل الوقوف على مشاكلهم ، ومن أجل الاستماع اليهم من أجل الانصات الى دقات قلوبهم العامرة بالامل .. أو بالشكوى ، بالراحة أو بالتعب ، بالسعادة أو بالشقاء .

ثانيا : رحلات الوحدة وهي رحلات يمكن أن نحددها فيما يلي :

1) – رحلات سنة 1389 هـ . – 1970 م. الى كل من :

– تلمسان بالجزائر (13)
– نواذيبو بموريطانيا (14)

2) رحلات سنة 1395 هـ . – 1975 م.

في أكتوبر .

– تفجير الصخور الاولى لبناء (سد المسيرة) باقليم سطات .

في 16 اكتوبر :

– الاعلان عن (المسيرة الخضراء) (15) تحت راية القرآن الكريم التي تحقق هدفها في عين المكان ، وبالتالي

---

(10) سنة 1931 أي بعد ثلاث سنوات من تنصيبه ملكا للمغرب .
(11) جريدة (السعادة) (ع : 3694 – ص : 1 – 9جوان 1931) .

(13) أصدر مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور كتابا بعنوان : (مع جلالة الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان) – المطبعة الملكية سنة 1970 في 275 صفحة .
(14) (مع جلالة الحسن الثاني في نواذيبو) – المطبعة الملكية سنة 1970 ، 185 صفحة .
(15) أنظر مجلة (الفنون) المغربية – العدد الخاص بالمسيرة الخضراء (نونبر 76

على الصعيد السياسي محقق (المغرب لنفسه مجدا ، ووضع على رأسه تاجا ، وخلق أسطورة ..) كما قال قائد المسيرة ، في حين أعلن السيد محمد البجاوي رئيس (جبهة المغرب العربي للتحرير) ان هذه **الفكرة التي خرج بها صاحب الجلالة الحسن الثاني اثبتت عبقريته ، وذكاءه وفراسته، وانني قليلا ما استعمل هاته الاوصاف، ولكني استعملتها اليوم بدون اى تحفظ ، لانها تعبر عما شعرت به** (16) .

وهذا التحديد الواضح الذى شغل كثيرا من المفكرين وأطلق أقلام العديد من الكتاب والصحفيين والمعلقين الى الحديث عن (مسيرة النور) باعتبارها (تجربة فريدة **من الناحية السياسية ، ومن الناحية الاجتماعية والانسانية ، اى تثير التفكير في كل مشاكل مجتمعاتنا العربية ، مشاكل الانظمة والشعوب ، مشاكل الثورية والرجعية ، مشاكل الدين والاشتراكية والانفتاح والاستعمار والقومية .. فكانت المسيرة في ذاتها تجربة.. أيقظت في حركتها التاريخ الاسلامي القديم ، وأيقظت كذلك قضايا كثيرة كانت نائمة في المنطقة)** (17) .

ولا يتوقف معلق مجلة روز اليوسف القاهرية عند هذا الحد ، بل يؤكد مرة أخرى بان هذه التجربة كلها من الناحية السياسية ومن الناحية الاجتماعية والانسانية تبقى ظاهرة هامة عربية تحتاج الى اكثر من دراسة وأكثر من تحليل ، (18) .

وهكذا فاذا كانت (المسيرة الخضراء) قد جددت اسم المغرب ، وقدمته للعالم أجمع في صورة تجمع بين الاصالة والتجديد ، وبين الواقع والارادة فان الذى نعتز به هو ارادتنا ووحدتنا ، لاننا أكدنا على مدى التاريخ أنها وحدة ، لا تتبدل ولا تتغير ، وتلك هي مخاويف الذين رأوا في تأييد مسيرتنا الاسلامية موقفا ضد تجار الاشتراكية ومفهوم التقدم (19) وهم في نفس الوقت يدركون كم تكلف مثل هذه المسيرة من التقدير والاستقرار والانسجام لتكون (مسيرة مضمون حسابها حتى من الوتيد والتمع) .

وذلك ما دفع أحد الصحفيين المصريين لان يتحدث عن (مشاهد من الفتوحات الاسلامية بدون سلاح (20) وهو يكتب عن مواكبة المسيرة في عين المكان بينما أعلن الامين العام للمؤتمر الاسلامي انه يتمنى « أن تكون الامة المغربية وقائدها .. قدوة للتاريخ ، وفاتحة عهد العزة والكرامة والحق » .

وبعد ، فان عشرين سنة لتقديم المغرب الجديد للعالم، ومثلها من التخطيط والتجربة لتركيز الديمقراطية الحقة ، الديمقراطية التي تعني الامساك عن كل نوع من أنواع التهريج والاقتصار على العمل المجدى الوثيق الصلات بحقيقة الاشياء (22) كطابع للعهد الحسني بالخصوص ، أكدت حسن الاختيار . ومع ذلك فان المعركة القائمة تحت شعار هذا العهد يمكن أن نقول جازمين بأنها ذات شقين

في السياسة الداخلية : تحقيق التوازن ، وتركيز المكتسبات الوطنية في مختلف جهات المملكة . ومطاردة المخلفات الاستعمارية نحو خلق المغرب الجديد بأسلوب يعتبر معجزة العصر .

في السياسة الخارجية : الكفاح من أجل تحقيق الوحدة الترابية . وخلق الاواصر الانسانية وذلك ما تحقق بالفعل ولا يوجد في الشقين معا ، موضع آخر يمكن أن ينطلق منه اتجاه معاكس ، أو فلسفة تسمح بوضع اتجاه أو صيغة أخرى غير هذا السلوك ..

وتلك هي الايجابية التي أصبحت بكل وضوح وموضوعية طابع هذا العهد ، وهو الطابع المميز للسياسة الحكيمة التي ينهجها المغرب لتحقيق غد أحسن قوامه العمل المجدى الوثيق الصلات بحقائق الاشياء والاهداف.. وبكل هدوء وسكينة في أوضح صورة .

---

(16) أنظر جريدة (المغرب العربي) (ع : 134 — 9 — 12 — 75) ص : 1 و 2

(17) مجلة (روز اليوسف) القاهرية (عدد : 2476 — 24 — 11 — 75) — ص : 10 و 11

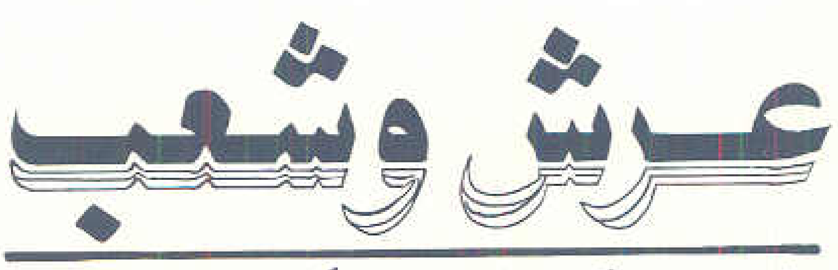
(18) نفس المصدر .

(19) نفس المصدر .

(20) نفس المصدر .

(22) خطاب صاحب الجلالة سنة 1966 .





عرش وشعب

لشاعر الوحدة الاستاذ : محمد الكبير العلوي .

عيد لـه عظم وعيد ثان ... ذو عزة فكلاهما ذو شان

المولد النبوى اشرق ساطعا ... وازياء بالايمان والاحسان

فاطل عيد العرش فى افق العلى ... فى برج يمن طالع وامان

فتجاوب العرش المجيد وشعبه ... فى نشوة وتعانق العيدان

فايهنا الحسن العظيم وشعبه ... وليسم مغربنا على البلدان

قالت وقد فتنت بغر بدائعى ... وبدر الفاظى وسحر بيانى

او ما يروقك ان تهيم بغادة ... هيفاء زان قوامها ردفان

فكأنها شمس الضحى اشراقة ... وكأنها فى الميس غصن البان

ما انت اول من دعاه الى الهوى ... والى الصبا عينان نجلاوان

وسبته فاتنه الجمال بدلها ... وببدرها ولدلها المتدانى

هيهات ما كلفنى بذلك وانما ... لدفين اشواقى حديث ثان

قد هِمت بالعرش المجيد متيما ... بمآثر الحسن العظيم الثانى

فنطقت بالحكم البليغة نافثا ... سحر البيان يرن فى الآذان

واضاء شعرى مشرقا بثنائه ... وتلألأت بمديحه اوزانى

وتلوت من اسمائه وصفاته ... آيات اعجاز على الاكوان

فتغنت الدنيا برائع نغمها ... انشودة قدسية الالحان

وادرت منه اكؤسا خمرية ... ذهبت بعقل الشاعر الفنان

فاهتز منتونا وقد لعبت به ... لعب السلافة بالفتى النشوان

لولاه ما صفت السموط قصائدا ولما نظمت قلائد العقيان
ولما ارتمت زهر البيان عرائسا وضاءة الهالات فى احضاني
وتناثرت درر البديع شتيتة كيما انضدها عقود جمان
فنظمت زخرفها النثير قلائدا يعتز مبدعها على سحبان
وزهت رياض الشعر وهى حدائق غلب يلذ قطافها للجاني
مسكية النفحات عاطرة الشذى فواحة مياسة الاغصان
فنعمت فى افنانها مترنحا وهصرت منها كل غصن دان
انا لا ازال عميدها وصريعها شغفا وحافظ عهدها المصطان
أنا لا ازال البلبل الصداح فى أكمامها الملتفة الافنان
انا ما ازال ولن ازال اسيرها لم انومن هجر ولا سلوان
اخلصت للعرش المجيد وشعبه وامامه قطب الورى الصمداني
عرش وشعب ساميان الى العلى فى صالح الاوطان ملتحمان
عرش نماه المحتد السامى الى خير البرايا المصطفى العدناني
وحشود شعب حرة مضرية والمازغ نميت الى قحطان
مولاى مالك فى المحامد ثان بل انت واحدها العظيم الشان
جلت مسيرتك الابية عزة وتقدست عن منطقى وبياني
أعلنتها خضراء لم تسبق الى امثالها فى سالف الازمان
فاهتزت الدنيا لها وترددت اصداؤها نووية الاعلان
لباك فيها للنضال وللفدا شعب أبى مخلص متفان
ورثوا المحبة والوفا لك فانتشوا لخطابك السامى بدون توان
ومضوا الى الصحراء فانتعشت بهم حمر الربى وضحاضح القيعان
امم يدحرجها الشمال جنوبه حسنية التوجيه والايمان
حملت الى الصحراء الوية الهدى خفاقة وادلة القرآن
رفعت بنود الحق فى ايسارها والمصحف القدسى فى الايمان
ومضت الى الوطن الحبيب ابية زحفا يدك معاقل العدوان
فكأنها الاعصار فى هيجانها وكأنها البركان فى فوران
وكأنها البحر الغطمطم جارف طاغ على الاوداء والكثبان
وكأنها صبح البشائر شامل وكأنها ليل المسرة حان
وكأنها القدر المحيط مجلجل متربص بالجور والطغيان
ما تلك الا امة حسنية شرفت وعظم شأنها الثقلان

علقت بحبك واستقل بها الهوى ... مشبوبة الاحساس والوجدان
كلفت به شغفا وجن جنونها ... فيه وهامت ايما هيمان
وتملأت احشاؤها وقلوبها ... بوفائها وبحبك الرباني
فاذا دعوت الى النضال حشودها ... واتتك فى طرب وفى هيجان
واتتك تبتدر الامام وكلها ... بطل القضية فارس الميدان
حررتها واثرت زاهر عهدها ... واقمت وحدتها على اركان
ورفعت اعلام الهدى خفاقة ... فى الخافقين تشع بالعرفان
ونشرت دين المصطفى قرآنه ... وحديثه فى عصرنا العلماني
وجعلت مغربك المحبب آية ... للناظرين وضيئة البرهان
فى كل شبر منه سد شامخ ... وحديقة غنا وروض هاني
فسما على اسس الحضارة زاهيا ... برقيه وجماله الفتان
وسمت مبانيه لتخترق السما ... فى عالم التشييد والعمران
وتنافست خضر الخمائل زانها ... متشاكس الازهار والالوان
فكانها جنات عدن زفها ... للمتقين ملائك الرحمان
متفيا الشعب الكريم ظلالها ... سعداء زاهر عهدك المزدان
وتعانقوا فى ظل عرشك اخوة ... ما شم من غل ولا ادران
واطل جيشك كالسعود طلائعا ... نووية فى ملتقى الجولان
واعتز فى سينا وشع سناؤه ... وجلاله لما التقى الجمعان
واضاء فى افق العروبة فانجلى ... عنها الضباب الحالك الظلماني
اقسمت بالعرش المجيد اليه ... ما كان ابعدها عن البهتان
ان ليس للحسن الهمام المرتضى ... فى مجده وفخاره من ثان
غمرت مواهبه الشمال فامطرت ... فيها بصيب جوده الهتان
وتهاطلت نحو الجنوب كريمة ... منهلة التوكاف والفيضان
فله ايادٍ فى العروبة جمة ... وله الايادى البيض فى السودان
عظمت فضائله فليس تفى بها ... اوزان اشعار وسبك معان
اخذت مآثره بافئدة الورى ... وشدا بوافر حمده الملوان
وتفنن الشعراء فى اوصافه ... ونعوته فى زحمة ورهان
رحب المجال واشرئبت ساحاته ... ليجول ذو سبق وذو ظلعان
فشرفت بالتحليق فيه ولم اكن ... لولاه احسن حرفة الطيران
لولا جميل ثنائه ما كان لى ... بالمستحيل من البيان يدان

حليت قصائدى الروائع باسمه ... وبوصفه السامى فهن غوان

وبدت وحيدة نسجها وسموها ... فى عالم الابداع والاتقان

فكانهن سموط تبر رصعت ... بغرائب الياقوت والمرجان

وكانهن الزهر مشرقة السنا ... وضاءة وهاجة اللمعان

أودعتها ثقل الصخور متانة ... ووهبتها لهف النسيم الوانى

فكانها فى رقة وحرارة ... ريح الصبا وقذائف البركان

أطريتها بمآثر الحسن الرضى ... فزهت تتر بمثلها العينان

وسمت بآيات الجمال فمالها ... كفؤ سوى الحسن العظيم الثانى



وثيقة تاريخية

عن زيارة جلالة الملك لتونس

سنة 1949

عثر عليها
شاعر المغرب العربي الكبير
الأستاذ مفدي زكريا .

نشرت جريدة (الارادة) التونسية التي كان يصدرهــا الزعيــم الدستوري المرحوم الاستاذ المنصف المنستيري فى عددها 778 السنة السادسة عشرة يوم الثلاثاء 9 رمضان 1368 هجرية الموافق 5 جويليــه 1949 ، مقالا قيما زاخرا بالعاطفة الاخوية الصادقة التي تعززها وشيجة القربى بين البلدين الشقيقين تونس والمغرب ، والتقدير البعيد المدى الذي كان يحظى به سمو الامير ولي العهد مــولاي الحسن الثاني لــدى اخوانه الابرار من اقطاب الوطنية والكفاح فى تونس الخضراء ، مع الاحتجاج الصارخ على ما قامت به أنذاك الاقامة العامة من ضرب حصار على سموه والحيلولة دون اي اتصال من اي تونسي به ، كبتا لمشاعــر الشعــب التونسي نحو سموه والوطن الشقيق الذي يمثله فى هذه الزيارة ، وخوفا من نتائج اتصال أمير مغربي مناضل مع اخوانه المناضلين بتونس ، والمقال تحت عنوان ((زيارة ولي العهد المغربي ـ تحية اخلاص واجلال لسموه ، صادرة من اعماق النفس التونسية العربية)) وبمناسبة عيد العرش المجيد أرفع هذا المقال لجلالة القائد المفدى كهدية متواضعة على يد مجلــة (دعوة الحق الحبيبة) مصورا طبق الاصل عن جريدة (الارادة) الغراء ـ مع خالص التهاني والاكبار والاجلال ، لجلالة الحسن الثاني المعظم ، رائد الابطال . ومعجزة الرجال ، وملهم الاجيال .

مفدي زكرياء

«يوم السبت 6 رمضان 1368 ـ 2 يوليو 1949 حظيت البلاد التونسية بشرف زيــارة منتظــرة بشوق عظيم قام بها حضرة صاحب السمو الملكــي المعظم مولاي الحسن اكبر انجال صاحب الجلالــة الشريفية عاهل القطر المغربي الشقيق وولي عهده .

وصاحب الجلالة الشريفية كما يعرف الجميع باعث النهضة فى القطر العزيز الشقيق ونافخ روحها لذلك حاز فى اقطار المغرب العربي خاصــة وفى العالمين الاسلامي والعربي مكانة سامية جعلتــه فى طليعة ركب الملوك الصالحين الموفقين العامليــن للخير العام الساعين فى خدمة امتهم وتعزيز اواصر الاخوة بينها وبين شقيقاتها القاصية منها والدانية .

والشعب التونسي ـ شقيق الشعب المغربي وجاره القريب ـ يدرك هذه الحقيقة ويقدرها حــق

التقدير . ويعلم اكثر من ذلك ان عاهل المغرب الجليل كثيرا ما كان فى تصرفاته وفى عمله فى سبيل امته اسوة كريمة وقدوة صالحة لهما اثرهما الطيب فى بعث عمل موفق جليل وسعي وطني رائع هنا .

لاجل هذا شاع الاستياء العظيم فى النفوس بصورة عامة لما راى الناس سلوك سلطات الحماية فى اعداد قبول دون ما يجب ان يكون لنجل العاهل العظيم . فقد وضع برنامج اقامة سمو الامير المغربي المحبوب على قاعدة « احتكار استعماري » منع الشعب التونسي من القيام بواجب التكريم اللائق بما لسموه من مقام عظيم فى النفوس .

ولقد كنا نتمنى ان تتمكن مؤسساتنا القومية والعلمية والادبية من شرف المشاركة فى الترحيب بسمو الامير المغربي الجليل وان تحظى بزيارة كريمة منه تكون فرصة مناسبة يظهر فيها الشعب التونسي عاطفة الاخوة التي تربطه بالشعب المغربي الشقيق وتزيد فى تمتين العلائق الوثيقة التي لا انفصام لها ولا تزيدها الاحداث الا قوة .

لكن اليد الاستعمارية خيبت املنا هذا ونجحت فى « احتكار » اقامة الامير المعظم « وحمايته » من التكريم الشعبي الاخوى . واذا كانت غايتها من صنيعها الممقوت ان تبلغ هدفا استعماريا يرمي الى احداث فرجة فى بناء الوحدة العربية الشامخ الذي الذي تستظل به شعوب المغرب العربي ، والى ارخاء روابط الاخوة والتضامن بين الشعبين الشقيقين : فاننا نؤكد لها انها خابت فى سعيها على طول الخط . ذلك ان ما جمعته يد الله العلي القدير لا يمكن ان تبدده يد الشيطان ولا ان تهدمه يد الاستعمار البغيض . والشعب التونسي والشعب المغربي سواء فى الايمان بهذه الحقيقة والحرص على التمسك بها والتأثر بنتائجها والسير فى هذه الحياة، حياة الكفاح والنضال ، على هداها ونورها القدسي الذي لا تطفؤه الافواه .

ومن اغرب الامور واشدها ايلاما للنفوس انهم حين « احتكروا » لانفسهم الامير الملكي المعظم وخصوا دعايتهم باستثمار اقامته فى قطرنا لم يقوموا نحو سموه الملكي بما يجب من الاجلال والتكريم بل ان التقصير كان واضحا فى كل خطوة وفى كل مرحلة من مراحل الزيارة . حتى ليلوح ان فى الامر شيئا مقصودا يراد به « وباحتكار الاقامة » الوصول الى هدف معين واحداث تاثيرات فى نفس الامير المعظم وفى اواسط الشعبين الشقيقين والقصرين الملكيين.

ومما يؤسف له انهم بذروا اشاعات هنا وهناك ساعدتهم على ترويجها اناس من ادعياء الوطنية ، صوروا فيها الزائر الملكي المعظم فى صورة العوبة او آلة مطيعة وقعت عليها يد الاستعمار فهي تستعملها فى تحقيق اغراضها وتحركها نحو الاتجاه الذي تشاء . وهو امر يتنزه عنه مقام ذلك الامير المعظم ابن ليث العرين وحامي الحمى وباذر البذرة الطيبة فى حقل الكفاح الوطني الطاهر . فأي عقلية مريضة استطاعت ان تقبل هذه الصورة الشوهاء مع ان النبعة المصفاة التي تحدر منها سمو الامير والبيئة التي ولد وعاش فيها والنشأة التي انشأه عليها جلالة والده المعظم التي ابهرت الانظار ولا تزال تبهرها وتهز المشاعر وتحرك احاسيس المجد والفخار فى النفوس ـ تقول ان هذا كله ؛ بل ان بعضا منه ليحول دون تسرب مثل هذا التزييف للحقيقة اللهم الا عند من لا يعرف هذه المقاييس الخلقية الكريمة او لا يحسب لهذه الاعتبارات جلالا وخطرا فى حياة الفرد وحياة المجتمع .

وكان من نتيجة اثر تلك الاشاعات ان مرت اجراءات الاقتبال واعداد برنامج الزيارة سواء للعاصمة او للقصر الملكي العامر بدون ان تلقى ما يجب من الاهتمام وبدون ان تثير اعتبارات التضامن والتعاطف والصلات الاخوية بين القطرين الشقيقين. حتى اذا انكشفت الحقيقة وتمزقت الغشاوة ظهر ان الذي تسبب بصنعه فى عدم اثارة الاهتمام اللازم انما اساء فى الواقع اساءة لا تغفر الى مقام القصر الملكي العامر والى الشعب التونسي الذي يجعل من مقام العرش الجليل مناط عزه وفخاره ومبعث شرفه ومجده فلا يرضى ان يساء الى هذا المقام الجليل اساءة موجعة .

وما لنا ان لا نفزع الى ساحة مولانا المليك الجليل المعظم ابقاه الله وسدد خطاه ونلوذ بأبوته السامية لشعبه وحدبه الكريم عليه وعلى ما يختلج به صدر ذلك الشعب المخلص الوفي من احاسيس وعلى ما يضطرب فى نفسه من امان وآمال ـ نقول ما لنا ان لا نفعل ذلك فى اخلاص واجلال وتعظيم ونصارح ذلك المقام السياسي القول ؛ ان الشعب التونسي جميعه شعر بالحزن والاسى حين مرت هذه الزيارة من الامير

الإرادة

« EL - IRADA » Hebdomadaire d'idées et de combat

4, Imp. Riad - TUNIS - Directeur : Moncef EL - MESTIRI

COMPTE COURANT POSTAL N° 10027

زيـــارة ولي العهد المغربي

تحية اخلاص واجلال لسموه صادرة

من اعماق النفس التونسية العربية

[illegible]



مؤتمر الثقافة الاسلامية

سعي موفق وعمل صالح جليل

[illegible]

المغربي المعظم ولم تقابل بما يجب . وانه ان انـــة موجعة حين علم ان اكبر انجال الحضرة العلية لـــم يخف الى استقبال سمو الزائر الكريم ممثلا للجانب العالي ابقاه الله كما جرت به العادة في استقبال كل من هب ودب من مختلف الشخصيـــات الفرنسيـــة وغيرها ممن يزور عاصمتنا بين حين وآخر ومعظمهم لا يداني مقامهم مقام الامير المغربي الجليل .

وان كذلك انة موجعة حينما راى اميرا مسلما يزور عاصمتنا اثناء شهر الصوم المبارك ويقوم باداء واجب الزيارة لمقام المليك المفدى في صدر المساء ثم يخرج من هناك ليتناول طعام الافطار على مائدة السفارة الفرنسية . ثم يذهب من هناك ليشهد حفلة ساهرة اقامها له الكاتب العام للحكومة او سيدهـــا المطلق العنان مسيو بروبي . بدل ان يقيمها كبيـــر الوزراء التونسيين . ومن بعد ذلك يعود لا الى ضيافة القصر الملكي كما جرى به العرف الدولي . بل الى ضيافة السفارة العامة حيث تناول طعام السحور ان لم يشأ سموه التمتع برخصة الفطر لاجل السفر .

نعم ساءنا ان نرى القصر الملكي وهـــو مصدر التقاليد الكريمة لا يتبصر المسؤولون المضطلعـــون بالامر فيه ؛ في حقائق ما يشاع وما يقال حتى يظهر في هذا المظهر ويحقق للاستعمار ما كان يرغب فيه وما يسعى اليه من طريق المكايد وبواسطة اعوان يلبسون لبوس الصداقة والاخلاص والوفاء وما هم الا ادعياء يقود خطواتهم الطمع وحب النفس ان لم يكونوا من المأجورين .

فاذا ما ارادت السفارة العامـة ان لا يذهـــب لاستقبال الامير الملكي في المطار الا موظفو الدرجة الثانية او القائمون بالنيابة . وان ينأوا بمقام السفير عن هذا الاستقبال وعن شرف تقديم الزائر لمليكنـــا العظيم مع انا نراه يذهب لاستقبـــال كثيـــر مـــن الموظفين الفرنسيين وبعض الشخصيات الاجنبية ممن لهم مقام مساو لمقام سمو الامير او دونه احيانا ويتولى تقديمهم لمقام المليك بنفسه ـ اذا ما ارادت السفارة هذا فلها شانها وليس لنا ان نجاريها فيـــه فلا يحضر كامل الوزراء بل ويتخلف شيخ المدينـــة الذي يجب عليه ان يمثل العاصمة التونسية ذلـــك التمثيل الذي اعتاد الحرص الشديد عليه وعلى ادائه بدقة كلما كان الزائر من افراد الصنف المحظوظ او من بني عمومة الصنف المحظوظ او ممن يرضى عنهم او يتبناهم الاستعمار صاحب القوة والسلطان ومن اليه الخفض والرفع والقبض والبسط والاغضاء عن العيوب . بل كثيرا ما تبرع باقامة حفلات الرقص ومآدب التكريم الخاصة وباحياء ليال حمراء تبهـــج نفوس السادة وترضيهم تمام الرضا .

الحق ان هذه الامور لمما يثير الوجع في النفوس الى ابعد مدى . ولو اننا وجدنا بعد تسلية في لفتـة كريمة صدرت من صاحب العرش المفدى حينمـــا تبدت النوايا واضحة فاصر حفظه الله على ان تجري مراسيم الاستقبال دون مراعاة لاعتبار الصبغة غير الرسمية التي تكتسيها الزيارة وقدم لسمو الزائـــر هدايا ملكية قيمة . ولكم كنا نود مع ذلك ان يستقبل الزائر حرس شرف كامل وان تؤدى له التحية الملكية اللائقة المناسبة لمقامه السامي بالموسيقى والعلم وان تصدح الموسيقى بالسلام السلطاني . وان يقلد سموه نيشان البيت الحسني فيكون ذلك تحية ملكية أخوية رائعة تربط البيتين المالكيـــن في القطريـــن الشقيقين باوثق رباط من الاتصال والمجاملة والتكريم . اما الشريط الاكبر من نيشان الافتخار فيكاد يمنح بصورة عادية الان لكل من يحظى بشرف المقابلـــة الملكية من الزوار الاجانب بينما الزوار الممتـــازون يمنحون وساما ارفع درجة منه فمنح الامير الملكـــي الوسام الذي له المقام الرابع بين الاوسمة التونسية لا يضفي على هذه الزيارة الملكية الصبغة الاخويـــة الممتازة التي تحرك المشاعر الطيبة في نفوس سكان القطريـــن .

هذه كلمة املتها الدوافع الوطنية وبعث الكاتب عليها الوفاء والاخلاص ونرجو ان يشفـع هــذا في صراحتها وان يكون لها التأثير المطلوب فتحدث في البيئات السامية الجو الذي نريده ونتمنى وجوده».

إهتمام العرش المغربي بشؤون القضاء ورجاله

أو تاريخ القضاء المغربي في فترة الحماية

للأستاذ محمد التاودي بنسودة

تحت هذا العنوان قدمت القسم الاول منه في السنة الفارطة بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لجلوس ملكنا المحبوب جلالة السلطان المعظم مولاى الحسن الثاني نصره الله وأيده ، على اريكة عرش أسلافه الملوك الفخام طيب الله ثراه .

فاستعرضت في ذلك القسم الاول ما لهم رحمهم الله من عناية فائقة ، بهذا القطاع الخاص الذى يعتبر الحجر الاساسي لبناء عدالة اجتماعية ، وتاسيس حضارة عمرانية في طول البلاد وعرضها والتي بدونها لا يكون هناك استقرار بالوطن ، وقد أبنت فيه بالتفصيل والبيان الاطوار التي تقلب فيها القضاء بديارنا المغربية ، من أول يوم لتاسيس الدولة العلوية الشريفة الى آخر عهد استقلال البلاد قبل عهد الحماية المبرمة بين سلطان المغرب المولى عبد الحفيظ رحمه الله بفاس في 11 ربيع الثاني عام 1330 هـ . موافق 30 مارس 1912 م .

لقد كان ذلك القسم الاول منحصرا في تلك الحقبة الذهبية من عهود القضاء الشرعي ببلادنا فعرف القضاء اذ ذاك استقلاله عن السلطة الحاكمة ، وعرف رجاله المجد اللائق بهم كقضاء علماء نزهاء ، لا يهابون أحدا الا ضميرهم النقي ، والا خوف الله العظيم الذى رفع من قدر المقسطين الى أعلى عليين .

واريد اليوم متابعة الحديث عن القسم الثاني الذى يبتدىء من أول يوم من عهد فرض الحماية على المغرب ، فأقول : اننا عندما نستعرض فصول تلك الحماية نجد أن عاهل المغرب المولى عبد الحفيظ صدر الاول ما ياتي : اتفقت حكومة الجمهورية (1) الفرنسية اهتمامه بما يتعلق بشؤون القضاء ، فقد جاء في فصلها ـ مع جلالة السلطان ، على انشاء نظام جديد في المغرب ، يسمح بالاصلاحات الادارية والقضائية والتربوية والاقتصادية والمالية والعسكرية التى ترى الحكومة الفرنسية فائدة في ادخالها الى المغرب .

ولقد أخذت فرنسا على نفسها والتزمت في عقد الحماية الذى امضاه سفيرها رينو بفاس بأن أول ما تفعله هو الاصلاحات المتعلقة بالادارة والقضاء فهل وفت فرنسا بما أبرمته وتعهدت به ...... ؟ يتبين الجواب عن هذا السؤال في الصفحات الآتية :

(1) التنظيم القضائي للدكتور الاستاذ موسى عبود .

اننا نجد أن المولى عبد الحفيظ الذى أبرم معها عقد الحماية قد الح عليها في تنفيذ بنود فصولها ، وبالاخص الفصل الاول منها الذى هو موضوع حديثنا انها لو طبقت حرفيا ذلك الفصل لكان القضاء في عهدها غير الذى تمشت عليه في سياستها القضائية لانها تمشت ببطء لا يبشر بخير اذ انها بدأت في التسويفات كداب المستعمر حينما يفوز بالغنيمة ، يحب أن لا يعطي منها ما يعجل بانتهاء ماموريته ، وهكذا انصرفت الشهور الاولى من الاتفاق ، ولم ترد أن تنفذ شيئا فلم يسع السلطان المولى عبد الحفيظ الذى عاش طول حياته وحياة آبائه وأجداده حرا يتصرف حسب مصلحة وطنه ومصلحة شعبه الذى أعطاه بيعته ليسير به الى الامام انه لم يسعه الا ان يتنازل عن العرش بعد ما رأى من انحراف رجال الحماية عما تعهدوا به ، فترك الامر لمن يخلفه .

فجاء أخوه المولى يوسف طيب الله ثراه وفي عهده وبعد الحاح من جانبه أيضا في البدء بالاصلاح القضائي بالبلاد لم يسع فرنسا الا أن ترضيه ، فصدر الظهير الشريف المؤرخ في 31 أكتوبر 1912 الذى انشئت بمقتضاه وزارة سميت بوزارة العدلية ، وعقب ذلك صدر منشور من لدن الصدر الاعظم مؤرخ بفاتح نونبر من نفس السنة يحدد مؤقتا اختصاص القضاة .

وفي 13 شعبان 1332 موافق 7 يوليوز 1914 حل محله الظهير الشريف الذى ظل زهاء ثلاثين سنة النص الاساسي الذى تخضع له المحاكم الشرعية بالمغرب . كما نبه على ذلك الدكتور موسى عبود في كتابه التنظيم (2) القضائي بالمغرب .

فقسم هذا الظهير رجال القضاء الى صنفين : قضاة المدن ، وقضاة البادية وكانت الاحكام الصادرة عن الصنف الثاني تستأنف لدى قضاة الصنف الاول وأحكام هؤلاء تستأنف لدى وزير العدلية ، بمشاركة جماعة من العلماء فكان وزير العدلية جامعا بين السلطتين القضائية والادارية .

وبقي العمل جاريا على هذا المنهاج الى أن حلت سنة 1921 م . فأحدث مجلس الاستيناف الشرعي بشريف الاعتاب الذى تستأنف لديه جميع الاحكام الصادرة من كافة قضاة المغرب .

وكان هذا المجلس يتركب من رئيس ونائب رئيس وأربعة مستشارين قضاة ، وأربعة نواب قضاة ، ويضم أربع غرف تنعقد كل منها بحضور ثلاثة أعضاء وكان لكل غرفة كتاب وأعوان وظل العمل جاريا طبق ما بين الى بزوغ فجر الاستقلال .

وكانت ادارة الحماية تراقب كلا من وزير العدلية ومجلس الاستيناف بواسطة مندوبين فرنسيين ينوبون عن مستشار الدولة الفرنسية في شان التوجيه والتسيير كما كانت اختصاصات المحاكم الشرعية محصورة في الاحوال الشخصية والميراث والعقار الغير المحفظ ، فلم يكن القاضي الشرعي صاحب الاختصاص العام ، كما كان شانه في عهد الاستقلال .

أما ما يرجع الى أول محاولة لتنظيم المسطرة المتبعة لدى هاته المحاكم فذاك راجع الى المنشور الوزيرى من طرف أول وزير للعدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو مؤرخ في 29 رجب عام 1333 موافق فاتح جوان 1916 ويشتمل على تسعة عشر فصلا كانت تتمشى عليها جميع المحاكم الشرعية بجانب المساطير المقررة لدى فقهاء النوازل والاحكام المتداولة والمقررة عند كافة القضاة بالايالة الشريفة .

وهناك بعض الظهائر تتعلق بامور تنظيمية اما بضبط قسم العدول كالظهير الشريف المؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1357 موافق 23 يونيو 1938 المشتمل على ستة عشر فصلا . والظهير الشريف المتعلق بخطة وكيل الغيب المؤرخ في 27 شعبان عام 1342 موافق 2 ابريل 1924 المحتوى على فصول ثمانية والظهير الشريف المؤرخ في 18 صفر 1344 موافق 7 شتنبر 1925 المتعلق بالوكلاء الشرعيين المشتمل على ثمانية وعشرين فصلا . والظهير الشريف المؤرخ في 22 حجة 1341 موافق 6 غشت 1923 المتعلق بأبي المواريث المشتمل على تسعة فصول « أنظر هاته الظهائر في ، « مجموعة مغيرة (3) » مطبعة ماروك ماتان بالرباط 1952 » .

أما ما يرجع الى تنظيم الدخول الى خطة القضاء وترقية القضاة ، فقد مر على صك الحماية 25 سنة وليس لهم تشريع ينظم ذلك الى أن حلت سنة 1937 م فعندها برز للعيان الظهير الشريف المؤرخ بفاتح رمضان عام 1356 موافق 5 نونبر 1937 م . وهو يشتمل على

(2) تاريخ المغرب في القرن العشرين لمؤلفه روم لاندو مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء .
(3) مجموعة مغيرة ، مطبعة ، ماروك ماتان ، 1952 .

ابواب اربعة كل منها يندرج تحته فصول الاول يتعلق بنظام انتخاب القضاة وكيفية ولوجهم للخطة ، ويتعلق الباب الثاني منه بكيفية التخلي عن الوظيف مؤقتا والرجوع الى الوظيف والاعفاء ، اما بابه الثالث فانه يتعلق بمراتب القضاة وتسميتهم الى اثنتي عشرة طبقة في مطلعها طبقة المتمرنين وفي نهايتها الطبقة الاستثنائية، وطبقة الخارج عن الطبقات ، ولم يكن احد من القضاة ليصل الى هاتين الطبقتين الا من كان مقربا لدى رجال السلطة الحامية كما هو معروف ومشاهد ولا ينبئك الا خبير ، اما الباب الرابع فانه ينظم العقوبات التي تلحق بالقضاة الذين لا يسبحون بحمد المندوبين والمراقبين والذين لا يسيرون على نهج هواهم ، ولا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها ، واهل مكة أدرى بشعابها .

ولم تكن للقضاة محاكم مشيدة في طول البلاد وعرضها باستثناء بعض قضاة عواصم المغرب والتي لا تعدو أصابع اليد ، على ان هاته المحاكم لم تشيد الا في آخر عهد الحماية وبعد احتجاجات من لدن ممثلي الاحزاب الوطنية كما لم يكن لهم محل لسكنى القضاة المغاربة بالخصوص ، أما القضاة الفرنسيون العاملون بالمغرب ، فانهم كانوا يتمتعون بما يتمتع به قضاة فرنسا الام كما سياتي التنبيه على ذلك ، اما ادراجهم في سلك الوظيفة العمومية فانهم ظلوا محرومين منها بل كانوا يتقاضون أجرتهم من مدخول الشهادات التي يؤديها المتعاقدان وكان قدرها ثلاثين بالمائة والباقي يتقاسمه العدلان الى ان أصبحوا موظفين يتقاضون أجرتهم كما يتقاضاها حكام المخزن وذلك بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 15 محرم 1371 موافق 17 أكتوبر 1951 . ولنتابع الكلام على بقية المحاكم وهي المحاكم المخزنية التي عرفتها البلاد طيلة عهد الحماية فاقول ، انه في 4 غشت 1918 صدر ظهيران يعتبران النص الاساسي بشان المحاكم المخزنية أولهما يضبط محاكم الباشوات والقواد والثاني يقضي بانشاء المحكمة العليا الشريفة بشريف الاعتاب .

وصدرت بعد ذلك نصوص تكميلية لهذين الظهيرين ، يقول الاستاذ موسى عبود في كتابه التنظيم القضائي بالمغرب : لكن العيب الاساسي الذى اتصف به هذا القضاء هو قيامه على اختلاط السلطة التنفيذية بالسلطة القضائية .

فالمحاكم المخزنية هي في الواقع عبارة عن مجلس يعقده الباشا أو القائد أو أحد خلفائهما للفصل في الدعاوى واصدار الاحكام بمحضر المندوب المخزني بجانب الباشا والمراقب المدني بجانب القائد وكانا معا بيدهما كل شيء .

وهذا الاختلاط مخالف لمبدا استقلال القضاء، لان الباشوية والقيادة وخلافتهما انما كانت وظائف سياسية ، لا تراعي في اسنادها الا المصلحة السياسية فضلا عن خضوع متوليها الى توجيهات السلطة وائتمارهم باوامرها ، أضف الى ذلك كله أن الاحكام الصادرة من الباشا أو القائد لم تكن مدعمة بقوانين مؤسسة من لدن سلطة تشريعية تعطيها الصبغة القانونية ، وقد لمس ذلك وعبر عنه أحسن تعبير السيد محمود عزمي مندوب جريدة الاهرام في زيارته للمغرب ابان اشتداد الازمة المغربية فقال « أمة بدون قانون » ولذلك كانت الهيئات الوطنية تطالب من جملة ما تطالب به مبدأ فصل السلطات ، الامر الذى حمل ادارة الحماية على اصلاح صورى .

فصدر ظهير شريف مؤرخ في 12 حجة عام 1363 موافق 28 نونبر 1944 يقضي بتاسيس محاكم أطلق عليها محاكم المفوضين ، ابتدائية ونهائية في الدعاوى التي لا تزيد قيمتها على 10.000 فرنك وابتدائيا فقط مع حفظ الحق بالاستيناف في الدعاوى التي تتراوح قيمتها بين 10.000 و 50.000 فرنك وكذا النظر في دعاوى الكراء مهما كانت قيمتها .

المحاكم الاقليمية :

في 15 صفر عام 1373 موافق 24 أكتوبر 1953 أنشئت المحاكم الاقليمية وكان صدور هذا الظهير يصلح لان يضع نواة تنظيم حديث قائم على مبدأ فصل السلطات واحداث الطعن على وجه النقض والابرام وكان عددها سبعا ، بالرباط ، والدار البيضاء ، ومكناس ، وفاس ، ووجدة ، ومراكش ، وأكادير .

فهذه أول خطوة خطتها فرنسا نحو الاصلاح القضائي الذى تعهدت به في أول يوم من حمايتها اى بعد مرور ما يزيد على أربعين سنة على بسط حمايتها بالمغرب ، انه عمل يتضاءل أمام ما أنجز في عهد الاستقلال كما سياتي بيانه في القسم الثالث بحول الله ،

المحاكم العبرية :

لم تكن هاته المحاكم العبرية موجودة في العهد القديم لان اليهود المغاربة كانوا خاضعين للشريعة الاسلامية والمدنية على العموم ، لقول الله : « **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** » (42 سورة المائدة) .

لكن الدولة المغربية تركت للجماعات اليهودية الحرية في فض ما يعرض لافرادها من دعاوى تتعلق بالاحوال الشخصية والارثية على يد احبارها طبقا للشريعة الموسوية ، نظرا لاتسام تلك الدعاوى بطابع ديني .

اما بعد الحماية بالمغرب فقد صدر ظهيران بتاريخ 12 مايه 1918 أحدثت بمقتضاهما محكمة عبرية أولية وعليا يشتمل اختصاصهما على جميع المسائل التي تدور حول قانون الاحوال الشخصية والارثية للاسرائيليين المغاربة .

فالمحكمة الاولية تقام في المدن التي تعين بمقتضى قرار وزيري ، اما العليا فمقرها في الرباط وهي تنظر على وجه الاستئناف في الاحكام التي تصدر عن المحاكم الاولية .

المحاكم العرفية :

اما احداث المحاكم العرفية فان فرنسا بمجرد ما بسطت حمايتها على تراب المغرب فكر رجالها في فصل القبائل البربرية عن سلطة سلطان المغرب ، ويظهر هذا الاتجاه السيء في عملها المتمثل في الظهير الذي استصدرته بتاريخ 11 شتنبر 1914 فقد ورد فيه بالخصوص أن القبائل المسماة بقبائل العرف تبقى خاضعة لقوانينها وأعرافها الخاصة ، تحت رعاية سلطات الحماية .

ثم عمدت بعد ذلك الى وضع أسس تنظيم قضائي عرفي بواسطة تعليمات صدرت عن المقيم العام ، وذلك بتاريخ 22 شتنبر 1915 بيد أن هاته التنظيمات كلها لم تكن قائمة على أي أساس تشريعي ، وحينما رأت سلطات الحماية أن الوقت حان لاعطاء صلاحيات لهذا التنظيم ، ادخلت على تلك التعليمات شكلا قانونيا فاستصدرت الظهير المسمى بالظهير البربري المؤرخ في 16 مايو 1930 م. وحدت به نظام القضاء الجنائي لدى القواد والباشوات ، شملت بمقتضياته المحاكم العرفية أيضا ابتدائية واستئنافية ، وعينت مراكزها .

كما احدثت سلطة الحماية قسما خاصا بالمحكمة العليا وسمته بالقسم الجنائي العرفي ، وتحكم هاته المحاكم العرفية بمقتضى الاعراف حتى في مسائل الاحوال الشخصية والميراث ، والتي منها عدم توريث المرأة .

وبذلك تم لرجال الحماية ما ارادوه من أول حمايتهم من فصل الاغلبية الساحقة من العنصر المغربي عن حظيرة الشريعة الاسلامية مع أن سكان المغرب البرابرة تقدمت لهم حكومات حكمت المغرب وحافظت على شريعة الاسلام ووحدة ترابه ، وناهيكم بالدول المرابطية والموحدية والمرينية .

وهذا العمل المبيت من أجل تنصير الاكثرية من سكان المغرب اثار ضجة كبرى داخل المغرب وخارجه، وكان عملها هذا ابتداء ظهور الحركة الوطنية بانتظام بالمغرب ودل على فشل سياسة رجال الحماية التي تتنافى مع بنودها التي تعهدت فرنسا بها في فصلها الاول كما بيناه في طالعة هذا البحث .

وان أحسن ما وجه لهذه اللعبة التي اقدمت عليها فرنسا هو ما ساقه صاحب كتاب تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاندو حيث قال : وكائنا ما كان الهدف المعلن عنه رسميا بالنسبة الى هذه الخطوة الجديدة ، فان المغاربة رأوا فيها احدى الخطوات لتطبيق السياسة المسماة « السياسة البربرية » لقد وصف الجنرال كاترو الامر بهذا الكلام « يبدو أن لوسيان المقيم العام تجاوز النصح الذى قدمه له المستشار السياسي الذى كان قد درب في مدرسة اليوطي ، وقبل بدلا من ذلك رأى مستشار قانوني كان قد أصبح مقتنعا بوجود المنافحة عن سياسة معينة ، تؤيدها « الجبهة البربرية » وقد كان هدف السياسة وضع القبائل البربرية مقابل السلطان والمخزن وذلك في سبيل عزلها عن الحياة السياسية في دورانها في دائرة مغلقة ، انظر تمام كلامه في الصفحات 176 الى 183 فقد أشبع الكلام حول هاته النقطة الحساسة في انطلاق الازمة المغربية .

ومنها ندرك تمام الادراك ما قامت به فرنسا من اصلاح قضائي يحمي مصالحها أولا ويعمل ثانيا على تأبيد مركز المبشرين على محو الدين الاسلامي بهذه

الديار ، ولكن « لا يحيق المكر السيء الا باهله » 42 سورة فاطر .

المحاكم الفرنسية :

انه لما يستغرب منه أن نجد اهتمام فرنسا بانشاء المحاكم الفرنسية يفوق اهتمامها بالمحاكم المغربية التي هي الاصل كما يتجلى ذلك مما ياتي ، ففي 9 رمضان 1331 موافق 12 غشت 1913 صدر ظهير شريف أنشأ بمقتضاه محاكم تتعلق بشأن الترتيب العدلي للحماية الفرنسية بالمغرب صدر ظهير شريف يشتمل على فصول ثمانية ينص فصله الاول على تأسيس محاكم محلية ومحاكم ابتدائية ومجلس الاستيناف بالايالة المغربية الداخلة تحت الحماية الفرنسية ، يحكم بها حكام اما اختصاص هذه المحاكم كما بينه الاستاذ موسى عبود بقوله فهو النظر في الاحوال الآتية :

1) متى كان المتهم أو احد المتهمين فرنسيا ، أو من رعايا الدول الاجنبية الاخرى .

2) متى كان المجني عليه فرنسيا أو من رعايا الدول الاجنبية الاخرى أيا كانت جنسية المتهم .

3) متى ارتكبت الجريمة أثناء انعقاد جلسات هذه المحاكم ، وفي مكان انعقادها ايا كانت جنسية الفاعل .

4) في بعض مسائل مختلفة تعينها مختلف الظهائر مثلا مخالفة قانون الصحافة وقمع الغش في المواد الغذائية والاعتداء على الملكية الصناعية والادبية والفنية .

وزاد الاستاذ عبود موضحا قوله : انها تتمتع بنظام صحيح ، وكان جهازها القضائي مؤلفا من قضاة مهنيين ينتسبون الى السلك القضائي الفرنسي وكانت تتمتع فوق هذا كله باستقلال مهني تام ، دون اية رقابة أو تدخل ، وكانت أحكامها قابلة للطعن على وجه النقض لدى محكمة النقض بفرنسا وهو تدبير وان كان يمس السيادة المغربية فمن الناحية العملية كان ضمانة لسلامة الاحكام وتوحيد الاجتهاد ، يضاف الى ذلك انها كانت مزودة بمجموعة من القوانين العصرية التقدمية سواء منها القوانين الجوهرية والقوانين الشكلية .

من هذا العرض الوجيز عن تأسيس المحاكم الفرنسية بالمغرب ندرك تمام الادراك ما لهاته المحاكم من أهمية لدى الحكومة الفرنسية ، لانها ترمي من وراء ذلك الى جلب المستوطنين الاجانب الى ارض المغرب حيث يعلمون حق العلم أن مصالحهم مضمونة بتوفر هاته المحاكم التي تصونها ولو لم يكن الاجنبي فرنسيا فيدخل في ذلك حتى رعايا الدولة الالمانية التي هي عدوة لفرنسا في الحربين العالميتين وبسبب ذلك استولوا على معظم الاراضي الجيدة بتراب المغرب وكان المعمرون كيفما كانت جنسيتهم يتحكمون في كل شيء حتى في شؤون الاقامة العامة بالمغرب فيبقون من المقيمين من نفذ خطتهم ويسعون في ابعاد من لم يسر على عواهم .

وهناك محكمة دولية بمدينة طنجة وتسمى بالمحكمة المختلطة وكانت تتألف من قضاة سبعة مهنيين ينتسبون الى الاسلاك القضائية لمختلف الدول ومن عدة قضاة محلفين يختارون من بين رعايا الدول الموقعة على عقد الجزيرة ، (انظر بقية الكلام في نفس المصدر ان أردت التوسع حول هاته المحاكم) .

وتتبع البيانات لا يهمنا في هذا البحث وانما نسوق ذلك مساق من يؤرخ لهذه الفترة التي مرت ببلادنا ، التي فقد القضاء فيها استقلاله ووحدته ، ويكفينا ان نعرف كيف مزقته دولة الحماية تمزيقا ذريعا ووزعت محاكمنا على أشكال مختلفة فاحدثت لاول مرة ما سمته بمحاكم شرعية وأخرى مخزنية وثالثة فرنسية ورابعة بربرية عرفية وخامسة قنصلية وأخيرا محكمة دولية هذه هي الحال في منطقة الجنوب المشمولة بحماية فرنسا أما في المنطقة الشمالية فانه يحسن بنا ان نجلب هنا ما تعرض اليه الاخ فضيلة القاضي السيد بوشعيب الادريسي رئيس الغرفة الاستئنافية سابقا بالناضور في بحثه (4) القيم المعنون بـ : نظام القضاء بالشمال ، حيث قال ولما بسط الاسبانيون نفوذهم على جميع منطقة الشمال عينوا في كل قبيلة وفي كل مدينة قاضيا وجعلوا رئيسا لهم بتطوان كان يدعى في أول الامر بقاضي القضاة ، ومهمته النظر فيما يستأنف لديه من الاحكام من نوابه الذين كانوا عينوا على رأس كل ناحية من النواحي الخمس ـ تطوان ـ العرائش ـ شفشاون ـ الحسيمة ـ الناضور .

---

(4) القضاء المغربي بين الامس والحاضر للاستاذ حماد العراقي مطبعة النجاح بالدار البيضاء ج

الى أن قال : أما تولية القضاة فكانت خاضعة لنفوذ المراقبين والقواد . ولم تكن في أول الامر بالظهائر الخليفية بل كان المراقبون اذا وقع اختيارهم على أحد عينوه . ولو لم يكن كفؤا بعد استشارة رمزية مع نائب قاضي القضاة في الناحية التي يعين فيها القاضي وتابع كلامه قائلا : وكانت الاحكام تصدر بمحضر قائد القبيلة والمراقب . هكذا كان الحال أيام قاضي القضاة بتطوان العلامة السيد محمد احمد الرهوني ، ولما أبعد وجعل مكانه العلامة السيد الحاج محمد أفيلال وأصبح على رأس وزارة العدلية رئيسا للاستيناف أصدر أوامره بفصل محاكم القضاة عن ادارة المراقبة .

وكان اختصاص القضاة في أيامه راجعا الى الاحوال الشخصية والقضايا المدنية ، أما الاملاك والجرائم فقد أسندت الى قضاة الدوائر .

وبقى النظام القضائي على هذه الكيفية الى شهر أكتوبر سنة 1938 أى في أثناء قيام الحرب الاهلية الاسبانية فعندها أصدر الخليفة السلطاني ظهيرا عين فيه اختصاصات القضاة الابتدائيين وقضاة النواحي والمحكمة العليا للاستيناف ، ووسع لهم في الاختصاصات بان يحكموا في جميع القضايا الراجعة الى الاحوال الشخصية والعقارية والتجارية وغير ذلك ما عدا الاملاك المحفظة .

وبعد ما وضعت الحرب الاهلية الاسبانية أوزارها في أوائل سنة 1939 م. طلب سمو الخليفة السلطاني من الدولة الاسبانية اصلاحات ، منها استقلال القضاء والاحباس فلبى طلبه كمكافاة على ما قدمه المغاربة المشمولون بالحماية الاسبانية اثناء الحرب .

فصدر ظهير خليفي مؤرخ بمتم يونيه 1939 يقضي باستقلال القضاء في المنطقة الشمالية ، أنظر تفصيل ذلك في المصدر السالف الذكر .

وقد أشار الاستاذ موسى عبود في كتابه المتقدم الى تنظيم القضاء بالشمال فقال : يتشابه التنظيم القضائي في الشمال أثناء الحماية الى حد كبير مع التنظيم نفسه في المنطقة الجنوبية ، لكنه يختلف عنه في بعض المسائل الرئيسية .

1) ان القضاء الشرعي كان يتمتع بالاستقلال حيث لم تكن عليه أية مراقبة من طرف الدولة الحامية، لاسيما بعد سنة 1938 م. أما قبلها فقد كان تحت مراقبة القواد المراقبين .

2) فرغما من وجود عنصر بربرى في القسم الشمالي فان الحكومة الاسبانية لم تنشيء فيه محاكم عرفية بل اقيمت محاكم شرعية في كافة تراب المنطقة المذكورة .

3) القضاء المخزني ظل حتى اخر عهد الحماية مختلطا بالسلطة الادارية ، ولم تتم محاولة لفصله عنها، وخلال سنتي 54 – 55 وقعت محاولة اصلاح هذا القضاء بتزويده بمجموعة من القوانين العصرية ، ووضع مشروع لهذه القوانين ثم جاء الاستقلال وعلى أى حال لم يكن المشروع يتضمن اصلاحا على أساس مبدأ فصل السلطات .

أما المحاكم التي عرفتها المنطقة الشمالية فهي :

1) المحاكم الشرعية ، 2) المحاكم العبرية ، 3) المحاكم المخزنية ، 4) المحاكم القنصلية ، 5) المحاكم الاسبانية .

هذا ما اردت جلبه في هذا القسم الثاني المتعلق بتاريخ تنظيم القضاء ببلادنا ، في عهد محنته أيام الاستعمارين الفرنسي والاسباني التي تفككت فيه وحدته وأفقد فيها استقلاله .

أما القسم الثالث من بقية الحديث فهو موضوع حديثنا المقبل بحول الله وقوته ، وسوف يظهر للقارىء الكريم عند ما يطلع على القسم الثالث الفرق الشاسع بين ما بذلته حكومة الحماية قرابة نصف قرن من توليها لشؤون البلاد وبين ما وصل اليه القضاء المغربي في عهد الاستقلال وما بذله جلالة سيدى محمد الخامس رضوان الله عليه من مجهود جبار حتى بوأه المكان اللائق به في مصاف الدول الراقية وما يبذله وارث سره جلالة مولاى الحسن الثاني نصره الله وأيده وأقر عينه بصاحب السمو الامير ولى عهده سيدى محمد وصنوه الامير مولاى رشيد وسائر الاسرة الملكية انه سميع مجيب والسلام .

(5) بحث قام باعداده الاستاذ القاضي السيد بوشعيب الادريسي رئيس مجلس الاستئناف بالناضور .

الإستعدادات الأولى للاحتفال
بعيد العرش
في 18 نوفمبر 1933

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

معجزة التضامن بين العرش والشعب في 18 نونبر 1933 ، رغم أنف المستعمر الاحتفال بذكرى عيد العرش المجيد لاول مرة صدر تلقائيا من الشعب الكريم ، حبا وهياما وتمجيدا وتقديرا ، كل محاولات السلطات الاستعمارية الغاشمة ذهبت أدراج الرياح أمام صمود أبناء الشعب المغربي الحر الابي ، حيث نفذت الفكرة في أبهى الحلل السندسية ، والاحتفالات البهيجة الخالدة :

كل رجال الفكر والسياسة يربطون الوثبة الاولى للحركة الوطنية المغربية بالقضية **البربرية 16 مايو** 1930

منذ هذا التاريخ استيقظ الشعب المغربي من الغفلة وأصبح شبابه وشيوخه يتتبعون حركات وسكنات المستعمر ويتعرفون على تدليسه وشعوذته وما يروجه في الاوساط بواسطة أذنابه وأعوانه، من الافتراءات والزيغ والضلال ، استيقظ الشعب وأصبح يعرف الحق من الباطل ، وفي هذه السنوات الثلاث ازداد الموقف وضوحا ، وانبلج ضياء حقيقة مواقف الجالس على العرش ، من جراء ما أظهره من وفاء لامته ، وحب وهيام بمصالحها ، ودفاع عن شرفها وكرامتها :

ظهرت محاولات تلاعب الحماة بكيان الامة وراج في الاوساط ما تحاوله الايدى الاثيمة من القضاء على شخصية دولتنا ، وما تبقى في يد سلطاننا من حق استصدار « **الظهائر الملكية » تشريعا وتقنينا** .

وشاعت موجة من التذمر والسخط ، عندما ذاع خبر محاولة الحماة في استصدار ظهير ملكي ، يسمح بموجبه لرؤساء الاقاليم المغربية من الفرنسيين المستعمرين أن يصدروا قراراتهم ، **بدل الظهائر الملكية سند عرش البلاد والحياة الكريمة لشعب المغرب وشخصيته .**

ساد القلق ، وظهر جليا ما يبيت للعرش المغربي من مكايد ، والامة المغربية من هوان بالتدابير المنكرة ، والاخلال والاختلاس ، لحق شعب عاش حرا طليقا ، قرونا وقرونا ، ورد كيد أعدائه مرات ومرات ، بواسطة عرشه المكين ، وقدسية ملوكه الاشاوس ، حينئذ تعلقت همة الطبقة الواعية من الامة ، وحصلت الاتصالات وتبادل الراى والمشورة ، ودراسة الاوضاع ، وما ستؤول اليه ان نفذ رأى المستعمر لا قدر الله .

في هذا الجو الصافي فكر ثلة من الاوفياء في طريقة مثلى تسد الطريق في وجه هذه المكيدة الجهنمية،وتقوي الالتحام بين العرش والشعب ضد العدو المشترك ،



المرحوم محمد حصار

عرض المرض ! وبحث **عن الدواء** . وظهر في الصفوف الاولى لهذه الحقبة الخالدة شاب وطني ، رفع صوته عاليا بالحق والصدق مناديا : ذلكم هو محمد حصار رحمه الله حيث نشر ندائين اثنين بالعربي وبالفرنسي ،

الاول نشرته مجلة « المغرب » التي كانت تصدر باللغة العربية لمؤسسها ومديرها الاستاذ محمد ميسا ، والثاني نشرته جريدة « عمل الشعب » الغراء اللسان المعبر عن الحركة الوطنية ، في أوجها وشبابها لمديرها الاستاذ محمد حسن الوزاني ، التي كانت تصدر بفاس .

وما كاد التاريخ المحدد يصل حتى اختمرت الفكرة بكل الاوساط ، وأصبحت النخبة الواعية من المغاربة جميعا ، تعمل على ابراز الفكرة لحيز الوجود ، رغم الحواجز والعراقيل التي بدت من المستعمر وأذنابه الحقراء !

قامت عدة مدن مغربية بالتفكير لتنفيذ المشروع . والظهور به للميدان اعلانا **بتمسكها بوحدتها الوطنية ، وكيانها القومي ، تحت ظل العرش العلوى المجيد ،** الذى قدر في الازل ان تصدر هذه الهزة النفسية ، في **عهد جلالة السلطان محمد الخامس البطل الوفي أسكنه الله رحاب جنانه .**

فكانت لمدينة سلا الفيحاء الاسبقية في اظهار معالم الزينة والافراح . والتجمعات والمظاهرات بالاناشيد والاغاريد ، تكونت لجنة هامة من خيرة أبنائها شبابا وشيوخا ، للقيام بالاتصال بالدوائر المسؤولة الرسمية والشعبية ، ونجحت في مسعاها ، وسجلت هذه المكرمة، وهنا أسجل للتاريخ ما نشرته جريدة السعادة بعددها **4051 السنة الثلاثون ، الخميس 4 شعبان 1352 موافق 23 نونبر 1933 تحت عنوان « احتفال سلا بعيد العرش المجيد :**

عبر الشعب عن اخلاصه العظيم لصاحب الجلالة أبى المعارف والمآثر والمفاخر . مولانا محمد بن أمير المومنين المقدس أبي المحاسن مولانا يوسف أيد الله ملكه ، وأدام نصره مع تعلق كبير بجلالته الشريفة ، نظرا لما لها من الايادى البيضاء على شعبها النبيل ، فمنذ جلوس جنابه الشريف على عرش أسلافه الكرام ، وهو ينظر بعين الاهتمام في مصالح أمته ، وفيما يعود عليها بالرقي ماديا وأدبيا ، ولاسيما من الوجهة العلمية، التي لا تخفى على أحد ما للمعالم من الفضل في ترقية الامة ، وتهذيبها ، وانقاذها من وهدة الجهل والخمول

ونظرا لما لجلالته من المحبة العظيمة في القلوب ، رأى سكان سلا أن يبرهنوا له على المحبة والاخلاص .

والطاعة باقامة احتفالات تذكارا ليوم جلوس **جلالته على** عرش المملكة المغربية .

وتألفت لهذه الغاية الحسنة ، والفكرة المستحسنة لجنة من أعيان المدينة وسراتها .



اللجنة المنظمة لحفلات عيد العرش بسلا سنة 1933

وبمجرد المذاكرة مع سعادة باشا المدينة العلامة ، حليف الفضل الحاج محمد الصبيحي الذى أبدى سرورا عظيما للجنة بهذه المشاركة ، وشكرهم على عواطفهم نحو جلالة الملك جاءت صبيحة يوم الجمعة فاستدعى اللجنة المشار اليها لمنزله للمفاوضة في كيفية الاحتفال » .

وهنا أتورع ان أنقل كلمات مزورة من الادارة الماكرة .

وما بزغت شمس يوم السبت 18 نونبر ، حتى بدت المدينة في أبهى منظر ، وأجمل مظهر ، احتفالا بهذا اليوم الزاهر ، وقد زينت فيها سائر الادارات الرسمية، والمحلات العمومية بالرايات المغربية ، وعلقت شارة الافراح على دكاكين التجار وأرباب الحرف والصنائع وغيرهم .

وفي الساعة الثالثة كان موعد الاحتفال الشائق الذى أقامه الباشا بمنزله الفخم ، فما دقت الساعة المذكورة حتى قصد سائر الاهالي على اختلاف طبقاتهم

منزل الباشا الذى كان مفتوحا للواردين عليه ، لاداء التهاني بهذا العيد الملوكي .

وكان سعادة الباشا وخليفته ، واعضاء اللجنة ، يستقبلون الواردين بمزيد من الترحاب ، وكانت آلة الطرب تشنف الاسماع بنغماتها الاندلسية ، وكؤوس الشاى والحلويات تدار على الوافدين : وكلما خرج فوج من دار الباشا ، قصد منزل فضيلة القاضي العلامة الشريف سيدى محمد بن ادريس العلوى ، الذى احتفل أيضا احتفالا عظيما بهذا العيد السعيد لا يقل أبهة على احتفال فضيلة الباشا .

وقد كان تلامذة المدارس يترنمون بالنشيد المغربي الذكر بنغمة لطيفة في منزلى سعادة الباشا وفضيلة القاضي .

كما وفد من الرباط لمشاركة سلا في افراحها طائفة من الوجهاء والاعيان وزمرة من الشباب الناهض .

كما أن يهود سلا اوفدوا بعثة من أعيان اليهود لدار الباشا لرفع مراسيم تهانيهم بعيد العرش ، ومن جهة أخرى : فان تجار القيسارية أقاموا مهرجانا عظيما وحفلة فاخرة ، كانت نغمات الموسيقى تتردد خلاله ، واكواب الشاى والحلويات تدار على الحضور، المنغمسين في حلة المسرات والانبساط .

ولا يسعنا هنا الا أن نسجل اسماء بعض الشخصيات التي ابرقت للجناب الشريف بهذه المناسبة السعيدة ، فلقد أبرق سعادة الباشا ، ورئيس البلدية ، وفضيلة القاضي ، وعميد آل عواد ، والنادى الادبي الاسلامي ، والجمعية الرياضية ، النجاح ، والشرفاء العلويون ، وجمعية المحافظين على القرآن من المدرسة القادرية وشرفاء البيت الوزاني » والجالية الاسرائيلية »

ابرقوا جميعا لجلالة السلطان حيث كان بمراكش الحمراء يهنئون فيها جنابه الكريم بعيد جلوسه على العرش ، ويؤكدون لجلالته الولاء الصادق والاخلاص في المحبة ، فتقبل جلالته كامل التلغرافات المرفوعة لجلالته من مدينة سلا وعددها يفوق العشرين .

وللتاريخ اسجل مفخرة الشباب البطل المقدام السيد « محمد حصار » رحمه الله . فهو الذى حرر جميع هذه التلغرافات واوجدها وهيأها باسماء أصحابها ، وحيثياتهم . ثم عرضها عليهم ، واحدا واحدا فاستحسنوها ، وقاموا بتوجيهها شاكرين جهوده ، وهكذا يسجل التاريخ البطولة الادبية ، والحمية الوطنية لاخينا شهيد الوطنية « محمد حصار » .

وكتبت مجلة « المغرب » في الرباط ، لمديرها الاستاذ محمد ميسا ، تحت عنوان : **عيد العرش بسلا ، في عددها 14 الصادر بتاريخ نونبر 1933 :**

« كان العيد بمدينة سلا فوق كل ما كانت اللجنة تظنه قد يكون ! فنودى بالعيد في الاسواق ، وزينت المدينة بكل ما في وسعها، الاعلام المغربية مرفوعة بكل جهة . لم تطلع شمس يوم السبت 18 نونبر 1933 حتى كانت المدينة لابسة حلة العيد ، المدارس المعطلة ، والدكاكين والمخازين كلها محلاة بالالوان المغربية : الاحمر والاخضر . على عادة المغاربة القديمة ، والناس يرتدون الجديد من ملابسهم ، يهنيء بعضهم البعض ، وقد أقامت الحرف نزهات فاخرة بالشوارع ، والاسواق، وفي الدكاكين ، وكان افخرها نزهة أقامها كبار تجار القيسارية في سوقهم بتكريم الشبيبة الوطنية بين الحرير والوشي والرايات المغربية ، والجميع يترنم بنشيد الاستاذ القرى في ذكرى عيد الجلوس السلطاني . وكان المنظر جميلا للغاية ، وأجمل ما فيه الشيوخ ينشدون مع الشباب بحماسة قوية :

انما الملك منا انما الشعب الشباب »

وكتبت جريدة « عمل الشعب » الغراء التي كانت تصدر بالفرنسية بفاس لمديرها الاستاذ محمد حسن الوزاني :

« فلقد استدعى الشبيبة الوطنية بفاس للتجمع في بستان أبي الجنون ، قهوة « جنان السبيل » ، ورغم تهاطل الامطار ، وعصف الرياح ، امتلات رحاب جنان السبيل بالشباب المطربش والمعمم ، واستعيرت المقاعد بكثير من مقاهي اخرى ، لكثرة الواردين ، وبقي عدد عديد وقوفا ، وكان الخدام يسقون الحاضرين ، الشاى والقهوة ، على حساب صندوق « عمل الشعب » الفيحاء والكل يحمل الوية صغيرة « راية المغرب » يلوحون بها وينشدون النشيد الرسمي الملكي لذلك اليوم الخالد ، لمنشئه الاستاذ محمد القرى » .

وللتاريخ أسجل النشيد الذى أنشي، لهذه المناسبة السعيدة :

أيهـا الشبـان هبـوا	**انكـم روح النشـاط .**
ولتحـيـوا في سـرور	**وابتهـاج واغتبـاط .**
ملكـا يحيـي البـلاد	**ملكـا روح الـرقـي .**
منه يسـرى للشبـاب	**فيقوى فيـه عـزمـا .**
مدينـا كـل الصعـاب	**فيـرى مندفعـا فـي .**
قـوة الاسـد الغضـاب	**قصـد اعـلاء البـلاد .**

أيها الشباب هبوا

هنئوا بالعيـد سلطـا	**ـن البـلاد المغربيـة .**
انه عيـد جلـوس الـ	**ملك الـذات الابيـة .**
فوق عرش الملك ارثـا	**عن صناديد الحميـة .**

عيـد شبـان البـلاد .

أيهـا الشبـان هبـوا

انــه عيـد عظيــم	**انــه عيــد الملــك**
سيـد الشبـان انــا	**منـك نعتـز بـك .**
فامـدد العـون الينـا	**كـي رقيـا نمتلـك .**

انت مـن ترجـو البـلاد .

أيها الشبان هبـوا

انــا الشبـان نزهـى	**ان يكون الملـك منـا .**
وهـو عـنـوان لان	**الملك المنصور معنى .**
بقـواه وأيـاديـ	**ـه وفي ذلـك معنـى .**

انـا روح البـلاد
أيها الشبـان هبـوا

ملـك الاوطـان مـن هـ	**ذا الشبـاب المستطاب.**
وشبـاب الشعب منسو	**ب الـي ذاك الجناب .**
فلتقولـوا في افتخـار	**انمـا الشعب الشباب .**

وهـو ربـان البـلاد :

كما احتفلت مدينة مراكش بهذا العيد بشكل بديع حيث جمع جمهور عظيم من تجارها ووطنييها مـالا لا يستهان به ، اشتروا به كساوى وأطعمة وزعت علـى أبناء **الجمعية الخيرية الاسلامية والضعاف والمحتاجين،** وأقامت على شرفهم حفلة زاهية . أطعمت فيها وكست جمهورا عظيما ، وأظهرت من المحبة والغبطة والطاعـة والولا، الى صاحب العرش ما خلده التاريخ بمداد الاعجاب والتقدير والتكريم .

كما نشرت مجلة السلام الغراء التـي تصـدر بتطوان لمديرها الاستاذ محمد داوود تحت عنوان **«حفظا للتاريخ»** ، ما يلي :

«وصلتنا الصور متأخرة ، فلم نتمكن من نشرها في الجزء السابق ، وقد سرنا بنوع خاص ما قامت به اللجنة المراكشية ، من اطعام آلاف الضعفاء ،والمساكين، واكساء المئات منهم ، وهي مكرمة تستحق الثناء عليها ، وسنة حسنة جدا لو انسج على منوالها في الاعياد المقبلة بحول الله ، واقامة حفلات عيد العرش لم تعرف في هذا القطر قبل هذه السنة الا انها عادة ينبغي أن تتبع في كل سنة لما فيها من البرهان القاطع على اخلاص الامة والتفاف سائر طبقاتها حول سلطانها الذى هو رمز سيادتهـا ووحدتها ، وعلى تعلقها بعرش مملكتها وحافظ كيانها خصوصا اذا انضم ذلك الى تعميم التوسعة على المحتاجين واطعام المساكين الضعفاء » .

هذه نظرة مبسطة عما حصل في نشو، هذا العيد الوطني الذى قامت به طوائف المؤمنين بعظمة العرش المغربي ووحدة الامة ، والتماسك المتين **بين العـرش والشعب** توضح بجلاء الداعين لاقامته ، والساهمين في ابرازه من قريب أو بعيد ، وهو كما جاء عفويا ، وبارادة الشعب المؤمن بقدسية عرشه وسلطانه ، والملتف حول قائده وملكه ، والمتفاني في حبه وتقديره ، من أجـل جهوده العظيمة ، ومواقفه الشريفة الخالدة التي برهن فيها جلالته على الوفاء لشعب ارتضاه وأحبه واصطفاه، وقدم في سبيله كل عزيز وغال .

وأمام هذا الموقف الايجابي الشجاع ، والبرهان القاطع ، والحجة القوية ، التي برهن بها الشعب المغربي عن حيويته وعبقريته ويقظته ، وسمو اعتباره، ووصوله لهدفه **« الشعب بالعرش والعرش بالشعب »** ، أرغم الحماة وأذنابهم ، على الخضوع والاعتراف رسميا بعيد العرش فأصدر الوزير الصدر ، اذ ذاك قراره الوزيرى باتخاذ

Novembre 1934 — Troisième Année — السنة الثالثة — شعبان ١٣٥٣





MAJALLAT EL MAGHRIB

تثقيفية عمرانية أدبية — مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

عيد العرش

صدر قرار وزيري باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة على عرش المغرب عيداً رسمياً . ولاهمية هذا القرار ننشر نصه باللفتين نقلا عن الجريدة الرسمية :

الحمد لله وحده

قرار وزيري

يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي :

الفصل الاول

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيداً لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعدا .

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الايالة الشريفة بتنظيم الافراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح او حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو مملكتهم الشريفة وتشتمل على :

أولا — تزيين المدن

ثانياً — الطرب في الاسواق

ثالثاً — تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية

رابعاً — يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف .

الفصل الثالث

أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف فان بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الاعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسم التهاني للجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة .

الفصل الرابع

لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد ولئلا يحدث بسبب هذا العيد الاخير ما يمس بالحياة التجارية او الادارية في المملكة الشريفة يقرر بأن افراح العيد لا

اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذى جلس فيه صاحب الجلالة ، محمد الخامس على عرش المغرب ، عيدا رسميا.

ويسعدني أن انتهز هذه المناسبـة السعيـدة ، والذكرى المجيدة ، فأختم كلماتي هذه برفع التهانـي لجلالة الملك الموفق . قائد المسيرة الخضراء ، ومحـرر بلاد الصحراء ، والراعي الامين لشعبه الوفي ، والسند المتين للعروبة والاسلام في الشرق والغرب **جلالة الحسن الثاني أيده الله ووفقه .**

الى جلالته نرفع التهاني بهذه الذكرى المجيدة ، مشفوعة بالولاء والاخلاص ، والطاعة والتقدير ، ان جلالته ليعد المثل الاعلى في السمو الانساني ، والعمل الدائب على جلب المصالح العليا للبلاد ، ونشر الامن والطمانينة بكافة ربوعها الفيحاء ، مع الاسهام بالوافر الكثير، من الجهود الخالصة المخلصة ، في سائر ميادين الشرف والكرامة ، بالشرق والغرب ، من أجل صيانـة العزة والكرامة ، لمغربنا ، ولكافة ربوع الامة العربية ، والاسلامية ، والرفع من شان الكل ، حياه الله ، وأسعده بالجزاء من ربه ، واقر عينه بسمو ولى عهده ، ووارث سره ، سيدى محمد ، وشقيقه الامير مـولاى رشيد ، وكافة الاسرة الملكية النبيلة .

« يمكنني أن اقول ان الشغل الشاغل لي في الصباح وفي المسا، في الليل، وفي النهار هو أن اكون دائما جديرا بثقة شعبي مجيبا لما يعلقه علي من آمال في مستوى المحبة التي يكنها لي ، حتى يمكنني أن أقوم بعون الله ورعايته وبالتفاف شعبي حولي بما يجب علي أن أقوم به من واجبات على اختـلاف أنواعها وأبعادها » .

جلالـة الملك
الحسن الثاني

شمس المنابر

للشاعر الاستاذ وجيه فهمي صلاح

غرد فؤادي وحيي سيد النجبا ... واشمخ بلحنك مزهو الرؤى طربا

حيي الامام وكبر حين تذكره ... ما غرد الطير فى اغصانه وصبا

العاهل الحسن الثاني بهمته ... سمت ديار وشعب للعلا وثبا

أبا المكارم حب الشعب قاطبة ... شمس المنابر اسهابا ومقتضبا

سلوا محافل هذا العصر كم شهدت ... من فكره نيرات بددت سحبا

سلوا المنابر فى باريس كم طربت ... لعاهل ينثر العرفان والادبا

أضاء حول ضفاف السين مشعله ... فى كفه يدعم الاسلام والعربا

هناك نالت فلسطين على يده ... ما عزز الفتح والتحرير والاربا

+ × +

يا ومضة العزم تسري فى مشاعرنا ... لنجعل النصر فى صحرائنا سببا

كي يورق الرمل مخضرا بوثبتنا ... ونزرع الحب والرمان والعنبا

يبني العيون رجال جل ما رسموا ... ليصبح الرمل فى كثبانها ذهبا

لينتشي الشمل اشراقا بوحدتنا ... ونملأ الافق فى افراحنا طربا

يا وحدة الصف تجني اليوم ما زرعت ... وتسترد لعز الدار ما نهبا

تيهي على المجد واستجلي شواهقه ... وعانقي النصر والاقدام والقضبا

المغرب الحر بالامجاد مؤتلق ... والعرش ينشر فى انحائه الحدبا

والعرب تلثم عزما فى أطالسه ... والشرق ينثر فى اجوائه الشهبا

حيا مليكا رفيع التاج نسبته ... لأكرم الخلق فى هذا الورى نسبا

فرسانه فى ربى الجولان ملحمة ... من البطولات ألقت فى الوغى لهبا

هشت دمشق لهم حبا سما نغما ... فهيج اللحن فى عليائها حلبا

تعيد سيف بني حمدان ممتشقـا ... يرد عن قاسيون الغـزو والكربـا
ولعلعت في ربى سينا مدافعنـا ... كالرعد تلقم أعداء الحمى عطبـا
ترد للعرب الامجاد عزتهـم ... وتفضح الزعم في صهيون والكذبا
وتحرق البغي انى كـان مصـدره ... امست لنيرانها اسرابه حطبـا
يا قائد النصر قد عادت كرامتنا .. ... على يدك واذللت الذي صعبـا
فقدر الجاحد الغدار وثبتنـا ... وبات يحسبنا غير الذي حسبـا
تلألأت في سماء الامجاد انجمنـا ... وسيف غدر العدا بين الاكف نبـا

+ × +

المجد للاطلس الجبار تنشـده ... ملاحم الحرب في دقاتها طربـا
وتستعيد الى الاذهان ما حملـت ... جيادنا من رجال ناوشوا السحبـا
صالوا على البغي في ادهى شراسته ... واسترجعوا من نيوب الاسد ما سلبا
هذي الشواطىء باسماعيلها عرفت ... من الكرامة ما احلولى وما عذبـا
لما أتاها بروح النصر فانطلقـت ... ترمي الدخيل ببحر موجه اصطخبا
وادي المخازن ما زال الحنين لهـا ... في كل قلب يهز العرق والعصبـا
وطارق الشهم روح في جوارحنـا ... يوم الجهاد تثور الاسد والنجبـا
دسنا رؤوس الافاعي في تحررنـا ... وكل أفعى سنتبع رأسها الذنبـا

+ × +

كم أشرقت في رباط الفتح موعظة ... من عاهل عبقري بالهدى وثبـا
ينير درب العلا في وجـه امتنـا ... ويرسم النصر موعـودا ومرتقبـا
يا خير داع الى توحيد امتنـا ... ما مثلك اليوم سبط يجمع العربـا
فاض الرباط حنينا يوم تدوتهـم ... وكنت فيهم اماما ماجدا وأبـا
اثنت عليك شفاه العرب قاطبـة ... من القلوب ثناء عاطرا وجبـا
لم لا وانت الذي فرجت كربتهـا ... فاستيقظت تدحر الاحداث والكربا
فدم مليكي منارا في تألقنـا ... ... ودام عرشك في أفراحنا سببـا
وصان ربي ولي العهد سركم ... ... من قلبكم يستمد العطف والحدبـا
ويشرب العلم صفوا من مناهلكـم ... وينهل الدين صوفيا ومحتسبـا
وليبلغ المغرب المقـدام منزلـة ... فوق الثريا بكم ، وليدرك الاربـا

نظرات سريعة حول

الانعكاسات التاريخية والدولية لاسترجاع الصحراء

للأستاذ المهدي البرجالي

ترتبط وقائع العالم وتتفاعل فيما بينها على وجه تحتمه طبيعة الحياة الحضارية الحديثة ، المتميزة بتقلص المسافات وانهيار الحواجز ، وشمولية نطاق التجاوب بين الافكار والتشابك في المصالح ، ومن ثم ، فان اى تطور يحدث على صعيد بلد من البلدان الا وتنعكس عنه دلالات معينة على المستوى الدولي في نطاق جهوى أو قارى أو أعم من ذلك ، وربما كانت تلك الدلالات ذات قيمة نظرية فقط ، تتعلق باعتبارات التاريخ دون أن تهم الحاضر المعاش الا في حدود ضئيلة ، الا انها قد تكون في أحوال أخرى على العكس ، موصولة باهتمامات الحاضر ،متأثرة به ومؤثرة عليه ، سواء ذلك في النطاق المحلي الذى شهد منطلق الحدث المرتبطة به تلك الدلالات ، أو في النطاق الدولي عامة .

ومثل هذا التفاوت في اهمية الوقائع التيتفرزها حركة الحياة هنا وهناك ، محكوم طبعا بعدة عوامل ، من بينها مستوى اهمية البلد بالذات ، الذي كان مجالا لنشوء الحدث ، متمثل ذلك في حساسية موقعه أو نباهة سكانه ، أو وفرة ممكناته ، أو طلائعية دوره أو ما الى مثل هذه المميزات مما يثرى قيمة المكانة التي يتبوؤها قطر من الاقطار ويثرى بالتبعية ـ قيمة المؤثرات المحلية أو الخارجية للاحداث التي تصدر بواعثها عن هذا القطر، أو تقع لنتيجة للتفاعل بينه وبين تطورات العالم المختلفة.

والمغرب من بين مناطق العالم التي توفر لها قدر مهم من هذه المميزات (اهمية الموقع والممكنات ، دينامية نشاط الانسان وخصوبة قابلياته) وذلك ما يلزم عنه أن يكون لتحركات هذا البلد في اتجاه استكمال شروط التحرر والنمو ، انعكاسات لها اعتبارها في مساق الفكر التاريخي ، من جانب ، وفي مضمون التفاعلات الدولية والعالمية الراهنة من جانب آخر .

ويعرف في مضمار التمثيل على ما ذكر ـ ما كان من صلة ظرفية ان لم تكن سببية بين استقلال المغرب وشمول الاستقلال منطقة المغرب العربي ثم غرب افريقيا، وهو مظهر واضح التعبير عن سعة الافق التاريخي والآني الذى تتم فيه التحركات والاحوال في حظيرة الحياة الدولية والعالمية المعاصرة .

وقل مثل هذا ، عن احتلال المغرب حينما وقع احتلاله أوائل القرن الحاضر حيث ارتبطت عملية الاحتلال تلك ، باشد بوادر الصراع بين الدول الاستعمارية ، واذ بلغت التناقضات بين القوى المتصارعة في هذا المجال حدا ، عجل بتفجير الحرب العالمية الاولى ، ثم دخول العالم فترة ترقب وتأهب لخوض الحرب العالمية الثانية ، التي أعقبها انهيار النظام الاستعمارى ، وتبلور الصورة الجديدة التي عليها عالم اليوم .

ان احتلال المغرب ثم تحرره ، حصلا كلاهما ـ كما نرى مما ذكر ـ في نطاق افق تاريخي من قبيل تلك الآفاق التي يتحول فيها مسار العالم عبر وجهات جديدة، تفرضها حركية التاريخ ، ومعادلات المنطق المحفوزة به هذه الحركية .

ومن غير مغالاة في القول ، يمكن التأكيد بأن خط سير المغرب قد انطبع في كثير من معالمه ـ بمدلول هذه الحال ، حالة التلازم بين التطورات التاريخية الخاصة به ، وتطورات التاريخ في أبعاده الدولية والعالمية البارزة

وقد توالى هذا التلازم على مدى الدهر ، فكان مما تبلور عنه من وقائع التاريخ الكبرى : بقاء وجود العرب في الغرب الاوروبي طوال قرون تحت تأثير التدخل المغربي لحماية الاندلس الاسلامية ، كما كان منه في صورة أخرى ، ما حصل من وقف الطلائع الاولى للتوسع الاوروبي عبر الشمال الافريقي وشمال الساحل الغربي للمحيط الاطلسي ، بعد ان تم للمغرب تحديد حركة التسربات البرتغالية عبر شواطئه انطلاقا من القرن الهجرى العاشر ، وكان من ذلك في مثال ثالث ، استمرار التكافؤ في السيادة خلال القرون الاخيرة بين الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ، متمثلة في مغرب المولى اسماعيل والمولى محمد بن عبد الله ، وبين الضفة الشمالية (الضفة الاوروبية) للمنطقة المتوسطية .

ومما كان من هذا التلازم في عصرنا : اضطلاع المغرب انطلاقا من بداية الستينات ، بدور طلائعي في مسلسل التطورات التي أدت الى تكريس فكرة التضامن والتكامل بين الافارقة في صورة المنظمة الحالية للوحدة الافريقية .

ثم كان من ذلك ايضا : احتضان المغرب سنة 1969 لاول جمع دولي اسلامي ، انبثقت عنه مؤسسات عملية ومنتظمة لتاطير التضامن الاسلامي ، وترسيخ فاعليته على نطاق عالمي .

ان هذه النماذج لتنتمي ـ كما نرى ـ لعصور متباعدة ، الا انها تعكس جميعها مستوى متماثلا فيما تشير اليه من ملابسات مغربية في مجرى عديد من الوقائع والتطورات المهمة على صعيد التاريخ العالمي .

ومن منظور هذه الزاوية ، يستشف المرء عددا من الدلالات المتصلة بموضوع استرجاع المغرب لصحرائه ، بعضها موصول بالسياق التاريخي للملاحم التي خاضها الكيان المغربي حفاظا على حوزته السياسية ومرتكزاته الحضارية ، وبعضها الآخر متصل بالانعكاسات الدولية لهذا الحدث ، وما تتضمنه من آثار ايجابية على صعيد القضايا والمشكلات العالمية .

ولنتناول هذين القطاعين في الموضوع :

أولا : الحدث من حيث دلالاته التاريخية :

وضمن هذه الوجهة في النظر ، يمكن استبانة الموضوع من مناظير اساسية وهي :

1 ـ من منظور تاريخ الصراع حول الساحل الاطلسي المغربي .

2 ـ من منظور حركة تصفية الاستعمار في عالمنا المعاصر .

3 ـ من منظور التكامل الافريقي والعوامل الاجنبية المضادة له .

ولنلمح في المامة جد سريعة ـ هذه المعطيات الثلاثة ، على ضوء الحدث الذى أنجزه المغرب باسترجاعه صحرائه ، مركزين في هذا السياق على التفتحات التاريخية التي صنعها بتحقيقه هذا الانجاز .

1 ـ جانب العلاقة بين الحدث ، وبين مسلسل الصراع حول الشاطيء الاطلسي :

على الرغم من ان احتلال القوى الاجنبية لصحرائنا المستردة ، يرجع الى بضعة عقود فقط ، فان عموم الشاطيء الاطلسي المغربي الذى تشكل هذه الصحراء امتداده الجنوبي ، قد استمر ـ على مدى تاريخي طويل ، محط انظار التوسعيين الاوروبيين ومستهدفا رئيسيا من مستهدفاتهم في افريقيا ، منذ مطالع القرن السادس عشر ، وترجع أصول القصة كما يعرف تاريخيا ـ الى العهود المتاخرة من ملحمة الدفاع المغربي عن الاندلس ، حيث اخذ الايبريون ـ اسبانيين وبرتغاليين ـ يغيرون على السواحل المغربية للارتكاز فيها ، مستفيدين من انقلاب موازين القوى في العدوة الاندلسية لصالحهم ، وبالتالي ، تراجع القوة الرئيسية،

قوة المغرب ، التي كانت تحصرهم في نطاق معين داخل البر الايبيرى ، وقد بدأت الاغارات الايبيرية على الساحل الاطلسي المغربي في وقت مبكر جدا حيث شهدت ـ سلا اثناء سنة 658 هجرية ، أى خلال عهد السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ـ هجمة شرسة من قبل بعض البحارة الايبيريين ، كانت من اولى المحاولات التي بذلت بهذا الصدد ، وسجلت القرون التالية ، سلسلة طويلة من غمرات الصراع بين الايبيريين والمغرب حول الساحل الاطلسي سعيا من أحد الطرفين لانتزاع نقط ارتكاز في الساحل ، تتخذ منطلقات لمزيد من اكتساح أراضي الغير ، ودفاعا من الطرف الاخر ، عن المواقع المعرضة للاكتساح .

وتتضافر مختلف القرائن على تأكيد الاعتقاد بأن الحملات التي سنت على المغرب في هذا النطاق ، كانت تخضع لاستراتيجية محددة الاغراض والمواقع ؛ تستهدف من بين اساسي ما تستهدفه ـ النفوذ ـ عبر الساحل الاطلسي المغربي ـ الى أقصى ما يمكن من امتدادات هذا الساحل نحو الجنوب ، ومن المؤشرات التي كان من المكن استبانة هذا الاتجاه منها :

أ ـ بروز الارهاصات الاولى للغزو الايبري للمغرب عبر الساحل الاطلسي ، وليس خلال الشاطىء المتوسطي (احداث «سلا» سنة 658 هجرية التي أشير اليها من قبل) .

ب ـ تعدد التوسع الايبرى خلال الساحل الاطلسي الى نقط جد متقدمة باتجاه الجنوب حتى مشارفة الافاق قبل الصحراوية (نزول الايبريين بناحية اكادير سنة 875) .

ج ـ تقديم الغزو الايبرى ـ في حملته الكبرى خلال العهد الوطاسي ـ المناطق الساحلية الجنوبية التي احتلها ، على بعض النقط المهمة في الشمال التي كانت هي كذلك مستهدفة في خطط هجوماته (مثل : نزول البرتغال في حصن فونتي بناحية اكادير سنة 875 هجرية قبل نزولهم بالعرائش سنة 190 هجرية) .

د ـ شدة تمسك الغزو الايبرى أكثر ما وسعه بالمناطق التي تمكن منها في الجنوب المغربي ، كما يتجلى ذلك مثلا في تشبث البرتغال بمواقع احتلالهم في الجنوب طوال 72 سنة مع أنهم جلوا عن مناطق أخرى بالشمال في فترات أقصر ، رغم ان مقاومتهم من طرف المغاربة ، كانت شديدة سواء في الشمال او في الجنوب.

لقد كان الجنوب المغربي ، حسبما نستشفه من هذا ـ مقصدا قديما من مقاصد التحرك التوسعي الاوروبي منذ انطلاقة ذلك التحرك قبل خمسة قرون خلت ، والجنوب طريق الصحراء بطبيعة الحال ، واقاصيه ، هي صميم الصحراء بالذات ، ثم هناك بعد ذلك الآفاق مفتوحة نحو افريقيا السوداء ، الارض البكر التي طالما حلم بها الاوروبيون قبل أن يتمكنوا من احتلالها .

وهذه واحدة من ملابسات الغزو الاوروبي للصحراء حينما تطلع اليها نفس هؤلاء الايبريون اعتبارا من أواخر القرن الماضي ؛ أى بعد قرون من محاولاتهم الاولى اثناء القرن السادس عشر للتغلغل في الشاطىء الاطلسي المغربي ؛ حتى امتداداته الجنوبية .

وفي ارتباط بهذه الملابسات ، نستجلي معاني تاريخية قيمة من حدث تحرير الصحراء ، واسترجاع الوطن بتحريرها وحدته وتكامل كيانه .

2 ـ جانب العلاقة بين الحدث ، وحركة تصفية الاستعمار على الصعيد العالمي :

يعتبر المغرب من اخريات الدول التي تعرضت للاستعمار ، ومن اولى الاقطار التي تحررت منه في مضمون موجة التحرر التي شملت افريقيا وآسيا عقب الحرب العالمية الثانية ، الا اننا اذا وضعنا في الاعتبار التسلسلات الايبرية القديمة الى الشاطىء المغربي خلال القرن السادس عشر ؛ فاننا نرى ان المغرب بهذا الاعتبار ، كان من أقدم أهداف التوسع الاوروبي قبل ان يستفحل هذا التوسع في مجرى القرون الاخيرة .

انها مرحلة ازدواجية في علاقة المغرب بالاستعمار ، تتمثل في قدم هذه العلاقة من جانب؛ (اعتبارا لما عاناه المغرب انطلاقا من القرن السادس عشر) وحداثتها من جانب آخر ، اذا حصرنا النظر في أمر الاحتلال الشامل للمغرب أوائل القرن الحاضر .

وكما هو ظاهر ، فان ظروف المغرب الموقعية والتاريخية ، قد فرضت عليه علاقة نوعية بالاستعمار على هذا الوجه ، تتشكل منها ظاهرة ذات طبيعة خاصة ، ولعل من ارتباطات هذه الظاهرة، ما كان من تجزؤ المغرب – تحت النظام الاستعماري – مناطق وجيوبا مختلفة ، ثم ما كان – بعد ذلك – من تمرحل التوقيت الذى انتزع فيه استقلاله ووحدة كيانه .

لقد عاصر المغرب – نتيجة ظروف علاقته بالاستعمار مختلف اطوار الصراع ضد التوسعية الاوروبية منذ انطلاقتها الاولى ، وشارك بفاعلية جد مؤثرة في توجيه استراتيجيات هذا الصراع ، وتكييف نتائجه ، وباسترجاع المغرب للصحراء ، يكون قد ادى – فضلا عن الاعتبارات الوطنية للعملية – اسهاما قيما في سياق المرحلة الاخيرة للعمل على انهاء النظام الاستعماري العالمي ، وتصفية تركته .

ويتم التاريخ الاستعماري لدولة الاحتلال التي انتزعت منها الصحراء ، عن هذه الملابسة الخاصة التي تكتسيها العملية التي انجزها المغرب ، فالصحراء التي وقع تحريرها ، ليست فقط فلذة كبد كيان قومي ارجعت لاصلها ، بل ان هذا الاسترجاع ، ليشكل مظهرا لتهاوى بقايا امبراطورية استعمارية عتيقة ، ترجع جذورها الاولى الى بداية الاستعمار الحديث نفسه ، ويمثل النضال القومي الذى افضى الى استردادها – متوجا بحركة المسيرة الخضراء – صورة عن طول نفس الوطنية التي خاضت هذا النضال ، وعبقرية الصمود الذي مكنها من موالاة الصراع ، وتحمل مقتضياته طوال هذه الحقبة من بداية النظام الاستعماري الى ساعتنا هذه ، حيث يلفظ الاستعمار الحديث آخر أنفاسه .

الحدث من منظور التكامل الافريقي ، والعوامل الاجنبية المضادة له :

ما برحت الصحراء تشكل ممرا او معبرا لحركة الرجال وتبادل المصالح التجارية ، والاطروحات الفكرية والحضارية والمنافع من كل نوع ، بين المغرب وغرب افريقيا ، الا ان ما انتهى اليه التدخل الاستعماري في المنطقة هو تحويل التفتح هذا ، فيما بين طرفي الصحراء الى حالة انغلاق وعرقلة استمرار التواصل الحر والكثيف بينهما على هذه الصورة .

وتوحي المقولات التي روج لها المستعمر زعما بان الصحراء كانت خالية من السكان قبل نزول المحتلين بها – يوحي ذلك بان النوايا الاستعمارية كانت ذات طبيعة جذريه ، بحيث تتجه الى تخليد بقاء الوضع الاحتلالي بالصحراء الى ما لا نهاية ، ولو ان هذا حصل، فعلا ، لكان قد ادى اذن ، الى تكريس حالة الانعزال بين المغرب وجنوب الصحراء ، وخلق وضعية داخل الغرب الافريقي ، مناقضة للمنطق التاريخي والجغرافي بالمنطقة ومعززة للاحوال الشاذة من هذا القبيل في مناطق اخرى من العالم .

وقد تم تحرير الصحراء ، وبقدر ما تحرر المغرب – بهذا الانجاز – من حالة تجزئة تسلطية ، كان مفصولا بمقتضاها بعضه عن كله ، فان كافة القطاع الغربي الافريقي قد تحرر – في هذا المضمون – هو الآخر – من وطأة تدخل اجنبي ، كان يلقي ظلالا كثيفة على عامة المنطقة ، ظلالا تعترض السياق الطبيعي والتاريخي لتواصل طرفي المنطقة وتجاوبهما . وهذا – من منظور التاريخ – حدث كبير في موضوعه وملابساته ، اذ انه يعكس نهاية سعيدة لقصة الصراع بين قوى التوسع التي ما فتئت تتداخل كحاجز عازل للمغرب عن افريقيا،

وبين طاقة الصمود المغربي التي لم تتوان طوال الدهر عن زحزحة هذا التدخل وزحزحته ، الى حين التوصل ، لتصفيته واجتثاث جذوره .

هذه جملة من الدلالات التاريخية المرئية من خلال الانجاز الذى توصل اليه المغرب بتحريره صحراءه واستكماله وحدته الترابية ، وهذه الدلالات – وان كانت جذورها – كما يلحظ – تتعمق في خلفيات التاريخ بمسافة غير قصيرة ، فانها تلتقي مع ذلك بعدة اعتبارات في السياسة الدولية الراهنة ، وتتشكل منها في هذا النطاق انعكاسات شتى على الصعيد الجهوي والافريقي والعربي ، وهذا ما يقودنا الى القطاع الثاني من الموضوع وهو : :

2) **الانعكاسات الدولية للحدث**

ونتطرق الى هذه الانعكاسات من خلال ثلاثة مواضيع هي :

أ – موضوع انشطة التخريب الدولية

ب ـ موضوع الاطروحات الانفصالية ، والتحركات الهدامة الواقعة في هذا النطاق .

ج ـ موضوع المناورات المستمرة لبلقنة افريقيا ، وتفتيت بعض الكيانات فيها .

لقد فرض المساق العالمي في أطواره المعقدة الحالية ، أن يصطدم نضال المغرب لتحرير صحرائه بجهتيـــن مزدوجتين ، تتمثل احداهما في قوة الاحتلال ، وتتشكل الثانية من مجموعة التيارات التخريبية الموحدة ـ رغم تباين مشاربها وحوافزها ـ حول العمل على عرقلـة جمع الشمل المغربي وتأييد تجزئته .

وكان استرداد المغرب للصحـراء ـ فضلا عـــن منطوياته الوطنية ـ ذا انعكاسات مهمة على صعيـد الامن الدولي ، فيما يهم ضرورات هذا الامن ، من تحجيم انشطة التخريب والانفصال والتفتيت ، وتقليص المجال الذى تجرى فيه هذه الانشطة باكثر ما يمكن .

وهذه بعض المؤثرات في الموضوع :

انشطة التخريب الدولية

هناك حقيقة يمكن ان تكون محط اتفاق الآن بين كافة الملاحظين ، وهي ان استرجاع المغرب لصحرائه ، قد وضع حدا لاحتمالات واسعة للتخريب الدولي في عموم قطاع شمال المغرب الاريقي ، فضلا عما وضعه من حد للوجود الاستعماري التقليدى ، الذى كان جاثما على الجنوب الصحراوى المغربي .

ومنطقة شمال الغرب الافريقي ، كما يعلم ـ من بين المناطق المرموقة في تعيين المواقع الستراتيجية في العالم ، وتقييم النقط الحساسة ضمن خطوط الاتصالات العالمية ، الا ان المنطقة ـ رغم ما هي عليه من هذه الاهمية قد ظلت لامد غير يسير ، بمنأى عـن متناول انشطة التخريب الدولية ، التي اتجهت الى قطاعات اخرى في افريقيا ، اقل مناعة ازاء التسللات الخارجية، وأكثر ثغرات فكرية ونفسية وسياسية وتنظيميـة ، لتسريب التخريب المرتبط باهداف هذه التسلـلات ، وتوسيع عملياته .

وما فتئت حصانة منطقة شمال الغرب الافريقي مرتكزة على أرضية صلبة من التماسك الاجتماعـي لسكانها ، ومتانة جذور قيمهم التاريخية والحضارية ، وقوة ارتباطهم بمثلهم ، وانماط حياتهم المتميزة ، الا ان وجود الوضع الدخيل الذى كان قائما في الصحراء ـ لم يكن من شأنه ـ لو استمر وقتا أطول ـ الا ان يقلـب موازين الاستقرار الدولي ، المخيم آنئذ على الناحية ، ويفتح منافذ شاسعة وغير محدودة ، لتطلع قوى مختلفة وغير مراقبة ، للتدخل في عين المكان ، واتخاذه موطىء قدم لممارسة مناهج التخريب التـي تستهدف السيادة المغربية أولا ،ومنطقة شمال الغرب الافريقي عامـة ، مرتبطة في ذلك ، بجهات مختلفة ومعقـدة النوايـا في المضمار الدولي والعالمي .

وواضح أن العناوين التي كان من الجائز ان تتخذها تيارات التخريب في المنطقة (عناوين اليمين أو اليسار أو ما اليهما) لم يكن من الضروري ، ان تكون هي موطن الاهمية في تلك الاحتمالات التدخلية ، وانما مناط الامر هو في تلك التدخلات نفسها ، التي كانت ستنطـوي بالضرورة ـ على خطورة متناهية ، تقفـز بالمنطقـة جميعها ، منطقة شمال الغرب الافريقي ومجاوراتها ، الى هوة التعقيدات الصراعية ، وما يرتبط بها من مواكب العنف والتخريب ، مما تعاني منه عدة مناطق في العالم اليـوم .

التحركات الانفصالية

اعتمدت الحركة العربية الاسلامية الحديثة فـي تأصيلاتها الفكرية على مبدأ التجمع والترصيص ، كمبدأ منطقي وحتمي اولا ، ثم كأساس معتمد ثانيا في مواجهة خطة التفتيت والتعديد ، التي تركز عليها تنظيرات فـي المذهب الاستعماري ، من اهم ما تنبني عليه الخطوط الفكرية والعلمية لهذا المذهب .

وعلى الرغم من أنه مضى أمد له اعتباره على شمول الاستقلال للعالم العربي والاسلامي ، فان المواجهة فـي هذا الموقع بالاخص ، موقع التصادم بين مبدأ التجمع ومبدأ التفتيت ، ما تزال قائمة في أكثر من قطر عربي أو اسلامي ، تغذيها ـ فضلا عن بعض الروافد التقليدية ـ روافد أخرى موصولة بقوى توسعية عالية جديـدة ، وبجهات مختلفة الحوافز، فيما تنساق اليه من اصطناع الانفصالات الاعتباطية في المنطقة العربية الاسلامية .

لقد عرف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية في وقت مبكر (في خلال الاربعينات بالذات) تحركات في هذا الاتجاه على حساب بعض الكيانات الاسلامية ، بآسيا ، الا ان العقود التالية ، شهدت استفحالا قويا لهذه التحركات ، استوعبت ما بين الخليج والاطلسي ، وكان المغرب آخر الاهداف في هذا المجال ، حينما خلص الى خوض المعركة الحاسمة في ملحمة استرجاعه لصحرائه

وهناك ملاحظة بارزة بهذا الشأن ، وهي أن مختلف الحركات الانفصالية التي توالت في المحيط العربي ، قد آلت الى اخفاق ، رغم كل ما يسندها من خلفيات دولية متسعة ، ومرجع الامر في هذا المجال الى الحصانة الفطرية للفكر العربي ضد مثل هذه التحركات التي تصطدم دائما – كلما بدرت في قطر أو آخر – بصرح تاريخ اجتماعي عريق وبمفاهيم واقتناعات متجذرة في أعماق الوجدان العربي ، بعيدا عن متناول التأثيرات السطحية الملقى بها من خارج البيئة العربية .

وقد كان نجاح المغرب في توحيد شمله بصحرائه ، معلمة جد هامة في هذا السبيل ، نحو مزيد من تجذر المناعة عند العرب ضد الانفصالات ، وازدياد ترسخ العوامل المتضافرة على تعميق التلاحم والتكامل ، داخل الكيانات العربية .

التوسع عن طريق التجزئة في افريقيا

مثلما تتوفر للعالم العربي منظمة اقليمية لتنسيق التضامن والتعاون بين وحداته ، هي الجامعة العربية ، تقوم في النطاق الافريقي منظمة الوحدة الافريقية ، مرتكزة في الجوهر على نفس الاهداف والمبادىء .

ويعكس وجود المنظمتين ، الاتجاه الاساسي في المحيط العربي ، أو في المحيط الافريقي نحو الوحدة في شكلها التضامني أو التعاوني ، وما يوجبه الحال – بحكم هذا – من تناسق في المصالح والاهداف بين الاطراف المتضامنة أو المتعاونة .

الا ان ثمت بعض النزعات المحدودة جدا ، التي تحاول ان تضع التضامن والتعاون الافريقي في غير اطاره الطبيعي ، المحكوم بالاعتبارات المبدئية والموضوعية الافريقية ، وتطرح بديلا عن هذا الخط الواقع خطا آخر يرتبط بمفاهيم « الشوفينية » و « الدوغماتية » المستمدة من مختلف المستوردات الفكرية .

ان مثل هذه النزعات – المعزولة في الواقع داخل النطاق الافريقي – قد لا تتحرج عن استعمال أى أسلوب يمكنها استعماله لاصطناع مجال ما ، لاطروحاتها وممارساتها السياسية بما فى ذلك الترويج للدعاوي التجزيئية والاقليمية على حساب وحدة الكيانات الموحدة بالفطرة ، ومثل هذه الدعاوى ، التي تتقصد – في العمق – الاخلال بالبنيات الاجتماعية والسياسية القائمة على منطق الطبيعة والتاريخ وواقع الحياة ، انما يؤول منطقها – في نهاية التحليل – الى محاولة التمكن من اعادة تشكيل البنيات المجزاة، وفقا للمصالح الضيقة الخاصة بالجهات الدولية، التي تروج لمثل هذه التحركات داخل البيئة الافريقية .

ومنذ أن أخذت الاقطار الافريقية ترقى الى الاستقلال ، كان من ابرز المعضلات التي واجهتها هذه المعضلة بالذات ، المتمثلة في سعي بعض الجهات الدولية الى تكريس التجزئات الاستعمارية بالقارة ، بل والسعي لاصطناع تجزئات أخرى ، تضاعف من بعثرة الكيانات القومية الافريقية ، وشرذمة مظاهر وحدتها .

وعبر « زايير » و « نيجيريا » وغيرهما كثير ، كانت التجزئة هذه قد ذر قرنها لتغرق الاقطار المستهدفة لها فى خضم اقتتالات داخلية ، تطول مدتها او تقصر، الا أن الظاهرة الملحوظة، انه سواء فى « كاطانغا » او فيما دعم بـ « بيافرا » او فى حالات غيرهما ، فان مثل هذه التشنجات المصطنعة لخلخلة الكيانات الافريقية ، كانت كثيرا ما تنتهي الى لا شيء ، لكنها قد تترك – ضمن نطاق معين – شوائب فى أفق العلاقات الافريقية، تكون القارة حقا فى غنى عنها ، وان كانت تلك الشوائب سرعان ما تتلاشى بعد حين ، لتفسح المجال للوضع الطبيعي العادي فى الصلات الافريقية .

ان الكثير من المحاولات التجزيئية هذه ، تعود – في جزء اساسي منها – الى سياسة بعض القوى الدولية التي تتبنى في القارة نهجا معينا ، قوامه السعي لاشباع تطلعاتها التوسعية عن طريق العمل على تقطيع أوصال أقطار أخرى ، وضم ما يمكن ضمه من الاجزاء المفصولة عن الوطن الاصلي ، أو بوضعه بالاقل – موضع التبعية السياسية أو الاقتصادية للدولة التوسعة .

لقد خلف الاستعمار الاوروبي في افريقيا ، تركة ثقيلة من المشاكل المتعلقة بالحدود بين عدد من اقطار القارة ، على أنه لا يستعصي على الافارقة التوصل الى

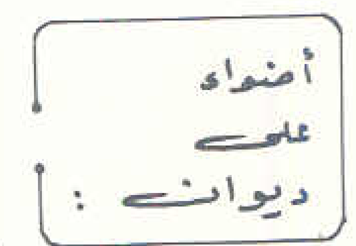
تصفية هذه المشاكل المتخلفة عن العهد الاستعمارى ، مثلما تمكنوا من تصفية ذلك العهد نفسه .

أما العمل على تجزئة أقطار افريقية مستقلة ، وفصل أجزاء منها لاعطائها شكل استقلال مرحلي ، تمهيدا لالحاقها بكيان آخر غير كيانها الاصلي ، فهذه مسالة أخرى ، تتجاوز كل ما خلفه النظام الاستعمارى المباد من مشكلات ترابية .

وقد كان اخفاق سياسة التجزئة من هذا القبيل في « زايير » و « نيجيريا » عاملا حاسما في وقف المسلسل، الذى كان من شانه أن يؤدى الى احتمالات جدية في النيل من وحدة كيانات افريقية أخرى في منطقة خليج غينيا ، وفي الجزء الاوسط من افريقيا .

وكذلك الحال في استرداد المغرب لصحرائه ، فيما لهذا الانجاز من انعكاسات حتمية على استقرار الكيانات بالغرب الافريقي،وبالتالي تعزيز أمن المنطقةوسلامتها.





الحسنيات

للاستاذ
عبد الحق المريني

الشعر المغربي الحديث يتعدد مضمونه بتعدد التطورات الوطنية والاجتماعية والفكرية التي تبرز بالمغرب من حين لاخر ويتجاوب شعراؤه مع جميع الاحداث السياسية والانسانية التي يعيشها المغرب كل فريق منهم حسب عمق تفكيره ودقة تعبيره ومتانة اسلوبه واناقة صياغته وشكلية قالب قريضه .

وأبرز الاشعار في دواوين الشعر الحديث هو الشعر الوطني الذى يتحدث عن الامجاد الوطنية ويتغنى بالبطولات المغربية الخالدة ـ في ميدان الاستشهاد والفداء من أجل العزة والوحدة والكرامة ـ ويدعو الى نهضة شاملة في الميادين الاجتماعية والثقافية .

وتعد « العرشيات » دائرة رحى هذا الشعر الوطني الاصيل ، فقد كان شعراء عهد « الحماية » وشعراء صدر الاستقلال يعربون عن عواطف الاخلاص والوفاء والولاء للعرش كلما اشرقت شمس عيد العرش على هذه البلاد. فقد كان حلول هذه الذكرى يثير قريحتهم الشعرية ويذكي حميتها للتعبير عن مكنونات أنفسهم ولبلورة أحاسيسهم نحو امجاد هذا العرش ومفاخر صاحب العرش . فجاءت قصائد عيد العرش طافحة بالامال والاماني و « فيضا » من عواطف الولاء والتاييد .

وفي هذه الفترة الحاسمة من تاريخ المغرب الحديث جرت العادة أن تجمع القصائد الشعرية التي انشدت في مدح عاهل المملكة في ديوان تخليدا للامجاد والمفاخر التي حققها السلطان العلوى ، من ذلك أن المؤرخ الكبير المولى عبد الرحمان بن زيدان العلوى قام بجمع القصائد التي نظمها الشعراء في السلطان المقدس مولاى يوسف رحمه الله في ديوان سماه : « اليمن الوافي في مدح الجناب اليوسفي » .

وفي عهد الملك المقدس محمد الخامس رضوان الله عليه جمع العلامة الاستاذ السيد عبد السلام الفاسي « العرشيات » في ديوان سماه : « ديوان العرش » (طبعت السلسلة الاولى منه في سنة 1948) .

وقد قام بعض الشعراء أنفسهم باخراج قصائدهم التي مجدوا فيها العرش العلوى ضمن دواوينهم الشعرية : فقد أصدر الوزير الفقيه المعمرى الزواوى رحمه الله ديوانا شعريا سماه : « حسن الوفاء لآل البيت النبوى في مآثر ملوك العرش العلوى » ويضم هذا الديوان قصائد في مدح السلطانين المقدسين مولاى يوسف ومحمد الخامس ـ تغمدهما الله برحمته ورضوانه . وجلالة الملك الحسن الثاني ـ أطال الله عمره ـ . وقد خلد هذا الديوان عدة احداث تاريخية عاشها البلاط الملكي في عهد الملوك الثلاثة .

ونقرأ للشاعر السيد ادريس الجاى في ديوانه « السوانح » قصائد مديحه في السلطان المقدس محمد الخامس وخلفه الصالح المصلح والتي سماها


الحسنيات
طبع ونشر وزارة الدولة المكلفة بالاعلام

« الحماسيات » ، وسار على نفس المنهاج ـ فيما بعد ـ الشاعر الكبير الاستاذ مفدى زكرياء الذى أخرج ديوانه في جزأين سماه : « من وحي الاطلس » ضمنه قصائده الرائعة التي انشدها في هذا المضمار وانطلقت « تتكلم بالامجاد » .

وعندما بدأت مسيرة مغرب الحسن الثاني تخطو خطواتها العملاقة في مجالات تركيز السيادة المغربية والوحدة الوطنية . ودعم النهضة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وتعزيز مركز المغرب في المؤتمرات والتجمعات الدولية سار شعراؤنا في تيار الموكب الزاحف تستاثر هممهم بجميع الامجاد التي يحققها المغرب ملكا وشعبا في مختلف المجالات ، وجاءت أشعارهم صورة ناطقة وضاءة لملحمة الحسن الثاني وشعبه الابي في المغرب الجديد .

فقمنا بجمع شتات هذه القصائد والاشعار المنشورة هنا وهناك ، المحفوظة منها في الدواوين السالفة الذكر أو بين دفات الصحف والمجلات . فكان ديوان « الحسنيات » .

ولغزارة القصائد والاشعار التي انشدت في مدح الجناب الشريف لم يكن « الحسنيات » « ديوانا » لمجموعها وانما جاء كباقة شعر ـ ستتلوها باقات أخرى بحول الله ـ لجلي القصائد التي جادت بها قرائح شعرائنا ليس فحسب كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيد بل في جميع المناسبات التي يبرز فيها للوجود مشروع جبار أو حدث هام في الميادين السياسي أو الاقتصادي .

وعندما يتغنى شعراء ديوان « الحسنيات » بالحدث الجلل ويقدموه الينا في أجمل صورة وابدع خيال يتوجون قصائدهم بالتعبير عن مشاعر النبل والاكرام نحو جلالة الملك « المطبوع على كامل الشمائل وحسناها المخصوص من المقامات بأحسنها واسناها » . اذ ان كل ما يحقق في هذا البلد الامين من منجزات جبارة وأعمال بارة هي في أول أمرها من بنات فكره ومن وحي عبقريته .

وبذلك يدون شعراؤنا الحدث الهام في اطار شعرى جميل ويثيرون بذلك الحمية الوطنية في نفوس شبابنا لكي يتحمسوا لهذا الحدث ويتفهموا ابعاده ، وان من الشعر لحكمة ! .

فنجد شعراءنا في « الحسنيات » يتحدثون ـ بلغة الشعر ـ عن الملكية الدستورية وعن ذكريات « 20 غشت » وما توحي به من معاني سامية ، وعن دور العرش في اجلاء الجيوش الاجنبية عن المغرب وعن الاصلاح الفلاحي والزراعي ، وعن حركة بناء السدود وثمارها ، وعن النهضة العلمية والفكرية ، وعن الاعمال الجبارة والبطولية التي تقوم بها قواتنا المسلحة الملكية في الداخل والخارج ، وعن حماية الدين ورفع رايته ، وعن المؤتمرات العربية والاسلامية والافريقية التي حضنها المغرب ورعاها عاهله المفدى ، وعن معركة الصحراء الخالدة ومسيرتها الظافرة .. الى غير ذلك مما لست اذكره ، فظن « خيرا » ولا تسال عن الخبر!

هذى وتلك وهذى كيف احصرها
الفضل عم فلا يوفيه تبيان

فجاء ديوان « الحسنيات » سجلا تاريخيا لاحداث هامة وتطورات ثورية عاشها المغرب الحديث وصورة ناطقة لتحديات الحسن الثاني وشعبه الوفي ضد الجهل والفقر والمرض والحروب وجميع انواع التخلف . كما اعطى ـ من خلال أشعاره ـ صورة أخرى واضحة عن الشعر المغربي الحديث في مجموعه وعن القصيدة المغربية في مضمونها وشكلها .

ولما كانت اشعار ديوان « الحسنيات » وليدة اهتزاز نابع من أعماق القلب ليقع في القلب دون اجتداء أو رغبة في النوال كانت أشعار الحقيقة والواقع لا أشعار الاحلام والخيال . اذ كان هدف مبدعيها الاسمى هو مشاركة الفكر المغربي في تمجيد ما يحققه « المغرب الجديد » ملكا وشعبا ـ في مسيرة التنمية والنماء ـ لاجل تشييد معالم الرقي والاستقرار وتيسير أسباب النمو والازدهار .

وجزى الله عنا شعراءنا خيرا .

ابن الونان والأدب

في عهد السلطان السلفي محمد الثالث

1187 هـ = 1773 م

للأستاذ عبد الله الجراري

هو الفقيه الاديب ابو العباس احمد بن محمد ابن الونان الحميرى النسب التواتى الاصل الفاسى الدار والمولد والمنشأ .

كان سلفه بفاس يدعون اولاد الونان لا يعرفون الا بذلك ، والمولى محمد بن عبد الله الممدوح بهذه القصيدة كنى والد الناظم بابي الشمقمق (1) فعلقت به هذه الكنية واصبحت علما عليه لا يدعى الا بها اذ كان نديم السلطان ابن عبد الله (2) ، واذ تعذر على الشاعر الوصول الى ممدوحه لمكان الحجابة المضروبة اتخذ شارة كراية وعلاكدية ونادى بالمفرد الرجزى المشطور : (يا سيدي سبط النبي ابو الشمقمق ابى) هناك عرفه وأمر باحضاره فحضر وانشده القصيدة فوقعت منه موقعها واجزل صلته ، ورفع منزلته .

كان شاعرا ماهرا ، وفحلا هادرا ، ذا وجد واجادة ، وقريحة وقادة ، وكان عارفا بأيام العرب وانسابها ، والمغازى والسير والتواريخ آخذا لها عن اربابها . وقد اجاد والده تربيته وتعليمه الى أن اصبح كما نرى .

اخذ عن جماعة من العلماء كالعلامة ابي عبد الله جسوس ، وابى حفص الفاسي ، والشيخ ابى عبد الله محمد التاودى ابن سودة ، والعلامة محمد بن الحسن بناني وغيرهم ، واخذ الشعر والادب عن والده .

ومن شعره الدال على شفوفه وترفعه عن اخذ الزكوات قوله :

اما الزكاة فان النفس تأنف أن
يلوث الكف من اوساخها تنص

كأن نسبة اموال البرية لي
دون النصاب من الاموال او وقص

واكره الدرهم الفضي أنظره
حتى كأن بياض الفضة البرص

ويقول عن نفسه فى آخر القصيدة :

احق من حلي بالاستاذ والشيـ
ـخ الفقيه العالم المحقق

وبالمحدث الشهير والاديـ
ـب والمجيد والبليغ المفلق

واعلم الناس بدون مرية
سيان من فى مغرب ومشرق

والشعر والتاريخ والامثال والا
نساب والآثار سل تصدق

(1) تشبيها له بالشاعر الكوفى الماجن الذى نقرأ اخباره الظريفة فى الاغانى ، والعقد الفريد ، والكامل وغيرها من كتب الادب .

(2) كان ابوه شديد الصمم سريع الفهم حتى كأنه كما قال الشاعر :

« تشير له بلحظك من بعيد فيفهم طرفه عنك الاشارة »

والارجوزة القافية هي اعظم آثاره ، وعدد ابياتها 275 وتنقسم الى ثمانية اغراض شعرية :

1 / النسيب

2 / التغزل بصفات محبوبته

3 / الحماسة والفخر

4 / مخاطبة الحسود

5 / الحكم والامثال والوصايا .

6 / مدح وشعر .

7 / مدح السلطان السلفي العالم .

8 / مدح الارجوزة وتحدى الشعراء بأن يأتوا بمثلها .

وطبعت مجردة طبعة حجرية ضمن مجموعة من المتون العامية عام 1315 .

واليكم ابياتا من اولها قال :

مهلا على رسلك حادى الاينق ... ولا تكلفها بما لم تطق

فطالما كلفتها وسقتها ... سوق فتى من حالها لم يشفق

ولم تزل ترمي بها يد النوى ... بكل فج وفلاة سملق

وما انثنت تذرع كل فدفد ... اذرعها وكل قاع قرق

وكل أبطح واجرع وجز ... ع وصريمة وكل ابرق

مجاهل تحارفيهن القطا ... لادمنة لارسم دارقد بقى

ليس بها غير السوافي والحوا ... صب انحراجيج وكل زحلق

والمرخ والعفار والعضاه والبشام والاثل ونبت الخربق

والرمث والخلة والسعدان والشقرى وسنا وسمسق

وعشر ونشم واسحل ... مع ثمام وبها رمونق

والسمع واليعقوب والقشة والسيد السبنتي والقطا وجورق

والليل والنهار والرئال والسهيئم مع عكرمة وخرنق

ولم تزل تقطع جلباب الدجى ... بجلم الايدى وسيف العنق

فما استراحت من عبور جعفر ... ومن صعود بصعيد زلق

الا وفى خضخاض دمع عينها ... خاضت وغابت بسراب مطبق

كأنما رقراقة بحر طما ... والنوق امواج عليه ترتقى

وكل هودج على اقتابها ... مثل سفين ماخر أو زورق

مرت بها هوج الرياح فهي فى ... تفرق حينا وحينا تلتقي

وكم بسوط الحدو سقت سوقها ... لسوق مكر سوق من لم يتق

حتى غدت خوصا عجافا ضمرا ... اعناقها تشكو طويل العنق

مرثومة الايدى شكت فرط الوجا ... لكنها تشكو لغير مشفق

قد ذهبت منها المحاسن بما د ... مان السرى وقلة الترفق

ولما احتوته من آداب رفيع ، وامثال وحكم لها قيمتها اللغوية والادبية والاجتماعية تناولتها اقلام جمهرة من الشيوخ والاعلام فى مقدمتهم شيخ الجماعة الشاعر الكبير المرحوم محمد المكي البطاوري الرباطى (1) فكتب عنها شرحا مسهبا يقع فى مجلدين بيد انه وياللاسف والى حد الساعة لم يسرح نسيم الطبع فيعم نفعه حيث يكون كديوان ادبي هام يرجع اليه الادباء خاصة الجيل الصاعد سماه « اقتطاف زهرات الافنان منوحة قافية ابن الونان » وكتب عنها العلامة الاديب المؤرخ المرحوم ابو العباس احمد بن خالد الناصري صاحب : « كتاب الاستقصا فى اخبار المغرب الاقصى » بما اسماه : « زهرات الافنان من حديقة ابن الونان » (2) .

وممن كتبوا عنها استاذنا المحقق الواعية ابو عبد الله محمد بن عبد السلام السائح وبشرحه الخطى درسنا عليه بعضها (3) .

وكتب عليها كذلك الاستاذ المطلع الاخ السيد عبد الله كنون فكان ما كتبه عنها شرحا مختصرا ابان ما احتوته من الفاظ قد تكون احيانا وحشية (4) .

ولمح لحياته الاديب المرحوم ابو العباس احمد النميشي فى كتيبه « تاريخ الشعر والشعراء بفاس (5) .

وطبعا تعرض هؤلاء الشراح لنتفة من حياة الشاعر ابن الونان ، كما عرض له استاذنا ابو عبد الله السائح المذكور فى كتابه « المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية » (6) واتى كذلك بنبذة منها فى كتابه « سوق المهر الى قافية ابن عمرو » (7) .

واشار لحياته الاديبان : محمد الطيب محمد النادى عبد النافع ، وابراهيم عبد الرحيم يوسف » فى كتابهما « تاريخ الادب والنصوص الادبية للسنة السادسة الثانوية » ناقلين عن كتاب « المنتخبات العبقرية المشار اليه آنفا غير أن الكاتبين نسبا « اثناء الترجمة » ابياتا للشيخ محمد السائح وهي « احق من حلى بالاستاذ والشيخ الفقيه العالم المحقق » الى آخر الابيات الاربعة وقد يكون هذا من عدم الاطلاع على مجموع القافية والبعد عن الاتصال بابياتها بل زادا قائلين : ولا نحب أن نذهب مذهب هذا القائل كتمقيب عليه وهو فى مأمن من قولها ان هي الا للمترجم ابن الونان :

ومن لطيف النكت ان يقال :

« حسبتهم سهاما صائبات
فكانوها ولكن فى فؤادى »

والموضوع هذا ثري فياض لمن يتتبعه واذا كان من مقول ابن الونان :

من كان يرجو من سوى الهها
رجا من القربة رشح العرق

كان ذلك من حوافز العلامة الاديب الكبير محمد بن محمد بن التهامى بن عمرو الرباطي المتوفى بالحجاز سنة 1243 لمعارضتها باخرى رائعة » ولا بدع وهي فى مدح المصطفى صلوات الله عليه » يقول فى مطلعها :

سحت فى الادلاج كل خفيق
يرآء سبسب يباب سملق

---

(1) توفى سنة 1355 هـ
(2) توفى سنة 1315 هـ طبع طبعتين الاولى بمصر والثانية بدار الكتاب بالدار البيضاء على يد ولديه الاستاذين جعفر ومحمد .
(3) ويظهر ان الشرح لم يتم . توفى سنة 1367
(4) طبع بمطبعة مصطفى محمد بمصر سنة 1354
(5) طبع سنة 1343 بمطبعة اندرى وهو عبارة عن مسامرة القاها بنادى المسامرات من المدرسة الثانوية بفاس سنة 1343 — 1924 .
(6) طبع فى دار المطبعة الرسمية برباط الفتح سنة 1920 .
(7) طبع بالمطبعة الاقتصادية بالرباط سنة 1357 — 1938 .

ومنهـــا :

يـا اكـرم الخلـق على اللــه ويـا
شمـس الضحـى فى مغـرب ومشرق

وهى التى اعتنى بشرحها شيخنا العلامة السائح الملمح اليه سابقا ، كما شرحهـا شيخنـا المحدث الكبير محمد المدنى بن الحسنى (1) بما اسماه : « الفتح القدسي على تافية الاوسى » (2) .

ومن الغريب ان المعارض ابن عمرو شارك ابن الونان فى نسبه وبلزم من ذلك المشاركة له فى افتخاره بملوك اليمن ومالهم من الآثار ، وبالانصار وما كان لهم من المشاهد والمواقف مـع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . قال :

سـل ابـن خلـدون علينـا لـنـا
بـيـمـن مـآثـر لم تـمـحـق

وسـل سليمـان الكـلاعي كـم لنـا
من خـبـر بـخـيـبر والـخـنـدق

وهـذه مزاحمته فى موجوده وجـدوده ، وفى محصوله واصولـه ، وهذا من غريـب الاتفـاق . والميدان الادبي فى هذه الموضوعات فسيح لمـن تقراه ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد ، .

ولا بدع أن ينطلق ابن الونان ومن نحا منحاه من الادباء معارضة او شرحا فى عهد دولتنا العلوية المنيفة وهى الدولة التي اضحت منذ اعتلائها على العرش المغربى تساند كل قطاعاته ومرافقه تثقيفا وادبا واقتصادا واجتماعا لا تفتأ تواصل خطواتها ومسيراتها دون كلالة وملالة ان هو الا السـير قدما نحو بعث الاصالة والتجديد لانماطها المختلفة، ولا عجب ونحن نرى ونبصر بين الفينـة والفينـة ما يطلع به علينا الحسن الثانى من آيات مدهشـة ومبتكرات تضرب فى الغرابة والندرة وما يعجـز عن تسطيره القـلم .

وبالتالى يتـرك ألسن القـادة والمفكرين فى الشرق والغرب مشدوهين مندهشين من وقفاتـه الحاسمـة حول ما يطـرح بين يديـه من مشاكل عالمية سياسيا واقتصاديا طالما انتظرت حلـولا تطمئن لها الآراء والافكار عن اقتناع واكتفاء الى أن يغانسها الحسن فى فجاءة بمـا أوتيـه من طاقات وقدرات خلاقة ينكشف لها الغطاء ويحل الغامض فكانه كان واياه على ميعـاد .

ولا نذهب بعيدا فهو ذا عيد عرشه المجيـد وذكراه الخالدة الذى عودنا فيه أن يعتلى منصـة العز والخطابة فيؤثر على شعبه الـوق المتعطش كلمانه ما ينـور الافكار .

ذلك ما يجعله وعن صدق من اقطاب القـرن دون منازع . فليهنأ الحسن البطل فى ذكـــراه وما شـاء الله محفوظا فى ولى عهـده سمو الامير سيدى محمد وصنوه المولى رشيد وباقى الاسرة .

---

(1) توفى سنة 1378 — 1959 قرظه له جماعة من العلماء . والكاتب خص الاستاذ المرحوم المدنى ابـن الحسنى بتاليف سيصدر قريبا بحول الله .
(2) فـرغ من تاليفـه سنة 1322 .

الدّولة العلوية وعنايتها بالحديث الشريف

للأستاذ يوسف الكتاني

الدولة المغربية دولة اسلامية تقوم على أساس ديني منذ قامت وتأسست على يد مؤسسها المولى ادريس بن عبد الله حيث فتح المغرب باسم الاسلام وأقام دولته على الاسلام وقد استمر الامر كذلك حيث ظلت الدولة المغربية قائمة على الكتاب والسنة على توالى الدول والعصور .

ولذلك نجد الدولة العلوية قامت على أساس الدين وحكمت المغرب باسم الاسلام استمرارا لما كان عليه الحال منذ ادريس الفاتح الى المولى الشريف الذى اشتهر بين الناس بالفضيلة والدين والجهاد في سبيل رب العالمين قبل أن يعلن تأسيس دولته ورفع رايته .

ولم يكد يستقر الامر للدولة العلوية ويستتب أمنها ونظامها حتى سارعت الى ارساء قواعد الحكم ونظام الملك على أساس الكتاب والسنة باعتبارهما الاصلين العظيمين الخالدين من أصول الاسلام .

لقد قام نظام الدولة على عهد العلويين على أساس العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى مذهب أهل السنة البعيد عن الاهواء والفرق والاحزاب حيث سارت أمور الدولة وشؤونها على أساس الكتاب الكريم وهدى السنة النبوية الشريفة وظهر ذلك واضحا في أنظمتها وتشريعاتها وسياستها وجميع خططها .

ولم تقتصر عناية الدولة العلوية على تأسيس الدولة وتسيير شؤون المملكة على هدى الاسلام وتعاليمه بل تعدى ذلك الى عناية الملوك العلويين وشدة اهتمامهم بنشر السنة واحياء ما اندثر منها وبرز هذا الاهتمام والنشاط في احياء عادة تنظيم الدروس التفسيرية والحديثية حيث كانت تعقد المجالس والحلقات سواء بالقصر الملكي وبرئاسة الملك او في مختلف المساجد الكبرى والجامعات الشهيرة كالقرويين وابن يوسف أو في الزوايا الكبيرة ومختلف الاضرحة خاصة في شهور رجب وشعبان ورمضان .

ولقد كان يحضر هذه المجالس العلماء والاعيان وكبار رجال الدولة فتسرد الاحاديث بصوت رخيم جميل حسن وتفتح المناقشات في حديث من الاحاديث المسرودة ليدلي كل عالم برأيه وغالبا ما كان الملك يتدخل ليدلي برايه في الدروس الحديثية التي كانت تعقد في حضرته.

كما ظهر هذا الاهتمام والنشاط في نشر كتب السنة وطبعها والعمل على اذاعتها بين الناس وفي اصدار مراسيم وظهائر تدعو المواطنين الى التمسك بالسنة وتعاليمها ونبذ البدع والخرافات الخارجة عن الدين .

ففي عهد المولى الرشيد بلغ الاهتمام بالسنة وكتبها ومدارسها مداه حيث أسست المدارس لتعليم الكتاب والسنة وانتشرت الخزائن في أنحاء البلاد وعمت المجالس الحديثية الارجاء ، حيث كان يحضر المولى الرشيد بنفسه ويجمع لها العلماء ويشاركهم المناقشة والمناظرة .

اما المولى اسماعيل العظيم فقد كان أكثر شغفا بالحديث والمحدثين الذين كان يستقدمهم من أطراف المغرب وغيره وكان يكرمهم ويبالغ في اكرامهم اثر كل مجلس حتى انه كان يصب الماء على ايدي العلماء ويقوم بتوزيع الجوائز عليهم في احتفالات كان يقيمها لهم بالقصر الملكي تكريما وتعظيما .

وقد كانت لديه نسخة ممتازة من صحيح البخاري كتب عليها اسم العبيد الذين اتخذ منهم جيشا وبطانة وقد عقد معهم العهد والميثاق على هذه النسخة واقسم معهم قسما تاريخيا تضمن تعلقه بالسنة والعمل بها واتخاذها اساسا لحكمه ونظامه وهذا نص القسم مع عبيد البخاري كما سماهم بنفسه :

« انا وانتم عبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل » فعاهدوه على ذلك وأمرهم بالاحتفاظ بهذه النسخة وان يحملوها عند ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم ومن ثم سموا عبيد البخاري وسرى عليهم لقب البواخر الى الآن .

أما سيدي محمد بن عبد الله فقد كان عالما محدثا حافظا حيث أقبل بشغف كبير على الحديث واهله فنظم مجالس الحديث وعين لها أوقاتا مخصوصة واستجلب من الشرق مسانيد الائمة الثلاثة واشتغل هو نفسه بدراسة الحديث والتاليف فيه فقد الف الفتوحات الكبرى والصغرى وكتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد كما كلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الانوار للقاضي عياض وهم الشيوخ العلماء التاودي بن سودة وعبد القادر بوخريص وادريس العراقي .

وقد بلغ الشيخ التاودي بن سودة في عهده ما لم يبلغه اي محدث غيره من النفوذ والشفوف لديه وهو صاحب كتاب زاد الساري لمطالع البخاري وكتاب شرح صحيح البخاري .

وكذلك استمرت العناية والاهتمام بالحديث والمحدثين على عهد السلطان سليمان حيث نبغ في عهده ثلة كبيرة من العلماء نذكر منهم الشيخ الطيب بن كيران والشيخ ابو الفيض حمدون بن الحاج صاحب كتاب نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري وكتاب رياض الورد والشيخ عبد القادر بنشقرون والشيخ محمد بنيس.

ومن مظاهر عناية هذا الملك العظيم بكتب السنة انه سمع بوجود أصل ابي علي الصدفي بطرابلس الغرب عند بعض الناس وذلك بواسطة المحدث الحافظ ابو عبد الله الناصري الذي خوفه من مغبة ضياع هذا الاصل العظيم فاهتم للامر اهتماما بالغا وكتب في شانه غير ما مرة ووجه الى من هو بيده الف مثقال يشتريه منه .

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان استمرت العناية بالحديث واهله وكان السلطان يصطحب معه في اسفاره ورحلاته نسخة ابن سعادة ولا تكاد تفارقه .

وعند ما فقد من خزانة القرويين الجزء الاول منه أهتم للامر وكلف من يبحث عن الجزء الضائع ولما لم يحصل على أثر امر باستنساخ جزء آخر بدله وكلف خطاطا ماهرا بذلك واصدر ظهيرا شريفا يقول فيه :

«لما كان الجامع الصحيح للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المنتسخ بخط الحافظ المحدث أبي عمران موسى بن سعادة محبسا بخزانة القرويين – عمره الله – وضاع من الخمس الاول وبحث عنه أشد البحث فلم يجد أمرنا بانتساخ آخر بدله من نسخة معروفة بفاس بالشيخة من الاصل المذكور وهو هذا المكتوب عليه والحقناه بباقي اجزاء الاصل المذكور فمن بدل او غير فالله حسيبه وولى الانتقام منه والسلام في عشري جمادى الاول عام 1228 . »

وكذلك استمر الامر على عهد السلطان الحسن الاول حيث زادت العناية بالحديث والمحدثين واستمرت عادة المجالس الحديثية وظل السلطان يحضرها بنفسه ويستدعي لها العلماء من كل حدب وصوب حتى انه لما بنى قصره بالرباط كانت أول حفلة اقامها لتدشينه هي مجلس قراءة صحيح البخاري بمحضر العلماء والوزراء ورجال الدولة وقد كان عمل المولى الحسن استقر على ستة وثلاثين درسا خلال الاشهر الثلاثة من كل عام وهي رجب وشعبان ورمضان وذلك طوال مدة ملكه وكانت هذه المجالس الحديثية قائمة مستمرة يقيمها حاضرا ومسافرا وفي ذلك يقول ابن زيدان في الاتحاف :

«وعلى هذا كان العمل جاريا من لدن الدولة الرشيدية الى أواسط الدولة اليوسفية ، وكان من العادة تقديم الطعام للعلماء اثر انتهاء الدرس وفي الختام تلقى القصائد تمجيدا أو تعظيما للمناسبة وفي عهد المولى الحسن أجزلت لهم العطايا والهدايا وزيدت لهم في المبرات » .



وفي عهد المولى عبد الحفيظ زادت العناية بالحديث وأعله لكون هذا السلطان كان عالما شغوفا بكتب الحديث وبعلوم السنة واستمر يعقد المجالس والمناظرات ويشارك فيها بنفسه وقد ظهر في عهده محدثون كبار كالشيخ احمد بن الخياط الزكاري والشيخ عبد الكبير الكتاني صاحب كتاب حواشي على البخاري والعلامة البطاوري الرباطي وجدنا الشيخ ابو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني وعمنا الحافظ محمد بن جعفر الكتاني . ومن شدة عنايته بالحديث ونشره في الافاق أنشا قراءة صحيح البخاري بالضريح الادريسي شروق كل يوم وعين لذلك العلماء أمثال القاضي عبد السلام الهواري ومولاى جعفر الكتاني وغيرهما .

وعندما تأسست مطبعة فاس أصدر أمره بتقديم طبع كتب الحديث فطبعت حواش الشيخ التاودى بن سودة وابن زكرى على البخاري والنظم المتناثر لسيدى محمد بن جعفر الكتاني وغير ذلك من كتب الحديث .

وفي عهد محمد الخامس ظلت العناية بالحديث قائمة مسترسلة كما استمرت المجالس الحديثية الا أنها اقتصرت على شهر رمضان عند صلاة الظهر وكان يرأس هذه المجالس السلطان ويستدعي لها كبار العلماء والمحدثين أمثال الشيخ المدني بن الحسني صاحب كتاب مفتاح الصحيحين وكتاب مقدمة الرعيل لجحفل محمد بن اسماعيل والعلامة محمد الحجوى والعلامة السائح وغيرهم .

وفي عهد الحسن الثاني العظيم ازدهرت السنة وعلومها وزادت العناية بالحديث ولم تبق المجالس الحديثية مقتصرة على شهر رمضان بل تعدتها الى بقية الشهور حيث أصبح الملك يعقد مجلسا حديثيا شهريا وفي مختلف بلاد المملكة وقد أضفى على هذه المجالس مهابة وجلالة حيث استقدم لها العلماء من مختلف أقطار العالم الاسلامي وهو أول ملوك الدولة العلوية الذى اختص بدرس حديثي مستقل عن العلماء يلقيه بنفسه شأنه في ذلك شأن العلماء .

وقد أكدت هذه الدروس عظمة هذا الملك ومراميه البعيدة كما زاد في أهمية هذه المجالس وروعتها نقلها بمختلف وسائل الاعلام لتكون الفائدة أعم والاثر أشمل.

ومن رعاية الحسن الثاني للحديث وأعله تأسيسه لدار الحديث الحسنية لتكون معهدا عاليا لتدريس السنة وعلومها ولتخريج أفواج من العلماء يحيون سنة رسول الله ويعملون على نشرها وخدمتها وقد كتب الله لي شرف الانتساب اليها والتخرج في أول أفواجها .

وقد أثمرت هذه الدار الكريمة بعد ما أصبحت احدى معالم بلادنا وانتشر ذكرها في شتى بلاد الاسلام حيث تخرج من ربوعها أزيد من مائة وخمسين عالما متخصصا في القرآن وعلومه والسنة وعلومها كما ملأ خريجوها مختلف كلياتنا وجامعاتنا يبثون فيها المعرفة ويفقهون الاجيال الصاعدة بلغتهم ودينهم وتراثهم الاصيل الا ان هذه الدار في مسيس الحاجة الى مزيد الرعاية والعناية وتدعيم جهازها الادارى والتعليمي بأطر ممتازة ورعاية خاصة .

وفي هذا العهد الحسني ازدادت العناية والاهتمام بنشر التراث واحياء كتب السنة حيث قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بطبع كتب التفسير والحديث وتحقيقها ونشرها وما زال النشاط متواليا ومن هذه الكتب القيمة المنشورة المحققة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض وكتاب التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد لابن عبد البر وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد لعياض والصوارم والاسنة في الذب عن السنة للشيخ المرحوم محمد بن ابى مدين الشنجيطي وكتاب أربعون حديثا في اصطناع المعروف لابن محمد عبد القوى المنذرى ومعجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الاقصى للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله الى غير ذلك مما نشر وحقق برعاية الوزارة المذكورة .

ومن مميزات هذا العهد الحسني أن جلالة الملك أخذ يركز في جميع خطبه وندواته وتوجيهاته الى الامة على الكتاب والسنة ويتخذهما نبراسا وموجها وأساسا في جميع الاوامر والاعمال التي يصدر عنها ، وناهيك بمعجزة القرن وحدث العصر المسيرة الخضراء فقد اقتبسها من حادث الحديبية ويكفيها فخرا أن شعارها وسلاحها ورمزها كان كتاب الله دستورنا الخالد .

واني لارجو الله أن يطيل عمر جلالته ويفسح له في وقته ويزيد مدده وينجح عمله حتى يتابع الدروس الحديثية الشهرية التي سنها في مختلف مدن المملكة وذلك لما فيه من الخير العميم والفائدة المرجوة للاجيال الشابة المتعطشة الى معرفة دينها وتراثها وأصالتها انه سميع مجيب .



كان هذا هو اسمها بالغلبة بالاصطلاح النحوى ، ومن الكنى ما يغلب ويطغى عن التسميات ، وكان اهل الحي كلهم ينادونها بهذا الاسم ويتحدثون به عنها ، ويا ما اكثر ما كان يتحدث سكان الحي عن صولات الشريفة وجولاتها ، وبطولاتها كذلك .

اما اسمها الاصلي فهو فاطمة ، وذلك اعتمادا على الروايات المتصلة في صك « الشجرة » التي تدلى بها كلما دعا الداعي أو جادل المراني أو تشكك المتشككون تصريحا أو تلميحا في نسبها الشريف ، وهي ادريسية عن ابيها وجدها ، وفرعها من أصل الشجرة التي يثبت الصك انها شجرة أصلها ثابت في التاريخ وفروعها ممتدة عبر حقبه المتوالية ، ومن كابر في هذه الحقيقة فعليه بمراجعة « تاريخ الانساب » للفضيلي ، وهو كتاب لم يكن أهل الحي بالطبع يعرفون عنه شيئا ، ذلك ان علم الانساب يعتبر من علوم التخصص والاختصاص ، الا ان الشريفة كانت تستدل به كوثيقة ثانية مع الصك الآخر الذى تتكون منه شجرة نسبها .

وما كان لاحد أن يجادلها في انتمائها العائلي ، وهو ثابت في كتاب « الانساب » وتاريخها بالمغرب !!

كانت الشريفة تتوفر على لسان سليط وفصيح في نفس الوقت بينما كانت قامتها الفارعة والعامرة وعيناها المتوقدتان تفرض كلها على الناظر والسامع والمتحدث نوعا غريبا من الهيبة والاحترام .

كانت تقتحم بيوت الحي بدون استئذان ، وتحضر كافة اعراسه وحفلاته ومناسباته بدون دعوة ، بل ان ذوى المنازل وأصحاب الحفلات والمآتم كانوا يعتزون بزيارة الشريفة لهم ويعتبرونها تشريفا لحفلاتهم ومناسباتهم .

كما ان صوتها الجوهرى لم يكن ليختفي على أحد من اصحاب السوق البلدى ورواده ، اذ بمجرد ما تضع قدماها في بابه الا ويردد الجزار بنعيسى قولته الروتينية: ها هي « الشريفة » ، ولكأن أذنيه تتمتعان بحساسية مرهفة في التقاط ذبذبة صوت الشريفة حينما تبتدى في الدخول الى السوق البلدى بتحية بائع النعناع المسمى النمرود ، ولا يدرى أحد لماذا غلب هذا اللقب على صاحبنا بائع النعناع بنفس الغلبة التي تفوق بها لقب « الشريفة » على السيدة فاطمة ، ولئن كان لقب « الشريفة » لا يحمل سرا من أسباب نزوله فان لقب النمرود كان بالنسبة لعلال بائع النعناع ، ينطوى على سر مكنون كان يرفض وباصرار أن يبوح به لاى أحد .

وبلغت السلطة التي كانت الشريفة تتوفر عليها الى الحد الذى كان يجعل مقدم الحي ومقدم السوق والمحتسب نفسه ينظرون اليها بشيء غير قليل من الهيبة والاحترام والتقدير ، وقد يكون مرد هذه النظرة الى حسبها ونسبها ومركزها الاجتماعي ، الا انه يكاد يكون من المؤكد أنهم كانوا يخشون سلاطة لسانها وتأثيره في نفسيات الجماهير ، وبالاضافة الى كل هذه المميزات

والمعطيات فان « الشريفة » كانت مصدر احتكام للنزاعات ووسيطا موفقا في حل الخلافات وسفيرا ، موفقا في اداء المهمات . وبايجاز واختصار فان « الشريفة » كانت عبارة عن « أنثى في زى ذكر » ، بلغة ابي نواس ولكنها انثى مترجلة ومن النوع الرصين في مادة الرجولة . وتتوج كل هذه الخصال في « الشريفة » بروحها الوطنية وحماسها المندفع في كل الاحيان . ومن ثم فان الحركة الوطنية كانت تعتمد عليها في اداء المهمات الصعبة التي لم تكن تتردد في القيام بها . بل انها كانت تغضب وتثور اذا وقع نسيان فبالاحرى اهمال لدورها في مختلف المناسبات الوطنية .

والواقع ان نشاطها في هذا الميدان كان فياضا وتلقائيا ومندفعا في كل الاحيان . فهي السباقة الى اذاعة التعليمات الشفوية عبر الحي وفيما جاوره ، وحصتها في جمع التبرعات من النساء والرجال على السواء تتميز بالتحدي والاعجاز . فقلما كان هناك رقم قياسي يحطم يحطم رقمها . ولها على النسوة على اختلاف مرافقهن الاجتماعية تأثيرا لا يقل عن تأثير التنويم المغناطيسي . فقولها الحق ، ورايها الفاصل ، واقتراحها هو الوجيه . ولئن صح أن توصف سلاطة اللسان بسيمة البلاغة فان « الشريفة » كانت فصيحة وبليغة بمقاييس سحبان وائل .

وأكثر ما كان يشتد نشاطها في مناسبات عيد العرش حيث أنها تستعد لاعراسه قبل أيام ، فهي في لجان جمع التبرعات والزينة ، وفي توضيب الحفلات واعداد ما لذ وما طاب من حلويات وغريبة وكعب الغزال .

وكانت هي الوحيدة التي تمثل في جميع الحفلات وعلى مختلف المستويات بما في ذلك الحفلة الرسمية ، التي كان « يشرفها » الباشا والمراقب او من ينوب عنهما .

وانصافا للشريفة فان كل صعب كان يهون لديها ، وأحيانا كانت تسمح لنفسها بان تجرى حوارا « مع السلطة » بواسطة محتسب المدينة الذى كان يعتبر بالنسبة لهذه السلطة ولرجال الحركة الوطنية هو : هامرشولود بلغة الامس ، وفالدهايم بلغة اليوم ، كان رحمه الله نشيطا لينا يتمتع بنفس طويل ويجتهد في كل أزمة أن يكون خيطا أبيضا كلما ناء ليل الازمة بكلكله على الساحة في الحي وفي المدينة بوجه عام ، وكثيرا ما كان يقع كذلك ولو على فترات متقاطعة .

ومنذ سنة 1946 وأنا أتتبع نشاط « الشريفة » تارة بعجب وفي أحايين اخرى باعجاب ، ومن المعروف ان هذه السنة في ذلك العهد كانت تعد سنة « انفتاح » و « تفتح » في الجو السياسي ، حيث اطلق سراح الصحف ودب نشاط متزايد في الحركة الوطنية ، بعد ملاحم سنة 1944 ، ومعنى هذا ان النشاط والحيوية والحماس وكل ما تعرفت عليه في سيرة الشريفة وسلوكها كان بعد هذا التاريخ .

وهذا ما كان يدفعني أحيانا الى التساؤل : ترى كيف سيكون موقف « الشريفة » يوم أن يتغير الطقس السياسي ، ويرتد الى رداءته كما عودنا ذلك منه سنة 1930 .

فهل ستظل على نشاطها في ساعات العسر التي كنا نعتقد انها قادمة لا محالة في يوم لا ريب فيه ، اذ الجو السياسي ما كان « ينفتح » حينا الا لينغلق أحيانا .

وحلت سنة 1951 لتجيبني على هذا السؤال ، فلقد كانت سنة صعبة اخذ «الطقس السياسي» يعود فيها الى رداءته كما كانت تتنبأ بذلك أرصادنا الجوية وجاءت مناسبة عيد العرش لتكون جوابا بالنسبة لتساؤلي . وسنة « امتحان » للشريفة » ذلك أن الاحتفال بعيد العرش في هذه السنة كان يجرى في جو مشحون بالانواء التي تسبق الرعد والبرق في أحوال طقس الطبيعة ، فدوائر الاقامة العامة كانت منشغلة بتدبير مؤامرة لم يكن احد يعرف جوهرها وصنفها وان كنا نعتقد أنها على العموم ترمي الى اغلاق باب الانفتاح « والفتح » وربما بسلاسل وأقفال لا يرجى لها انفتاح ، وكان بونيفاس عاكفا على تاليف مسرحيته ، واخراجها . وهي مسرحيات فيها من البلبلة ما يضحك ، وذلك تمهيدا لازمة سنة 1952 وسنة 1953 وما ولاها بعد ذلك من حلقات في مسلسل ذلك الصراع الدائم .

وتطلعت من جديد الى « الشريفة » وأخذت عن عمد وسالف اصرار انتبع نشاطها في هذه السنة الصعبة ، لارى هل هو في انخفاض أو مستقر على أقل تقدير . وبكل تأكيد فانني لم استغرب لتصاعده في هذا الظرف الدقيق ، فالشريفة كانت تعمل في الميدان الوطني بايمان ووعي عميقين ، ويتجلى ذلك في تحديها لانواع المضايقات والمطاردات التي أخذت تتوالى عليها بدون انقطاع من طرف « دوائر السلطة » ، وحتى مقدم الحي الذى كان

يهابها أو بتهيبها أخذ يرفع صوته ويحذرها من حالـة « الوقت الخائب » .

اما سيادة المحتسب فا. دوره أصبح أكثر تعقيدا واشد دقة مما كان عليه من ذي قبل ، ذلك أن حجم الازمة كان ينمو ويتعملق ـ ان صح هذا التصريف ـ على حجم « الوساطة» كما ان حكاية الخيط الابيض اصبحت حكاية بالية ، ومع أن المسؤولين الوطنيين كانوا يدركون جيدا أبعاد الازمة ويتسلحون بضبط الاعصاب ورباطة الجاش فان « الشريفة » لم تكن على استعداد لذلك الامر الذى تسبب لها في العديد من المشاكل وخصوصا في الايـام الاولى من شهر نوفمبر من سنة 1951 وبلغت تلك المشاكل ذروتها بيوم وجهت اليها الدعوة لمقابلة خليفة الباشا الذى ابلغها بلغته أن « هؤلاء الناس » مستاءون مـن سلوكها لانها تتدخل فيما لا يعنيها وحتى في الاحياء البعيدة عن حيها ، ثم انها الى هذا وذاك تغتاب « رجال السليط الذى انطلق بفصاحته المعهودة ليـرد علـى كل ما يجرى وما يدور في المدينة في السر والعلنيـة ، وحاول خليفة الباشا بعد ذلك ان يقنعها بأسلوب الوعظ والارشاد مبررا ذلك برداءة الطقس السياسي «وخيبوبة» الوقت ، ملوحا في نفس الوقت وملمحا بان «هولاء الناس» وهو يعني المراقب الفرنسي يبدو في أعينهم انها «معولون على خزيت» وسرعان ما انفجرت « الشريفة » بلسانها السليط الذي انطلق بفصاحته المعهودة ليـرد على الخليفة كان على بينة تامة من جراتهـا واقدامهـا ، أهذا كل ما في الامر ، فليكن فاننا مستعدون ، ومع أن الخليفة كان على بينة تامة من جراتهـا واقدامهـا فان المشهد الذى ظهرت به أمامه قد بدا لـه جـديـدا كل الجدة ، فراح يستعطفها ويطلب منها أن تخفض من صوتها على الاقل ، الا أنه ولكانه كان يطلب منها المزيد، ويروى المخزني الذى شاهد هذا اللقاء انه لم يسبق له أن راى «الشريفة» في «جدبة» كتلك : نزعت عنها الشال الابيض من عنقها وأخذ « قب جلابتها » ينحسر رويدا رويدا الى الوراء بينما الكلمات كانت تترى من فمها ولكانها تقرأ شيئا مكتوبا ومضبوطا، ولم يخرج الخليفة من هذه « الورطة » الا بطلب النجدة من سيادة المحتسب، الذى كان على كل حال يتمتع أكثر من غيره من ذوى السلطة بنفس أوسع وبشيء لا ينبغي اغفاله من الدهاء والذكاء .

وخرجت « الشريفة » مع المحتسب والشال الابيض في يدها في حين أن المخازنية الذين أبلغهم شيطانهم الذى كان يسترق السمع ، كانوا يتهامسون فيما بينهم : ما هي الشريفة وبدون شعور أخذوا يحيونها بعبارات هي وان كانت مترادفة فانها كانت اعرابا عن التقدير والاعجاب .

ولم تفتر الشريفة عن نشاطها كما أنها رفضت التخفيض من حدته رغما عن النصح الذى قدمه اليهـا مسؤولون وطنيون وهو نصح كان مضمونه ومدلولـه تعليمات ، الا ان « الشريفة » ـ وكما احسست أنـا شخصيا بذلك ـ قررت أن تجتاز هـذا الامتحـان ، وبتفوق ، ولكانها كانت تشعر بأن أمثالي المعجبين بها ومن الفضوليين أيضا ، كانوا يضعون علامات استفهام حول نشاطها في ساعات العسر .

ونجحت « الشريفة » في تحدياتها للسلطة من مقدم الحومة في الاسفل الى المراقب في الاعلى ، فدابت على نشاطها ونظمت حفلات وشاركت في أخـرى ، وكانت عتافاتها أصدع وأعلى ، ويا ما عرضت بمقدم الحي الذى كان يجسم في عينها سلطة « أولئك الناس » الذين قررت أن تذهب الى ابعد حد في تحديهم .

ومر عيد العرش لتلك السنة كاروع وأخلد ما كانت ذكرياته فيما مضى من السنوات ، وزادت هذه الروعة من حقد الحاقدين في ادارة الشؤون السياسية بالاقامة العامة بعد ما اجمعت التقارير السرية الواردة من مختلف الاطراف والانحاء على أن القضية أصبحت قضية عرش وشعب ، لا انفصام لهما بوسائل الترهيب والتخويف ، ومن ثم فان الوضع أصبح يتطلب مـا كان يسميـه « فقهاء السياسة في ذلك العهد » بالحل العملي .

وحلت سنة 1952 لتزيد في تقريب الشعلة الـى الفتيل في اشكال شتى من أنواع الارهاب والاضطهاد والدس والمناورات الى أن انفجر الوضع في شهر دجنبر من سنة 1952 لتكون ملحمة هذه السنة مقدمة وارعاصا لثورة الملك والشعب في أغسطس من سنة 1953 ، وغابت عني اخبار « الشريفة » ولم أعد أعرف بالضبط موقفها في خريطة الاحداث الى أن زارني في يوم من أيام شهر فبراير من سنة 1954 بمدينة تطوان شخص لم أتعرف

عليه في أول الامر ، الا انه اخذ يذكرني وبعد حين عرفت انه بائع النعناع علال الذى كان يسميه بائعو السوق البلدى ورواده بالنمرود ، وبعد ما قص علـي قصتـه وانخراطه في سلك الفدائيين وتورطه في قضية من ملاحم الفداء استعجلته بالسؤال عن « الشريفة » وما آل اليه أمرها فاخبرني بأنه اتصل بها قبل مجيئه بيوم واحد وانه امي التي زودته بالمال وبكلمة « السر » وانهـا تقوم بمهمة الاتصال بين شبكات مختلفة للفدائيين بمدينة مكناس .

ويومئذ علمت سر تسميته هو بالنمرود وآمنت بأنها هي هي ، كما عرفتها مناضلة وصامدة ، وانها في جميع الحالات والظروف والمواقف : « الشريفة » .



فلسفة التربية عند جلالة الحسن الثاني :

التعليم أساس الحضارة

للأستاذ محمد حمزة

يقول الرسول عليه السلام : « من مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة » . ويقول الحسن بن علي : « لان يتعلم الرجل بابا من العلم فيعبد به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها الى آخرها له ، فوضعها في الآخرة » ويقول ابن سينا : « انما النفس كالزجاجة والعلم سراج ، وحكمة الله زيت » . ويقول سوفوكلس : « المعرفة هي أحسن الاشياء التي تتالف منها سعادتنا » ، ذلك أن التربية هي تغذية الشعور النبيل وانماؤه في نفس الانسان ، وان التعليم احسن شيء في أحسن انسان ، فان التعليم هو الاستعداد الكامل للحياة ، وهو تقوية الاستعدادات الادبية في الجنس البشري ، ومؤايدة الطاقة العقلية التي أودعها الله فيه وجعلها نورا روحانيا في النفوس لتدرك به ما لا يمكن ادراكه بالحواس . وهو بعبارة أخرى تغيير في السلوك يكتسب من خلال الخبرات ، ومن أهم وظائفه ايجاد تلك الخبرات وخلق المواقف التي تساعد المتعلم أن يعدل سلوكه باتجاه هدف أو أهداف مرغوب فيها ومتفق عليها، حتى انهم ليذهبون الى القول بأن العقل سمي «عقلا» لانه يعقل صاحبه حتى لا يقع في مكروه أو يزل في الحظر الرطب ، أو يلقي بنفسه الى التهلكة ، أو يبوك أمره بين عكاس ومكاس فيظل حائرا ، يؤيد ذلك ما روى عن الرسول عليه السلام : « ما كسب احد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ويرده عن ردى » ، فالقوى العقلية لا تنمو الا بالتعليم ، ولا تزكو الا بالتهذيب ، ولا تكبر الا بالتعهد والتشذيب. بل ان العقل لهو العلم نفسه، يقول الراغب الاصفهاني : « العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل (1) » فالعقل يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ ، وبه يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفي الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله ، وتمام العقل بسعة العلم ، والعقل درجات ، فاذا كان المرء في أول درجته سمى اديبا ، ثم اريبا ، ثم لبيبا ، ثم عاقلا ، كما ان الرجل اذا دخل في حد الدهاء، قيل له : شيطان ، فاذا عتا في الطغيان قيل : مارد ، فاذا زاد على ذلك قيل : عبقرى فاذا جمع الى خبثه شدة شر قيل : عفريت (2) .

والقوة المتهيئة لقبول العلم هي العقل الغريزى المطبوع ، وموضعه من باطن الانسان بموضع عروق الشجرة من الارض ، ويشترك فيه جميع العقلاء ، والمستفاد من العقل هو التجريبي المسموع ، وهو من ظاهر الانسان كتدلي ثمرة الشجرة من فروعها ، وبه ينجم العلم المستفاد بكثرة التجارب والوقائع ، وعليه يعيش العلماء والباحثون . ولا ينفع الا بتثويره واستعماله . ولعل القدماء المسلمين كانوا أعرف الناس بمراحل تعلم العلم وطرق تلقيه ، وافادة الناس به . عن يحيى بن اليمان قال : سمعت سفيان يقول : « أول العلم الانصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر (3) .

(1) معجم مفردات الفاظ القرآن للعلامة الراغب الاصفهاني ـ ص 354 .

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابي حاتم محمد بن حبان البستي ـ ص. 18 .

(3) المصدر السابق ـ ص. 34 .

وبتمهد القوى الادبية والعقلية والطبيعيــــة ، وبتثقيفها تتجمع الوسائل الموصلة الى التعلم ، ويتم ذلك بطريق الكتاب ، أو المعاهد ، أو المـــدارس ، أو الزوايا ، أو غير ذلك من الوسائط . لذلك تعتبر المدرسة دارا للتربية والتهذيب واصلاح شؤون الناس ، بمـا يتلقاه المتعلمون فيها من المعارف ، وما يكتسبونه فيها من خبرات ، تجعلهم مستعدين لتحمل الامانة والاضطلاع بالمسؤولية خدمة للوطن ولاعلاء شانه ، وتقويما لمـا أعوج من أخلاق الناس وفسد من عاداتهم . والمواطنة الصالحة ، لا يقوم لها ساق ، ولا تنهض لها حجة الا بالتعليم والتربية السليمة القويمة التي هي مناط عوامل التقدم الاجتماعي ، والسير به في مدارج الكمال ، مـع مراعاة الجوانب المختلفة لانسانية الانسان ، وتعهدها بالزكاء الطيب ، والانبات الحسن . والتقدم الاجتماعي لا يتم الا اذا أنبع من المجتمع نفسه ، تعضده التراث والقيم ، يقول رائد النهضة المغربية جلالة الملك الحسن الثاني : « **ان الاصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات، الماضي منها والحاضر ، اعتبـــارا مـــن أن مخططنـا الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنه أن يعطي نتائجه ولا يمكن أن يدر علينا الخير اذا كانت تلك المخططات في مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللاصالة المغربية** (4) .

ولقد أصبح التعليم في عالم اليـــوم من أهـــم المشروعات لدى الامم ، ومن أسبقها في كل تحركاتها ، ولا ادل على ذلك من الاهتمام المتزايد الذى توليه الدول على اختلاف شرعها ومناهجها ، لتطوير نظمها التعليمية وزيادة كفاءتها « فقد تاكدت أهمية التعليم في تحقيق أمن الشعوب وعزها وسلامتها وتقدمها ورفاهيتها (5) » . فبالتعليم يعم الرخاء ، وتتهذب الاخلاق ، وبه يتــم تواجد العلم والعلماء « ومن ثمراته تلك الانقلابـــات الحيوية التي نجدها في عالــم الطــب ، والزراعـــة ، والكيمياء ، والميكانيك ، والكهرباء ، والطاقات المختلفة. فالامم التي كانت في فقر مدقع من جراء ضعف أراضيها في قوة الانبات ، وصناعاتها متاخرة من جراء قلة مواد الخام والخبرة الفنية ، فبفضل تطبيق العلم على العمل بدلت معالم أراضيها من ضعف في الانبات الى قوة فائقة في ذلك ، فاوجدت لها منبعا جديدا للخامات الصناعية وسوقا للمنتوجات (6) .

ان المعرفة صارت جزءا من كيان عالم اليوم وجزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان المعاصر الذي يتميز بانه يظل طوال ايام حياته يتلقى المزيد من المعارف الجديدة، بل ان تطلب المعارف بغية كل عصر وكل انسان ، ولقد رصد الناس هذه الظاهرة حتى في القديم ، قيل لعمرو بن العلاء : « هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ » فقال : « ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم».

والانسان ما يفتأ منذ أن برز الى الدنيا وتخطى مرحلة الطفولة البشرية ، يعني بتعليم أبنـائـه ، وتربية فلذات أكباده ، حسب مدركـات العصـــور والمجتمعات ، لان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى لا تنمو قواه المعنوية الا بفعل مميز يتاثر به ، ويظهر مفعوله فيه . بخلاف الحيوان الذى يجعل همته فـي جسمه ، بل في اشباع بطنه وفرجه ، وذلك ما يسمى بالبهيمية . ولعل نمو القوى المعنوية لدى الانسان هو الفارق الوحيد أيضا بين العجماوات وبني الانسان ، وهذا الاخير ، وان كان له نصيب مما للحيوان ، فقد خصه الله بالتمييز ، والعقل ، والتبصيـــر ، وعـدم الاندفاع ، وضبط النفس ، لما أودعه فيه من عنصر روحي يربأ به أن يخضع لدوافعه الفطرية وينساق لها في صورتها الهمجية ، فيترفع عن ذاته الدنيا ، ويسمو بذلك على غيره من المخلوقات ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهـــم من الطيبـــات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (7) » .

والانسان بفضل المبدا الروحي الذى ينفرد بـه يحول شهواته البيولوجية الحيوانية الى رغبات وغايات يتجه الى تحقيقها شاعرا واعيا ، وهو اذ يضيق بواقعه يتطلع الى ما ينبغي أن يكون ، فان كانه مد بصره الى ما هو أسمى منه وجد في بلوغه ، وصار في سعيـــه المتواصل يستهدف الكمال الاخلاقي باثباته أنه الانسان الذى يتميز دون غيره بقابلية التعلم والتعليم في أوسع معانيهما ، وأغراضهما ، ووسائلهما ، وينفرد بالتامل

---

(4) انبعاث أمة ، ج ، 18 ـ ص ، 19 ـ خطاب القاه جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة اجتماع لجنة اصلاح التعليم الاصيل ، 10 يناير 1973 ـ 5 ذى الحجة 1392 .

(5) التعليم العام في البـلاد العربيـة ، تأليـف الدكتور محمد منير مرسي ـ ص. 3 .

(6) مجلة اللسان العربي ـ مج 7 ص. 59 ج. 1 ـ يناير 1970 ـ ذو القعدة 1389 .

(7) سورة الاسراء ـ الآية 70

العقلي فيتسنى له ان يعزل واقعه ويباشر النظر فيه ، ثم ينزع بمحض ارادته الى تغيير ما ينبغي تغييره ، وذلك هو مجرى التعليم وميدانه ، فيوجه مطامحه ورغباته الى ما يعود عليه بالنفع المادى او المعنوى ، أو كليهما . ولقد أخبر الله عن الانسان وقال انه « علم الانسان ما لم يعلم » (8) وخصه بتعليم الاشياء ولم يكن منها نصيب لغيره حتى في صفوف الملائكة . يقول تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ، هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسوهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم . » واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »(9)

والتعليم في بادىء أمره ، وفي سالف العصور يكاد ينطلق من منطلق واحد عند جميع الامم ، وهو وان اختلفت أهدافه ومراميه ، أو تفرعت فروعه وأصوله وتشعبت مقاصده ، فانه لا يعدو أن يكون مصدره الدين ، مطلق الدين ، لان الدين كان في نظر الناس في طويل الازمان والآباد اعم شيء للهيئة الاجتماعية ، لكونه وضعا الهيا ينظم حياة البشر ، وينير سبيلها ، ويمكن اجمال مسالك التعليم عند بعض الامم بغض النظر عن موقعها الجغرافي في المناحي التالية :

المنحاة الاولى : كان التعليم في أقدم الاجيال تهيمن عليه الجمعيات الدينية ويسيره الكهنة الذين يعتبرون المؤسسين الاول لمجال التعليم ، ومن الكهنة كان المستنيرون في البلاد ، ففيهم كان الحكيم ، والحاكم ، والقاضي ، والطبيب ، والفلكي ، والمهندس . وبلغ ارتباط التعليم بالكهنوت وأثر الثاني في الاول حدا جعل كلمة « التعليم » تنصرف في أذهان الاقدمين ، والآباء الاولين الى الكها ، ولذلك نعي القرآن على الربانيين والاحبار اخلالهم بالمسؤولية ، ونبذهم تعليم الامة ، وترك نهيهم اقوامهم عن الاثم . وهذا ما يؤيد النظرية القائلة بان التعليم حتى عند الوثنيين كان يصدر عن منظور الهي يعقل ولا يحس . يقول تعالى مشيرا الى نقمة اهل الكتاب على المؤمنين . والى اخلال الربانيين والاحبار بمسؤوليتهم نحو تعليم طبقات الامة : « قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ، قل هل انبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل ، واذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون ، وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون » (10) .

والقدماء كانوا يعتقدون ان الكهنة متضلعون من العلم عن طريق التعليم الذى كانوا يتلقونه في زعمهم عن الاله عند أهل الكتاب ، وعن الآلهة عند الفتشيين والوثنيين . وكان ينسب الى الكهان التنبؤ بالغيب والاخبار بالمستقبل ، ولعلنا نشم بعض ذلك من كتاب الله الخالد وهو ينفي الكهنوت والجنون عن الرسول الكريم . يقول تعالى : « فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » (11) « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون» (12) .

ونفى العرب أن يكون الرسول أميا ، وقالوا انما يعلمه بشر . فقد ذكر المفسرون ان غلام الفاكه بن

---

(8) سورة العلق ـ الآية 5 .

(9) سورة البقرة ـ الآيات 28 ـ 33 .

(10) سورة المائدة ـ الآيات 59 ـ 63 .

(11) سورة الطور ـ الآية 29 .

(12) سورة الحاقة ـ الآيات 38 ـ 42 .

المغيرة ، واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم ، وكان العرب اذا سمعوا من الرسول ما مضى وما هو آت ، مع انـه أمي لا يقرأ قالوا انما يتلقى ذلك من انسان اعجمـي ، ففند الله قولهم ودحض حجتهم واراهم ان القرآن كلام لا يستطيع الانس والجن أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها : « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون ، قـل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهـــذا لسان عربي مبين » (13) .

وبهذه الضروب وأمثالها من الدعاية جعلت قريش تحارب محمدا ترجو أن تبلغ بها منه اكثر مما يبلغ منه الاذى وممن اتبعه العذاب ، على أن قوة الحق في الصورة الواضحة البسيطة التي صور فيها على لسان محمد كانت تعلو على ما يقولون، وما تفتأ لذلك تزداد كل يوم بين العرب انتشارا، قدم الطفيل بن عمرو والدوسي مكة، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فمشت اليه قريش تحذره محمدا وأن قوله كالسحر ، يفـرق بين المرء واهله ، بل بين المرء ونفسه ، وانهم يخشون عليـــه وعلى قومه مثل ما اصابهم بمكة ، وأن الخيـر في الا يكلمه ولا يستمع اليه ، وذهب الطفيل يوما الى الكعبة، وكان محمد هناك ، فسمع بعض قوله ماذا هو كـلام حسن ، فقال في نفسه : « واثكل امي ! والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فمـا يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ ! فان كـان حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته » ، واتبع محمدا الى بيته وأظهره على أمره وما دار بنفسه ، فعرض محمد عليه الاسلام وتلا عليه القرآن ، فأسلم وشهد شهادة الحق ورجع الى قومه يدعوهم الى الاسلام ، فلباه بعضهم وأبطأ بعض ، وما زال الطفيل بهم يدعوهم سنين متعاقبة حتى أسلم اكثرهم ، وانضموا الـــى النبي بعد فتح مكة وبعد أن بدأ النظام السياسي يأخذ في الاسلام صورة معينة » (14) .

المنحاة الثانية : ازدهر التعليم عنـد الهنـود القدماء ازدهارا كبيرا حتى ليرى بعض الباحثيـن ان الهنود القدماء كانوا اكثر الامم علما وأوسعها ثقافة . « ربما لم توجد في تاريخ البشرية عقلية مثل عقليـــة الهنود القدماء ، مزجت العلم بالخرافة ، وقرنت الواقع بالخيال ، واعتمدت الى حد كبير في شرح ادق حقائق العلم الجافة على الاساطير (15) » ورغم ما استقر في اذهان الناس ، من أن الهند بلد التعاويذ والشعوذات، وربة الخيال والسحر ، فانها كانت منارات العلم وميدانا للبحث مع عمق ودقة وثاقب نظر .

على ان التعليم عند الهنود القدماء كان يكـــاد ينحصر كلية في يد البراهمة ، وهم أصحاب الرتبـــة الاولى من عبدة « برهم » وهو أكبر آلهتهـم ، وقـد احتكروا قراءة كتب « الفيـدا » المقدسة ، واستأثـروا بتفسيرها ، ولم يسمح لغيرهم بذلك ، لان « الفيدا » مصاغ بلغة سنسكريتية راقية لا يفهمها عامة الهنـود، وبأسلوب فلسفي عميق جدا يعلو على كثير من مداركهم، والهندليس هو بلد الغيبيات والروحانيات كما هو دارج في عرف كثير من الناس ، وانما هو بلد له ما له فـــي تاريخ الحضارة والفكر الانسانيين ، يقول ماكس مولر: « لن ابدا بقولي ان التراث السنسكريتي في مثل عظمة تراث اليونان ، ولماذا نلجأ دائما الى المقارنة ؟ ان دراسة التراث اليوناني لها هدفها الخاص ، وكذلـك دراسة التراث الهندي،ولكني مقتنع-وارجو ان اوفق اقتناعك ايضا ـ ان التراث السانسكريتي حينما يدرس بروح صادقة مليء باهتمامات الانسانية ، وبالدروس التي قد نفتقدها حتى في التراث اليوناني » (16) .

المنحاة الثالثة : كان التعليم في مصر الفرعونية راقيا جدا ، حتى ان بعض الباحثين يقولون ان اليونـان أخذوا دروسهم الاولى في العلم والفلسفة عن الفراعنة ، وبعد دراسة مستفيضة في نشأة الحضارات القديمة ، قال الاستاذ و. ج. برى « ... ان معلوماتنا تؤكـد ان مصر هي مهبط الوحي الحضاري ، فمنذ أقدم العصور يبدوا الصانع المصرى صبورا شديد العناية ، في يـده

---

(13) سورة النحل ـ الآيات 101 ـ 103 .

(14) حياة محمد ، بقلم محمد حسين هيكـل ، ص. 172 .

(15) البحث اللغوى عند الهنود ، تأليف الدكتور احمد مختار عمر ، ص. 13 .

(16) المرجع السابق ، ص. 11 .

وتفكيره دقة لا مثيل لها .. اذا تناول مادة من المواد أصبحت طوع بنانه ، وسيطر عليها سيطرة لم يبزه فيها احد في اى بلد آخر ... » و « قد شهد اليونان للفراعنة بأنهم كانوا المصدر الاول لما يعرف بالحضارة اليونانية ، كما أعطت الحضارة القبطية للعالم نظاما في النسك والرهبنة كان عاملا هاما في تطور الفكر المسيحي» (17) و « من الثابت مثلا أن معظم علماء الاغريق ، ومنهم أرشميدس ، وفيثاغورس ، قد زاروا الاسكندرية ، حوالي 300 – 200 ق. م. وكان تعليم الحساب في مصر الفرعونية متعة وتسرية ، لأن معلميها كانوا يوزعون على تلاميذهم ثمارا وأزهارا يطلبون منهم توزيعها على أفراد يزيدون عنها تارة في العدد ، وينقصون عنها تارة أخرى ، وبهذه الوسائل التجريبية استطاع الموظفون التدريب على حل مشاكل توزيع الاغذية في الجيش والاجور على العمال في المشروعات الضخمة (18) ولعل القرآن يدل بما كان لمصر الفرعونية من حضارة ولما وصلت اليه من تقدم ، حتى ان فرعون موسى افتخر بها وقال « أليس لي ملك مصر ؟ » ورفع صوته بذلك بنفسه فيما بين قومه لتنتشر مقالته في جميع القبط ويعظم في نفوسهم مخافة أن يؤمنوا بموسى عليه السلام ويتركوه : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين ، فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها ، وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون. وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ، فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتي ؟ ! أفلا تبصرون » (19)

المنحاة الرابعة : كان التعليم عند اليونان يقسمونه عادة الى ثلاثة أقسام :

الاول : القراءة والكتابة والحساب ، اما القراءة فانها عملية لازمة لتحصيل الافكار ، ووسيلة عظمى ، وغاية قصوى ، هامة كل الاهمية في اكتساب الخبرات ، واثر التجارب ، واخصاب العمليات العقلية ، واما الكتابة ، فهي الترجمة عما في الضمير ، وتصوير الافكار برموز نسميها الالفباء ، وبها يتم تخليد نتاج العقل البشرى في بطون الكتب ، ولها ما لها في تعويد الطفل الانتباه ، والضبط ، وقوة الملاحظة ، والاتصال المكين بغيره من الناس ، واما الحساب ، فاثره غير خاف حتى على الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ، فالحساب يجلو العقل ، ويحصفه ويزكيه وينميه ، ويلزمه الوقوف عند حد معين في قضية معينة ، وبه يزول الارتباك والوشوشة ، ويضبط سير المعاملات بين الناس ، ويعلم الاقتصاد والتوفير ، واستغلال المال والمتاع استغلالا حسنا :

لم يضع قط درهم بحساب
والوف بلا حساب تضيع

الثاني : الموسيقى والادب والصناعة ، أما الموسيقى ففيها تطهير للنفس ، وجلاء للفؤاد ، وصقل للعواطف ونبل المشاعر ، والغناء ربيع القلوب كما يقال ، وأما الادب فهو كل رياضة محمودة عقلية كانت أم ذوقية ، وبفضله يمكن الاحتراز عن الخلل في الكلام لفظا أو كتابة ، زيادة على ما فيه من ترقية ذوق الشعوب ، وارهاف احاسيسها ! وتلطيف مشاعرها ، وايقائها على الحق والخير والجمال . وأما الصناعة فلانها مورد الرزق وصدره ، وهي أصل الارتزاق ، والذى يحيا من غير صناعة يفقد كل المهارات ولا يقدر على شيء اذا حزبته الامور ، ويظل عالة على غيره من الناس ، ووصمة عار في جبين اهله وقبيله ومجتمعه .

الثالث : الرياضة البدنية ، ولا ينكر فضلها في اكتساب الجمال ورشاقة القوام ، وصفاء القد ، وتمتين الصحة ، وتخليص الجسد من الزوائد والاعفان ، وحفظ القوة الطبيعية للانسان .

كان على الصبي اليوناني أن يتعلم الشعر ، ويحفظ قطعا طويلة منتخبة منه حتى يستظهر عن ظهر قلب ، وكان تعليم الاولاد يبدأ في البيت على يد الامهات اللائي كن يعلمن أولادهن ذكورهم والاناث ، حتى اذا ناهز الذكور سن الثامنة صرفوهم الى معلم أولاد وكان يصحبهم الى المدرسة ولا يندون عن بصره أبدا ويظل التلميذ على ذلك الديدن في المدرسة

(17) فضل الحضارة المصرية على العلوم ، تأليف الدكتور مختار رسمي ناشد – ص. 4 .

(18) المرجع السابق . ص. 13 ، 20 .

(19) سورة الزخرف – الآيات 46 ، 51 .

الى أن يبلغ السنة السادسة عشرة أو قريبا من الثامنة عشرة فيصير الى معلمين من رتبة أرقى وأكثر علما ، وأوسع خبرة . وكان على كل يوناني ان يعلم ولده السباحة والقراءة ، والا تحلل الولد من النفقة على أبيه واعالته اذا هرم وشاخ .

المنحاة الخامسة : نشأ العبرانيون القدماء، أولادهم تنشئة خاصة تختلف اختلافا كبيرا عن تنشئة أبناء الاقوام الآخرين . والعلة في ذلك هو تعصبهم لدينهم وجعلهم اياه اساسا لحركاتهم وسكناتهم، ومسار مجتمعهم وآدابهم ، وتبعا لذلك ، فالآباء انفسهم الذين كانوا يعلمون أبناءهم منذ صباهم تاريخ الامة اليهودية ، وقوانين الشريعة الموسوية . أما البنات عندهم :كن يتلقين تعليما في فن الغناء ، والطرب ، والضرب بالآلات ، والعزف الموسيقي ، والرقص في الحفلات . وربما كانت امثال سليمان بن داود الذين يقرنون اسمه بالحكمة ، من درر وغرر ما يؤثر عنهم في التعليم ، خاصة في التربية الخلقية ، ومن أقواله : « يسمع الحكيم فيزداد فائدة والفطين يكتسب دربة للتفطين للمثل والاحجية ، لكلمات الحكماء والغازهم ، مخافة الرب رأس العلم والحكمة والتأديب يستهين بهما السفهاء ، اسمع يا بني تأديب أبيك ولا تنبذ شريعة أمك ، فانهما اكليل نعمة لرأسك وأطواق لعنقك » ، « اسمعوا أيها البنون تأديب الاب وأصغوا الى معرفة الفطنة ، فاني منحتكم تعليما صالحا فلا تهملوا شريعتي ، اني كنت ابنا لابي غضا ، ووحيدا لدى أمي ، وكان يعلمني ويقول لي ليحرز قلبك كلامي ، احفظ وصاياي فتحا ، اكتسب الحكمة ، اكتسب الفطنة ، لا تنس ولا تمل عن اقوال فمي » ، « السفه متأصل في قلب الصبي لكن عصا ضربته بالعصا لا يموت » ، « يا بني لا ترذل تأديب الرب التأديب تنفيه » ، « لا تقتصر في تاديب الصبي انك ان ولا تسأم توبيخه ، فان الذى يحبه الرب يؤدبه ويرتضي به كاب بابنه » ، « الكلام المنطوق به في آوانه تفاح من ذهب في سلال من فضة » . « الموبخ الحكيم للاذن الواعية قرص من ذهب وحلى من نضار » (20) . فسليمان عليه السلام كان مقرونا عندهم بالحكمة ،

ولذلك كانوا يحفظون أمثاله وأقواله ، وبلغ من قيمتها عندهم أن أدرجوها في كتابهم المقدس ، وكان أولاد اليهود يتلقون دروسا في « المشنا » ، وهو عندهم مجموعة التقاليد ، ويسمونه الشريعة الشفوية . وقد ظل متداولا بين الربانيين الى أواخر القرن الثاني الميلادى ، كما كانوا يتلقون دروسا في « الغمارا » ، وهو عندهم تفسير لكتاب الشريعة الشفوية المذكورة .

المنحاة السادسة : عرف عن التعليم عند الفرس القدماء انه كان طبقيا متفاوتا فقد كان ساذجا أوليا لعموم الامة ، وعاليا ودينيا للمجوس ، وعسكريا وسياسيا للجنود ، وكان تعليم صبيانهم يبدأ من السنة الخامسة الى السنة العشرين ، ولم يكن يتعلم التلميذ خلال تلك الفترة الا ثلاثة أمور فقط ، هي ركوب الخيل ، والرماية بالقوس ، والصدق في الكلام .

على أن التعليم العالي اللائق يكاد ينحصر عندهم في المجوس ، وهؤلاء فئة من الكهنة كان لهم دور خطير في الديانة الايرانية القديمة ، لاسيما في العهد الساساني . واطلق هذا الاسم على حكماء البلاد ، ومنجميها ، وعلمائها ، وقضاتها ، ومعبرى أحلامها لقد كانوا طبقة كهنوتية مغلقة كثيرة ، تشكل احدى القبائل المادية الست . ولما أخضع الفرس الماديين لم يفقد المجوس نفوذهم ، بل تمردوا فتكبدوا مجزرة رهيبة استردوا بعدها هيمنتهم ، ولم يمض وقت حتى رجع اليهم ما كان لهم من نفوذ . كان المجوس يعبدون الهواء ، والارض ، والماء ، لاسيما النار التي كانوا يقيمون لها شعائر فوق السقوف حيث كانوا يرعون لهيبها المقدس ليل نهار ، ولم يكونوا يحرقون جثث الموتى ، أو يدفنونها ، أو يلقونها في الماء ، أو يعرضونها لتتحلل في الهواء الطلق ، وانما كانوا يتركونها للحيوانات وللطيور الجارحة . وكانوا يبتنون بروجا يسمونها بروج الصمت ، مزودة في القمة بقضبان مستعرضة ، كانت النسور والغربان تحط عليها قائمة باعمالها المشئومة ، في زعمهم ، وكانوا يرتدون اسكيما كهنوتيا قوامه كساء أبيض ، وعمرة كبيرة من اللبد عليها قطعتان تستران الخدين . وكانوا يقولون انهم وسطاء بين الله والناس ،

---

(20) سفر الامثال في اماكن متفرقة .

(21) Nouveau Dictionnaire Biblique - Art. Mages

يقول هذا المعجم : ان لفظة Mages من اليونانية واخذته هذه عن الفارسية القديمة ، ولفظة فيها Magav ، ومعناها « العظيم » أو « الكبير » .

ويقيمون القرابين المقدسة ويعبرون الاحلام ، ويتفاءلون، وكانوا يدعون القدرة على التنبؤ بالمستقبل ، وكانـوا لا يتوانون في قتل الحيوانات التي يعتقدون أنها منحدرة من المخلوقات الشريرة (21) .

المنحاة السابعة : سار التعليم عنـد الرومـان مساره عند اليونان أول أمره في طرقه واكثر أموره ، والتعليم عند الرومان كان دنيويا محضا ، وكان كثير من شبانهم يسافرون يسافرون الى أثينا لتلقي العلم هناك في اكاديمية بها مدرسون ، وقد بنى قسطنطيـن فـي القسطنطينة مدرسة مشهورة جدا ، ثم اعـاد نظامها ثيودوسيوس الصغير . وكانت البنات كثيرا ما يتعلمن باعتناء في المدة الاخيرة من الامبراطورية الرومانية ، ثم أصبح لهن مدارس خاصة بعد ذلك . غير ان الرياضة البدنية كان لها نصيب الاسد في التعليم الروماني حتى انهم كانوا يسمون معلم المدرسة بمعلم الالعاب (22) وربما فعلوا ذلك لما يراه رجال التربية حتى اليوم من فوائد تنظيم حركة الجسم ونجمل هذه الفوائد فيمـا يأتي :

1 ـ انها تكسب الجسم مرونة ، فحركتنا اليومية العادية ليست واسعة النطاق ولا تتناسب في مداها مع طول العضلات او مدى حركة المفصل ، والحركة ذات المدى غير الكامل تقلل من قدرة العضلات على الوصول للحد الاقصى فتضعف من مرونة المفصل الذى تعمل عليه

2 ـ انها تساعد على اكتساب الرشاقة والخفة ، وتزيد من قوة الانسان وقدرته على التحمل .

3 ـ تساعد على ترقية التوافق العضلي العصبي اللازم في حركات التوازن وفي سرعة الحركة .

4 ـ تنشيط الدورة الدموية والتنفسية ، وتساعد على انتظام عمل الاجزاء الداخلية بالجسم (23) .

المنحاة الثامنة : لم يكن المسيحيون الاولـون قادرين على اقامة مدارس لتعليم أولادهم ، فكانـوا يعلمونهم في البيت أو يرسلونهم الى مدارس وطنية ، وازهى مدرسة في القرن الثاني الميـلادى مدرسـة الاسكندرية حيث كان يتعلم جماهير من الوثنييـن واليهود والمسيحيين ، وانشئت مـدارس غيرهـا في قيسارية ، وانطاكية ، وايدسا وغيرها ، واما في الغرب فكانت المدارس اللاتينية لم تزل ماشية في أعظم المدن كقرطاجنة وورومية وميلانو وتريف ، ومرسيليا ، وليون الى القرن الخامس . ولقلة المدارس المسيحية كان علماء الكنيسة كثيرا ما يجمعون حولهم الشبان القاصدين الدخول في الخدمة الدينية ، ويعلمونهم شفاهـا مـا يقتضيه الحال من تعاليم . وفي أوائل القرن الخامس وجد التعليم ملجأ في الاديرة التي كانت قد انشئت في الشرق بقصد الانفراد والتأمل ، وفي الغرب بقصـد السكينة والاتحاد في وسط اضطرابات الهيئة الاجتماعية وكان العقل الانساني في اوربا في أدنى درجاته في القرن التاسع ثم بدا يتقدم في ايام شارلمان قبل نهاية القرن التالى الذى ولى الخمول عقول اهله ، فالظلام العقلي استأنف مسيره من جديد في القرن العاشر في اوربـا المسيحية . ولما كان التعليم في ذلك العصر على الاكثر بلغة ميتة في كل بلدانها لم يصل الى عامة الشعب ولو خيط من ضيائه ، وندرت صناعة الكتابة بين العوام حتـى أعلاهـم درجة ، ولذلك سميت بصناعـة الاكليروس (24) .

المنحاة التاسعة : يظهر أن التعليم عند العـرب والتربية فرع عنه ، كان يغلب عليه الطابع الشفقهي الانساني ، ويظهر انه لم يكونوا يكتبون ما يعلمونه الا نادرا ، واغلب التعليم عندهم نصائح يقدمونها ، وامثال يضربونها بعضهم للبعض ، ولذلك يقـال ان العرب أرهف خلق الله احساسا ، واشدهم تأثرا بالكلمة وبسحرها ، غير أن أن ذلك لا ينفي أن يكون العرب عارفين بالكتابة والقراءة ، كمـا ذهب اليـه بعض الباحثين قديما وحديثا ، وان كتابا كالقرآن لا يمكن أن يتفهمه الانسان الساذج او المتأخر عقليا ، ولو فرضنا جدلا انهم كانوا لا يكتبون ولا يقراون ، فان عبقريتهم في الفهم عوضتهم كثيرا مما يفهمه الناس عن طريـق الكتابة والقراءة .

---

(22) دائرة معارف بطرس البستاني ـ مادة تعليم
(23) الطريق الى الرشاقة ـ تاليف فريد حسن ،ص. 49 .
(24) دائرة معارف بطرس البستاني ـ مادة تعليم

عرف العرب سداد الرأى وبعد النظر ، واثرت عنهم وصايا في منتهى الروعة وهي وصايا تصور افادتهم من خبراتهم وتجاربهم في الحياة ، والحياة اصلا ، هي أعظم معلم ، وأرحب مدرسة ، والزمن أدق حسيب ، واني اورد هنا نصوصا تتحدث عن نفسها ، وتصور منظور العرب في الحياة وطرقهم في معاشرة الغير ، ونظرتهم البعيدة الى الامور :

النص الاول : نثري لأمامة بنت الحارث لابنتها ام اياس ، وهي وصية من أم حكيمة واعية ارادت أن تزود ابنتها العروس بأثمن ما جمعته من تجارب السنين ، لتضمن لها السعادة في بيتها الجديد ، وهذه الوصية ان دلت على شيء ، فعلى رجاحة عقل المرأة ، وبعد نظرها وحكمتها ، في تدبير البيت ، وراحة الزوج ، ونص الوصية :

« أى بنية : ان الوصية لو تركت لفضل ادب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى ابويها ، وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

اى بنية : انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ؛ الى وكر لم تعرفيه ؛ وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكون لك عبدا وشيكا .

يا بنية : احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا أطيب ريح ، والكحل احسن الكحل ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه. فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشي له سرا ، ولا تعصي له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمني غدره ؛ وان عصيت أمره أو غرت صدره ؛ ثم اتقي بعد ذلك الفرح أمامه ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا ، فان الخصلة الاولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني اشد ما تكونين له اعظاما، يكن اشد ما يكون لك اكراما ، واشد ما تكونين له موافقة ، يكون اطول ما يكون لك مرافقة ، واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما احببت او كرهت ، والله يخير لك » . اه .

النص الثاني : نثرى أيضا ، وهو لذى الاصبع العدواني . دنا موته فأوصى ابنه أسيدا بوصية جمع فيها كل تجاربه في الحياة ، وما افاده منها ، وقد جمعت هذه الوصية من الصفات والمكارم ما يضمن للمتمسك بها السيادة في حياته ، وحب الناس له ، ونص الوصية:

« يا بني ان اباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، واني موصيك بما انحفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستاثر عليهم بشيء يسودك ، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع النهضة في الصريخ ، فان لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسالة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك»

النص الثالث : شعرى يذكر صاحبه فيه انه علم ابنه الرماية ، ونظم القوافي والفتوة ، بعد أن رباه . الا أن الابن تنكر لكل ذلك ، وشق عصا طاعة والده ، وترك الشفقة عليه ، والاحسان اليه ، واستخف به ، وجازاه بالخير شرا ، وبالحدب تبرما وتذمرا ، فمحا بذلك صحائف ما قدمه اليه والده من جميل وأسداه اليه من معروف وأبلغه من العلم والتربية :

فيا عجبا لمن ربيت طفلا
ألقمه باطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

اعلمه الفتوة كل وقت
فلما طر شاربه جفاني

المنحاة العاشرة : الاسلام وهو تـاج الاديـــان وختام مسكها ، واول ما نزل من كتاب المسلمين دعوة صريحة الى التعلم والقراءة ، والتعليم ، وكان الرسول اول معلم للمسلمين وفقا للقانون الالهي الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حتى تغلغلت تعاليم هذا القانون في النفوس ، وسرت في جميع مناحي حياة أصحابه ، فاتفقت العواطف ، وارتأب الصداع ، واجتمع الشمل ، والتام الشعث ، وأخذ الدين الحنيف بتلابيب القلوب واستصلح ما فسد منها ، وقد أدرك المسلمون للوهلة الاولى ما للتربية والتعليم من فوائد اجتماعية كثيرة ، مادية ومعنوية ، حتى ان اخوان الصفاء قالوا : ان العلم « يكسب صاحبه عشر خصال محمودة ، اولها الشرف وان كان دنيا ، والعز وان كان مهينا ، والغنى وان كان فقيرا ، والقوة وان كان ضعيفا ، والنبل وان كان حقيرا ، والقرب وان كان بعيدا ، والجود وان كان بخيلا ، والحياء وان كان صلفا ، والمهابة وان كـــان وضيعا ، والسلامة وان كان سفيها » .

ان الاسلام في حد ذاته مجد العلم ورفع من شان العلماء ، وجعل خشية الله مقصورة عليهم « انما يخشى الله من عباده العلماء » (25) ، « يا ايها الذين آمنـوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير»(26) وجعل عبادة الله بغير علم كعبادة الاصنام ، ومثـل الذين كفروا في دعائهم الآلهة الجماد كمثل الصائح في جوف الليل فيجيبه الصدى ، فهو يصيح بما لا يسمع، ويجيبه ما لا حقيقة فيه ، ولا منتفع . « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء . صم بكم عمي فهم لا يعقلون » قال قطرب : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم ، يعني الاصنام كمثل الراعي اذا نعق بغنمه وهو لا يدرى أين هي ، قـــال الاخطل يهجو جريرا :

انعق بضانك يا جريـر فانمـا
منتك نفسك في الخـلاء ضـلالا

ولم يكن جرير راعي ضان ، وانما اراد الاخطل ان بني كليب يعيرون برعي الضان وجرير منهم ، فهو في جهلهم . والعرب تضرب المثل براعي الغنم في الجهل ويقولون : « أجهل من راعي ضان » .

وقد امر الرسول بتعلم العليم ونوه بتعليمه ، واوصى بالصبر عليه مهما شق ، حتى لو كان في الصين يقول عليه السلام : « تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، لانه معالم الحلال والحرم ، وبيان سبيل الجنة ، والمؤنس في الوحشة ، والمحدث في الخلوة ، والجليس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، والدليل على السراء ، والمعين على الضراء ، والزين عند الاخلاء،والسلاح على الاعداء ، وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار في الدرجات العلى ، ومجالسة الملوك في الدنيا ، ومرافقة الابرار في الآخرة ، والفكر في العلم يعدل الصيام ، ومذكراته تعدل القيام ، وبالعلم توصل الارحام ، وتفصل الاحكام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وبالعلم يعرف الله ويوحـد ، وبالعلـــم يطــاع الله ويعبد » (29) .

---

(26) سورة المجادلة ـ الآية 11 ، و «المجالس» في الآية بصيغة الجمع في قراءة حفص ، وهي « المجلس » بصيغة المفرد ، في قراءة ورش ، يقول القرطبي : « قرأ السلمي وزرين وعاصم « في المجالس » وقرأ قتادة وداود بن ابي هند والحسن باختلاف عنـــه « اذا قيل لكـم تفاسحوا » الباقون « تفسحوا في المجلس » ، فمن جمع فلان قوله : « تفسحوا في المجالس » ينبيء أن لكـــل واحد مجلسا ، وكذلك ان اريد به الحرب ، وكذلك يجوز أن يراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع لان لكل جالس مجلسا ، وكذلك يجوز أن اريـد بالمجلس المفرد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز ان يراد به الجمع على مذهب الجنس ، كقولهم : كثـــر الدينار والدرهم .

(27) سورة البقرة ـ الآية 171 .

(28) الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي ـ ج. 2 ص. 214 .

(29) المستطرف في كل فن مستظرف ، تاليف شهاب الدين محمد بن أحمد ابي الفتح الابشيهي ، ج. 1 ص. 19 .

ولقد بنى الرسول المسجد بالكعبة بعد هجرته ، وكان اول ما قام به بعد ذلك هو انه خص به ركنا للتعليم ، وعين معلمين لتعليم الكتابة ، يذكر رواة السيرة منهم عبد الله بن سعيد بن العاص ، وعبادة بن الصامت ... ولقد ارسل معاذ بن جبل معلما لاهل البلدين : اليمن وحضرموت ، وكان معاذ معلما يتنقل في عمالة كل عامل ، ومن الطف ما روى عن النبي الامي أنه لما اسلس الاسارى في بدر ، طلب الفداء من كل واحد منهم ، وجعل فداء من يعرف الكتابة منهم تعليمها لعشرة غلمان من المسلمين ، « ولما انتشر الاسلام في ربوع اليمن ، اوفد النبي معاذا الى اهله يعلمهم ويفقههم واوصاه قائلا : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وانك ستقوم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، وذهب معاذ ومعه طائفة من المسلمين الاولين ومن الجباة يعلمون الناس ويقضون بينهم بقضاء الله ورسوله » (30) .

على أن التعليم في الاسلام ينشد الدين والدنيا معا . فهو لا يميل الى الاول ليترك الثانية ، ولا يرجح الثانية ليتحلل من الاول ، بل هو توفيق بين الاثنين، وجامع للحسنيين ، فهو ليس رهبانيا ولا كهنوتيا ، كما كان حاله عند بعض الامم التي سبقت الاشارة الى بعضها قبل قليل ، وهو ليس ماديا بحتا كما هو في منهج الملاحدة ، انه تعليم يبتغي السعادة في الدارين باعداد النشء وتربيته روحا وجسدا وعقلا ليكون أهلا لعمارة هذه الدنيا ، ومستأهلا للفوز بمرضاة الله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . ولذلك يقول الرسول : « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه » فالدنيا قنطرة الآخرة . ولقد اوتي قارون من متاع الدنيا وزينتها شيئا كثيرا فتجبر وطغى ، ولبسه الغرور ، ولم تعصمه دنياه ولا مباهجها من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه ، لانه لم يكن متوازنا في تصرفه نحو دنياه واخراه . فلما فاته الفوت صاح منه الجميع : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ؛ واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين . قال انما اوتيته على علم عندي . او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة واكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (31) ونصيب الانسان من دنياه هو عمره وما قضاه فيه من صالح الاعمال الذى يعود عليه وعلى غيره من ابناء البشر بالخير والمنفعة ، ولقد أصاب عمر بن الخطاب كبد الحقيقة حين قال : « احرث لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » .

ولقد ظل التعليم منتشرا في البلاد الاسلامية قرونا طويلة ، قبل انحطاط المسلمين ، وتدهورهم عندما استولى التتار والمغول بقيادة هولاكو على بغداد سنة 1258 م وانهارت بذلك الخلافة العباسية ، وسقطت بعدها الاندلس ، وتفككت اوصال العالم الاسلامي وانهارت وحدته التي استمرت ستة قرون، وأفل نجم العالم الاسلامي بعد علوه وسطوع نوره (32). وقد كان كل جهد يبذل بعد القرن الخامس الهجرى ، اما في سبيل الشرح ، واما في سبيل التعليق ، واما في سبيل التحقيق والتصويب . اما العمل المبتكر ، والذهن المبدع فقد قضى عليهما ظهور العنصر التركي على مسرح السياسة ، واستبداده بأمر الخلافة ، وضيق أفقه في الفكر ، وقلة حماسه للعلم . وتلك ظاهرة ظلت تتضح في العالم العربي والاسلامي ، يوما بعد آخر ، وتستشرى باطراد ، حتى انتهت اخر

(30) حياة محمد ، ص. 485 .

(31) سورة القصص – الآيات 76 – 78 .

(32) يقول الاستاذ انور الجندى : « كان للمغرب دوره الضخم في مجال العلم والثقافة والفكر . وامانته لذلك واضحة في دور جامعتيه الزيتونة (تونس) والقرويين (فاس) ثم امتداده الثقافي الى الاندلس . وجامعاتها في قرطبة واشبيلية ... وقد جاء الاستيلاء العثماني حوالى 1573 م. على ليبيا وتونس فالجزائر . أما المغرب الأقصى فقد تعذر على القوات الفاتحة وظل محتفظا باستقلاله » الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص. 12 .

الامر بما سموه اقفال باب الاجتهاد ، وقد كان معنى ذلك اضفاء الشرعية على التقليد ، والتماس النجاة في ظل اعواده اليابسة التي غرسها الشؤم في صحراء الجهل ويبابه (33) ، ولعل المغرب هو البلد العربي الاوحد الذى لم يقع في قبضة الاحتلال التركي ، ولذلك ظل له طابع مميز ، يظهر في اصالته ، وتمسكه بالتراث ، « ويرجع المؤرخون سر حفظ القرويين من الضياع في الطب والفلك والتشريح حتى الموسيقى ، وبقائها عدة قرون تؤدى رسالتها التي لم تتخلف عنها ولم تتوقف قط ، كما حدث للازهر مثلا ــ يرجعونه الى عدم احتلال العثمانيين للمغرب ، فالمغرب هو القطر العربي الوحيد الذى لم تتمكن تركيا من احتلاله (34) »

والاقبال على العلم والتعليم معروف لدى المغاربة منذ وقت بعيد ، ومنذ الفتح الاسلامي والمغرب رافع لواء العلم ، حفي بالعلماء والمتعلمين ، سادن لكل فكر مبدع خلاق ، حريص على الكتب وخزائنها ، يقول صاحب كتاب « المعجزة المغربية » : « ان مولاى اسماعيل عني بالمعرفة عناية دلت عليها مكتبته ، ويسمونها بالمغرب الخزانة حتى اليوم ، ذلك انه جمع فيها أربعة عشر الف مجلد قبل وفاته ، فلما آلت الى ابنه من بعده ، وزع هذه المجلدات على مكتبات المساجد المغربية (35) ويقول جلالة الملك الحسن الثاني باسط ألوية الثقافة ، ومفجر مناهل العرفان في مغربنا الحبيب : « **لما دلفت الى المغاربة من الشرق ثقافة الاسلام وعلوم العربية، ومعارف الامم المتقدمة، استوعبوها واتقنوها وتناولوها بآرائهم وافهامهم فاكملوا ناقصها واوضحوا غامضها ، وفصلوا مجملها وهذبوا حواشيها ، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراضهم ، في غناها وثروتها ، ولم يكتفوا بذلك ، بل اضفوا عليها من حلتهم وطبعوها بطابعهم حتى اصبحت لهم مدارس مذكورة ، ومذاهب مأثورة في علوم الدين ، وفنون اللغة ، والمنطق ، والفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، والتاريخ ، والفنون الشعبية ، وحتى صارت جامعات فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الاندلس التي عاشت طيلة عصورها الاسلامية تحت حكم المغرب، او في كنفه ، تضاهي جامعات اقطار الشرق العربي** ومعاهد (36) » .

ولقد ظل المغرب ملاذا للعلم والعلماء ، وكانت الكتاتيب منتشرة فيه ، وكان بامكان من اتموا دراستهم بالكتاب أن يلتحقوا بالمعاهد الاسلامية المغربية في فاس ومراكش وتطوان وغيرها حيث كان يدرس القرآن ، والشريعة ، والفلسفة الاسلامية ، والمنطق ، والفلك . ولم يسمح للكتاتيب بعد الحماية الا بالتعليم الديني فقط ، وحظرت سلطات الاحتلال تعليم الحساب والمواد العلمية ، وكان يغلق اى كتاب يخالف ذلك على الفور (37). وقد أوضح بعض الكتاب السياسة التعليمية التي انتهجتها الحماية فقال : « ان التعليم في عهد الحماية يسير طبقا لمبادئ استعمارية تتلخص في العمل على تكوين طبقة صغيرة من الموظفين ذوى الفاعلية المحدودة يصلحون لان يكونوا ادوات ولكنهم لا يصلحون للتفكير ، وذلك لكي يكونوا مساعدين في الادارات المختلفة التي لا يمكن ان يستغنى عنهم فيها ، ويجب أن تكون الثقافة التي يتلقاها الطلبة في المدارس محددة ، كى لا ينقلب من تلقاها الى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة على حقيقتها . ويجب الا تخلو هذه الثقافة من اللغة العربية الا بمقدار ضئيل لا يشترط اى حد لضآلته ، كما تخلو من كل ما من شأنه ان يخلق العزة القومية ، أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب ... ويجب أن يكون الطالب ملما بأمجاد فرنسا بصورة تثير الدهشة ولكنها لا تثير التفكير ، ولا بأس من التعليم الصناعي لانه عامل من عوامل الثروة (38) » .

---

(33) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، ص. 11 .

(34) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا لانور الجندى ص. 138 .

(35) المعجزة المغربية لاحمد عسه ، ص. 92 .

(36) انبعاث أمة ــ ج. 10 ، ص. 90 من خطاب القاه جلالة الملك بالجامعة المصرية عند ما قلد جلالته الدكتوراه الفخرية ، الاحد 11 ذو القعدة 1384 ــ 14 مارس 1960 .

(37) التعليم العام في البلاد العربية تاليف الدكتور محمد منير مرسي ص. 339 ، وهو ينقل عن ساطع الحصرى ــ حولية الثقافة العربية ــ الحولية الثانية 1951 ص. 593 .

(38) المعجزة المغربية لاحمد عسه ، ص. 672 ، وهو ينقل عن الاستاذ ابن جلون في كتابه الذى نشره بالقاهرة عام 1949 ، تحت اسم « هذه مراكش » .

غير أن حركة وطنية قامت على يد محمد الخامس، طيب الله ثراه ، قبل توليه العرش لانشاء مدارس ذات طابع قومي لابناء المغرب ، وأصبحت هذه المدارس محور الحركة القومية والصراع من أجل الاستقلال ، الامر الذى أدى بسلطات الاحتلال الى محاربتها ولكن دون جدوى ، فلما لبث فجر الاستقلال أن أسفر واشرقت الارض بنور صبحه ، وشكلت لجان بعد ذلك ، الواحدة تلو الأخرى ، وعلى حسب ما يتطلبه الاصلاح الدائم المستمر ، حتى بلغ التعليم في بلادنا مبلغا لا ينكر قيمته الا الخصم اللدود . « فقد أصبحت كل كرة من كرات التعليم مكونة حول نواة صلبة ، تسير بسرعة وفق المخططات الخماسية المتعاقبة ، فتعطي المغرب تباعا لا كل ما يحتاج اليه في كل قطاع فحسب ، بل لتمكن المغرب من معونة دول القارة الافريقية السوداء في ميادين تكوين ما ينقصها من خبرات فنية كذلك ، تجاوبا مع شعور المغرب بأن له رسالات سامية ، من بينها رسالة الاسهام بجعل أفريقيا قارة المستقبل (39)»

وبعد ، فالتعليم أس الحضارات ، واكسيرها الذى يضمن لها البقاء ، وعليه تنعكس وجوه صحاف الامم ، وبه تخلد امجادها ، وتفرض نفسها على التاريخ وتتوثق عراها ، وتضرب في حقل التقدم بنصيب ، وقد آن للمغرب أن يعيد سيرته الأولى فيحمل لواء العلم ، ويرفع راية الثقافة ، وينشر نور العرفان ، ويلعب دوره في الحاضر والمستقبل كما فعل في الماضي :

عز الشعوب بعلم تستقل بـه
ما عز شعب عليه العلم قد هانا

(39) المرجع السابق ، ص. 676 .





للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

انت بـدر علـى البـلاد أطـــلا   فأضاء الوجـود لمـــا تجلـــى ،
انت من دوحة الرسول ، ويكفـــى   ذاك فخـرا لنـا وعــزا ونبـــلا
انجبتــك الفحـول من خيـر ينبـو   ع ، فأكـرم بالفحل ينجب فحــلا !
والاسود التى بهـا تزع الضيـــ   ــم لقــد انجبـت علـى العز شبلا
وابوك العظيـم دل علـى الخيـــ   ــر ، وما مات من على الخيـر دلا
وبــه صارت البــلاد حريمـا (1)   آمنـا يرفض الدخيـل المحـلا (2)
واستجاب الرحمـن منـه دعـاء ،   وهـو قلب مـن شعبـه حين صلى
نحن بالعرش فى الوجود نباهـى ،   فهـو منـا حياتنـا ليـــس الا
انت تـاج مـن الذهب الابـــــ   ــريز ، اكرم بالتـاج فرعا واصلا !
عرشك اليوم فى القلوب ، فمرحـى   لحبيـب يمتـاز فيهـا محـــلا !
انت عنوان نهضـة الوطـن الغـا   لى ، تصون البـلاد قـولا وفعـلا
عهـدك الزاهـر استقام بــه الامـ   ـــر ، فبشرى اذ الرعيـة جذلـى !
انه العيد ، عيـد عرشك ، والدهـ   ـــر ، جميعـا أقـام للعرش حفلا
اينمـا كنت ترقص الروح نشوى ،   حيث تهديـك أقحوانـا وفـلا (3)
وتناديـك السـن العشـق طـرا :   « مرحبا بالمليك ، أهلا وسهلا !! » .

---

1) **الحريـم** : موضع حول قصر الملك متسع تلزم حمايته — كل موضع تجب حمايته — كل ما يلزم الدفاع عنه .

2) **المحـل** (بضم الميم وكسر الحاء) : المنتهك للحرمات ، ومن لا عهد له — **الدخيل** : من دخل فى قوم وانتسب اليهم وليس منهم .

3) **الاقحـوان** : نبات أوراق زهرة مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان . أصله من الشرق الاقصى ، وهو من أجمل أزهار الحدائق بألوانه وأشكاله المتعددة . يزهر فى أواخر الشتاء والخريف — **الفل** : نبات من الفصيلة الياسمينية زكى الرائحة نقى البياض ، ويقال له أيضا الياسمين الزنبقة .

كيف ننسى (فروسية القر — … ن) ، وفيها رأيت للسبق خيلا ؟
والزغاريد ها هناك ، واجوا … ق ، ورقص ، والناى جانس طبلا ؟
كيف ننسى من البطولة (كأس الـ … ـعرش) وأتت من كان للنصر أهلا ؟

— ❋ —

يا عظيم الاخلاق ، يا حامى الاسـ … ـلام ، أنت المناقب الغر تتلى
كل ما فيك يا مليكى جليل … وأياديك تغمر الناس فضلا
والقريض الجميل في (الحسن الثا … نى) بهى الرؤى ، واغلى وأحلى !
فهو عنوان فطنة ونبوغ … منذ أن كان كالبراعم طفلا
كلما غرد الفؤاد بشعر … صادق ، زادت الروح بذلا
يصعد المخلصون للشرف العا … لى ، وقدر المليك في المجد اعلى
نحن في المغرب العريق نحب الـ … ـعرش حبا يروق روحا وشكلا
والمليك المحبوب نجعل منه … والدا او اخا عطوفا وخلا
قد حملنا مسؤولية الجيـ … ـل ، ولكن قد كان أعظم حملا
نحن حرب على التخلف طرا ، … كيف نبقى بؤسا وسقما وجهلا ؟ !
ليس منا من كان غرا جهولا ! … ليس منا من كان عضوا أشلا !
ويد الله في الجماعة سر ، … أكثر الفرد جهده أم أقلا
نحن عزم وهمة ومضاء ، … وعن الواجبات لا نتخلى
ليس منا من لم يدن بوفاء … وولاء به الجميع تحلى
وحد العرش شملنا حوله دو … ما ، فمرحى للعرش يجمع شملا !
تضحيات في اثرها تضحيات ، … ونفوس لم تدر شحا وبخلا
قد عشقنا أوطاننا ، فحكينا … في خلايا الرضاب والشهد نحلا
أنت يعسوبنا (4) ، ونحن حواليـ … ـك اجتمعنا جندا امينا ، وثولا (5)
حبنا راق في رقيق المعانى : … اين منا غرام (قيس) و (ليلى) !؟ (6)
دأبنا في الغرام صدق ، وانا … ما خشينا في الحب لوما وعذلا (7)

— ❋ —

4) **اليعسوب** : في الاصل ملكة النحل واميرتها . ويطلق على الرئيس الكبير . يقال : هو يعسوب قومه أى رئيسهم وكبيرهم .
5) **الثول** أو الخشرم : جماعة النحل ، لا واحد له من لفظه
6) **قيس وليلى** : قصتهما في الحب مشهورة . يضرب بهما المثل في الاخلاص والوفاء . راجع مسرحية (مجنون ليلى) لامير الشعراء المرحوم احمد شوقي في هذا الموضوع . — 4) **العذل** (بفتح العين وتسكين الذال المعجمة) : اللوم .
7) ان في هذا البيت اشارة الى ظهور صورة صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس — قدس الله روحه — فوق القمر ايام المحنة والمنفى . وفي ذلك دليل واضح على شدة تعلق الشعب المغربي النبيل بزائد نهضته . والحبيب يرى محبوبه ظاهرا في كل شيء ، وأجمل من كل جميل .. بل ان روعة الصورة تظهر أكثر في الاطار البديع .

قـد غزا الشعر روعة القمـر العـا ... لـى قديمـا ، وبالخيـال تسلـى

ونرى الآن فيـه معجـزة العلـــ ... ـم ، فاسراره غـدت تتجلـــى

انمـا البـدر فوقـه ظهـر البـد ... ر ، فصارت آيـاته الغـر تتلى (8)

رايـة (المغرب) استقرت وحيث ... فوقـه العاهـل العظيم الاجلا (9)

***

فى (الرباط) استقام (مؤتمر القـ ... ـمة) ، مرحى ! اذ يجمع الله شملا !

اضرموا النار فى (المسجد الاقـــ ... ـصى) ، فيا ويلهم ! انسكت ؟ كلا !

وارى دولـة العروبـة والاســـ ... ـلام قامـت للجـد قولا وفعـلا

تستجيب النـداء (للحسـن الثـا ... نـى) الذى ازداد فى المحافل فضلا

وارى فى (منظمـــة الوحــــ ... ـدة) (صهيون) ، استحـال الاذلا

— * —

الف بشرى للرائد (الحسن الثـــا ... نـى) ، فهذى محاسن منه تملى

سمعة فـاح فى الوجود شذاهـا ، ... وجـلال بـــه الجمـال تجلـــى

ووفـود الاخـوان فى الوطن الاكـ ... ـبر الفـوا حبـا صميمـا واهـلا

نحن احرى الورى بتوحيـد صـف ... وايماننـا نكـون بالفـوز اولـــى

عرشنـا فى نظامـه يبهـر العـا ... لـم ، اذ صار بالحصافة مولـــى

لـو تجوب الاقطار طـرا لما شـا ... هدت قطعـا للمغرب الحر مثـلا !

اننـا فى (مسيرة الفتح) قـــوم ... بكتـاب وسنــة لـن نضـــلا

اننـا امـة علـى العدل قامـــت ... تتحـدى المستعمـر المستغـــلا

وفلسطين قدسها ، المسجد الاقـ ... ـصى ، سيغدو محررا مستقـلا !

انما المسلمون فى الديــن والدنـــ ... ـيـا كيان ، وعزة لن تـذلا ! (10)

ظهـر الحـق ، واقتـرب الفتـــ ... ـح ، وقلب الاعداء فى الهول زلا (11)

وجنـود الرحمان دابهـم النصـــ ... ـر ، فمهلا ، سيطلع الفجر ، مهلا !

يـا مليكى ، انت المرجى لشعب ، ... ولانت الكريم ، تحـمل كـلا (12)

ونبـى السلام والخير ، قد كنـــ ... ـت لـه ، باعث الفضائل ، نجـلا

---

9) فى هذا البيت اشارة الى أن الرواد الثلاثة الذين وصلوا الى القمر على متن السفينة الفضائية أبولو 11 ، كانوا قد حملوا معهم أعلام بضع وثلاثين دولة ، من بينها راية المغرب وطننا الحبيب . وقد رفعوها على سطح الكوكب المنير . ولا شك أن الوصول الى القمر فيه معجزة وانتصار للانسانية جمعاء .

10) جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ، والله معكم » — « ولله العزة ولرسولـــه وللمؤمنين » كما جاء فى الحديث الشريف : « المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يـد على من سـواهم » .

11) زل قلب الاعداء أى انخلع وذهب خوفا وذعـرا وفـزعـا .

12) تحمل الكل (بفتح الكاف) : تعين الضعيف وتغيث الملهوف ، وتساعد المحتاج . وقد جاءت هذه العبارة فيما خاطبت به أم المؤمنين سيدتنا خديجة بنت خويلد ، حين طمأنت الرســول — ص — قائلة : « والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتقرى الضيف ، وتحمـل الكـل ، وتعـين على نوائب الدهـر » .

انما عيدك السعيد علينــــــا   بالهنـا والسلام واليمـن حــــلا
فلقـد ايـدتـك كـل البرايــا ،   واجتبـاك الرحمان عـز وجـــلا
لحمـة الشعب كنت انـت سداها ،   الف بشرى، اذ يصبح الحب نولا (13)
انت كالمزن رحمة ، وعلى تــــا   ج الزهور البيضاء تنزل طـلا (14)
انـت كالواحــة الظليلـة ضمـــت   في ابتهاج مـاء نميـرا ونخلا (15)
انت في منتهـى المهـارة اعــــدد   ت لحسم الادواء حقنـا ومصلا (16)
انـت وحدتنـا ، وعرشك فينـا ،   من صدور الاضداد ينزع غـلا (17)
انت مـن منبع البطـولة صمصـا   م ، نباهي به مضاد ونصـلا (18)
(حسن) انت في البناء ، وفي البعـ   ـث ، فلقن عنك الروائـع قـولا
يحفظ الدهـر مـن مآثرك الفـــ   ـز وعليـاك في الخلـود سجـلا
انت برهاننا العظيـم بـك الدهـ   ـر علـى نهضـة البلاد استـدلا
حسنـات في اثرهـا حسنـــات :   لست احصى لصانع الفضل فضلا !
وشمــوع بكـل بشـر اضاءت ،   وكــؤوس مـــن المحبـة تمـــلا
والملايين ها هنـا كلهـا عشــــ   ـق لمن في قلوبهـا قد تجلـى ! !
انـت طغـراء مجدنـا ، وكتـاب   سطـر الخلـد آيــه مستهــلا
جـدك المصطفـى قريب من اللــ   ـه الذى نوره « دنـا فتدلى » (19)
كيـف لا نعشـق الـذى باجتهـاد   بـز أهـل الذكـاء عقلا ونقـلا ؟
كيف لا نعشق الذى باصطبـــار ،   وثبـات ، يسمو بنـا حين نبلى ؟
كيـف لا نعشق الـذى في حمـانـا   لـم يـذر غاصبـا ولا مستغـلا ؟
كيف لا نعشــق الذى كـان للـــ   ـه ، واحيـا في الدين فرضا ونفلا ؟
وأرى العاشقين في الكـون كانـوا   للتصافـي ، وللاخــوة رســـلا
انمـا الحب جنـة ، وبغيـر الـ   ـحب تمسـى الرياض صخرا ورملا

---

13) **النـول** : خشبة الحائك أو آلته ينسج ويلف عليها الثوب .
14) **المـزن** : السحاب ، كناية عن الفضل والسخاء — **الطـل** : المطر الضعيف ، الندى . وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (فان لـم يصبها وابـل فطـل) .
15) **الواحـة** : الأرض الخصبـة في الصحـراء . والنخـل كالرمان مخصوصان بالذكر في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) . وذلك لان النخل فاكهة وغذاء ، والرمان فاكهـة ودواء .
16) **المصـل** في الطب اسم يطلق على أنواع من الادوية السائلة ، يستعمل للحقن في الجسم لمكافحة الامراض ، أو للوقاية منها .
17) **الغـل** (بكسر الغين) هو الحقد والغش والخيانة والابتعاد عن الصواب . وقد وصف الله المؤمنين بقوله : « ونزعنا ما في صدورهم من غـل » .
18) **الصمصـام** أو الصمصامة : السيف ينثني .
19) في هذا البيت اشارة الى قوله عز وجل : (**والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى ذو مرة ، فاستوى وهوبالافق الاعلا . ثم دنـا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو ادنـى . فاوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد مـا رأى** . .) وفي هذه الآيات الكريمة ، دلالة واضحة على مكانة الافضلية والزلفى والجاه العظيم الذى يحظى به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لـدى ربه الذى كسـاه هيبـة وجمـالا وجلالا ، ووقارا واطمئنانا . فكيف لا يكون كذلك سبط نبيه الامين مليكنا المحبوب ، الحسن الثاني نصره الله ؟ ! فهـو أمير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين ، وخليفـة رب العالمين ، دام له التأييد والتمكين ، والفتح المبين .

انمـا الحب جنـة ، وبغيـر الـ   ـحب ، هـذا الورى جهنم يصلـى

وهو سـر الجلال في الشعـر ، لولا   ـه ، لكان القريض أبتر ضحلا (20)

كـل سؤل به تحقـق ، هيهـا   ـت أخي ، ان يخيب الحب سؤلا !

قد عرفنـا في الحب نبـع حيـاة ،   فنسينـا همـا وغمـا وويـلا

زال عنـا الشقـاء ، والحب نلنـا   في ذراه كـل السعـادة نيـلا

انمـا العرش كنزنـا نفتديـه ،   وهـو اسنـى مـن الكنوز وأغلـى

اننـا اسعـد الشعوب لانـا   قـد شددنا باسعد النـاس حبلا !

ولاهل الاحسـان والفضل والاصـ   ـلاح دومـا قـد مالـت الروح ميلا

والوفـاء الاصيل في الوطـن المحـ   ـبـوب ، يدبي من البطولة فصلا

كيف ينسى جهاد عـرش وشعـب   محضـاه الوفـاء حتى استقـلا ؟

كيف ينسى من في الكفاح تفانـى ،   وحمى مجـده ، وكسـر غـلا ؟

كيف ينسى من ليس يرضـى له بيـ   ـن شعوب الانام خسفـا وذلا ؟

وفلـول المستعمريـن اضمحلـت ،   وزمـان المستضعفيـن تولـى

وغـداة الحريف في (المسجد الاقـ   ـصى) بعثت الندا يوحد شملا (21)

في (الرباط) استقام (مؤتمر الاسـ   ـلام) حقا، والفصل أصبح وصلا(22)

انهـا نخوة العروبـة مـا هـا ـ   ـنت، ولا استسلمت صغارا وذلا(23)

قد طغى الغاصبون ، والقبلة الاو   لى استغاثت بما تعانيه خجلى (24)

لا يغرنـك مـا تـراه فمهـلا ،   ولعـل الخـلاص آت ، لعـلا ،

فانتظر صولـة الحقيقـة ، فالدنـ   ـيا ـ كما قيل ـ بالعجائب حبلى !

هـذه أسرة لقـد أصبـح الاسـ   ـلام فيهـا روحـا ونورا وظـلا

هـا هنا ، او هناك نفحـة خيـر   تتجلـى في البـأس قولا وفعـلا

تلـك أصداؤنـا بكـل مجـال   تخلـق المعجـزات روحـا وشكـلا

ان (افريقيـا) راتـك زعيمـا ،   وصبـاحـا مـن السـلام مطـلا

ومضى عهـد الانفصـال كحلـم   مرعـب لاح لحظـة واضمحـلا

---

20) الضحل (بفتح الضاد وتسكين الحاء) : القليل الرقيق الذى لا عمق لـه .

21) وتمت تلك الجريمة النكراء يوم 21 اغسطس 1969 علـى يـد الصهيوني الاثيم (روهان) الاوسترالي الاصل . وزيادة في النكاية فقد برأه حكام صهيون ، بعد محاكمته الصورية ، التي لم تكن سوى مهزلـة .

22) في هذا البيت اشارة الى مؤتمر القمة الاسلامي الذي كان قد انعقد بفندق هيلتون بالرباط بدعوة كريمة من جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، من 22 الى 25 سبتمبر 1969 . وقد نجح ذلك المؤتمر التاريخي نجاحا باهرا ، وأسفر عن توصيات وقرارات بالغة الاهمية .

23) في هذا البيت اشارة الى مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية الذي انعقد بالرباط من 20 الى 22 دجنبر 1969 . . والى مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد بالرباط من 26 الى 29 أكتوبر 1974 في أعقاب الانتصارات العربية الباهرة في سيناء والجولان ، وتحطيم خط بارليف .

24) في هذا البيت اشارة الى الجرائم الفظيعة التي يرتكبهـا الصهاينة في الاراضي المحتلة ، والعمل على تهويد مدينة القدس ، وتشييد هيكل سليمان على انقاض المسجد الاعظم .

لا (كتانغا) ، ولا (بيافرا) فقد ولـــ ... ـــى مـن أشتـط واستبـد وزلا

ان (ايفني)،(الصحراء) بالعدل للاصـ ... ـــل لقد عادتـــا ، فأهـــلا وسهلا !!

الـــف مرحـــى (للساقيـــة الحمــــ ... راء والوادى : فيهما الحق يجلى !

قد أعاد التاريـــخ خيـــر عهـــود ، ... باعثـــا نخـــوة ومجـــدا ونبــــــلا

و (العيون) الفيحـــاء ملء عيـــون ! ... نرفض الطامعين ! نصرخ : لا ! لا !

انهـــا بيعـــة ومحـــــض ولاء ، ... للامـــام الذى ارتضيناه مولــــى

لستأنسى (خطرى) و(ولد البشير) الـ ... مخلصين : الفروع تتبع اصـــــلا !!

ان ايماننـــــا حســـام صقيــــل ، ... لـــم يكـــن فى جهـــاده ليفــــلا

يؤخذ الحـــق فى الحيـــاة غلابـــا ، ... ولاحرارنـــا المقـــام المعلـــى !

كلمـــات الفـــداء بالحـــق عليـــا ، ... ونفـــوس الاعداء فى الخـــزى سفلى

هـــم ارادوا اقتطاع جزء بتقريــــ ... ـــر مصيـــر يرونـــه مستقـــــلا :

زيفـــوا جوهـــر الحقيقـــة والتـــا ... ريـــخ ، اذ صار مـــا يرون ممـــلا

ليس مـــن مطمـــع بحبـــة رمــــل ... أبدا ! فالحمـــى لهم لـــم يحـــلا !

لـــم يكن من اعاد ماء لمجــــــراه ... ، بحـــق الجـــوار ، صار مخـــلا !

اننـــا أذكيـــاء فى الـــروع حقـــا ، ... مـــا رددنا بالمثل   حاشا ! وكلا !

ان (لاهاى) ـــ (مجلس الامن) كانـــا ... ارشدانـــا مـــن العدالـــة سبـــلا

ليس مـــن رام فى البـــلاد ممـــرا ، ... مثل مـــن رامهـــا حمـــى ومصلى !!

شاهد الكـــون فى مسيرتنا الخضــــ ... ـــراء صدقا ، فارســـل الحق رسلا !

وبصحرائنا ، كما تروم المعالـــى ، ... قد اقمنا أمنا وسلما وعـــــــدلا !

— ❋ —

يا مليكى يـــا مشعل النور ، قد كنـــ ... ـــت لسانـــا جـــم الفصاحـــة جزلا

لســـت تنسى مـــن الثقافة ابنـــاء ... ء (فلسطين) من حياضـــك نهلـــى

و (اليونيسكو) قامت بمراكش الحمـــ ... ـــراء تقصى عن الضمائر جهلا (25)

نحن بالضاد قد كتبنـــا المعالـــى ، ... وعـــن الضـــاد نحـــن لا نتخلـــى

فبهـــا أنـــزل الكتـــاب مبينـــا ، ... وباشراقهـــا الســـلام تحلـــــى

تخطـــىء الظن (صهيون) ، فالامـــ ... ـــر الذى تبتغيـــه لـــم يـــك سهلا

---

(25) جاء فى الخطاب الذى وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى أيده الله الى أعضاء المؤتمر الاقليمى الثالث لوزراء التربية والتخطيط العرب المنعقد بمراكش ، ذلك المؤتمر الذى أنهى أشغاله يوم الثلاثاء 12 ذى القعدة 1389 هـ الموافق 20 يناير 1970 ، انه يجب اعداد أطر منبثقة من مواطنين عرب ، متشبعين بالروح العربية وبحضارتها ، وأن تكون تربية أطفال اللاجئين ، مستمدة من عبقرية وشخصية الكيان الذى ينتمون اليه ... فأبناء اللاجئين ـــ سد منيع داخل الأراضى المغتصبة ضد العدوان ، وهم أقوى العناصر لمتابعة الكفاح المصيرى حتى النصر . ولهذا كان النداء الملكى موجها لكافـــة الشعـــوب العربية والمجموعة الدولية ، لتشجيع كل عمل فى صالح تربيـــة اللاجئين الفلسطينيين .

وانطـلاق الشعوب فيـه مضـاء ... يتحـدى مـن بالسـلاح تولـى

اننـا امـة مدى الدهـر يقظـى ، ... لـم تكـن قط فى المسيرة كسلـى

ان تاريخنـا شهيـد بأنـا ... قـد مـلأنـا الازمان حولا وطولا

نحن قوم لا نرتضـى منـذ كنـا ... فى اكتمـال الحقوق غبنـا وختـلا

وطنـى سيـد علـى كـل حـال : ... كان دومـا راسا ، ولـم يك ذيلا !

جعـل الجـد فى الحياة شعـارا ... حين ظن الدخيل فى الامر هزلا (26)

شعبنـا يهتـدى باقـوم ديـن ، ... ضل فيـه الدخيل لمـا أضلا (27)

وهـو فى ظـل عرشـه فى أمـان ... لـم يكن ناقصـا ، ولا خاف هـولا

لـم يضـع حقنـا ، فنحن ذووه ، ... صوتنـا فى طلابـه لـن يمـلا

وبفضـل المليـك نلنـا المعالـى ... حيث صرنـا بهـا أحـق وأولـى !

— ※ —

يـا سليل الاباة ، هـا أنت فينـا ... تستحـث الخطـى نهـارا وليـلا

خلـد الدهـر منك سعيـا حميدا ، ... وايادبـك هـا هنـا ليس تبلـى

يسعـد الشعب أن تكون لـه فـى ... صالحـات الاعمال تاجـا ومولـى

كلما انهـت السواعـد شغـلا ، ... بـدأت فى البنـاء والبعث شغـلا

كل ركن تبنى بـه مصنعا ضخـ ... ـما ، وتحيى به لشعبك حفـلا

كلنـا نحتفـى (بمليون هكتـا ... ر) ، ونسعـى للخير قولا وفعـلا

والسـدود التـى تشيدهـا تحـ ... ـمل للشعب نهضـة منـك مثلـى

ورخـاء يعمنـا ، وازدهـارا ، ... وجـلاء لكـل نفـس ، وصقـلا

مثلمـا قـد سقيـت فينـا غراسا ... ليروق الجنـى ، وتنشـر ظـلا ،

قمت تسقى العقـول كوثر علـم ، ... نرينـا مـن المكـارم سبـلا

وتقـود البـلاد للمجـد والفخـ ... ـر ، وتحيى بها نظامـا وعـدلا

ان (دار الحديث) و (المصحف) الاقـ ... ـدس ، نور على الوجود تجلـى

ودروس الاسلام، تحت اشرافك السا ... ـمى ، حديث بـه فؤادك ادلـى

انـت فوق الجميع فى دقـة البحـ ... ـث ، وقد كنت بالامانة أولـى

فضلـك اليوم يغمر الشعب طـرا : ... لست تنسى شابا وشيخـا وكهـلا

---

(26) فى هذا البيت اشارة على سبيل المثال ، الى أن مقاومـة الاستعمار فى المغرب ، دامت 24 سنة ، بعد امضاء عقد الحماية فى 30 مارس 1912 ، فلم تضع الحرب أوزارها الا سنة 1936 ، وسميت تلك الفترة تضليلا ، بحركة « التهدئة » .

(27) اشارة الى فشل جميع الحملات التبشيرية فى بلد مؤمن أصيل ، لا يبتغى غير الاسلام دينا . فقد خسر الاستعمار خسرانا مبينا فى فرض الظهير البربرى سنة 1930 على المغاربة الذين رفضوا رفضا باتا النعرة القبلية ، والتفريق بين المغرب واخوانهم البربر . كما رفضوا فكرة المغرب التابع ، والمغرب غير التابع . ولم تكن ثقافة الاستعمار ، لتنسى المغاربة لغتهم العربية ، التى هى لغة دينهم الاسلام ، وسجل حضارتهم وأمجادهم عبر العصور والاجيال . فقد خسر الدخيل من حيث أراد الربح . وقد ضل من حيث أراد تضليل الناس .

والكتائب في حماها نرى الاطـ ـفال يصغون للهداية تتلى (28)

و (اتحاد النساء) يحمي حقوقا للواتي نلن المقام المعلى (29)

نصفنا ، هن ، في الحياة عليهـ ـن اعتماد الاجيال روحا وشكلا

شكر الله سعي عاهلنا الفـ ـذ ، ومرحى لخطة منه مثلى !

أنت هذبتنا وكونت منا للامور الجسام روحا وعقلا

والرياضات تحفظ الجسم حفظا ، وبها ندرك المقام الاجلا

كل صعب بهمة الملك الشهـ ـم ، وجدناه بالمحبة سهلا

لم يكن قانعا ببعض المزايا ، بل حبانا من الفضائل كلا !

ألف مرحى لمن حبانا كنوزا حيث نمى من ثورة الشعب دخلا

وقضايا البلاد في ذهنه الثا ـ ـقب تلقى رغم المصاعب حلا

أنت شمس، والشمس من حولها ضو ـ ء النجوم اختفى بها واضمحلا

بأصطبار وحكمة وأناة . كنت للحق والامانة اهلا

سدت في حاضر ، وسدت بماض ، وبآت ، تريد للمجد وصلا !

دولة المغرب العزيز استقرت واستمرت ما دمت بالحق قيلا (30)

شهد الشعب يوم حققت نصرا وجلاء ، فيك الشجاع المجلى (31)

أنت كل الامان ، ما خاف شعب في حمى عرشك المجيد استظلا

فلتدم يا حبيب شعب وفي قد فداه فؤاده ، وتملى (32)

حفظ الله للبلاد زعيما علويا ، له المكارم تملى

ورعى الله بيننا ولي العهـ ـد ، فمنه بدر السعود اهلا

---

28) انطلقت حملة الكتائب القرآنية في مستهل الموسم الدراسي لسنة 68 — 1969 . وقد أعطى جلالة الملك أعزه الله المثال الحسن لشعبه الوفي من فلذات كبده ، يتقدمهم صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الامير الجليل سيدي محمد — حفظه الله وأصلحه ورعاه —

29) أنشيء الاتحاد النسوي يوم الاربعاء 10 شوال 1388 هـ الموافق 8 يناير 1969 .

30) القيل (بفتح القاف وتسكين الياء) : الرئيس . وكانت تطلق هذه اللفظة على الملك من ملوك حمير (بكسر الحاء وتسكين الميم وفتح الياء) يتقبل من قبله من ملوكهم أي يشبههم .

31) **المجلى** (بتشديد اللام) : السابق في الميدان .

32) **تملى** (بفتح الميم وتشديد اللام) عمره أي طال واستمتع به . وتملى حبيبه اذا تمتع به طويلا .



جلالة الملك الحسن الثاني يقتبس من السيرة النبوية الشريفة

كيف استلهم جلالة الملك المسيرة الخضراء من كتاب "حياة محمد"

للأستاذ محمد جلال كشك

كان الملك يعيش سيرة رسول الله ، وقد اختزل الزمن في ذاكرته ، فربط بين الحديبية ، وعمرة القضاء ، والفتح معا .. كان مؤمنا انه سيدخل الصحراء . وبقدر ما كان يفكر في سلامة رعاياه المغاربة الذين سيتوجهون الى الصحراء في المسيرة الخضراء كان مشغول البال بنفس الدرجة على رعاياه المغاربة داخل الصحراء . لقد اتخذ كل الاحتياطات التي تكفي سلامة الذاهبين للصحراء ، والحمد لله لم يصب أحد بسوء ، كما لو كان الامر قد تم بمعجزة أو سلسلة معجزات .. تحدت القوانين الطبيعية كلها .. ثلاثمائة وخمسون ألف مواطن تنقلهم القطارات ، فلا ينقلب قطار ولا يصطم ، ولا يحتك بقطار آخر فيصاب الركاب المطلين برؤوسهم ، مخرجين أيديهم للهتاف ، ثم عشرة آلاف شاحنة تنقلهم فلا تتعطل واحدة من كل الف أو تتحطم فتسد الطريق .. ان سيارات الجيش الروسي او الامريكي ليست بهذه الكفاءة المطلقة ..

ثم يتجمعون أكثر من ثلاثة أسابيع فلا يقع وباء أو حتى حالات وفاة ملفتة للنظر أو أمراض بسبب الحر والعواصف وتغيير البيئة . ومع ذلك فان الحسن لم يركن لقانون البركة وحده . بل اتخذ جميع الاحتياطات ابتداء من القوات المسلحة التي كانت مستعدة لرد العدوان اذا ما وقع اعتداء على مواطن مغربي .. الى البعثة الطبية التي كانت ترأسها شقيقة الملك ..

ولكن ماذا عن رعاياه في الصحراء ؟ ..

انهم مواطنون يحمل مسؤوليتهم . وكانوا في أسر المستعمر ، وخضعوا للارهاب والترغيب ، وقد رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهت عليه .. واللحظة الحاسمة تقترب والذين اقترفوا الخطأ،اذا ما يأسوا من التوبة ، تمادوا فيه ، والقوى المصرة على فصل الصحراء تلعب على مخاوف هؤلاء الذين تورطوا في المخططات الانفصالية سواء بالتعاون المكشوف مع السلطة الاسبانية او بخدمة هذه المخططات باسم العمل الثورى..

المحركون يهمسون لهم أن السلطة المغربية اذا دخلت الصحراء فلن تغفر لهم ما ارتكبوه ضدها ، وهذا الاحساس بالذنب واليأس من الغفران ، قد يدفعهم الى ارتكاب خطأ أكبر هو التصدى للمسيرة او السلطة المغربية . وهو أمر لا يشكل خطورة في حد ذاته . بل يمكن التغلب عليه بسهولة ، لكن الاب الشفوق للشعب كله في الصحراء المحررة ، وفي الصحراء المحتلة ، لا يريد أن يصاب مغربي واحد بشوكة يمكن أن ينزعها الملك ولو بيديه ..

تذكر الحسن موقف جده عندما دخل مكة ..

ماذا تظنون اني فاعل بكم .. قالوا أخ كريم ..
وابن أخ كريم .. » ..

ولكن الملك الذي يهتدي بسنة الرسول مع الوعي الكامل بظروف الزمان ، يجب أن يقول كلمته هذه قبل أن يدخل العيون ، لكي يتيح الفرصة لاكبر عدد من رعاياه ، لكي يدخلوا في الطاعة قبل الفتح ..

وهكذا كان خطاب الملك يوم 23 اكتوبر 1975 أو بعد أسبوع واحد من اعلان المسيرة ، والدنيا كلها منشغلة بالمسيرة ، وما يمكن أن ينتج عنها من احتمالات ، ما بين مشفق ومتربص .. يفاجيء الحسن الجميع من موقع علوى ملكي من موقع السيادة ، فيوجه الخطاب لرعاياه الاوفياء في الصحراء .. بل ويعلن العفو عن مذنبيهم والاحسان لمحسنيهم ..

أى ثقة بالله ..

وأى يقين بالنصر ..

وأى سمو فوق حسابات الاقزام وتهديداتهم ..

وأى يقين تبعثه هذه الكلمات في نفوس الجماهير الزاحفة الى الصحراء ؟

وأى رعب تنزله بالذين ظلموا أنفسهم ..

أى باب للرحمة وللوطنية والعودة تفتحه أمام الذين اخطأوا عن جهل أو جهالة ..

وفي هذا الخطاب تحدث الملك لاول مرة بصراحة عن الحديبية واستشهد بآيات سورة الفتح التي نزلت بعد عودة النبي صلوات الله عليه من الحديبية وعقده الصلح مع قريش .. وأعلن الملك انه اقتبس من السورة الكريمة اسم العملية فسماها « عملية الفتح » .

ولا بد هنا لفهم الخلفيات الفكرية لعملية المسيرة في تفكير الملك ، من نقل بعض الفقرات التي لا شك في أنها عاشت في وجدان الحسن الثاني عاما كاملا من اكتوبر 1974 الى اكتوبر 1975 (1) ... ولنحاول أن نفكر بما أوحته هذه العبارات لامير المؤمنين وهو يفكر في الحاجز الذى فرضه الاستعمار بين الصحراء ورعاياه الصحراويين المبعدين عن وطنهم . عن بوجدور والعيون والسمارة ..

يقول الدكتور هيكل : والمسلمون أثناء ذلك يذوقون الم الحرمان من أداء هذا الواجب الديني المفروض عليهم. كما كان مفروضا من قبل على آبائهم . والمهاجرون منهم يذوقون الى جانب ذلك هما واصبا والما لذاعا : الم النفي وهم الحرمان من الوطن ومن أهلهم فيه . وهؤلاء وأولئك كانوا في ثقتهم بنصر الله ورسوله ونصره اياهم واعلاء دينهم على الدين كله ، يؤمنون بأن يوما قريبا لا بد آت يفتح الله لهم فيه أبواب مكة ليطوفوا بالبيت العتيق . واذا كانت السنة تمر تلو السنة . فتساجل الغزوة الغزوة . فان هذا اليوم الذى يؤمنون به لا ريب آت . وما أشدهم لهذا اليوم شوقا وما أشد ما يشاركهم محمد فى شوقهم ويؤكد لهم ان هذا اليوم قريب ،

« والحق ان قريشا ظلموا محمدا واصحابه بمنعهم من زيارة الكعبة فلم يكن هذا البيت العتيق ملكا لقريش ولكنه كان ملكا للعرب جميعا . »

« **وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون** » (2) ، ولكن قريشا خافت ان جاء محمد ومن حوله المؤمنون بالله . وهم من صميم أهل مكة ، أن يتعلق سواد المكيين بهم وأن يشعروا بما في بقائهم بعيدين عن أهليهم وأبنائهم من ظلم . فيكون ذلك نواة حرب أهلية » . انقضت ست سنوات منذ الهجرة والمسلمون يتحرقون شوقا يريدون زيارة الكعبة ويريدون الحج والعمرة .. وانهم لمجتمعون بالمسجد ذات صباح اذ أنبأهم النبي بما الهم في رؤياه الصادقة : انهم سيدخلون المسجد الحرام ان شاء الله **آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون . فما كاد القوم يسمعون رؤيا** رسول الله حتى علا بحمد الله صوتهم . وحتى انتقل نبأ هذا الرؤيا الى سائر أنحاء المدينة في سرعة البرق الخاطف . ولكن كيف يدخلون المسجد الحرام ؟ **أفيحاربون في سبيله ؟ أفيجلون قريشا عنه عنوة ؟ ! أ مترى تفتح قريش لهم طريقه مذعنة صاغرة ؟ !**

1) النص الكامل موجود فى كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ونتصح بالرجوع اليه باعتباره كان الملهم للحسن الثاني بفكرة المسيرة !

2) سورة الانفال

« **كلا لا قتال ولا حرب** بل أذن محمد في الناس بالحج في شهر ذى القعدة (نفس الشهر بل لعل ذلك يفسر لماذا تاخرت المسيرة الى السادس من نوفمبر . فلم يعطها أمير المؤمنين الامر **بالدخول الا بيوم الخامس من نوفمبر المصادف أول ذى القعدة ، وهو نفس اليوم الذى أمر فيه الرسول صلوات الله عليه المسلمين بالتحرك لدخول مكة عام الحديبية .**)

نتابع ما كتبه هيكل في كتابه « حياة محمد » .

« وأرسل النبي رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم الى الاشتراك وأياه في الخروج الى بيت الله آمنين غير مقاتلين ، وحرص محمد في نفس الوقت على أن يكون معه من غير المسلمين **أكبر عدد مستطاع وحكمته في ذلك ان تعلم العرب كلها انه خرج في شهر الحرام حاجا ولم يخرج غازيا فاذا أصرت قريش مع ذلك على مقاتلته لم تجد من يؤيدها في موقفها ولا من يعينها على قتاله** .. وما عسى أن تقول قريش لقوم جاءوا محرمين ، لا سلاح معهم الا سيوفهم في غمودها . أذن محمد في الناس بالحج . وطلب الى القبائل من غير المسلمين الخروج معه **فابطا كثير من الاعراب . وخرج في أول ذى القعدة أحد الاشهر الحرام بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب** » .

« وبلغ قريش أمر محمد ومن معه . انهم يسيرون اليهم حاجين **فامتلات نفس قريش بالمخاوف وجعلوا يقبلون هذا الامر على وجوهه ويحسبونه حيلة أراد محمد أن يحتال بها على دخول مكة فقرروا الحيلولة دون ذلك . بالغا ما** بلغ الثمن الذى يدفعونه لتنفيذ قرارهم هذا .
« اما محمد فتابع مسيرته حتى اذا كان بعسفان لقيه رجل من بني كعب ساله النبي عما يكون لديه من أخبار قريش ، فكان جوابه : قد سمعت بمسيرك فخرجوا . **وقد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا** . « فقال رسول الله ما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » (الموت) . « ثم وقف يفكر انه لم يخرج غازيا . وانما خرج محرما . وهو لم يتخذ للحرب عدتها . فلعله ان حارب فلم ينتصر جعلت قريش من ذلك موضع فخارها بل لعلها انما أوفدت ابن الوليد وعكرمة(قائدا الجيش) قصد ادراك هذه البغية حين علمت انه لم يخرج مقاتلا. وبينما كان محمد يفكر كانت فرسان مكة تبدو على مرمى النظر ، يدل مرآها على أنه **لا سبيل للمسلمين** الى ادراك غايتهم الا ان يقتحموا الصفوف اقتحاما وان تدور معركة **تقف منها قريش مدافعة عن كرامتها وعن شرفها .. معركة لم يردها محمد . وانما حملته قريش عليها حملا والزمته خوض غمارها الزاما .. ان المسلمين ممن معه لا تنقصهم الحمية** . وقد تكفيهم سيوفهم اذا جردت من غمودها لدفع عدوان المعتدى . لكنه يفوت بذلك قصده . **وقد يجعل لقريش عند العرب حجة عليه . وهو أبعد من هذا نظرا وأكثر حنكة وادق سياسة .. اذا..** نادى في الناس قائلا : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ وكذلك ظل مستقرا على رايه على سلوك سياسة السلم التي رسم منذ خرج من المدينة ومنذ التزم الذهاب الى مكة .. وخرج رجل يسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب مضنية . وجد المسلمون في سلوكها مشقة أى مشقة حتى افضت بهم الى الحديبية من اسفل مكة . بركت ناقة النبي » .

وتوقفت المسيرة ..

« نزلوا ولكن قريشا بمكة لهم بالمرصاد. وهي تؤثر الموت على ان يدخلها محمد عليهم عنوة .. وقف المعسكران يفكر كل في الخطة التي يتبعها . **اما محمد فظل على خطته التي رسم منذ أعد للعمرة عدته . خطة السلم والجنوح عن القتال الا ان تهاجمه قريش او تغدر به وهنالك لا يبقى من انتضاء السيف مفر** .. « لا تدعوني قريش الى خطة يسالوني **فيها صلة الرحم الا أعطيتهم** اياها » .. أما قريش فترددت ثم رأت أن توفد اليه من رجالها من يتعرف قوته من ناحية . ومن يصده عن دخول مكة من ناحية اخرى .

واقتنع كل الذين جاءوا بمشروعية تحرك المسلمين فعادوا بهذا الرأى الى مكة .. ويقع الخلاف في قريش فريق يطالب بالسماح له بدخول مكة وفريق يقول : والله لا يدخلها علينا عنوة ابدا . ولا تتحدث بذلك عنا العرب . » بل ينشق عن قريش الاحابيش الذين كانت تعتمد عليهم في محاربة النبي ، لما رأوا من سلمية قدومه . »

وآخر رسل قريش بهرته المسيرة المحمدية لا في عددها ولا في سلاحها بل في **طاعتهم وحبهم لرسول الله وتفانيهم في التعبير عن هذا الحب** وعاد يعبر عن ذلك بمفاهيمه :



« يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه . والنجاسي في ملكه . واني والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه. . لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه . وأنهم لن يسلموه لشيء أبدا فروا رأيكم ». « وطالت المحادثات على النحو الذى قدمنا . ففكر محمد في أن رسل قريش ربما لم يكن لديهم من الاقدام ما يقنعون به قريشا بالرأى الذى يرى ((انعدام قيادة قادرة على البت)) فبعث من جانبه رسولا يبلغهم رايه . لكنهم عقروا جمل هذا الرسول وأرادوا قتله . **وفيما هم يتبادلون الرسل يحاولون أن يصلوا الى اتفاق كان بعض السفهاء من قريش يخرجون ليلا يرمون عسكر النبي بالحجارة ،** فأخذوا أخذا وجيء بهم اليه .. أفتدرى ماذا صنع ؟ **عفا عنهم وخلى سبيلهم تشبثا منه بخطة السلم،وبهتت قريش . وسقطت كل حجة لهم يريدون أن يزعموا بها أن محمدا يريد حربا ، وأيقنوا أن كل اعتداء من جانبهم على محمد لن تنظر اليه العرب الا على أنه غدر دنيء ، لمحمد الحق في ان يدفعه بكل ما أوتي من قوة » .**

ولعل هذا يفسر الاعلان المتكرر عن عدم الرغبة في محاربة الاسبان . والامر بتحيتهم . واقتسام الطعام معهم ودعوتهم الى الخيام . الامر الذى صعب فهمه على البعض . من الذين حرموا من نعمتي العلم والايمان .. « ثم انه عليه السلام حاول أن يمتحن صبر قريش مرة أخرى بارسال رسول يفاوضهم » .

وهنا تصل المصادفة التاريخية الى واقعة مذهلة ، فالذى فاوض قريش هو صهر النبي .. سيدنا عثمان .. والذى فاوض الاسبان هو صهر الملك السيد أحمد عثمان أو عصمان كما يكتبها المغاربة !

وغاب سيدنا عثمان وكثرت التوقعات والتساؤلات.

« ولعل سادة قريش كانوا في هذه الاثناء **يبحثون مع عثمان عن صيغة توفق بين قسمهم ألا يدخل محمد هذا العام مكة عنوة ، وبين حرص المسلمين على أن يطوفوا بالبيت العتيق ، ولعلهم قد أنسوا الى عثمان وكانوا في هذه الاثناء يبحثون وأياه عن تنظيم علاقاتهم بمحمد وتنظيم علاقات محمد بهم .** »

مهما يكن من الامر فقد قلق المسلمون بالحديبية على عثمان أشد القلق » .

وهنا تمت بيعة الرضوان :

« وقف تحت شجرة في هذا الوادى فبايعوه جميعا على ألا يفروا حتى الموت . بايعوه وكلهم ثابت الايمان قوى العزيمة ، ممتلئ حماسة للانتقام ممن غدر وقتل بايعوه بيعة الرضوان التي نزل فيها قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » (3)

« وتبدى للمسلمين جميعا أن الحرب آتية لا ريب فيها ، وجعل كل ينتظر يوم الظفر أو يوم الاستشهاد بنفس راضية وفؤاد مرتاح وقلب مطمئن » .

« وبقيت بيعة الرضوان كبيعة العقبة الكبرى ، علما في تاريخ المسلمين كان محمد يستريح الى ذكرها . **لما كشفت عنه من متانة الروابط بينه وبين أصحابه ، ولما دل عليه من مبلغ أقدامهم على خوض مخاطر الموت لا يخافون . ومن أقدم على مخاطر الموت خافه الموت وعنت له جبهة الحياة وكان من الفائزين .** »

«عاد عثمان فأبلغ محمدا ما قالت قريش، فاذاهم بعدما حدث تركوه يدخل مكة تحدثت العرب بأنهم انهزموا امامه ، فتضعضعت في نظر العرب مكانتهم ، وسقطت هيبتهم . لذلك هم يصرون على موقفهم منه هذا العام ابقاء على الهيبة واستبقاء لتلك المكانة » .

« فليفكر واياهم . وهذا موقفه وموقفهم ، لعلهم جميعا يجدون من هذا الموقف مخرجا ، والا فليس الا الحرب يدخلونها طوعا أو كرها بل انهم لها لكارهون » « واتصل الحديث وعادت المفاوضات بين الفريقين وجاء من قريش سهيل بن عمرو .. وقالوا له ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا » « وجرت محادثات طويلة للصلح وشروطه ، كانت تكاد تنقطع في بعض الاحيان . ثم يعيد اتصالها حرص الجانبين على النجاح . وكان المسلمون من حول النبي يسمعون أمر هذه المحادثات ويضيق بعضهم بأمرها

---

3) سورة الفتح آية 18 .

صبرا ، لتشدد سهيل في مسائل يتساهل النبي في قبولها . ولولا ثقة المسلمين المطلقة بينهم ، ولولا ايمانهم به ، لما ارتضوا ما تم الاتفاق عليه » .

ويقول هيكل في كتابه معلقا على الحيرة التي أصابت بعض المسلمين لما أمر النبي بالرجوع دون الوصول الى مكة « لم يبق للمسلمين الا أن يرجعوا الى المدينة في انتظار أن يعودوا الى مكة في العام المقبل . وقد كان اكثرهم يحتمل هذه الفكرة على مضض ولا يهونها على نفسه الا انها امر الرسول . فهم ليس لهم عادة بهزيمة ولا تسليم من قتال . وهم في ايمانهم بنصر الله رسوله ودينه لم تخالجهم ريبة في اقتحام مكة لو أن محمدا أمر باقتحامها . وأقاموا بالحديبية أياما منهم من يتساءل في حكمة هذا العهد الذي عقد النبي ؟ ومنهم من تحدثه نفسه بالشك في حكمته ثم تحملوا وقفلوا راجعين وانهم لفي طريقهم بين مكة والمدينة اذ انزل الوحي على النبي بسورة الفتح . فتلا النبي على اصحابه قوله تعالى « **انا فتحنا لك فتحا مبينا ...** » الآيات .

لم يبق اذا ريب في أن عهد الحديبية فتح مبين ، وهو قد كان كذلك وقد أثبتت الايام أن هذا العهد حكمة سياسية وبعد نظر كان لها أكبر الاثر في مستقبل الاسلام وفي مستقبل العرب كله . فقد كانت هذه اول مرة اعترف قريش فيها بمحمد على انه ندها وعدلها فاعترفت بذلك بالدولة الاسلامية)) .

ولكن الملحمة متصلة في تفكير الحسن ، وقد استطاع أن يوحد بين صلح الحديبية أو مسيرة الحديبية ، وبين عمرة القضاء التي تم بها دخول مكة سلميا ثم فتح مكة وتوحيد جزيرة العرب ..

فلنقرأ ما كتبه هيكل وقراه الملك خلال فترة الراحة من جلسات مؤتمر القمة بالرباط ، ونحن نتابع خطوات المسيرة الخضراء ، وكيف كان الملك يهتدى بسيرة الرسول ، دون أن يغفل لحظة عن الظروف المعاصرة للمكان والزمان .. « نادى الرسول في الناس كي يتجهزوا للخروج الى عمرة القضاء بعد أن منعوا من قبل منها ، ومن اليسير عليك أن تقدر كيف أقبل المسلمون يلبون هذا النداء ، ومنهم المهاجرون الذين تركوا مكة منذ سبع سنوات ، ومنهم الانصار ، وبهم الى زيارة البيت الحرام هوى . وتنفيذا لعهد الحديبية لم يحمل أحد من هؤلاء الرجال سلاحا الا سيفا في قرابة لكن محمدا كان يخشى الغدر دائما . فجهز مائة فارس جعل على رأسهم محمد بن مسلمة وبعثهم طليعة له .. » « وسار المسلمون يحدوهم شغف أى شغف بالدخول الى أم القرى وأن يرى البقعة التي ولد فيها ، والبيت الذى شب عن الطوق بين جدرانه ، والاصحاب الذين غادر ، وان يتنسم عرف هذا **الوطن المقدس** ، وأن يلمس في **اجلال واعزاز ثرى القرية المباركة الميمونة** . »

ونستطيع ان نتصور هذا الجيش من المسلمين وعدتهم ألفان يغذون سيرهم تطفر أمامهم قلوبهم وترقص جذلا أفئدتهم ، فاذا اناخوا جعل كل منهم يقص على أصحابه آخر عهده بمكة وأيام طفولته بها ، أو يحدث عن أصدقائه بها ؛ نستطيع ان نتصور هذه المظاهر الفذة من نوعها ، يزجي سيرها الايمان **انك اذا لترى بعين بصيرتك أى طرب كان يستخف هؤلاء الذين حيل بينهم وبين هذا الفرض المقدس اذ يسيرون اليه ليدخلوا مكة آمنين ومحلقين ومقصرين لا يخافون** . »

« فلما انكشف البيت الحرام أمامهم انفرجت شفاه المسلمين جميعا عن صوت واحد منادين : لبيك لبيك .. موجهين بالقلوب والارواح الى وجه الله ذى الجلال محيطين في هالة من رجاء واكبار بهذا الرسول الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . والحق انه كان مشهدا فذا من مشاهد التاريخ التي اهتزت لها ارجاؤه ، والتي جذبت الى الاسلام قلوب أشد المشركين صلابة في وثنيته وفي عناده . وعلى هذا المشهد الفذ كانت تقع عيون أهل مكة . وهذا الصوت المنبعث من القلوب يدوى لبيك لبيك ، كان يخترق آذانهم ميهز القلوب هزا . »

ثم كيف أمر الرسول المسلمين بالهرولة قائلا رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة .. وكانت قريش تحدث انهم في عسر وشدة وجهد فرأت ما يمحو من افئدتها كل وهم يوهن محمد وأصحابه » .

اشاعات المرض والاوبئة والجوع والعاصفة الترابية التي تبددت بدخول المتطوعين مهللين فرحين ، بل وقطعهم عشرين كيلومترا في ليلة واحدة ! ..

« واقام المسلمون بمكة الايام الثلاثة المفروضة في عهد الحديبية وقد انسحبت قريش الى رؤوس الجبال »

« فجلس المسلمون خلالها لا يصيبهم فيهـا أذى ولا يعترضهم أحد بسوء وكأنما هم جميعا من هـذا البلـد الامين . وقريش وسائر أهل مكة يطلون من منازلهم فوق السفوح على **هذا المشهد الفذ في التاريخ ، ويـرون رجالا هذه أخلاقهم .. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون أى أثر يترك هذا المنظر الذى سما بالانسان الى ما فوق أسمى مراتب الانسان من اليسير عليك ان تقدره حين تعلم أن محمدا عاد بعد ذلك بشهور ففتح مكة على رأس عشرة آلاف من المسلمين** . »

ألا يجب الشكر على جيلنا للملك الحسن أن أتاح له فرصة رؤية صورة مقتبسة من ذلك المشهد الخالـد ونفحة من عبق السيرة العطرة ؟ !

«وبلغ المسلمون المدينة ، ومحمدا لا يشك في عظم ما تركت عمرة القضاء من أثر في نفوس قريش وفي نفوس أهل مكة جميعا ، ولا يشك فيما سينشأ عنها من آثار خطيرة ، « وأصبح فتح مكة أبوابها لمحمد أمرا لا محل لريبة فيه . » « سواء أكانت المصادفة هي التي ساقت ذلك كله أم ان شيئا من الاتفاق قد وقع عليه، فالحالان تدلان على دقة محمد ومهارته في **كسب أكبر موقعة فـي تاريخ الاسلام من غير حرب ومن غير اراقة دمـاء** . »
« واذا كان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء، فان الله لا **يؤتي النصر الا من أعد له عدته ، واحتاط لكل دقيقـة وجليلة قد تقف في سبيله** . »

ثم كان دخول مكة وقولة رسول الله : فاذهبوا فأنتم الطلقـــاء .

يعلق هيكل :

« **ما أجمل العفو عند المقدرة ، ما أعظم هذه النفوس التي سمت كل السمو ، فارتفعت فـوق الحقد وفـوق الانتقام ، وأنكرت كل عاطفة دنيا ، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الانسان ! هؤلاء قريش يعرف محمد منهم من ائتمروا به ليقتلوه ، ومن عذبوه وأصحابه من قبل ذلك ، ومن قاتلوه في بدر وفي أحد ومن حصروه في غزوة الخندق ، ومن** ألبوا عليه العـرب جميعا ، ومـن لـو استطاعوا قتله وتمزيقه أربا أربا لما ونوا في ذلك لحظة! هؤلاء قريش في قبضة محمد وتحت قدميه ، المدججـة بالسلاح ، تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في رجع البصر ! لكن محمدا لكن النبي ، لكن رسول الله **ليس بالرجـل الذى يعرف العداوة او يريد لها أن تقوم بين الناس . وليس هو الجبار ولا بالمتكبر . لقد أمكنه الله من عدوه ، فقدر فعفا . فضرب بذلك للعالم كله ولاجيالـه جميعـا مثلا في البر والوفاء بالعهد وفي سمو النفس سمـوا لا يبلغه أحد** . »

ونزلت الآية التي استهل بها أمير المؤمنين الحسن الثاني ، مسيرته : « **وقل جاء الحق وزهق الباطـل ان الباطل كان زهوقا** » ...

هذه هي الخلفية الفكرية التي وعاها أمير المؤمنين وهو يستوحي فكرة المسيرة ، ويخطط لها ، ثم وهـو يصدر العفو عن الخاطئين .. وهو يفاوض الاسبان وهو يصدر قراره بسحب المسيرة ويخفف عن المؤمنين بقيادته وبحكمته ألم هذا القرار بأن يبدأ بنفسه فيعود الى مراكش ..

فلنتابع الملحمة

قال الملك موجها خطابه الى : « رعايانا الاوفياء سكان اقليم الصحراء »

« **أبيت اليوم الا أن أقتبس خطابي هذا الذى أوجهه مباشرة الى رعايانا ومواطنينا في الصحراء المغتصبـة أبيت تفاؤلا وزيادة في الحجة ، الا أن أقتبس خطابـي هذا من سورة الفتح** .. »

2 ـ « **انه يخاطب رعاياه ، كأمير للمؤمنين وكملك بيعته ما زالت فى عنق سكان الاقليم .**

وكمسير ومخطط للدبلوماسية والسياسة الخارجية المغربية .

وكجامع للشمل ورتق ما تفرق وللمصالحة بيـن جميع المواطنين . »

وعلى الاساس الاول .. الالتزام بالبيعة تلا قوله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما » .
ثم يكشف أمير المؤمنين سر اختياره هذه البيعة بالذات بيعة الرضوان .. لان ذلك يعني أن البيعـة تقتضي التراضي .. فالروابط التي تربط بين الرعية والحاكـــم فــى الدولـــة الاسلاميـــة :



« **ليست تلك الاسس التي خلقها التاريخ صدفة ، بل هي قبل كل شيء ، ترابط وتعامل مبني على أعز ما هو في أنفسنا وأقدس ما في أرواحنا وهو الايمان بالله وبرسوله والعمل بكتابه الحكيم** » .

فهذا الترابط القائم على الاختيار الحر والارادة المشتركة .. والمستند الى العقيدة ، يقوم ويستمر « مهما حاول أن يشتت شملنا المستعمر » .

« ثم يذكر جيل محمد الخامس ، وينبه الجيل الجديد الى الموقف الوطني الذى وقفه ابناء الصحراء عقب الاستقلال .. عندما زغردت النساء وهتف الرجال هتافات الولاء وأطلق جيش التحرير بنادقه من أجل أن :

« **يعم من الاستقلال ونعمة الكرامة وجمع الشمل ذلك الاقليم ما عم أخاه فى الشمال** »

هذه البيعة التي عبر الشعب الصحراوى عن تمسكه بها ، والتي عبر العرش العلوى عن التزامه بها ، **هذه البيعة تلزمك وتلزمني وتضع على كاهلك وعلى كاهلي أعباء وواجبات شهدت بها محكمة العدل** . »

وهي بيعة لم تنفصم قط ، ولا سقطت من أى جانب لا من المبايعين ولا من المبايع .

وما كان الاستعمار ليفهم بيعة الرضا والتراضي « **بل بقى شملنا مجتمعا ، وبقيت بيعتنا قائمة تلزمك وتلزمنا على السواء** . »

أمير المؤمنين يعيش في عطر السيرة النبوية .. فيتبع ذلك بقوله « وقال الله سبحانه وتعالى في سورة **الفتح : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون** »

ثم يحكي لهم قصة الحديبية ...

« **كلكم يعلم بالحديبية وكلكم يعلم ما خططه النبي صلى الله عليه وسلم ، لمدة طويلة من أسابيع وشهور ، خطط ليدخل مكة فاتحا مسالما لا فاتحا محاربا ، وخطط لذلك ما خطط ورسم من الطرق ما رسم وجلب حوله أكثر ما يمكن من عطف ، وأكثر ما يمكن من التحالف سواء مع القبائل أو مع العشائر ، وبعد ذلك وبعد سنة من كفاح** سليم مرير ، **من دبلوماسية نبوية عبقرية ، من جهد جهيد كلل الله مجهودات الجميع بأن حقق الرؤيا وحقق الرؤيا والآمال ، والاماني ، وكتب لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة محلقا رأسه ومقصرا وغير خائف** »

« **وهذه هي مسيرتنا .. شعبي العزيز .. سنة كاملة ونحن نعمل ليل نهار حتى يمكننا أن نلتقي بك - شعبنا العزيز في الصحراء ، أن نلتقي بك في مسيرة غراء .. مسيرة مبنية على رؤى حققها الله تعالى ، ولندخلن صحراءنا ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين وغير خائفين . وسنلقاكم تنتظرون مستبشرين فرحين حتى نتعانق** . »

ونلاحظ هنا أن الحسن قد جمع الواقعتين في خطوة واحدة .. الحديبية التي انتهت بدون دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، ثم عمرة القضاء التي تم فيها الدخول .. الذي اعقبه الفتح ..

كما أنه يشير هنا الى دخول الصحراء ، ويقول أنها ستتم بناء على رؤية حققها الله ، وقد ذكرنا أنه لمح لذلك أو أنطقه الله بها في خطاب 20 أغسطس (غشت) قبل شهرين ، ولا أحد يعرف طبعا اذا كان الملك قد راى من آيات الله ما لا يذكره .. أو أن الحجب قد كشفت لحظة كما صاح عمر : يا سارية الجبل .. أو هو استقراء المستقبل بفهم الواقع .. لست أدرى ولا جدوى من الجدل حول هذا الامر ، ولا فائدة في استقصائه ، فأمير المؤمنين لن يقول شيئا .. فظن خيرا ولا تسأل عن السبب ..

على أية حال ان الايمان هو المعجزة .. ولسنا مطالبين بأكثر من الايمان ..

بل يختصر أمير المؤمنين الزمن ليصل الى فتح مكة ، وهو لا يزال يقتبس من سورة الفتح ، عن الخصائص الخلقية للمسلمين . الرحماء فيما بينهم ، الاشداء على الكفار .. ليصل من ذلك الى أنه لا يكفي جمع الشمل بتوحيد الصحراء ، بل لا بد من « **السماح والتسامح والتعاضد والتآلف والتآخي نظرا لكون الامة الاسلامية كانت على فتح جديد ، فتح صفحات جديدة أخرى لبناء مجتمع آخر من نوع جديد في حياة العرب والمسلمين** . »

أي فتح كان يراه الحسن بعين المؤمن يوم الثالث والعشرين من اكتوبر والعالم الخارجي يبدو وكأنه مجند ضـــده ؟ ..

وأي قائد لا يستبشر بالفتح ، بعد الاسبوع الاول من المسيرة وقد لمس مدى حب وطاعة ، وصدق ايمان شعبه وتدفقه لتلبية أمره وتنفيذ خططته ... بـل ان الايمان الحق بالفتح والنصر هو الذى يتجلى عندما يبدو للناس العاديين انهم يمرون بأحرج لحظة . وأن الدنيا قد ضيقت عليهم الخناق .. الم يكن رسول الله يعمل بيديه في حفر الخندق . والمسلمون محاصرون . لا يجدون وسيلة لحماية المدينة من تحالف الاحزاب ، وتآمر كـل قوى الشر في الجزيرة عليهم ، فلجأوا الى حفر خنـدق حول المدينة ليمنعوا العدو من اقتحامها عليهم ... وهم يعملون فى حفر الخندق يهلل رسول الله ويكبر ويعلن أن ابواب الغيب قد فتحت له وأن الله بشره بملك كسرى والرجل منا لا يأمن على نفسه أن يذهب للغائط » ! ..

وصدقت رؤيا رسول الله وتتابع الفتح .. وامـن المسلمون ... الذين تخطوا بالايمـان متـاعب الواقـع ومشاكله ..

امير المؤمنين يرى بعين الايمان ، المستقبل الزاهر أمام الشعب المغربي ، المجتمع الجديد والبناء الجديـد الذى يجب ان يقوم على المحبة والتآلف والتسامـح .. على :

« أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، أخـلاق أجدادى وأخلاق والدى رحمة الله عليه ، بل واجبـي أن أجمع الشمل وأن اصالح الجميع ، وان أصافح الجميع، على أن أقول لكم ، وأن أومن وأن اعتقد وان افعل مـا سأفوه به من قسم .. »

وانه لقسم لو تعلمون عظيم قسم امير المؤمنيـن حفيد العلويين سبط رسول الله :

« انني باسمي واسم اخوانكم الذين هم فى المسيرة أواعد الجميع واعاهدهم على التناسي وعلى الصفـح وعلى طي تلك الصفحات التي لم تكونوا مسؤولين عنها تماما ، بل كانت حيل المستعمر وأطماع الطامعين . »

ثم يعلن أن المسيرة سميت عملية « الفتح » تيمنا بسورة الفتح « وهي السورة التي رسمت مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفوزه في النجاح وتصالح المسلمين واتحادهم على ان يتناسوا الماضي لان ما ينتظرهم في المستقبل هو اقدس واهم من كـل شيء . ومـن كـل اعتبار . » (4)

ويوجه الملك ضربة قاصمة للدعاية الاستعمارية التي حاولت ان تمزق الصحراء بين القبلية،ثم بين ما تسميه قيادات الشيوخ وقيادات الشباب ، وترمي هؤلاء بالرجعية ، وهؤلاء بالتطرف ... **وتخويف الجميع مـن الفتح المغربي :**

الشيوخ من تعاونهم مـع السلطـة الاسبانيـة وتشكيلهم الجهاز الذي طالما ادعت اسبانيا أنه يريد الانفصال .. ولذا فلا مكان للشيوخ في الدولة الموحدة .. أو أن قبيلة معينة ستكون لها السيادة .. بحكم موقف بعض ابنائها ، أو ان قبيلة أخرى سينالها غضب لان بعض شيوخها أو بعض شبابها كانوا حربا على الوحدة وعلى المغرب ، وعارضوا امير المؤمنين ..

ولكن حفيد رسول الله يتحلى بخلقه فيعلن :

«شعبي العزيز فى الصحراء انني اعلم وأنت تعلم كذلك ، أن الاجانب والاعادى يرمونك بنوع من الميـز القبلي ، ومن العنصرية القبلية . وهكذا يريـدون أن يلعبوا بين صفوفك ، وأنا لا اومن بهذا ولا اجعل فرقا بين أى واحد ينتمي الى قبيلة من قبائل الصحراء . بل جميع الرعايا سواء أمام الحق وأمام القانون . !!

« وللشباب » مستقبل اغر .. مستقبل زاهر ان هم أرادوا أن يعملوا لصالح اقليمهم »

وأمام شيوخ الصحراء حقول واسعة حتى يمكنهم بآرائهم وبمعرفتهم بطقوس وأحوال السكان ، أن ينيروا لنا الطريق وأن يقدموا لنا النصيحة . »

« باسمي وباسم المسيرة الخضراء التي لا أريد أن يدنسها شيء من الالتواء لا في الكلام ولا في التفكير أقول لك عفا الله عما سلف ، وأننا لنعلم ان كل من ذهب نحو الاسبان أو ذهب نحو ما يسمى نفسه بجبهـة التحرير انما ذهب مغرورا ذهب ضحية حيل وشبكات . فارجعوا الى رشدكم ـ أرشدكم الله ووفقكم ... »

لكن الحسن الثاني ما كان ليكتفي بالوقوف عند تلك اللحظة العابرة في تاريخ أمة عريقة ، وتاريخ أبناء الصحراء الامجاد ، واعني المؤامرات الاستعمارية التي سببت التغرير وأوجبت العفو .. انها مجرد لحظة عابرة تمحوها التوبة وتطويها المغفرة .. ويبقى التاريخ المجيد الذى يذكر به الملك رعاياه . »

---

4) ما زال الاعلام المتواضع الذكـاء والمعرفـة يسميها مسيـرة فتـح !!

« كونوا أبناء ذلك الفاتح الاكبر يوسف بن تاشفين الذى بجمعه الشمل ، وبايمانه بالله ، تمكن من أن يزيد في عمر الاسلام وحضارة الاسلام في القارة الاوروبية ما يزيد على ستة قرون ، فانتم أبناء أولئك المغاربة ، وأنتم أبناء أولئك الابطال ، وما كان للابناء أن يكذبوا ما عمل الآباء والاجداد . »

صدقت .. وهل من خيانة أبشع من عقوق الابناء للاباء في دينهم ووطنيتهم ..

وهل من بشرى تطمئن بها روح الشهيد الا استبشاره بمن تحرك من بعده من أبناء وحفدة يحمون العقيدة التي آمن بها ، والارض التي مات عليها ، والراية التي أستشهد في سبيلها ..

وفيت يا أمير المؤمنين لدينك وسيرة جدك رسول الله ، ومن حقك وواجبك أن تطالب رعاياك بأن يصدقوا ما عمل آباؤهم ، ولقد صدقك من اراد الله له الهداية ، أما الذين أغواهم الشيطان ، واصروا على الخيانة فاولئك من قال فيهم عز من قائل : **« ومن يريد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا . أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم »** صدق الله العظيم

كان لخطاب عفا الله عما سلف أبلغ الاثر في الصحراء فعندما جاء خطرى ولد الجماني رئيس الجماعة الصحراوية ، لمبايعة الملك اشار الى هذا الخطاب وهو يطلب العفو والسماح ، ومؤكدا ما كان قد وقع من خطأ فهو تحت اكراه المستعمر ، وان عفو أمير المؤمنين قد فتح باب التوبة ، وباب الوحدة الوطنية وأتاح الفرصة لكل وطني أن يعود الى رشده ، وصرح للصحفيين أن خطاب العفو ، سمعه الصحراويون ، وفرحوا به ، وان كان لا يمكنهم التعبير عن رأيهم بسبب السلطة الاسبانية ولكنه على حد تعبيره « دخل قلوبهم » .. واستبشروا به وسيستقبلون المسيرة بالعناق ..

وقال الطلبة الصحراويون الجامعيون الذين جاءوا من مدريد وجزر كناريا أن الخطاب « كان له اثر طيب وحاسم في الصحراء ، وأن الذين ارتكبوا أخطاء كثير منهم قد وجد فيه الامل ، وسيتراجعون عن موقفهم ، والجميع في أحر الشوق لاستقبال الملك »

وتدفق على أغادير ومراكش والرباط جموع المبايعين من الصحراء من الشيوخ والشبان .. بل ووقع كما سمعنا انشقاق داخل صفوف البوليزاريو وهجرتهم جماعة من الذين كانوا قد ذهبوا تحت خوف العقوبة مما ارتكبوه من اخطاء بينما انضم للبوليزاريو من حسبوا انفسهم من الاربعة الذين اهدر رسول الله دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة .. فوجدنا بعض المتعاونين بلا حياء مع اسبانيا ، ومن لا يمكن لاى نظام مهما كانت فاشيته ان يتهمهم بذرة من القدمية او اليسارية فضلا عن الماركسية ، رأينا هؤلاء يذهبون الى البوليزاريو فرارا من العقوبة التي لا يخامر نفوسهم الشك في استحقاقهم لها .. ولكن لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون ..

والله لو جاءوا حفيد رسول الله تائبين طائعين .. لوجدوه كما وجد العصاة جده صلوات الله عليه ، رءوفا ورحيما (5) ...

---

(5) كان الملك قد خاطب هذا الفريق في 9 يوليو 1974 قائلا :

« أتوجه الى رعايانا في الصحراء واقول اياكم ثم اياكم أن يصيبكم الغرور وتركبون خطة تندمون عليها في المستقبل نحن نعرف حيل الاستعمار وحاربناه من قبل ، ويوما جميع السادة الذين يكونون الجماعة ـ جماعة الصحراء ـ وينتمون الى اسر محترمة نحترمها ، ونحترمهم ، سينتبهون ويجدون أسماءهم أسماء معروفة بالعروبة والاسلام وبالغيرة الا أنها ستكون على وثائق لا في مستوى وطنية الصحراويين ولا مستوى اسلامهم وعروبتهم » .

وفي رسالة أوردها عبد الوهاب بن منصور في كتابه حفريات صحراوية مغربية كتب الملك الحسن الاول الى أحد عماله في الصحراء ردا على مزاعم الاسبان أن المغرب قد تنازل عن السيادة في عهد والده قال الحسن الاول : أما تسليم سيدنا رحمه الله المسلمين مطلقا ، أحرى من هم من رعيته ، فلا أصل له ولم يكن وحاشا وكلا ومعاذ الله ، يصدر منه ذلك .. وأنتم عندنا بالمنزلة التي كان فيها أسلافكم عند أسلافنا قدسهم الله لان داركم دار حرمة ومحبة ، خلفا عن سلف ، فلا نفوتكم بحول الله ، وحتى من حاد منكم عن تلك الجادة ورجع نقبله ولا نسلمه » .

فليس التمسك بالصحراء هو وحده المتوارث في العائلة العلوية ، بل وأيضا العفو عن التائبين .

في ذكرى عيد العرش العلوي

للاستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر

عـرش ورجـال :

1 — قـرات فى كتاب « المعجزة المغربيـة » للاستاذ احمد عسة — صفحة 196 — نصوصـا تاريخية — طربت لهـا — لانها تـدل على عمـل الرجال ، ذوى الراي السديد ، والبصيرة النيرة ، والعمل الايجابى الذى يدلنا على ان مـع العـرش العلوي رجالا « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » :

— ففى سنة 1932 م بدأ عمل « كتلة العمل الوطنى » ، واخـذوا بمارسون علنـا — نشـاط الاحزاب السياسية — التى كانت محرمة أيـام الحماية ، وساروا فى عملهم بأساليب نافعـة ، وفى شكل دروس دينية فى المساجد ، واشتروا جريـدة « عمل الشعب » وتولى تنظيمهـا استاذ متخصص فى العلوم السياسية هو السيد محمـد الحسـن الوزانى — بارك الله فى عمره — وكان أهم ما قامت به « كتلة العمل الوطنى » الدعوة الى الاحتفـال العام بعيد العرش العلوى كل عام ، ليكون عيـداً وطنيا للمغرب ، يحتفلون بـه فى ذكـرى مـيلاد سيدى جلالة الملك محمد الخامس ، الذى يوافـق يوم 18 نوفمبر ، وليتمكن الشعب المغربي من اظهار مدى تعلقه بمليكه ، واكباره لـه ، والتفافـه مـن حولـه ، واستجاب الشعب المغـربى استجـابة حماسية هائلة — فكان أول احتفال عام — بمظهر رائع فى سنة 1933 م ، وتبارت مـدن المغـرب وبواديه فى اعلان البهجة بعيد العرش وصاحبه .

وارسل محمد الحسـن الوزانـي برقيـة باسم لجنة عمل الشعب الى جلالة الملك مهنئـا بالعيد . ومعلنا التفافه وأصحابه حول العـرش وصاحبه . كما ارسل علماء جامعة القرويين بفاس ومختلف طوائف الشعب برقيات مماثلة الى صاحب العـيـد .

عيد العرش العلوي المجيد :

— ومن هنا اتجهت الى تتبع الخلافة العلوية فى مدة اربعة عشر قرناً من التاريخ الاسلامى لأثبـت حب المسلميـن للاشراف العلويين وتطلعهـم الـى الحكم العادل على ايديهم ، لأنهم أحفاد النبوة .

العرش العلوى الاصيـل :

2 — روى البخارى ومسلم والامـام احمد ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لا يزال هـذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان .

= **البخارى** — كتاب المناقب — ج 4 ص 218

= **مسلم** — كتاب الامارة — ج 12 ص 200

= **مسند الامام احمد** ج 2 ص 29 / 128/93

— وفى رواية مسلم — والامام احمد : « ما بقي من الناس اثنان »

— قال النووى فى شرح مسلم : فالخلافـة مختصة بقريش ، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ، ومن خالف هذا الاجماع فهو محجوج بأجماع الصحابة ، وبالاحاديث الصحيحة . فاشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافـة . . وقد احتج به أبو بكـر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، على الانصـار يوم السقيفة فلم يتركه أحد . وقد عدهـا العلمـاء من مسائل الاجماع . والانصار عرفـوا هذا الحـق للمهاجرين من قريش . فسلموا لهم الامر بالحسنى ،

واعترفوا لهم بالفضل ، احتفاظا بوحدة الكلمة بين المسلمين .

ولم ينقل عن احد من السلف الصالح فيهـا قول مغاير ، او فعل مخالف ، ولا اعتداد بقـول **المعتزلة والخوارج واهل الاهواء والبدع :** انه يجوز كون الخليفة من غير قريش . فهـؤلاء خرجوا على اجماع الصحابة ، فلا ينبغي أن تترك اجماع السلف الصالح الى قول **افراد** .

= (لايزال هذا الامر في قريش) : خبـر صادق من النبي المعصوم . وقد اثبتت الايام انـه **علم من أعلام النبوة** ، واخبار بالغيب في المستقبل ، حققه الله ، وشهد به تاريخنا السياسي .

= **وفي اللغة** : تقول : زال الشيء — بمعنى فارق طريقته ، فهو في معنى النفي . اذ هو ضـد الثبات . فاذا دخل على هذا الفعل (ما) النافية ، في الماضي ، او (لا) النافية ، في المضارع ، كان نفيا للنفي : ونفي النفي اثبات . كما أن سلب السلب **ايجـاب** .

— اذا كون الخلافة في قريش امـر ثابـت ، مستمر على مدى الايام ولو قل عدد قريش الـى اثنين . سيختار السعداء من الناس واحدا منهمـا للخلافة : لاصلاح الدين والدنيا معا . للعدل التـام والحرية الكاملة ، والمساواة في الحقوق والواجبات أمـام القانون ، وارسـم تطلعـات المستقبـل في التنمية ، وفتح ابواب العمـل الجـاد واسعـاد الاجيال القادمة .

3 — لم يكن العلويون طالبي حكم ، وانمـا طلبتهم احوال الناس وظروف الامة . وسعى اليهـم الشعب حين احتاجوا الى حاكم عادل قوي امين .

فالامام علي بن ابي طالـب لـزم الجماعة في عهد ابي بكر وعمر وعثمان . رغم ما يعتقده من انه احق الناس بخلافة الرسول (ص) .

ثم جاء دوره فاختاره المسلمون ببيعة شرعية عامة ، وسلك بالمسلمين سبيل العدالة ، ولم يقصر عن سلفه الاكرمين الراشدين .

وان كثرت في عهده الفتن بين المسلمين فانما كان ذلك حين خرج ثعبان الجاهلية من جحـره ، وعادت العصبية القبلية ، فقد سئل الامام علي عن ذلك : ما بـال عهدك وعهـد عمـر بن الخطـاب يختلفان ؟ فقال للسائل : كان عمـر خليفـة على مثلي ، وانا خليفة على امثالك .

ولما عرضوا عليه ولاية ابنـه الامـام الحسن من بعده قال : لا آمركم ولا انهاكم . فهذا دليـل واضح على أنـه كان يريـد الثبـات على مبـدأ الاختيار الحر ببيعة شرعية . ولما جاء جماعة الى الامام احمد بن حنبل ، وذكروا خلافة الراشدين . واطالوا الكلام في خلافة الامـام علي بن ابي طالب قال لهم : يا هؤلاء ، ان الخلافة لم تزين عليا ، بل علي زين الخلافة .

= من كتاب تاريخ الامام احمد صفحة 184 — للاستاذ عبد الحليم الجندي .

وكنت طالبا بكلية اصول الدين — بالأزهر — ولما وصلنـا الى شرح هذا الحديث تساءل بعض الطلبة عن مدى تحقيق هذا الخبر واقعيـا . . . وعن معنى كلمة (**لا يـزال**) . فأجـاب الشيـخ وقال : الخبر صحيح صادق . والتحقيق العملـي موجود بالمغرب السعيد . وعمر التاريخ طويـل طويل لا يقاس به عمر الفرد من الناس . ووجود الخلافة في قريش امر واقعي — يظهر ويختفي ثـم يظهـر — وفي بلاد المغرب علويـون اشراف ، من خلاصة قريش ، من سلالة السيد الامـام الحسن بن مولانـا الامام علي بن ابي طالـب ، في ملـك عادل ، وجهد مستمر لاصلاح الديـن والدنيـا ، ولاسعاد الشعب المغـربي ، ولمساعدة المسلمين جميعـا .

من مـدة تزيد على ثلاثة قرون ، في استمرار على الحق ، واتفـاق مع العدالـة ، ظاهريـن منصورين ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا يغلبهم من ناواهم ، اشراف اطهـار ، سمحـاء اسخيـاء ، جمعوا بين العزة والتواضع ، والسيادة والرحمة ، كما هيأ الله لهم شعبا شجاعا ابيا — كريما وفيا ، سامعا مطيعا ، ينصرون الحق ، ويلبـون النـداء ، ويعتزون بملوكهم ويفتخرون بتـاريخهم المجيـد ، هيأهم الله في الجنب الايمن من الامة الاسلامية ، فكانوا مركز الثقل ، كأنه الوسط ، وكانوا غيـاث المستغيثـين ، ونصراء المظلـومين ، وأمـان الخـائفـين .

4 — انـه عـرش اصيـل : في مبدئـه وفي استمراره ، في منشئـه ومسيرته مع الزمـن ، في قواعده وفي تنفيذ احكام الدين ، وفي حسن التدبير



وناضج التفكير ، في سداد الرأي وجميل الارشاد ، في حب متبادل .

وان خامس الخلفاء الراشدين هو الامام الحسن السبط بن الامام علي ، وقد بايعته الامة ، والتف حوله المسلمون ، وافتدوه بأرواحهم ، الا شرذمة الماكرين اتباع معاوية بالشام ، وكان الحق دائما في جانب آل البيت الاشراف ، كما كانوا هم دائما في جانب الحق . ولكن مولانا الامام رأى ان المسلمين سيقتل بعضهم بعضا . . وان كان النصر مضمونا له في النهاية ، لانه على الحق ، ولكنه تركها لله ، واحتفظ بدماء المسلمين وابقى على وحدة الجماعة . وحقن دماء خصومه كما حقن دماء انصاره ، وصالح معاوية على ان يكون الامر شورى بعد معاوية ، يختار المسلمون من يرونه اهلا للخلافة ، فكان الوفاء من جانب الامام الحسن ، وكان الغدر من جانب معاوية حيث عقد البيعة لابنه يزيد من بعده ، والسيف على اعناق ابناء الصحابة ، وقطع آمال المسلمين في حرية الاختيار . ومات خامس الراشدين مسموما ، وحرم الله نسل معاوية منها ، فاختطفها بالدهاء والمكر مروان بن الحكم الاموي طريد الرسول (ص) وتربع عليها اولاد الطلقاء حينا من الدهر .

وان كان الامويون والعباسيون من قريش ، الا ان التجربة اثبتت انهم استبدوا وضيعوا معنى الخلافة الراشدة ، واهملوا الشورى التي هي اساس الحكم الاسلامي الصحيح .

ولايزال الناس يتطلعون الى الاشراف آل علي بن ابي طالب ، واحفاد الرسول الاطهار ، وباستمرار تهوى اليهم افئدة الناس .

وبذلك صدقت نبوءة الرسول — صلى الله عليه وسلم — واخباره بالغيب الذى اطلعه الله عليه بوحي من الله — كما في الحديث الصحيح : الذى رواه البخاري ، وابو داود والترمذي ، عن الامام الحسن بن علي ، عن ابي بكرة نفيع بن الحارث قال : رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على المنبر — والحسن بن علي الى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه اخرى ويقول : ان ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

= البخاري — كتاب الصلح — ج 3 ص 243

فكان ذلك علما من اعلام النبوة ، وتحقيقا للخبر الصادق ، ورحمة للمسلمين ، وجمعا للكلمة ، حتى سمي عام 40 هجرية عام الجماعة .

5 — تركها الامام الحسن السبط لله ، فعوضه الله خيرا في ذريته الاطهار وظهرت الخلافة العادلة في احفاده الابرار — كما نشاهد ذلك في المغرب السعيد بحسن حظه ، وبتأييد من الله العلي القدير .

روى الامام احمد بن حنبل — في مسنده = ج 5 ص 78 — 79 — عن ابي قتادة ، وابي الدهماء اخبرهما رجل من البادية قال : اخذ بيدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجعل يعلمني مما علمه الله — تبارك وتعالى — وقال : انك لن تدع شيئا اتقاء الله — عز وجل — الا اعطاك الله خيرا منه .

انه عرش اصيل : في استمراره ، وان لعبت الرياح — قديما — حول بنائه الشامخ الذى اسس على التقوى ، وان هاجت الاعاصير العاتية وزمجرت فلن تزعزع بنيانه ، وان طفا الزبد وعلا وارتفع على سطح الماء فان اللؤلؤ في قاع المحيط ، وسيأتي له يوم يتعب الغواص ويخرجه ، والزمن جزء من العلاج ، (فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) = من سورة الرعد .

وسنرى العرش العلوي الذى امتاز بالعدل والرحمة يظهر مرفوع الرأس ، ثم يصبر اذا تحكم الباطل وتغلبت الاهواء ، ثم يظهر في المشرق ، وفي المغرب ، ثم ينتظر الظروف المواتية والاحوال الملائمة ، ثم يظهر علانية ثابت الاركان عالي البنيان — في مركز الثقل — في البلد السعيد ، في المغرب الاقصى .

6 — وبذلك صدقت نبوءة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وثبت علم من اعلام النبوة ، كما روى الامام مسلم — في صحيحه — عن سعد بن ابي وقاص = كتاب الامارة = ج 13 ص 65 — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لا يزال اهل الغرب ظاهرين ، على الحق ، حتى تقوم الساعة .

— ولما كان شراح الحديث لم يدركوا تحقيق النبوءة في المغرب — في القرن الحادى عشر الهجري ، اختلفوا في تفسير كلمة الغرب .

حتى قال علي بن المديني ، شيخ الامام البخارى : الغرب : الدلو الكبير — وهم العرب — لاختصاصهم بها — وقال آخرون : المراد به الغرب من الارض . وقال معاذ بن جبل : هم بالشام ، وقال القاضي عياض : الغرب الشدة والجلد ، وغرب كل شيء حده ، وقال فى كتابه الشفا ج 1 ص 655 — : وغير ابن المديني يذهب الى انهم اهل المغرب ؛ وقد ورد المغرب — كذا — فى الحديث بمعناه .

— ومما يلفت النظر فى الحديث انه جاء فى روايات كثيرة بلفظ : لا تزال طائفة من امتى ، وبلفظ : لا تزال عصابة من امتى — بدون ذكر كلمة الغرب كما فى البخارى — كتاب الاعتصام — وكتاب التوحيد .

وكما فى مسلم — كتاب الايمان — وكتاب الامارة — عن جابر بن عبد الله ، وعن ثوبان — مولى الرسول (ص) . وعن المغيرة بن شعبة ، وعن جابر بن سمرة . وعن عقبة بن عامر — فكلمة طائفة من امتى ، وكلمة عصابة من المسلمين تدل على انفراد جماعة مخصوصة بهذا الفضل ، ولتتسابق الدول الاسلامية للفوز بهذا السباق الى الخير ، ويكون منهم السابق ، واللاحق ، والمشمر ، والمجتهد ، والمستعد ، والغيور المنافس ، وبذلك يتلاحق الركب ، ويستمر النشاط فى اجماع على العزة والسيادة وحماية الوطن الاسلامى ، ووحدة الهدف لنصرة الاسلام .

= وفى القرن الثانى من الهجرة : —

7 — اولا : موقف العلماء مع آل البيت الاطهار : —

نجد ابا بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز شيخ الامام مالك بن انس : يفضى بسره السياسى الى تلميذه — كما قال ابن جرير الطبري فى كتابه : تاريخ الامم والملوك = ج 9 ص 229 — عن الامام مالك بن انس قال : كنت آتى ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخى الستر — ثم يذكر اول هذه الامة ، ثم يبكى حتى تخضل لحيته .

— وخرج ابن هرمز مع محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الامام علي ، ضد أبى جعفر المنصور العباسي بالمدينة . ولما قيل لابن هرمز : ما فيك شيء . قال : قد علمت ، ولكن يرانى جاهل فيقتدي بى . وبعد ما قتل الامام محمد النفس الزكية . اتي بابن هرمز الى عيسى بن موسى ، قائد جيش المنصور ، فقال له : يا شيخ . اما وزعك فقهك عن الخروج ؟ فقال : كانت فتنة شملت الناس فشملتنا ، فعفا عنه .

والامام مالك — بالمدينة — يحث الناس على الخروج مع محمد النفس الزكية . فقالوا له : ان فى اعناقنا بيعة لابى جعفر المنصور ، فقال لهم : انما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين ، فاسرع الناس مع محمد النفس الزكية ، ولزم مالك بيته .

سيدى محمد بن عبد الله بن الحسن : وصفه الناس بالنفس الزكية ، واحبه الناس جميعا حبا عظيما ، لما فيه من الكمال وخصال الفضل ، وكان يشبه النبى (ص) فى الخلق والخلق . وكانت الدعوة باسمه اولا حتى بايعه المنصور مرتين بالخلافة : مرة بمكة ، ومرة بالمدينة .

ولكن العباسيين استغلوا اسم الاشراف آل البيت . . ثم جعلوها لانفسهم ، وحاربوا اولاد الامام على بأكثر مما فعله الامويون من قبل .

وخرج اخوه ابراهيم بن عبد الله ، على ابى جعفر المنصور ، بالبصرة . ومعه قراء البصرة وعلماؤها ، وايده فى ذلك الامام ابو حنيفة بالكوفة ، وشعبة بن الحجاج ، شيخ المحدثين .

فقال ابو حنيفة : ان الذى يقتل مع الامام ابراهيم بن عبد الله فكانما قتل ببدر ، وقال شعبة بن الحجاج : والله لهي عندى بدر الصغرى

= من كتاب الامام مالك — للاستاذ امين الخولى — صفحة 134 —

8 — ثانيا : موقف الخليفة المأمون العباسى مع الامام علي الرضا : الشريف العلوي :

تولى المامون الخلافة سنة 198 هـ ، وفى سنة 201 هـ = 816 م . راى ان يجعل ولي عهده علوياً ، هو الامام علي الرضا بن موسى الكاظم ، بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن مولانا

الامام الحسين بن الامام علي . وقد ولد الامام علي الرضا سنة 150 هـ ، وكان على جانب عظيم من العلم والورع ، فصاهره المأمون : فتزوج محمد بن المأمون — ام الفضل ابنة الامام علي الرضا ، وضرب المأمون الدنانير والدراهم باسم الامام علي الرضا . وفي مدينة « مرو » جمع المأمون خواص اوليائه فأخبرهم انه نظر في ولد العباس ، وولد علي بن ابي طالب ، فلم يجد — في وقته — احدا افضل ولا احق بالامر من علي الرضا . فبايع له بولاية العهد من بعده . ونقش اسمه على الدنانير والدراهم ، وامر بازالة السواد من اللباس والاعلام ، وهو شعار العباسيين ، ووضع بدله الخضرة ، وهي شعار العلويين ، ليجعل الامر شورى بين المسلمين ، فلا يستأثر العباسيون بالامر وحدهم ، ثم قال : وانما فعلت ما فعلت : لان ابا بكر وعمر وعثمان لم يولوا احدا من بني هاشم شيئا ، فلما صارت الخلافة الى علي بن ابي طالب ولى بني العباس : فكان عبد الله بن عباس واليا على البصرة ، وعبيد الله بن عباس واليا على اليمن ، ومعبد بن عباس واليا على مكة ، وقثم بن عباس واليا على البحرين ، وما ترك احدا منهم الا ولاه شيئا ، فكانت هذه في اعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت .

وقد ثار اهل بغداد لما بلغهم ما فعله المأمون من بيعته للامام علي الرضا . وثار العباسيون لانهم رأوا الامر يخرج من بيت العباس الى بيت علي بن ابي طالب ، فاجتمعوا على خلع المأمون وتولية ابراهيم بن المهدي الخلافة . فوقع المأمون في حرج شديد ، ومكث بعيداً عن بغداد ، حتى مات الامام علي الرضا سنة 203 هـ = 818 م ، فجأة ، مسموما . . فدخل المأمون بغداد ، واختفى ابراهيم بن المهدي ، حتى عفا عنه المأمون ، = من كتاب « المجددون » للاستاذ عبد المتعال الصعيدي — صفحة 64 — .

9 — ثالثا : وبعد المأمون العباسي : ستبقى مسألة الخلافة العلوية مشغلة التاريخ الاسلامي . ولها ارهاصات في ضمير الامة ، وتهوى اليها افئدة المجتمع الاسلامي ، لتصير حقائق هنا وهناك ، فتقوم عليها دول كثيرة كالادارسة ، والفاطمية . وتتشيع لها دول اخرى : كبني بويه بالعراق ، في القرن الرابع الهجري من سنة 320 هـ حتى استولوا على بغداد ، وارادوا ازالة الدولة العباسية ، واقامة خلافة علوية مقامها .

والحمدنيون في الموصل وحلب من سنة 317 هـ = 929 م .

وفي القرن الخامس الهجري كان خوارزم شاه شيعيا متطرفا ، من سنة 490 هـ = 1096 م

— اما الزيدية باليمن فهي علوية

واما الفاطمية : من سنة 296 هـ بالمغرب . وسنة 358 هـ بمصر — فهم علويون فاستمرت من سنة 297 هـ الى 567 هـ = 90غ — الى 1171 م

ويرى ابن خلدون صحة نسبهم الى مولانا الامام الحسين بن علي بن ابي طالب . ولكن تعصب العباسيين ضدهم دفعهم الى انكار هذه النسبة .

واما الادارسة : ففي سنة 169 هـ = 786 م فر ادريس بن عبد الله الكامل شقيق محمد النفس الزكية وابراهيم — بعد مذبحة فخ — بين مكة والمدينة ، التي كانت في ايام الهادي العباسي . فوصل الى المغرب ، يوم السبت 9 من اغسطس سنة 788 م = اول ربيع الاول سنة 172 هـ . واسس الدولة الادريسية العلوية . وساعده اهل المغرب احباب آل البيت الاطهار ، حتى جمع الكلمة ، ووحد الامة ، ونشر الاسلام على اساس الكتاب والسنة ، واتسعت الفتوحات شرقا وجنوبا .

10 — الدولة العلوية بالمغرب :

انتهت الدولة الفاطمية في اواخر القرن السادس الهجري ، كما عرفت . وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري بدأت بشائر النور العلوي : في سنة 664 هـ = 1266 م تحرك الركب المؤيد بعناية الله .

وجاء مولاي الحسن بن قاسم من الحجاز الى المغرب ، بدعوة من الحجاج المغاربة ليتبركوا بحفيد النبوة . وسليل العترة الطاهرة ، ليعلمهم دينهم على اساس صحيح من الكتاب والسنة . وتحرك الركب تحفه رعاية الله ، وتنتظره السعادة . وقد انصت التاريخ ليسجل ما ستظهره الايام على يد هذا الشريف واحفاده . وقد هدأت ارواح الشهداء

من آل البيت في قبورها لأن الله سينصف الاشراف ويعوضهم خيرا في ذريتهم واحفادهم .. وسيكون ما جاهدوا من اجله حقيقة ثابتة : عدل وانصاف ، رحمة واحسان ملك عادل ، وحكم بالحق ، دين ودنيا ، عزة وسيادة ، وخير يشمل جميع المسلمين

استقر الشريف العلوي بالمغرب ، وبارك الله في الذرية ، وزادوا عددا وفضلا وصلاحا وورعا، وحسن راي ، ونفاذ كلمة ، ونور بصيرة ، وتمسكا بالدين ، وفهما راقيا في حل المشكلات بالحسنى ، لمدة 381 سنة قمرية تساوى 374 سنة شمسية ، من سنة 664 هـ ، الى سنة 1045 هـ اي من سنة 1266 م — الى سنة 1640 م ، لا يطلبون حكما ، ولا يتشهون رياسة ، بل يعملون في الزراعة والتجارة ، ويشاركون في الجهاد لتحرير الوطن ، حتى طلبتهم ظروف العدالة والحرية ، ووحدة الكلمة وحماية الشواطيء .

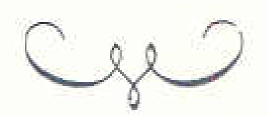
وعز عليهم أن يروا المغرب مقسما الى عصابات يحارب بعضها بعضا ، في الوقت الذى احتلت فيه الدول الاوربية شواطيء المغرب .

فبايع اهل سجلماسة مولاي محمد بن مولاي الشريف بن علي . في سنة 1050 هـ = 1640 م ، وبدأ في توحيد البلاد ، وحماية الحدود ، واستمر المجد المتواصل ، والجهاد لوحدة البلاد ، على أيدى الابطال الشجعان من آل البيت الكرام الاماجد ، وتابلتهم صعاب ، واعترضتهم عقبات . فتغلبوا على الصعاب ، وتخطوا العقبات ، بمهارة فائقة .. والعظائم كفؤها العظماء ، وساروا من نصر الى نصر ، ومكن الله لهم في الارض ، بعد هذا الامتحان وكانت لهم العاقبة الحميدة ، والسيرة العطرة ، والتاريخ الناصع والعرش الثابت : لحسن التدبير وكمال التسيير والتنظيم .

فكان للعرش عيد سعيد ، وذكريات عاطرة ؛ يشكرون الله على نعمائه ويعترفون بالفضل لاهل الفضل ، ويعلنون الولاء والسمع والطاعة .

ويعبرون عن سرور قلوبهم بمظاهر الفرح والابتهاج : شكلا وموضوعا ، ظاهرا وباطنا ، سرا وعلانية .

وتزيد المقادير أسبابا للسرور : فيتم الله النعمة ، وتعود الارض المغتصبة الى الوطن الاب ، ويشهد العالم كله بحسن السياسة وكمال التدبير ، في العصر الزاهر ، في الايام السعيدة .. في العهد المبارك في عهد مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ، ادام الله نصره ، وزاده الله توفيقا لكل خير ، واقر الله عينه بولي عهده سيدي محمد صاحب السمو الملكي ، الامير المحبوب ، وبارك الله في سيدى الامير مولاى الرشيد ، وحفظ الله الاسرة المالكة ، وصان الله شعب المغرب الاوفياء ، الاقوياء ، الامناء ، وأدام الله للمملكة المغربية العزة والسيادة والوحدة والسباق الى الخيرات ، آمين .



المغرب
في عهد المولى عبد العزيز رحمه الله

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

الظروف التى تقلد فيها المولى عبد العزيز حكم المغرب جعلته لا يمارس عمله المباشر نظرا لصغر سنه والذي تولى ذلك من الناحية العملية هو حاجبه (باحمد) فقد مارس الحكم باسم السلطان وعمل بشدة على تسيير امور البلاد ووضع القوانين الداخلية لها وحاول ما أمكنه ان يحافظ على التوازن المالى ليلا يضطر المغرب الى القروض الاجنبية .

ولكن بعد موت هذا الحاجب اصبح المولى عبد العزيز مسؤولا بنفسه عن العرش وعن كل ما يحيط به من مشاكل ووجد نفسه يواجه المغرب بكل تطلعاته التقدمية وبكل الدسائس الاجنبية التى تهدف الى احتلال المغرب والى خلق الفتن الداخلية بـه لتفسد على السلطان حكمه وعلى البلاد استقرارها .

ان المغرب فى هذه الحقبة كان يعيش تحت ضغط خارجى تتزعمه كل من فرنسا واسبانيا وكانت مصالح هاتين الدولتين تقتضى التفكير فى خلق المشروعية لتدخلاتهما وفى تبرير ذلك وتيسيره ، لهذا نجد التاريخ يتحدث عن تلك المعاهدات السرية والعلنية التى كانت بين هاتين الدولتين وبين دول أوربية اخرى على هذه البلاد باسم الاصلاح وحماية الرعايا الاجانب . (2)

ومن بين هذه المعاهدات الاتفاقية التى وقعت بين فرنسا وانجلترا سنة 1904 وبموجبها تلتزم انجلترا بالسماح لفرنسا بالتدخل فى الشؤون المغربية على أن تمنح جزءا من المغرب لاسبانيا وعلى أن تلتزم بالصمت ازاء اعمال انجلترا بمصر .

وربما تكون هذه الدسائس ادت الى خلق نوع من التعاون المباشر بين الدول الاجنبية المعنية بالامر وبين بعض الفتن الداخلية التى كان يتزعمها فى شرق البلاد الجلالى الزرهونى المدعو بأبى حمارة ، ذلك الثائر الذى ارهق الخزينة المغربية آنذاك واضعفها .

ومن المعلوم ان وضعا كهذا تحاك فيه الدسائس الدولية وتثار فيه الفتن الداخلية سيكون مدعاة الى احياء الروح الثورية فى المواطن المغربى والى بعث الدعوات الاصلاحية التى كانت لها جذور فى عهد مولاى الحسن الاول والتى امتدت الى عهد المولى عبد العزيز رحمـه اللـه .

ان المغرب حينئذ كان يمتاز بروح وثابة الى المعالى هادفة الى الاصلاحات العامة متطلعة الى الاستبداد من عناصر التحرر راغبة فى اثبات الذات وفى العمل على التخلص من انواع الطمع الاستعمارى توجد فيه طائفة ترغب فى الاغتراف من علوم الغرب وفى الاستفادة من انظمته كما توجد فيه هيآت تتخوف من الانقياد المطلق الى مظاهر التطور وتسعى فى الاصلاحات التى لا تتنافى مع اصول الدين وتعاليم الاسـلام .

---

1) ولد عام 1298 هـ وبويع بعد وفاة والده فى 3 ذى الحجة عام 1311 هـ موافق 6 يونيه سنة 1894 م وتنازل عن الملك عام 1326 هـ موافق 1908 م .

2) لقد سبق لى الحديث عن جزء من ذلك فى مقال نشرته بمجلة دعوة الحق تحت عنوان : التمهيدات السابقة لمعاهدة الحماية وأثرها على الوضع المغربى بالعدد الثامن من السنة الخامسة عشرة (مارس 1973) .

ومن الطبيعي ان ملك البلاد كان يحاول ان يوفق بين هذه الاتجاهات وان يسعى الى العمل على انتقاء الاختيارات الصالحة الهادفة الى تقدم البلاد وازدهارها .

فالمولى عبد العزيز — اذن — رغم حداثة سنه وعنفوان شبابه — وجد نفسه امام ثلاث واجهات :

الواجهة الاولى تتعلق بالدسائس الخارجية .

الواجهة الثانية تتعلق بالفتـن الداخليـة .

الواجهة الثالثة تتعلق باختيار الطريقة الاصلاحية .

ولا شك ان موقفه من هاته الواجهات سيكون صعبا جدا لانها مختلفة الابعـاد متباينة الجوانـب تحتاج الى اطر عسكرية وعلمية وفكرية وتحتاج الـى وحدة وطنية والى قوة من جديد تساعده على تطبيق الاصلاحات التي سيختارها دون غيرها ورحم اللـه الشـاعر الذي يقول :

فلـو كان رمحـا واحدا لا تقيتـه

ولكنـه رمـح وثـان وثالـث

اما الواجهة الاولى فقد ظهرت حينما اعلنـت اسبانيا أنها تسمح لفرنسا بحق السهر على استتباب الامن بالمغـرب وعلى أنها تبيـح لها الاسهـام في اصلاحاته الادارية والاقتصادية والمالية فثارت ثائرة السلطان المولى عبد العزيز وثائرة شعبه ووجـد مساندة من المانيا وادى الموقف الى المطالبة بعقـد مؤتمر دولي تشارك فيه الدول التي وقعت أيام مولاي الحسن الاول على معاهدة مدريد . وبالفعل اقيم هذا المؤتمر بالجزيرة الخضراء سنة 1906 وصادق فيه المؤتمرون على السيادة المغربية ولكنهم منحوا لفرنسا واسبانيا بعض الامتيازات المتعلقة بالامن كما اتفقوا على ان تكون أسهام فرنسا في البنك الدولي الـذي سيقام في المغرب من طرف الدول الموقعة على المعاهدة ثلث راس المـال .

واذا كان المغاربة قد استبشروا خيرا بانتـزاع القرار الدولي الذي يضمن السيادة المغربية فانهم قد غضبوا بسبب تلك الامتيازات التي خولت لبعض الدول الاوربية واحتدم غضبهم حينما راوا أن فرنسا اصبحت بالفعل تحتل بعض المدن في المغرب ولا يجد المولى عبد العزيز قدرة على مواجهتها ولهذا نجحت المعارضة في انحائه عن العرش وفي اعلان البيعة لاخيه المولـى عبد الحفيظ الذي تعهد هو بدوره على احباط مسعى الفرنسيين وعلى الجهاد من اجل المحافظة على استقلال البلاد وعلى التنكر لبعض المقررات التي وافق عليها المجتمعون في مؤتمر الجزيرة لانها تتنافى مع المصلحة الوطنية وعلى اشراك الشعب في المفاوضات التي تقام بينه وبين الدول الاخرى .

وكان الموقف الشعبي منسجما مع آمال مولاي عبد الحفيظ ومنبعثا من روح وطنية واعية (3) لكـن الظروف القاسية التي توالت على المغرب آنذاك من قبل السلطات الفرنسية ومن قبل قواتها العسكريـة قد حالت بين المغرب وتحقيق رغباته سواء في عهد المولى عبد العزيز او في عهد اخيه المولى عبد الحفيظ .

اما الواجهة الثانية فقد استنزفت اموال الدولة ووجد المولى عبد العزيز نفسه مضطرا الى محاربـة هؤلاء الذين يخلقون الفتن في بلاد المغرب ويثيـرون المشاكل في مختلف اجزائه ولكنه من جراء النفقـات المتوالية على تهدئة الفتن اضطر الى الاقتراض الاجنبي فادى ذلك الى خلل في التوازن المالي كان سببا مـن اسباب الضغط الاوربي الذي استغلته فرنسا في تبرير تدخلاتها في الشؤون المغربية .

وحاول المولى عبد العزيز بكل قواه ان يقضي على هذه الفتن ولكنه لم يستطع نظرا لكثافتها وتعدد مواقعها ولانها تستمد في بعض اجزاء المغرب مساندتها من فرنسا التي اصبحت هي نفسها تسد الضربات الى بلادنا وتحاول ان تحتل بالفعل بعض الاراضـي المغربيـة .

اعظم هذه الفتن كان يتزعمها في شرق البلاد الجلالي الزرهوني المدعو بأبي حمارة ، وقد ادعى انه اخ للمولى عبد العزيز وانه احق بالملك من أخيه وتسربت الدعاية الى كثير من اجزاء الوطن وظن بعض الناس ان قوله حق فآزروه وشجعت الدولة الفرنسية هذا التمرد نظرا لانه يحقق ما تهدف اليه من اضعاف الدولة المغربية املا في ان يضطر المغرب اليها والى ان يطلب مساعدتها في اقرار الامن والى ان يرضخ لتطلعاتهـا الاستعماريـة .

3) اقرأ في موضوع الروح الوطنية في هذه الحقبة بحثا بعنوان : أصول حركة فتيان المغرب للاستاذ جاك كابن ترجمة سعيد النجار بنشرة جمعية تاريخ المغرب العدد الثاني 1969 .

وكانت فتنة اخرى بشمال المغرب تزعمها القائد الريسوني الذى استطاع اخيرا ان يصبح احد الموظفين التابعين للمولى عبد العزيز .

وفى الصحراء المغربية حاولت فرنسا ان تحتل بعض اجزائها وثار فى وجهها الزعيم الشهير ماء العينين (4) ووجدت هذه الثورة مساندة من المولى عبد العزيز لانها تتجاوب مع مطامح الشعب ومع رغبات المغاربة آنذاك ولكنه رغم مواقفه الايجابية فى محاولة احباط مساعى الفتن وفى مساندة دواعى الثورة الحقيقية لم يستطع البلوغ الى اهداف ايجابية فى ايقاف الزحف الفرنسى أو فى ايقاف الثورات الداخلية لان المشكل كان اعظم من المواجهة واقوى من الامكانيات .

ولم يكتف هؤلاء الذين كانوا يحاربون المولى عبد العزيز باثارة الفتن ونشر الفوضى ، بل استغلوا نوعا من الدعاية التي تقل من هيبته وتثير الراي العام ضده .

والغالب ان الدعاية وشيطانها صورت المولى عبد العزيز فى هذه الصورة العبثية المغالى فيها وليس بدعا من القول ان تكون الدعاية ذات دور خطير فى هدم كيان كثير من الناس فى الحياة خصوصا اذا لم يواتهم الحظ فى النجاح .

ان هؤلاء الذين رددوا هاته الاقوال نسوا ما للمولى عبد العزيز من مواقف اصلاحية هادفة الى رفع مستوى البلاد ونشر تعاليم الاسلام .

اليس هو الذى استنكر فى بعض ظهائره انحراف الناس عن طريق الصواب وانغماسهم فى الملذات .

اليس هو الذى اصدر امره بكف المشتغلين بالمناكر وزجر المنهمكين فيها والذى حض حملة العلم على اداء امانته والقيام بما فرضه الله عليهم من نشره واقامته وحمل المتعاطين له على طلبه قراءة وتعلما .

اليس هو الذى الزم الموظفين باحترام واجباتهم وبتقدير مسؤولياتهم ويكفينا ما يردده فى بعض الوثائق من ذكره أحاديث الرسول واستدلاله بها فى نطاق المسؤولية فقد جاء فى بعض الظهائر التى اصدرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على ان يغيروا ، ثم لا يغيرون ، الا يوشك أن يعمهم الله بالعقاب » .

وعلى كل حال فانا لا استبعد ان تكون المعارضة هى التى استطاعت ان تهمل هذه الجوانب من حياة المولى عبد العزيز وتذيع الجوانب الاخرى فى هول وصخب .

وهنا يمكننا أن ننتقل الى الواجهة الثالثة المتعلقة باختيار الطريق الاصلاحية التى آثرها واهمها ما يتصل بالاصلاح المالى وتنظيم الجبايات وتظهر فى ظهير شريف نشره المولى عبد العزيز فى 15 ربيع الثانى عام 1320 هـ يأمر فيه باتباع طريقة جديدة فى ضبط الاموال وفى استلام الزكوات ويحاول ربط الطريقة المقترحة باصول الدين ويبين كيفية تطبيقها بصورة عادلة .

ويشتمل هذا الظهير على ما يأتى :

اولا — الاعلان عن اصدار ضريبة سنوية تتعلق بأنواع البهائم والانعام والمواشى وعلى مزارع الحرث وعلى الاشجار .

ثانيا — تعميم هذه الضريبة بين المواطنين لا يفرق فى أدائها بين الضعيف والقوى ولا بين الموظفين وغيرهم .

ثالثا — اصدار اوامر باحصاء عام للذكور بأسمائهم وانسابهم وقبائلهم .

رابعا — تعيين امناء وعدول يكلفون بهذا الاحصاء .

خامسا — اشعار المواطنين بشن عقوبة ضد كل من يخفى شيئا من متاعه ولا يعترف به أمام لجنة الاحصاء والتقييد .

سادسا — سن مرتبات للقائمين بالوظائف واعفاء المواطنين من تحمل ذلك وجاء فى هذا البند قوله : « واما العامل فلم يبق له سبيل على فرض

---

4) من المسائل التى تذرعت فرنسا بها فى احتلال بعض المدن المغربية استغلال المولى عبد العزيز لزعيم ثورة الجنوب ماء العينين . أنظر كتاب المعجزة المغربية لاحمد عنة صفحة 149 صفحة 149 .

شيء عليكم ولو قلامة ظفر لاننا عينا له ما يقبضه راتبا من بيت المال عمره الله على ان لا يعود لمد اليد في متاع احد من القبيلة او يتطاول لاخذ شيء بطمع او حيلة وانما حسبه رد المال وتأمين الطرق واجراء الاحكام وشد العضد على الصلاح والطاعة وحفظ النظام واجلاس كل طائش عند حده وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

وبالقاء نظرة على هذا الظهير (5) الذي يعتبر وثيقة تاريخية يعتمد عليها في دراسة المخطط الاصلاحي المغربي الذي اعده المولى عبد العزيز نجد انه مخطط دقيق يستمد عناصره من ضرورة الاصلاح الوطني ويستفيد من التقدم الحضاري ويعتني بالمقومات السياسية السديدة التي تعتمد على عنصر الاحصاءات ويحدد مسؤولية الموظف ويحمي المواطنين من تعسفاته ولكنه في الوقت ذاته يبين لهم واجباتهم التي هي الالتزام بما جاء في هذه الوثيقة والعمل على كسب العيش مع الرجوع الى الرشاد والابتعاد عن الغي والطيش والعصيان والفساد .

وكم كنت معجبا بهذه الوثيقة حينما رأيت انها لم تكتف باصدار الاوامر المجردة الداخلة في القسر او القهر بل لاحظت ان المولى عبد العزيز حاول ان يربط بين مضمونها وبين الجانب الديني الدافع اليها ورأى ان الالتزام بهذه القوانين الاصلاحية لا يتنافى مع روح الكتاب والسنة ولا مع اجتهادات أصول المذهب المالكي المتبع في البلاد المغربية ودل بعمله هذا على مدى الوعي الذي كان يتصف به بعض الفقهاء في المغرب وعلى القدرة العقلية التي كانوا يواجهون بها قضايا العصر ويظهر ذلك في قوله بعد اعلان مشروعية الضريبة الجديدة :

« وذلك منا ارتكاب لما له اصل في الشرع من نوع السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتكشف الضرر عن الرعية ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية لان المفاسد اذا امكن رفعها بالاخف لا يعدل عنه الى الاعلى ولبناء مذهبنا المالكي على اتباع المصلحة العامة حتى قال الائمة رضي الله عنهم ينبغي أن يراعى فيها اختلاف الاحوال والاعصار وانها من القوانين السياسية التي شهدت لها قواعد الشرع بالاعتبار وانها جارية على مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ويشهد لذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من مصالحة اهل سبأ بتوظيفه عليهم سبعين حلة من القطن سنوية وثبت عن معاذ رضي الله عنه نحو ذلك على اهل اليمن عوضا عن زكاة الحبوب لاقتضاء الحال والمصلحة لذلك على الوجه المطلوب مع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من ان في المال لحقا سوى الزكاة وقوله ان الله فرض على اغنياء المسلمين في اموالهم بقدر ما يسع فقراءهم » .

وفي هذا النص المأخوذ من الظهير المذكور دلالة على وعي المشروع المغربي وعلى مدى تجاوب الاصلاح في نص القانون المكتوب مع الروح العلمية السائدة في بلادنا ومع الروح الدينية المتفتحة المرنة البعيدة عن الجمود والتقليد .

فهذه القدرة التعليلية التي برر بها المولى عبد العزيز قراره هذا تدل على انه كان بجانبه جماعة من العلماء الواعين الذين يملكون دراية كبرى بالقانون وكفاية عظمى في الاطلاع الفقهي وفي المضمون الشرعي .

والاطناب في التعليل كان يقتضيه المقام لئلا يقال عن المشرع المغربي آنذاك بأنه كان يستجيب لنظريات اصلاحية مادية محضة لا ارتباط لها بأصول التشريع وليظهر للمواطنين جميعا ما لهم وما عليهم وفقا للشريعة الاسلامية وللاحكام الفقهية ولهذا نرى المولى عبد العزيز برر قراره بالامور التالية :

أولا — بكونه لا يتنافى مع أصول التشريع الاسلامي .

ثانيا — بكونه لا يتنافى مع أصول الفقه المالكي

ثالثا — بكونه منسجما مع أقوال النبي وأفعاله .

رابعا — بكونه موافقا لعمل صحابي جليل كان وليا على اليمن وقام بنفس العملية

5) يوجد هذا الظهير مطبوعا ضمن الكتيب الصغير الذي جمعه السيد عبد العزيز التباج سنة 1934 وسماه وصايا دينية من ملوك الدولة العلوية الى الامة المغربية . وقد سبق لي أن اشرت الى هذا الكتيب حينما تحدثت بمجلة الارشاد في العدد الخاص بعيد العرش المجيد وهو عدد مارس عام 1976 عن وصية قدمها المولى الحسن الاول رحمه الله الى رعيته .

خامسا ـ بأنه ينسجم مع الروح الدينية التى تجعل فى مال الاغنياء ، حقا للفقراء والمحتاجين .

وهى تبريرات كلها معقولة المعنى تدل على سداد راى المساهمين فى التشريع المغربى آنذاك وتفصح عن مدى التقدمية فى أفكارهم وهى بدورها تدل على أن المولى عبد العزيز كان يحاول ان يساهم فى تقدم البلاد وأن ينتذ المغرب من التضعضع الاقتصادى وأن يربط قوانينه بالاصول الدينية المتبعة ولكنه تحت ضغوط الدسائس الخارجية وتحت ضغوط الفتن الداخلية وأمام تيارات الدعاية العامة التى جعلته فى عيون كثير من الناس غير صالح لم يستطع الاستمرار فى الحكم ولم يقدر أن يواجه بعض الثورات التى كان يبدو عليها طابع الصدق والوطنية كثورة اخيه المولى عبد الحفيظ .

ومهما يكن من أمر فان المولى عبد العزيز لم يكن سلبى المواقف ولا بعيدا عن ادراك الحقائق بل واجه الطوارىء حسب قدراته واستطاع أن ينتزع اعترافا دوليا بسيادة المغرب كما استطاع ان يصدر بعض القوانين ذات الطابع الاصلاحى وحاول جهد امكانه ان يخفف من أعباء الفتن وأن يساعد بعض المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسى ولكنه رغم ذلك لم يقدر على الاستمرار فى المواجهة ولم يستطع رد الزحف الفرنسى الشىء الذى جعل المغاربة يبحثون عن منقذ جديد عساهم يجدون فيه مقاوما قويا يحمى العرش ويرسى اركان الديمقراطية ويبعد عن البلاد خطر الاحتلال الاجنبى .

« تعاقب على المغرب أسر عديدة آخرها هي أسرتي ،والمزية التي امتازت بها أسرتي أننا عشنا مواطنين طيلة أربعة قرون في فيلالة .. أربعة قرون ونحن مواطنون نؤدى الضرائب ونحارب الى حد أن جدنا مولاى على الشريف ذهب محاربا فى اسبانيا مع المرينيين ، وحينما عرفوا أصله الشريف طلب منه اهل اسبانيا أن يبايعوه ، فرفض ، وقال : أنا واحد من أبناء المغرب جئت لاقوم بواجب الجهاد ، اذن أنا مواطن سأرجع الى بلدى لاستأنف فلاحتي وأستأنف أشغالي ، والشيء الذى جعل المسيرة تنطلق عندما أعطينا الامر ووقفت عندما أعطينا الامر انني اتبعت دائما النصيحة التي خلفها لي والدى رحمه الله ، قال : ـ يا بني **اياك ثم اياك أن تكذب يوما ما على شعبك ، لان الشعب المغربي شعب ذكي فطن ، وهكذا سرنا على طريق الصدق والمصادقة** الشيء الذى ضمن وسيضمن النجاح لجميع انشطتنا ومبادراتنا » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

قل مغربي أنا تعلو بك الرتب

للأستاذ الشاعر: أبو بكر المريني

هواك يا وطني في القلب يلتهب ... سر من الله في الاعماق منسكب

كأن جذوته من نوره قبس ... في النفس كالفجر في اشراقه العجب

احيا به واباهي الدهر مفتخرا ... لأنني بك اسمو حين انتسب

نفسي فداك اذا جار العدا وبغوا ... نفسي فداك اذا حلت بك الكرب

طوبى لمن عاش في جنات خلدك لا ... يضام فيها ، ولا يشقى وينتحب

ما شاء من نعم القطف دانية ... الظل والحسن والريحان والرطب

سعداه يا وطني بالعيش في رغد ... وان من فيك يحيا ليس يغترب

قل مغربي ترى كل الورى احتفلوا ... قل مغربي انا تعلو بك الرتب

بنوك يا وطني عرب اذا انتسبوا ... اسد اذا غضبوا بحر اذا وهبوا

تاج على قمة التاريخ مؤتلف ... فليلي تدركه الجوزاء والشهب

تاه الزمان بهم في كل ملحمة ... وتزدهي بهم الايام والحقب

العزم والحزم والايثار حلتهم ... والدين والعلم والاحسان والادب

والنصر من ركبهم يسعى اذا زحفوا ... والرعب في خصمهم يسري اذا غضبوا

لا ينزلون الى ساح الوغى شغفا ... لأنهم رسل للسلم قد ندبوا

لكن اذا استكرهوا ثارت حميتهم ... وسار جحفلهم كالموج يصطخب

وان اداروا رحى الحرب الضروس فلا ... نجاة للخصم مهما حثه الهرب

وان كرتهم في الحرب واحدة ... فيها وقودهم الاحياء لا الحطب

فنحن قوم عريق مجدنا وعر ... يقة حضارتنا ضاقت بها الكتب

وفي يوم 18 نوفمبر من كل عام كنت استعرض هذا الشريط الاسود بين عيني وارى ان هـذا اليوم دون سائر الايام يبعث في نفسي آمالا جديدة وطموحا قويا ، وفي هذا اليوم بالذات ، اشعر ان يوم الخلاص قد حان ، ولذلك كنت اعيش هذا اليـوم بكـل احساساتي ومشاعري ، وانطلق متنقلا بين ازقة فاس وهي قد زينت بالرايات والاضواء والزرابي والارائك ... والناس قد تفننوا في عرض صور ملك البـلاد واسرة ملك البلاد فنونا شتى ...

صور ذات اشكال والوان تؤكد للرائي ان لهذا الشعب ملكا هو آمل الخلاص ، وسر الانقـاذ ... وان لهذا الشعب عرشا هو رمز سيادته ووحدتـه وطموحه وآماله ...

امر بشوارع فاس واتصفح الوجوه وارى الناس قد اخذتهم سنة الفرح واستبـدت بهم الذكـرى واحالتهم الى هيامى بالحرية والوطنية والاستقلال.. وترى الناس وهم حول الموائد ، او حول صوانـي الشاي المزخرفة بالنقـوش البديعـة يراجبـون ويبتسمون ... وكأن عزيزا لديهم اقبل من سفر او كأنهم في حفلة زفاف ينتظرون قدوم العروس ...

الناس منذ الصباح الباكر وهـم في انتظـار خطاب العرش ، مترقبين متحفزين وكلهـم وعـي وانتباه ... وتراهم يتطلعون الى ساعاتهم ويتأكدون منها وكأنهم يخشون أن يكون قد أصابها اعياء وابطاء عن الحركـة ...

وعندما تصدح موسيقى النشيد الوطني اعلانا لبداية الخطاب الملكي ترى الناس وقد ركزوا أعينهم في المذياع واشرأبت اعناقهم نحوه وغشيتهم موجة من الصمت وتحولوا الى آذان صاغية وقلوب واعية..

ويسمع الخطاب الكريم في كل مكان ، والمغرب من اقصاه الى اقصاه يقيـم حفلـة عرس لعروس تسمى « الحريـة » .

وفي المساء تنطلق السن الخطباء هنا وهناك ، وتقام الحفلات الخطابية في كل مكان ..

في هذا الجو اراني اتنقل من حفل الى حفـل حيث تقام الحفلات بالمدارس والـدور والساحات والحدائـق ...

واني اتمنى لو كانت لي اجنحة اطير بها حتى لا اضيع اية فرصة وحتى انتشي بسماع اكبر عـدد ممكن من الخطباء والمتكلمين بالمناسبة .

لقد كان برنامج الحفلات طويلا ويستمـر الى الهزيع الاخير من الليل ...

في هذا الجو من الحماس الشعبي المشبـع بالروح الوطنية والاخوة الاسلامية ... في هذا الجو كان يتبدد ذلك اليأس الذي كان يربـن على قلبـي وينشرح فؤادي وامتلىء طموحا وتفاؤلا بالمستقبل.

وكانت لحظات سماع الخطاب الملكي تحـدث في نفسي حماسا من نوع خاص وتفاؤلا من نوع جديد .. وكلما استمعت الى مجموعة من فقراتـه كلما ازداد يقيني بأن وقت الخلاص قد قرب ، كنت اشعر بصدق البهجة وعمق التعبير وغزارة الايمان ...

كل مقطع من الخطـاب كان ينقش في فؤادي ايمانا عميقا بوجوب الوحدة والتماسك والتضحية من اجل الحريـة .

كانت فقرات الخطاب الملكي بالنسبة الي بلسما لجراح قلبي ، وكانت قبل هذا وبعده درسا بليغا في الوطنية الحقة ، وكان ذلك الدرس يحيلني الى انسان آخر كله امل واستعداد وتحفز ...

واتساءل مع نفسي ما سر هذا العيد ؟ والاحظ انه يملأ القلوب والافئدة بشحنات من الايمان العميق بحب هذه البلاد .

واتأكد في النهاية انه يوم يرمز للامجاد الوطنية، ويرمز للتحرر وللاستهانة بالصعاب ...

انه يوم الآمال الجسام ... يوم الاستشعار : بالوحدة ، بالاخوة ، بالحب ، بالوطنية ، بالامجـاد الحضارية والتاريخية ...

انه يوم يحرك كل هذه المشاعر ويفتق كل معنى سام وخلق أصيل في المواطن المغربي .

ان هذا اليوم كان بحق هو المدرسة الاولـى التي تعلمت فيها أجيالنا معاني الوطنية الخالصـة ، ومبادىء التضحية والاستماتة من اجل الصالح العام.

عيد العرش في عهد الكفاح الوطني :

يوم 18 نوفمبر 1948 في فاس

للأستاذ عبد القادر العافية

من حين لآخر تستبد بعض الذكريات بالتفكير وتفرض نفسها على الذاكرة ؛ وتتحرك صورها ورسومها وكأنها تريد نقل الانسان بكامل وعيه وتفكيره لان يعيش احداثا قد تكون مرت عليها عشرات السنين ...

وفي هذه الايام اراني تلح علي الذكرى بان اعود الى اليوم الثامن عشر من شهر نومبر لسنوات 1948 و 1949 ، 1950 و 1951 ...

كنت خلال هذه السنوات طالبا بمدينة فاس ، وبالطبع كان الوضع اذاك في المنطقة (السلطانية) يختلف عن الوضع في المنطقة (الخليفية) ولست ادري كيف اعبر عن سروري وانا اعيش يوم 18 نومبر 1948 في مدينة فاس ، وانما الذي كنت احسه واجده هو انني انسان آخر يعيش احلاما سعيدة ، وطموحا وطنيا ينبعث من الاعماق ... كنت احلم باستقلال بلادي ، وبنزوح ظلم الاستعمار عن قومي ، واحلم باليوم الذي تصبح فيه مسؤولية بلادي في يد اخوتي من ابناء وطني ... وكنت اطمح بتصوراتي اني اعيش في مغرب مستقل لا اتعرض فيه لاهانة شرطة الحدود المصطنعة وموظفي الجمرك داخل بلادي .

كنت اجتاز ثلاثة حدود : ما بين تطوان وطنجة، ثم ما بين طنجة واصيلا ، واخيرا ما بين القصر الكبير وعرباوة .

كانت هذه الحدود قاسية بالنسبة الي ، كم مرة اهنت فيها ، وكم مرة نزع مني بعض الزاد الذي كنت ادخره لمقاومة فصل الشتاء في فاس .

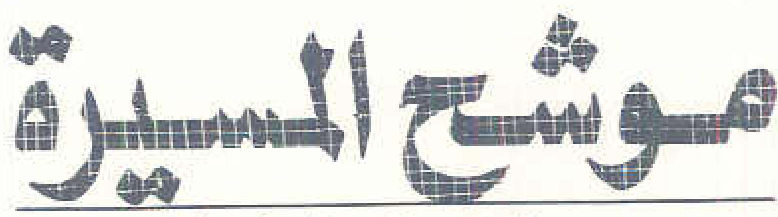
كم مرة شاهدت مناظر اليمة يظل المها يحز في نفسي الى ما شاء الله ...

في عربات القطار بين طنجة وفاس كان البوليس الفرنسي والاسباني المسلح يستعرض عضلاته على المواطنين والمواطنات المسافرين في القطار .

كم مرة شاهدت امراة او طفلا او شيخا يتلقون لكمات الايدي وركلات الارجل لا لشيء الا لانهم يحملون معهم امتارا من قماش ، او قطعا من صابون او بضعة آواق من الشاي !!

وفي احدى المرات شاهدت احد الجمركيين الفرنسيين يجر امراة بدوية وسط عربات القطار ، وهي تستغيث ولا مغيث ! وعندما اوصلها جرا الى باب العربة قذف بها على الرصيف !! فصاحت المسكينة صيحة اليمة ، واجتمع الناس فاذا بها قد كسرت ساقها ، ومع ذلك لم ينبس احد بكلمة بل تحرك القطار وانصرف الناس ، وانتشر الذعر ، والناس ينظرون ولا يتكلمون ... !!

كنت اثناء تنقلاتي بين طنجة وفاس اتجرع مرارة الاستعمار واشاهد من ضروب غطرسة جنوده واعوانه ما يجعل النوم يفارق اجفاني لعدة أيام ...



للأستاذ الشاعر المهدي الدليرو

صحـــراء ، يـــا متـنـفـس الأمــــه

قــسـمــا بــمــن امــــه

ملــك ٠٠ يـسـوس بحـنـكـة الماهــر

وبحكمــة تـزن الـبـواطن والـظـواهــر

وتـحـايـــل الأزمـــات

حتــى تـنجـلــى

وبـنـافــذ الـعــزمـات

فى اعـــجـــل

ظـــرف ٠٠ تـقـلـــد

بـتـشريـف مـخـلـــد

اكليــل الـغــار

مـنــه يـغــار

ولـيـس كـمـثـالـه شىء مـولــد

صحـــراء ، يـــا متـنـفـس الأمـــه

* * *

او لـم يـنـادى للتـحـاور فى ســلام

والى انطــلاق مسـيرة ، تـأبــى الصـدام

والشعــب لبــى واستجـاب

متعـطـشـا ٠٠ متمـاسـك البـنـيـان

كان عيد العرش جامعة بكل اطوار طموحها ، فيها تجد سائر المستويات ما يغذي ايمانها ويقوي طموحها ...

هو مدرسة يتدرج فيها ابناء الوطن ، فيأخذ كل نصيبه من مبادىء الاخلاص والتضحية ...

في يوم عيد العرش كان يشعر كل مواطن بدفء اخوة المواطنة ، تلك الاخوة التي كانت تتكسر عندها آمال المستعمر ومخططاته ... وبرامجه وتصميماته ...

في كل عام من مثل هذا اليوم يرى الاستعمار انه يبتعد رويدا رويدا عن تحقيق اهدافه واطماعه ، ويرى أن كل مكائده التي دبرها خلال سنة او سنوات قد تلاشت خلال يوم واحد ، وتجن جنونه ، ويحاول الحيلولة بين الشعب ومنبع معينه ، فيسجن ويعذب ويقتل ويشرد ... لكن كل ذلك كان لا يزيد الشعب الا تعلقا بمدرسته الجامعة . ويظل يوم عيد العرش هو يوم عيد العرش .. يوم تعرض فيه المنجزات وتزف فيه البشائر ، وتبعث فيه الآمال وتجدد فيه العزائم ... ويظل هو يوم التحدي الاكبر ، ويوم الاصرار على مواصلة السير بمسيرة الشعب .

كانت اعياد العرش بالنسبة الي تتطور كما اتطور بدوري في مراحل دراستي ...

وبشاء الله ان تقترن بشائر اعياد الاستقلال بعيد العرش وبعودة صاحب العرش واشبال صاحب العرش وبزف بشرى الحصول على الحرية فيا لها من بشائر تتداخل. وتتماوج لتزيح عن النفس ذلك الكابوس الاسود الذي كان يرين عليها .

ان ذكرى عيد العرش المغربي هي مراجعة سجل حافل بالامجاد الوطنية، والبطولات والتضحيات والتحديات ...

هي قراءة كتاب « ملك وشعب » رسمت حروفه بمعاني المجد والشهامة والنبل ... وتسجل كل جملة من جمله العزة والنخوة والكرامة ... وكل فقرة من فقراته هي ملحمة وطنية رائعة ، وكل صفحة من صفحاته صورة صادقة تناسقت فيها الوان الاخلاص والبذل والتفاني والوفاء ...

وفي يوم عيد العرش تحطمت تلك الحدود المخيفة التي كانت مبعث الآلام والاحزان ... حطمت تلك الحواجز وامست اثرا بعد عين ، وهبت نسائم الحرية وحلت بهجة الاستقلال ، واختفت - الى غير رجعة - مظاهر غطرسة وجبروت الاجنبي وويلات احتلاله ...

وهكذا كلما اقبل عيد العرش الا والحت على الذكرى وتأكدت بأن يوم الخلاص كان بزوغه يوم عيد العرش المغربي ، وما ذلك الا لان العرش المغربي هو الارضية الصلبة التي بنيت عليها حضارة هذا البلد وامجاده .



متشبعا بسماحة الايمان ؟
والحاملون لمصحف القرآن
وهم الضفوط ، ولعبة الجيران
هل يدفعان بهم الى الخذلان ؟ :
واذا تغلبت الأناة على اندفاع . . ذللت كل الصعاب

صحراء ، يا متنفس الامه

فيضاجم الساقية الحمراء ، او وادى الذهب
لو كل ما سترت من الثروات او فضحت . . ذهب
لا يعدل التفويت فى الارض
فالذود عن مهضوم انسان
وحدود اوطان
من اقدس الفرض

صحارء ، يا متنفس الامه

* * *

كثبان رملك سوف تقمر
حرية . . سلما نماء
واحات نخلك سوف تثمر
خصبا . . بساطا اخضرا . ماء
وبنوك ينعم عيشهم فى الغد
بالمولد الأرغد

صحراء ، يا متنفس الامه

* * *

والآن . . والتكبير يعلو
والقول اسفر عنه فعل
من بعد فرقه
عانى مرارتها بحرقه



وليس تشتيت شمل الناس عادتنا   ولا المكائد والعدوان والشغب
وليس من عرفنا التضليل فى سفه   او نكث عهد لنا مهما طغى السبب
ولم نجر قط فى يوم على احد   ولم نبت بدماء الغدر نختضب
وادى المخازن للاجداد معلمة   وغشت حي بنا لم تطوه الحجب
وعرشنا ثابت الاركان من قدم   والعرش فى امتى تزهو به الحقب
امامتنا بيعة الاحرار ترفعه   وليس بالمدفع الرشاش ينتخب
والشعب بالعرش لهاج وملتحم   والعرش بالشعب اخاذ ومعتصب
والقائد الحسن المغوار معتصم   بالله والعروة الوثقى كما يجب
يمشى ونور الهدى نبراس خطوته   والله ينصره لا المال والخطب
وعرشه الحب منسوج بافئدة   وتاجه العدل لا الياقوت والذهب
يبنى لامته الامجاد فى ثقة   فليس يلحقها شعب ولو يثب
خاض المعامع فى عز الشباب فما   بته الطواغيت والاهوال والنوب
ولم يكن بطلا يدنو الى لقب   وانما حار فى اوصافه اللقب
ويوم نادت عليه البيد واحسنا   ه قال : لبيك فالاحرار قد ركبوا
مسيرة الفتح بالقرآن زاحفة   اليك يا بيد الاعداء قد نكبوا
ورجت الارض والاعلام خافقة   والله اكبر فى اصدائها رهب
وقد علا الحقّ والبهتان مندحر   وليس يغنى العدا زور ولا كذب
وعادت البيد والارحام قد وصلت   وغيض اعداء جمع الشمل وانتحبوا
وزغرت فى العيون اليوم وحدتنا   واسمعت من فى اذنه ثقب
وجدد العهد فى الصحراء سادتها   وهم احباؤنا والاخوة النجب
والاهل فيها اشقاء لنا والى   انسابها طاهر الارحام ينجذب
فالقلب منشرح والنفس راضية   والعين ضاحكة لا شك ولا ريب
وفى حمانا رجال ان همو نفذ الـ   ـصبر الجميل فلا خوف ولا رهب
قد اقسموا بيمين الله مغلظة   لنبطشن ممن اغراهم السلب
فبلغوا اوصياء الزيف توصية   ان المجن على الطغيان ينقلب
مولاي شعبك جند الله واقفة   فامر فان جنود الله ترتقب
مولاي منالك الاخلاص تهنئة   بالعيد والوحدة الكبرى وما تهب
وعيدنا اليوم اعياد معطرة   بطيب ذكرك فى الدنيا ولا عجب

عــزم من الــفــولاذ اصلــب

غاياتـــــه تثبيــت مطلــب :

« صحراءنا ردت الينا »

وعلــى يــديــنـــا

بمشيئـــة الحـــق العليـــم

ســتــظـــل الاقــلــيـــم

نــفــحـــات اســـلامــه

وعروبـــة ٠٠ كالسالـــف الوضـــاء من ايامـــه

« ابعادنا بالطبع هي الترفيه اكثر ما يكون الترفيه ابعادنا هي وضـع فلسفتنا الاشتراكية كما نراها وضع هذه الفلسفة موضع التطبيق تلك الفلسفة التي اخذناها من القرآن حيث قال الله سبحانه وتعالى « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » فلا نريد الاشتراكية بمعنى الفقر المدقع ولا نريد الرأسمالية بمعنى العجرفة الرأسمالية بل نريد مجتمعنا مغربيا يعطي لكل واحد من المغاربـة الفرصة لينمي خيراته ويزكي ممتلكاته دون محسوبية ودون أى تمييز بين هذا وذاك يكون المغربي مصيره بيده ويكون كما يريد أن يكون وعلى الدولة أن تعطي للجميع نفس الحظوظ ونفس الفرص » .

جلالـة الملك
الحسن الثاني

قصة قصيرة

الرؤوس المحلوقة

للأستاذ
محمد بن أحمد اشماعو

وقف (المسيو مارتان) طويلا أمام المرآة في صباحه ذاك ، وكان همه أن يسوى شعره في مشطة أنيقة مرتبة ، عرف بها منذ زمن الشباب الباكر ، من حيث تمتد كل شعرة من أصلها حتى النهاية عند القفا . لقد كان هذا الشعر براقا في الايام السالفة ، بما كان يضفي عليه من العطور والدهون ، كان لامعا بالنهار تحت أشعة الشمس ، ولامعا بالليل تحت المصابيح .. أما اليوم فقد وخط الشيب هذا الشعر ، وبذلك خفت اللمعان ، وحلت محله سمة خاصة تعطي لشخصيته مهابة واحتراما . جزء من الوقت استغرقه الاعتناء بالشارب ، وهو للعجب الذى بقي في حالة اسوداد تامة، فيما عدا وحدات برزت من بين الشعر الكث ، فازداد بها المظهر بهاء وجلالا .

ترك المرآة وانصرف الى قاعة النوم ، وفتح الخزانة على مصراعيها ، ووقف يلائم بين يومه هذا والحلة المناسبة له ، فالقوم من كبار رجالات الفلاحة ، ومن مشاهير المتمولين فيها ، فلا بد وأن يكون اللباس مناسبا لهذا الجمع الحافل . وتذكر أن هؤلاء القوم ، على غير عادة المتمولين الآخرين ، يميلون الى ارتداء الخشن من البدلات والسراويل ، ويختارون الالوان الداكنة ، ولا أفضل عندهم من لبس ما هو مصنوع من الجلد ، قبعة كانت أم بذلة أم حذاء ذا عنق ، انهم يستشعرون القوة والحزم في هذا اللباس ، وهو – من جهة أخرى – يتلاءم وحياة التراب والأوحال والملوثات التي يظلون متخبطين فيها . وهم عادة ما ينسون حلق لحاهم وقص شواربهم وترجيل شعورهم في أوقات متقاربة ، فتبدو سحناتهم مغبرة ، تكسوهم طبقة من الغبار رقيقة ، كما يبقى دخان السجاير المتصاعد أثارا ضاربة الى اللون الاصفر ، ثابتة ، لا تقبل الزوال ، على الشوارب والحواجب . وآثارا الصق فيما بين السبابتين اليمنى واليسرى والوسطيين ...

مسيو مارتان يعرف كل هذا ، لذلك اختار بذلة بنية وقميصا رماديا ، ورباطا بنيا ذا خطوط رمادية ، من نفس لون البذلة . واختار للجيب الأيسر منديلا رماديا ، مشابها جدا للون القميص ، وفرز الاحذية ثم اختار من بينها حذاء بنيا مثقبا ، فالطقس غير بارد ، وقد يطول مكث الرجلين في الحذاء .

وبمجرد انتهائه ، وكأنه على موعد مضبوط ، جاءته خادمته المغربية (حليمة) بطعام افطاره وكان يشتمل على بيضة واحدة ، وقليل من العسل ، وقطعة من الجبن وقدح من القهوة ... فالخادمة تتلقى تعليماتها من السيدة (نادين) زوجة مارتان قبل نومها ، حول وجبة الافطار ، ومن ماذا ينبغي أن تتركب ، فمن عادتها باستمرار الا تستيقظ باكرا ، ما دامت مشغوفة بالسهر، تقضي فترة طويلة قبل النوم ، في صنع الصدريات والجوارب والقفازات الصوفية صيفا ، وصنع المخرمات والمطرزات القطنية شتاء ، وتغتنم ليالي الشتاء الحلوة ،

فتجلس أمام المدفأة المشتعلة ، تتأمل أشكال ألسنة النار المختلفة ، وألوانها البرتقالية والحمراء والزرقاء ، فتكاد تذوب اعجابا بهذه المناظر الساحرة ، أما اذا كان الفصل ربيعا أو صيفا فان الجلسة تكون في حديقة الدارة أمام النافورة المحاطة بمغارس أزهار مختارة ، من حيث تستسلم لدعابات الصمت الطويل ، ودغدغات الهواجس والاحلام الداخلية ، حتى أنها أحيانا تكلم فلا تجيب ، وتدعى فلا تلبي الدعوة .

تناول طعام افطاره وحده ، ثم توجه مرة أخرى الى المرآة ، وأعاد النظر الى نفسه ، وزاد قليلا في تأنيق هندامه ، مثبتا القبعة الثمينة على رأسه ، مائلا بها قليلا الى جهة اليسار ، ومعدلا قليلا من الحواشي ، وانتهى به الامر الى تناول المظلة من زاوية في البيت ، ثم غادر الدار .

الشارع من حوله وتمر به سيارات ، يسمع لحركاتها ضجيج ، كما تتعالى زماراتها ، بسبب أو بغير سبب ، فالمقصود عند بعض السائقين أن يلفتوا الانظار الى جدة عرباتهم ، وجاذبية ألوانها والى جلساتهم المريحة الفخمة الوجيهة وراء المقاود .

اثناء السير شعر المسيو (مارتان) ببعض الاسف لتحمله مشقة المظلة ، فاليوم صباحه من أصباح ابريل الساطعة الدافئة ، حبذا لو تخلص من العبء ، ولكنه وجدها متكأ على كل حال لا بأس به . المتكأ ؟ ان المسيو مارتان في غير ما حاجة الى متكأ ، فهو وان تجاوز الستين يشعر بحيوية متجددة وبفكره متفتحا وبوجدانه حارا سعيدا ... حقا ، لقد كان شبه مخدر اثر احالته على التقاعد من حيث قضى فترة شهر تقريبا ، في شبه حيرة ويأس ، يستشعر شعور المحكوم عليه بالاعدام ، لولا أن هذا ينتظر أجله بحسرة ولوعة ، بينما هو ينتظر نفس المصير ، على المدى الطويل أو القصير بدون حسرة ولا لوعة ، انما النفس يخالطها شيء من التعلق بالحياة ، والرجاء فيها والتشبث بها ... يومئذ فاجأته زوجته (نادين) مفاجأة مذهلة ، مفاجأة لا يمكن أن تكون الا من امرأة مثلها لبقة مخلصة ، لقد أمدته بمليون من الفرنكات ، كان محفوظا في حسابها الخاص بأحد الابناك، لقد هزته وأفقدته اتزانه، ووزعت في دمه دفقة من الحرارة والحيوية والأمل المجدد. الحقيقة ، انها كانت في منتهى العبقرية والبراعة والذكاء ، وفي منتهى الحنان الزوجي وبره ، ومودته الصافية ، الصادقة ... لكم اشبعها يومذاك تقبيلا وعناقا . انها بهذه الهبة السخية استبدلت بالرجل المنهار الحيران رجلا مطمئنا عازما حازما واثق الخطو ... هو بدوره كان مدخرا لبعض المال ، فعادة التحبير متأصلة فيه ، مثل بني قومه الأوروبيين ، ولذلك اقترح عليها أن يشتري برصيده ضيعة صغيرة ، وبرصيدها دارة متوسطة بدل هذه الشقة التي يقطنونها منذ زمن بعيد .

وقامت بينهما محاورة في أي مكان تكون هذه الضيعة وتلك الدارة ، واختارا بعد مذاكرة طويلة ، وتبعا لتجولاتهما الكثيرة ، وخبرتهما الواسعة أن تكون الضيعة ببلاد المغرب ، في منطقة الغرب بالذات ، وأن تكون الدارة بمدينة الرباط ، فمنطقة الغرب منطقة خصبة خيرة ، يقول الخبراء انها من أجود بقاع الدنيا المعدودة ، بما يتوفر لها من تربة جيدة ، وطقس معتدل ، ومن مياه بالنسبة لما هو موجود منها على ضفاف النهر الدائم الجريان . ثم ان المساعدات التعميرية متيسرة ، اذ الأوروبيون الذين سبقوا الى أرض المغرب يعملون على تثبيت اقدامهم ، واقدام كل وارد من بني قومهم ، أو ممن هم معجبون بخطة الاستعمار ، ويعدون الخطط لانتزاع كل أرض جميلة يملكها شخص مغربي لا حول له ولا قوة ، انهم واثقون من فكرة (ان الارض لمن يستحقها) ، وهم أكثر استحقاقا من غيرهم لهذه الاراضي ، أما الذين لا يعرفون قيمة التربة ، ولا أسلوب استخراج المياه ، ولا طرائق الحرث الجيدة ، ولا فنون التسميد والغرس العصرية أولى بهم أن يغادروا الارض، وأن يتركوها لمن هم أجدر بها .

فعلا ، قاموا بمبادرات ، بل ببعض التسرعات ، واشتروا أراضي وانتزعوا أخرى ، وارتكبوا ما عن لهم من التصرفات من أجل هذه الاغراض ... ان الارض ليست أرضا فرنسية ، والسكان ليسوا مواطنين فرنسيين ، ليس هناك برلمان يزعج البال ويكدر الخاطر ، يتدخل اعضاؤه فيما لا يعنيهم ، وليست هناك جرائد تبسط صفحاتها بسطا كل صباح وكل مساء ، كل أسبوع وكل شهر لتملأ صفحاتها بالاخبار الصحيح منها والكاذب ، المناسب منها وغير المناسب ... وليست هناك مجالس قروية ولا مجالس حضرية تدس أنوفها في كل شاذة وفاذة ، ويتولى أعضاؤها المنتخبون كل

الأمور ، وقد يقيمون الدنيا ويقعدونها بسبب أى حادث ... هناك نقط القائد والخليفة ، وهو طوع يد الضابط الفرنسي ، المواطن اليقظ ، العارف بالنفسيات الخبير بالاحوال والتقاليد والاعراف .

لقد سرت (مدام مارتان) بالمقترح ، والى حد كبير ، وقامت من فورها تعد نفسها للرحيل . ان الحياة ستبدأ من جديد ، ففي بلاد الشمس (المغرب) تتحسن الصحة ، وتتنور البشرة ، وتستقيم القامة . فالخير - هناك - عميم . اذ الاشياء الصالحة متوفرة ورخيصة الثمن ، واليد العاملة متراكمة ، بل وتتسابق الى الخدمة متنافسة ، متهاودة في الثمن ، وبذلك يمكنك ان تنتقي منها ما تشاء ، حسب اختيارك الدقيق . لقد عودهم الاوروبيون الموجودون بينهم على أن يتسابقوا الى خدمتهم ، وان يتفانوا فيها ، يمتلؤوا اعجابا بذكاء الاوربي وحذاقته وتسلياته وبجبروته وسلطته . ... هكذا قالوا لها ، وهي متشوقة الى جو تكون فيه سيدة مطاعة ، نافذة الكلمة مرهوبة الجانب ، تقدم لها الخدمات في كل وقت وفي كل الاحوال !

واذا كان هذا كله خطر في بالها ، فان شيئا منه لم يخطر ببال زوجها ، فهو موظف متقاعد عن الخدمة بوزارة الفلاحة في فرنسا ، يعرف ما له وما عليه . لا يتساهل في واجبات الوظيفة ، بل يخشاها خشيته لشيء خطير ، وهو لا يتساهل في حقوقه . لا مع رؤسائه ولا مرؤوسيه ، انه مطيع وصارم ، في نفس الوقت ، عادل ومتشدد بلا هوادة ، وقد ترك له هذا التصرف ذكرا حميدا في ادارته التي تركها بعد خدمة ثلاثين سنة . لهذا لم يخطر بباله اشياء من النوع الذى خطر في ذهن زوجته ... لا . خطر في ذهنه فعلا محيطه الأروبي الذى سيتركه ، والاشياء الجميلة التي تعود عليها : كاس القهوة بين الحين في باحة مقهى (لاكوميدى) ، وغذاء الاحد صحبة زوجته او أحد خلصائه بمطعم (الديك الصداح) بالضاحية ، ثم تلك المهرجانات الحافلة التي تقام بين فترة وأخرى ، فيشبع فيها كل انسان ذواقة مثله أنسا وضحكا ومحاضرات وتسليات ... ولكن لا بأس ، يمكن للانسان أن يتردد على أرض (أم الاوطان) بعد أيام الجني والحصاد ، وخلال أيام همود الطبيعة ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، أو اشتد الحنين ، فما هي الا رحلة يومين بالباخرة ... غابت هذه الخواطر ، ومضى في سيره وانتبه الى تناغم خطواته المضبوطة مع نقرات راس المظلة الحديدى فوق الارض .

وعند مقر (الغرفة الفلاحية) وجد العديد من السيارات مصطفة ، اصطفافا ، وكلها مكسوة بطبقة من الغبار اعتراها خلال الطريق ، وهي تطويها من جميع الأنحاء نحو مدينة الرباط العاصمة ، وعند المدخل الرئيسي وجد القوم مجتمعين ، يدور بينهم حديث صاخب ، احمرت معه الوجوه ... وانتفخت الأوداج تطاير البصاق ، وتكاثر نفث الدخان من السجاير والسيكارات والغلايين ... وبما أن المسيو مارتان لم يكن مجهولا من بعض هؤلاء القوم فقد استقبلوه بشيء من البشاشة ، ثم انقلبوا يتهامسون بالتعريف باسمه ، وبوظيفته السابقة كموظف من موظفي وزارة الفلاحة الفرنسية المحنكين الواسعي الخبرة . وكان بعض هؤلاء تشاءموا من وجوده ، كموظف من فرنسا ، لم يغادرها الا منذ شهور قليلة ، لذلك خاطبه أحد المعروفين بوقاحتهم وتعابيرهم الفجة ، التي تخرج من فمه كأنها قعقعة عربة عتيقة ، وقال :

- ترحب بالمسيو مارتان بيننا . على أن يتأقلم مع أرض المغرب الفرنسي . ليذكر دائما أنه ليس في أرض فرنسا ، وانما هو في احدى مستعمراتها . أحذره ، بل نحذره جميعا ، من الخلط والالتباس ومن النسيان ، ومن وضع الأمور في غير محلها .

أراد المسيو مارتان أن يرد على هذا الجفاء بجفاء مثله ، ولكنه صان لسانه ، واحتفظ باقواله لمناسبة اخرى .. واكتفى بأن قال :

- (برافو مون فيس) مرحى يا ولدى .

ومضى الوقوح يثرثر :

- انا معك في موضوع الديموقراطية عند ما تطأ قدماى أرض فرنسا ، ولكني هنا أمقت هذا الاسم ، واكره من يجيله في خاطره ، فأحرى أن يدعو الى تطبيقه على أى وجه من الوجوه . ان هذه الارض مستعمرة رومانية سابقة ، ونحن هنا لممارسة سيادة اجدادنا السابقة ، ولا من يزحزحنا عن خطتنا ، كان شأنه كبيرا أو كان صغيرا . الرأى الأخير لنا ، ولنا وحدنا ، ... أياك يا مارتان أن تعيش مع الاوهام والاحلام والمبادئ .

- شكرا لكم على هذه البيانات المهمة ، هل من مهلة يا سيد شارل ؟

ـ لا تمهل في الامر ، اما ان تكـون معنـا ، والا جعلناك في صف هذا المسمى (بونصو) المقيم العام .

اهتز المسيو مارتان من هذا النبز في ممثل فرنسا بالمغرب . فهو ككل فرنسي قح يحترم الرؤساء ، المباشر منهم والأعلى ... لذلك رد هذه المرة :

ـ لنجعل حديثنا في نطاقه المحدود يا سيد شارل ، فمهما بعدنا عن الديار فلا ينبغي أن ننسى المبـادىء والأصول ... هذه المبادىء والاصول هي أنفس من كل الاراضي والمياه والمغروسات ومطامع الدنيا كلها .

ـ لم تنس بعد دروسك بالمدرسة ، قلنـا لـك فرنسا هناك ، أما هنا فمغرب فرنسا ، هل اشرح لك الفـرق !

ـ لا مواخذة ... انني قليل المجاملة ، في الحق خاصة !

ـ أه .... هـ ... م

ـ هيا ، فمسيو (مورلو) يدعو لافتتاح الجلسة . تعال يا مسيو مارتان واستمع الى الرجال الشجعان ، كيف يبحثون الأمور ، وكيف يقدمون الافكار النافعـة وكيف يعدون المشاريع للتنفيذ .. هيا ..

ـ لم تجد غيرى في هذا الصباح يا شارل .

ـ كيف أتركك وانت جارى ، ضيعتك بجـوار ضيعتي ... من اليوم ، انا منافسك وخصمـك ـ ان شئت ـ ومساعدك ومعضدك ومستشارك الخاص اذا رغبت .

لم يكن الواقفون أمام باب القاعة المخصصـة للتجمع الا قلة ، اما الكثرة فكانت بالداخل ، فيها عديد من الحاضرين والحاضرات ، فلاحـون وزوجاتهـم ، وفلاحات مع أزواجهن ، ومتعاشرون ومتعاشرات الذين لا تربطهم روابط ملزمة ، وانما روابط الصداقة والمؤانسة وتبادل المنفعة ... صدمه ـ أول ما صدمـه ـ منظـر النساء المسترجلات اللواتي يرتدين الالبسـة غامقـة الألوان ، الخشنة الملمس ، من جملتها سراويل لاصقة بالاجسام ، من نوع السراويل التي يرتديها الفرسـان وهم على صهوات جيادهم ، وادهشه أن البعض منهن ارتدى قمصانا وأربطة عنق وبذلات ، ومن مصبات على ارتشاف السجاير بشراهة ... ان هذا المنظر اثـار في نفسه التقزز والاشمئزاز .

ان الفرنسي بطبعه لا يستقبح منظر أية امرأة ، فهو يبحث عن مبرر لتقدير مزية من المزايا ، ولو كانت بسيطة ، يبحث عنها في الصوت الجميل ذى الرنـة الفريدة ، او بريق العينين الذكيتين اللماحتين ، أو لون الشعر وتسريحته ، أو في استواء القامة وطراوتها ، أو في السلوك اللبق واللفظ المهذب والاشارة الحاذقة ... غير أن هؤلاء المسترجلات فقدن كل ميزة من مميزات الانوثة اللطيفة ... انهن أشبه ما يكن بالبغلات !

وقف المسيو (مورلو) في المنصة فسـاد الصمت للحين ، فلكان الضربة التي ضرب بها الطاولة التـي امامه كانت ضربة على راس كل واحد منهم !

قـال :

« تعرفون الدواعي التي دفعتنا الى عقد اجتماعنا ، أود أن اذكر بها من لا يعرفونها . انها محاولات الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية بالمغرب للتضييق بنـا ، وذلك بفتح الحوار وباب المذاكرة مع الأهالي ، والانصات الى ثرثراتهم التي يدعون أنها شكايات ... ثم فـرض نصوص وقوانين ليس معهودا أن يعمل بهـا فـي المستعمرات . اني من هذه المنصة أوجه الكلام الى سعادة المسيو (بونصو) المقيم العام لفرنسا بالمغرب ، لأقول له بكامل اليقين والثقة .

ان الأراضي التي بين أيدينـا هـي ملك لنـا ، اشتريناها بالمال الذى كسبناه بعرق جبيننا ، والقواد وعدول الشرع شاهدون بذلك في مختلف القبائل ، هذا فيما عدا البقاع التي يقتضي الامن وسلامة أراضينـا حيازتها ، فاننا عندئذ نحوزها وجوبا ، ومهمـا كانت الموانع ، رضى الضبط المتلون للسلطة أو لم يرضوا .

يجب أن يعلم ـ ممن لا يعلمون ـ أن كثيرا مـن الأراضي كانت بورا ، يملاها الشوك والحسك والأحجار ، وبفضل خبرتنا وحزمنا وعزمنا حولناها الى جنـان ، سخية العطا ... فلا يمكن ، ولن يمكن أن نفتح حوارا حول هذه الأراضي باى وجه من الوجوه .

المياه ، مياه الأنهار والآبار والعيون من حقنا أن نستغلها ، ولنا ألا نسمـح لغيرنـا باستغلالهـا دون

موافقتنا ، فيما عدا طائفة من الأهالي الأصدقاء المعقولين، وكل قطرة تمر بجانب او وسط أراضينا يجب ان نستغلها ، وما قضية مياه (أبي فكران) بغائبة عنكم ، فلتسقط كل الأقوال والتخويفات حول موضوع الأرض والمياه ...

اني أفتح المناقشة ... عفوا ، قبل أن أفتح المناقشة أطلب منكم أن تعينوا كاتبا للجلسة .

هنا صاح المسيو شارل :

– من بيننا احد المحنكين الاداريين ، الذين قدموا منذ قريب من الأرض العزيزة فرنسا ، انه جديد على جمعنا ، ولكنه مساند لحركتنا تماما ، ومستعد لتفديتها بالروح والمال ... هيا يا مارتان !

ارتبك المسيو مارتان ، وحار في اتخاذ الموقف المناسب ، خصوصا وأن الفضولي شارل ورطه . ولما وجد الأنظار كلها متعلقة به ، وضع يده في جيبه يبحث بها عن قلمه الغزار ... وقصد فورا المقعد المخصص لمقرر الجلسة .

سجل ستة متدخلين اسماءهم للتحدث أمام الجمع ، وطرح طلب بان يبقى سجل المتدخلين مفتوحا ، على أن يختم النقاش مسيو (مورلو) ...

تقدمت كهلة ، أقرب ما تكون الى سن الشيخوخة، مصطنعة شيئا من الجد ، وعند وقوفها وراء المنبر أطلقت ضحكة منفردة ، خصوصا وانها كشفت عن أسنان لها كبيرة صفراء غير منضدة ، ولم يكن لها شعور بأى نقص من جهة أسنانها البشعة ، وانما شعور بالرضى والفخر بشعرها الذهبي الحريرى اللامع ، التي تخصص له عناية مستمرة ، وتعمد في كل موقف ومجلس الى مداعبة خصلاته ، بتركها تتدلى الى الامام بين الحين والحين ، ثم تعود فترجعها الى مكانها بغاية الرفق والاعتناء ... وقفت هنيهة ، وقد غاب عنها ما تريد أن تقوله ، ومع ذلك لا بد لها أن تقول شيئا :

– سادتي – اهم – سيداتي ... ان الفيلات داخل الضيعات التي نمتلكها ، ليست هي الفيلات في المدن ، فهذه أنيقة نظيفة جوها لطيف ، بينما الأخرى تدخلها الاوساخ والحشرات والروائح – معذرة – بمجرد ان يفتح باب أو نافذة ، ولذلك تروننا متعبات جدا جدا ،

لو تأملتم ايدينا – ولا شك انكم تأملتموها – لوجدتموها عامرة بالشقوق واللطخات ، يا حسرتنا على أنامل واكف أيام الشباب والفتوة ، بارض الوطن السعيدة الرخية... انه يمكنني أن أتكلم في هذا المشكل نصف يوم ، ولكنني اكتفي بما أشرت اليه ... كل ما أطلب هو أن تبقى قبضتنا على (الفاطمات) محكمة ، وسيطرتنا عليهن تامة ، فنحن نساء الضيعات لا نقبل اى تدخل كيفما كان .. اؤكد لكم أن الرجال المستخدمين لديكم أسهل قيادة من هؤلاء المستخدمات ، وعلى كل حال نحن نعاملهن بما يستحققن ، فما عليكم أنتم الرجال الا أن تكونوا في مستوى المسؤولية ... (تصفيق حاد ، مع زمجرات الاستحسان) .

أعجبة الكهلة هذا الذي نالته من التقدير ، وأرادت ان تزيد من الكلام الحلو الذي قالته ، ولكن رئيس الجلسة (مورلو) غمزها اشعارا بالاكتفاء ، فاكتفت ، وسارت الى مقعدها تخالجها احساسات جميلة ، من تقديرات الزملاء والزميلات ، ومن غمزة الرئيس . والتفتت بمجرد جلوسها فوجدت القوم تشاغلوا عنها ، وتطلعوا بأعينهم الى الخطيب الجديد (موريس) وما أدراك ما (موريس) .

سار موريس ضخما ، عالي الاكتاف متدلي البطن، ينضح وجهه بالسلامة والعافية ، وان كانت الملامح قد انتفخت بفعل السمنة والخمرة ، فتداخلت في بعضها ، واختفت مميزاتها ، وأصبح الوجه كله عبارة عن مكورات ومستديرات وفتحات ... قال موريس :

– انظروا الى قبضتي هاتين ، ضخمتين بلا شك، اني أكسر بهما جوزة وأفتت شجرة ، واقطع أذن أخمد . (ضحك وصخب ثم تصفيق حاد) .

... صدقوني أنني أقتلع أذن اى (أخمد) اظهر العصيان ، أو حاول يتقدم بطلب حق . في ضيعتي ثلاثة (أخمدين) قلعت لهم آذانهم ، ثم سمحت للطبيب بأجراء عمليات جراحية لهم ... ان على السيدات الا ينزعجن ، فيدى أحيانا الين من حرير مدينة ليل ... صدقنني أن جسدى الضخم – سحقا لمناخ المغرب الذي يجبله الانسان مريضا حتى مسلولا فينقلب الى رجل يتضخم بتوالي الايام ، كالثور تماما – ان هذا الجسم الذى أمتلكه أستطيع أجلس به على اجسام بعض الناس عندهم هنا في الرباط ، فأخنقهم ولا يعودون الى ازعاجي بالمقترحات

والنظريات ... وأيضا أريد أن أتوفر على مدفع احمله على كتفي واذهب الى فاس وسلا ـ هذه القرية ـ والى الرباط بالذات واخرج بعض القذائف ، ان هناك بعض الفتيان يزعجوننا ، اما انا فلا احمل لهم هما ، بامكاني

أن أطلق النار وحدي فامحق الجميع ، اذا كان لا بد من مؤنس ومن مساعد ، فاني أدعو للسيدة التي سبقتني ، أستأنس بسحر وجمال شعرها (ضحك وزمجرة استحسان ثم تصفيق حاد) .

السيدة مانديز اتجهت اليها الانظار لتلحظ تأثير التغزل العارى الذى قيل فيها ، وهذا ما أدى بها الى الارتباك ، ثم الى شعور بالدلال بعد حين ، وعندئذ اطلقت زعقة منكرة ... ساد بعدها الوجوم والسكون المطبق ، وتعلقت الانظار بالقادم الجديد ...

كانت خطوات القادم مضبوطة قوية ، تدل على شخصية مسيو (نوايو) . لكم كان عتيدا بقامته المديدة ووجه الصارم ونظراته الحادة .

هنا اقبل المسيو مارتان على أوراقه التي كانت ما تزال فارغة أمامه وقال :

ـ يظهر أنني الآن ساكتب شيئا يستحق الكتابة.

جهر المسيو نوايو :

ـ أريد أن أعبر عن افكارى بوضوح وايجاز وجدية .

أولا ، أعارض تأسيس المدارس الفلاحية القروية ، التي تخصص في برامجها حصصا لتعليم الفلاحة العصرية .

ثانيا ، أعارض بقوة في دخول ابناء الاهالي الى المدارس الفلاحية الثانوية ، وفي التحاق أبناء الأعيان بالمدارس العليا الفلاحية في فرنسا ، ان في ذلك خطرا على مشاريعنا الاستعمارية وخططنا للمستقبل بهذه البلاد التي أخرجناها من العدم ...

ثالثا ، أرجو أن ترسل وفود لزيارة الجزائر ، لدراسة أساليب العمل عند مواطنينا بهذه البقعة من أرض فرنسا . كما أرجو أن ترسل وفود لزيارة جنوب افريقيا ـ مثلنا الأعلى ـ فالخطة هناك محكمة وكل افريقي هو

في خدمة الابيض ، فالافريقي لا يمكنه أن يعمل حرا ، لا بد له من رجل ابيض يسوقه اذ لو ترك فانه ينام حيث هو واقف .

رابعا ، أبلغكم ـ عن طريق مصدر مطلع ـ أن جنرالا حازما سيحل بالاقامة العامة ، ولهذا دعوا هذا الخرف الاشيب المسمى (بونصو) يقضي ما تبقى من الايام مستدفئا باشعة الشمس بمقر ماموريته الاخير بالريزيضانس (فيلا لوريش .)

خامسا ، عليكم أن تكونوا لجنة حازمة قوية التكيمة جهيرة الصوت ، لا تخاف ولا تتردد ، وعليها ان تحصل على المساندة من الغرف الصناعية التجارية لتكون الخطوات متناسقة والخطة موحدة .

اننا اذا لم ننظم صفوفنا من الآن فسيتعاظم الخطر من حولنا ، وكما يقول مثلهم (النار العظيمة من الوقيدة الصغيرة) .

سادسا ، أدعو الى التعبير عن احتجاجكم باتخاذ موقف خارق للعادة لافت للأنظار ...

قال شارل :

ماذا تقترح علينا يا سيد نوايو ؟؟

ـ اقتراحي ارجو أن يقبل بالجد لا بالضحك ، وأن ينفذ فورا .

ـ ما هو ؟

ـ هو أن نستدعي جماعة من الحلاقين .

ـ جماعة من الحلاقين ؟

ـ نعم جماعة من الحلاقين تحلق لنا الرؤوس ، ثم نخرج الى الشوارع بهذه الكيفية المثيرة ، وستكون جموع المستوطنين الفرنسيين معنا ، وهنا يقدر (بونصو) مقدار الضرر الذى يريد أن ينزله بنا .

ـ اقتراح وجيه يا سيد نوايو ، وأنا أول المحلقين مع رفع القبعة .

بكيفية عفوية ، مرر مسيو مارتان راحته على شعر رأسه الناعم المرجل على أحسن حال ، كما داعب شعيرات فوديه المشذبة ، وشعر في داخله بامتعاض لا مزيد عليه .

قالت السيدة منديس :

– نحن النساء لا يمكن أن ننفذ هذا المقترح ... ابحثوا لنا عن وسيلة نعبر بها عن احتجاجنا .

قال موريس الوقوح :

– استحسن الكحل على اعينكن ، والأحمر عن شفائفكن واحللن المشدات عن صدوركن ... ان السيد بونصو سيموت حسرة عند ما لا يجد صدورا منتصبة أمامه !

قالت مدام منديس :

– اخسأ يا سيد موريس ... أنت تؤذي أسماعنا .

– عفوا سيدتي ، لم أقصد اذاية أية حسناء من بينكن ... آه سأذهب حالا الى الحلاق البرتغالي ليحلق لي رأسي حلقا تاما ... ساكون قدوة .

اكتفى المسيو توايو بمقترحاته المحددة بست نقط . ومضى الى مكانه . وهنا خالج ضمير المسيو مارتان هزة عنيفة . فالنقط الست كلها متطرفة ، ولا تدل على تقدير لحقوق الغير .

على كل حال سجل الأفكار الرئيسية ، ثم علق بصره بالشخص الموالي ، وكان شخصا هرما يتجلى العجز في مشيته ، ولما بدا يتكلم كان صوته خفيضا . وهنا صاح أحدهم ، لا شك انه شارل :

– ارفعوا أصواتكم ، أو عودوا الى مكانكم ، ليس المحل محلا للمرضى والعاجزين .

فأعاد من الاول :

– ان ما ساقوله لكم نابع من قلبي الانساني ومن ضميري الفرنسي ... انني من اجل فرنسا حملت السلاح خمسا وعشرين سنة ، ذقت مرارة الأسر والجوع والمشاق المنهكة ... وآسف انني لم أمتهن الفلاحة الا بعد ما فنيت صحتي ، لكن أولادى كانوا خير عون لي ..

كان شارل ما زال لم يغادر القاعة فعلق بصوت مسموع وهو عند الباب :

– هل تتحدث عن أولادك من زوجتك (المروكية) لقد سحرتك هذه المرأة حتى صرت طوع يمينها ، ايها الشيخ (جوان) زد زد ... أنا رائح .

لم يعلق الشيخ جوان على اقوال شارل السفيه ، وانما تابع :

ان الاهالي المغاربة فلاحون بطبعهم ، كسابون بطبعهم، يحبون الارض ويفرحون بانتاجها ،ولا تنقصهم الا الخبرة التقنية الجديدة ... وكما نستفيد من تقنيات أمريكا وكندا واستراليا فانه من حسن المعاملة ان نعلم ... .. (مقاطعة ، وصخب وضجيج وضرب بالأيدى على الطاولة) .

قال أحدهم ، وهو ذو صوت أجش :

– سيد جوان انزل ، واجعل موتك يتم على فراشك الوثير ، لا على طريقة أخرى .

– انا لا اعبا بالتهديد ، مسدسي معي، فاي جبان يحلو له أن يؤذيني عليه أن يتقدم (سكوت مطبق ، وشيء من الرعب ، وصرخة مكبوتة أطلقتها بعض النساء ...)

واغتنم السيد جوان السكوت فمضى يقول :

– سيغيب وجهي ، ويغيب وجه امثالي ، ولكنكم ان لم تحسنوا المعاملة فتغادروا هذه الارض حتما طال الزمن أم قصر . تغادرون قصوركم وضيعاتكم وكل مكتسباتكم ، لن تحملوا معكم الا المتاع ، أما الارض فستبقى هنا لأهلها .

يقول البعض نحن ورثة الرومان ، مع أن الورثة الحقيقيين هم الايطاليون ، فعليهم أن يعودوا ويستولوا على فرنسا واسبانيا واقطار اخرى ومن جملتها المغرب... اى منطق ؟ ! ان الارض مغربية ، وأهلها واعون وذوو غيرة ، لهم دينهم وأنا لست داخلا فيه ، ولهم لغتهم وأنا أجهلها ، ولهم حضارتهم وأنا لست مشغوفا بها ، ولهم تقاليدهم وأنا احترمها ولا أتقيد بها ... قال شارل ، السفيه المعروف كلاما عن زوجتي المغربية ... فخذوها كلمة صريحة ، اني معتز بهذه الزوجة ، بتصرفاتها ، بحسن تدبيرها وطبخها ونظافتها ، طبعها هو الصفاء والاخلاص والتفاني باجلى معنى ، هي في سن الكهولة ، ولها رونق الشباب وبهاؤه ... انها سعيدة ، وتستطيع منح السعادة ... بقيت مسالة حلق الرؤوس ، وهي أضحوكة ستحفظها الاجيال للذين

اقترحوها ، ربما يأتي زمن يكتب فيه المسرحيـــون والقصصيون ، ويرسم الرسامون مناظر هذه المهزلة ، وهكذا يضحك الناس من سخافة عقول بعض الفرنسيين، ابناء العقل والحكمة . لن اشارك في هذه المسخـــرة ، وأتمنى ألا أرى مثل هذه الوجوه مرة أخرى ...

خرج الشيخ جوان وحده ، غير مشبع ولا مضايق، وسار الى سيارته وحرك دوالب المحرك ومضى .

سكت الرئيس المسيو ((ورلو)) فترة بعد خروج هذا الرجل ، وتنبه الى ضرورة مواصلة الاعمال ونادى على المتكلم الخامس .

والواقع ان هذا المتكلم الخامس أتعب الجالسيـن بطول حديثه ، وغموض عباراته ، وبكثرة تطلعه الـى ورقته ...

والخلاصة التي خرج بها المسيو مارتان المقرر ، هي هذه :

• ان الفلاحين الفرنسيين نشطون ، وهو منهم ، ومتمسكون مثله باراضيهم ، وأنه يفرض سلطته على العمال ، كما تفرض زوجته على (القاطمات) ولا تترك لهن فرصة لرد النفس الا عند غروب الشمس ، أمـــا الاولاد فانهم يركبون أقفية أولاد العمال ، ويجعلون منهم شبه حمير أو بغال أو نحو ذلك !

وكأن الخطيب شعر بفتور الجو من حوله ، فرفع صوته ونادى :

ـ أؤيدكم في مسالة حلق الرؤوس ، وساكون اول المحلقين ...

قام سادس الخطباء وقال :

ـ (اكتفي بما قال زملائي من قبلي من أمثال : السيد مورلو ، والسيدة مانديس ، والسيـد شارل ، والسيد نوايو ، والسيد جوان (همهمة وضجيج) .

ـ عفوا ، انني لا أوافق على أقوال السيد جـوان المخرف ... أوافق تماما على حلق الرؤوس ، كما اوافق على السيرة الى مقر مامورية المقيم العـام المسيـو بونصو ، للاحتجاج على تصرفاته نحو المعمرين العاملين الحازمين ، ونطالب الحكومة الفرنسية أن تعجل بارسال الجنرال ، المقيم الفرنسي الجديد (تصفيقات حادة) .

قال الرئيس :

ـ هل من متكلم آخر ؟ لا احد ؟ طيـ ب. المقترح الرئيسي (ان نحلق رؤوسنا ، ونتوجه الى الاقامـــة العامة) . (تصفيقات حادة ، وهتافات التاييد)

خرج الرجال يتسابقون الى صالونات الحلاقين ، بينما بقيت النساء متضايقات من هذه العزلة التـــي فرضت عليهن ، والتي جعلتهن عاجزات عن أى تصرف.

في نفس الوقت انشغل المسيو مارتـان بجمـــع أوراقه ومراجعة ما كتب ، وفي داخليته عزم على ألا يحلق شعره مهما يكن من أمر . وما تنبه الا وشارل واقف عند راسه ، محلوق الرأس بشكل يثير الضحك وصاح :

ـ ألم تذهب بعد يا سيد مارتان لحلق رأسك ؟

ـ لا لم أذهب بعد ، ما رأيك ـ ونحن وحدنا ـ في أن نعقد صفقة بيع وشراء . ؟

ـ بيع وشراء ماذا ؟

ـ ضيعتـي ... !

هل تقبل مليون ومائتين من الفرنكات ...

ـ اريد مليونا وثلاثمائة ...

ـ مـوافـق .

وحرر السيد شارل شيكا لدى (كريدى ليوني) بالمبلغ المتفق عليه ، وقبل أن يسلمه الشيك قصدا الى مكتب الموثق ، ومن هناك الى البنك حيث تسلم المسيو مارتان المبلغ نقدا .. وعندئذ كان وقت المسيرة المحدد قد فات ...

بعض جوانب الدعوة الملكية إلى البعث الإسلامي

الإلتزام بالأصالة والتشبث بالكرامة

للأستاذ أبو عبدالله عبدالقادر البوشيخي

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين :

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (*) نسى آدم عليه السلام وحواء ، والنسيان آفة الانسان ومشكلته العصية قديما وحديثا . نسيا التحذير الالهى وأكلا من الشجرة المحرمة باغراء من الشيطان واستجابة لدعوته التى صورت لهما الاكل من الشجرة خلودا وملكا لا يبلى . (ودعوة الشيطان اليوم هى كل دعوة تهدف الى فصل ارتباط الانسان بالسماء، وتوهمه ان الحياة الارضية خالدة ، ولا شىء غيرها). فاهبطا الى الارض التى هيأها الخالق سبحانه لتكون لهما ولابنائهما مستقرا ومتاعا الى حين . وتناسل الابناء وتفرقوا فى الارض وتشعبوا شعوبا وقبائل وامما ومجتمعات . وطال الامد ، وقست القلوب ، ونسى الناس ماضيهم السماوى وكفروا بربهم ، ونسوا أصلهم المشترك فطغا بعضهم على بعض وبغى . والانسان عند ربه كريم رغم زيغه وبغيه وضلاله وانحرافه . فكان لابد من تذكيره وهدايته وارشاده ، تحقيقا لقوله تعالى : « .. اهبطوا منها جميعا ، فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون » (1) وهكذا توالى الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه (2) . وكل واحد منهم يحمل لقومه رسالة ذات شقين : عقيدة (3) تذكر الانسان بربه ، وتعيد ربط صلته به، وتنظم علاقته معه ، وشريعة (4) تنظم علاقاته بأخيه وبالمادة والكون واضيفت الى رسالة المتوسطين وما بعدهم مهمة التذكير بما اصاب الامم التى كذبت رسلها (5) . وبلغت الانسانية رشدها ، ووضعت اللبنة الاخيرة فى بناء الرسالات ، وجاء محمد صلى الله عليه وسلم خاتما لها (6) ، وبشيرا ونذيرا وسراجا للانسانية كافة (7) وما كانت رسالته عليه السلام لتخالف رسالات سابقيه صلوات الله عليهم وسلامه . وهم الذين كانوا عنه نوابا (8) وبه مبشرين (9) . والذى يرجع

---

* طه 115 .
1) البقرة 38 — 39
2) وان من أمة الا خلا فيها نذير (فاطر 24)
3) العقيدة مطلقة من قيود الزمان والمكان ، لا تتغير من رسول لآخر :
أ — ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (النحل 36)
ب — شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (الشورى 13)
4) الشريعة مقيدة بحدود الزمان والمكان ، ومتغيرة من رسول لآخر : « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (المائدة 48) الا شريعة محمد عليه السلام . فهى للناس كافة ولا شريعة بعدها تنسخها
5) ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (القصص 43)
ب — « انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (القمر 31 — 32)
6) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين (الاحزاب 40)
7) أ — « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون (سبأ 28) .
ب — « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ... (الاعراف 158)
8) واذ أخذ الله ميثاق النبيئين .. الخ (آل عمران 81)
9) واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد . (الصف 6) .

الى القرآن الكريم يلاحظ الحاحا متزايدا على التذكير ، فلا تكاد تخلو سورة من لفظ التذكر او مشتقاته . وارى من المفيد ايراد البعض على سبيل المثال — والتذكير ايضا — : « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى » (10) « فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » (11) « ولقد يسرنا هذا القرآن للذكر فهل من مدكر » (12) « ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا » (13) ووصف الله القرآن فقال عنه سبحانه : « ان هو الا ذكر للعالمين » (14) « وانه لذكر لك ولقومك » (15) « المص ، كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » (16).

وهكذا كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكيرا . تذكير الناس بأصلهم السماوى (17) فيرفعوا رؤوسهم الى اعلى ، وتذكيرهم بخالقهم ليعبدوه ويطيعوه ، وتذكيرهم بأصلهم المشترك ليتحابوا ويحسنوا المعاملة ، وتذكيرهم بما اصاب المكذبين بالرسالات ليرعووا ويتقوا العذاب الدنوى والاخروى

والتحق محمد عليه السلام بربه بعدما مهد الطريق(18) الذى رسمه القرآن الكريم للبشرية قاطبة. وطال الامد وقست القلوب (19) ، وانحرف الركب وزاغ . فكان لابد من مذكر يذكر الناس بالمنهاج الذى خطه الخالق لعباده ، ويرشدهم الى سبيل القرآن الكريم والسنة النبوية وصراطها السوى السليم. وهكذا توالى المجددون والمصلحون الذين وعد عليه السلام ببعث احدهم على راس مائة سنة . منهم من ظهر واشتهر ومنهم من ادى مهمته دون أن يذكره احد . من الامام الغزالى الى محمد بن تيمية الى محمد بن عبد الوهاب الى محمد بن علي السنوسى ، غفر الله لهم أجمعين .

ومن المولى ادريس الى عبد الله بن ياسين الى المهدى بن تومرت الى محمد بن عبد الله الى الحسن الاول ، قدس الله ارواحهم أجمعين . ثم طال الامد بعد جلالة الحسن الاول طيب الله ثراه ، ونسينا مرة اخرى وانحرف الركب المغربى وزاغ ، واطعنا اوامر الشيطان (واوامره تتجسد الان فى هذه الدعوات المادية، والاديولوجيات الهدامة التى تحاول أن تخرج الشعوب الاسلامية من جنة الايمان الى نار الالحاد ، وان تهبط بها من سماء الاصالة الى ارض التقليد الاعمى والتبعية والميوعة الفكرية والاجتماعية) . فكان لابد من مذكر يذكرنا بالمنهاج الربانى وما يفترضه من طاهرة الروح والاستقامة فى السلوك ، وحسن المعاملة . مذكر يعيد ربطنا بالمبادىء الاصلية والقيم الروحية التى جعلت من المغرب منارة اشعاع عالمى فى القرون الوسطى . وكان المذكر المنتظر هو جلالة الحسن الثانى ايده الله ونصر دعوته وبلغه مقصده . (يرجع الى المقال الذى كتبه الداعية الاسلامى فضيلة الاستاذ سيدى عبد الله كنون ، والذى ربط فيه بين دعوة جلالتى الحسن الاول والحسن الثانى (20) وقد اشار جلالته الى كون الدعوة الى البعث الاسلامى تذكيرا ، فقال فى رسالة ملكية خص بها مجلة « دعوة الحق » :

« عندما استقر عزمنا على أن تكون هذه السنة سنة بعث اسلامى ، وخاطبنا شعبنا الوفى بما اختلج فى صدرنا وجال بفكرنا ، فان نيتنا اتجهت فى الواقع الى تأدية امانة امام الله سبحانه ، وامام التاريخ الذى خلد الكثير مما فعله اجدادنا المنعمون فى هذا المضمار .. لقد قمنا بتذكير شعبنا والذكرى تنفع المؤمنين بأن المعاملة بالحسنى وطهارة الروح وراحة الضمير هى المحصنات الضرورية ضد الزيغ والانحراف وانفصام حبل التشبث بالمبادىء الاصيلة والقيم الروحية المرعية فى هذه البلاد » (21) .

---

10) الاعلى 9 — 10 .
11) الغاشية 21 — 22
12) القمر 31 — 32
13) الاسراء 41
14) التكوين 27
15) الزخرف 44
16) الاعراف 1 — 2
17) الاكثار من ذكر قصة آدم عليه السلام ، ولذلك غرضان :
ا — الاشعار بكرامة الانسان الذى سجدت له الملائكة .
ب — التحذير من مغبة الغواية واطاعة أوامر الشيطان التى أخرجت آدم من الجنة .
18) تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنة رسوله .
19) يربط القرآن الكريم بين التذكر ولين القلوب وخشوعها وخشيتها ، وبين النسيان وقسوتها ، « الم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (الحديد 16)
20) دعوة الحق عدد مارس 73 ص 10 .
21) نفس المصدر

الاصالة نوعان : انسانية وقومية . الاولى اصالة الانسان (ايا كان الانسان ومتى وكيف ، الانسان السماوي والارضي ، الاحمر او الابيض او الاسود ، انسان العصر الحجري او الذري الحالي او الشمسي الذي لاشك انه آت) والثانية اصالة امة او مجتمع او قوم .

اصالة الانسان وحقيقته وجوهره صلة متينة وارتباط وثيق واصرة قوية تربطه بخالقه ومصدره ومسويه بشرا سويا . « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (22) تلك هى صلة الله بالانسان روح الهية ينفخها فى مادة ميتة جامدة فاذا هى تتحرك وتتكلم ، وتفكر وتفهم . وتلك الصلة هى اصالته واصله الاصيل ، ومن أجلها كرمه البارى عز وجل ، كرمه عند ما أمر الملائكة بالسجود له ، وكرمه ثانيا عند ما كلفه بمهمة الخلافة فى الارض ، وكرمه ثالثا عند ما اصطفى واختار من بين افراده نخبة كلفها بهداية الناس الى اقوم الطرق لتحقيق الخلافة ، وارشادهم الى اسلم السبل لتحقيق السعادة والرقى المتوازن السوى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (23) (وكرم المسلمين خاصة « كنتم خير امة اخرجت للناس » عندما وضع بين ايديهم دستورا الهيا خالدا ، حفظه من الضياع والتزييف والتشويه الذى أصاب الكتب الاخرى ، وجعله حجة على الزيف والفساد والتحريف . « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والتكريم درجات ، فعلى اى اساس تنطبق صفة الكريم او الاكرم ؟ على اساس الجنس ، والحالة اننا جميعا يجمعنا جنس الانسان ؟ ام على اساس اللون ، وما تعددت الوان ابناء آدم الا تحت تأثير المناخ والبيئة الجغرافية ؟ « ... ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (24) الاكرم هو الاتقى وبعبارة أخرى هو الذى لم تنقطع صلته بربه ، بل هى قوية متينة تذكره فى كل وقت وحين بأصله الروحى وماضيه السماوى فيشعر بقيمته وكرامته وقربه من خالقه ومراقبته له ، فيتقى ويستقيم ويعلو ويسمو ، فيكرمه الخالق سبحانه تبعا لاستقامته وتقواه ، الكرامة اذن مرتبطة بالاصالة . والاكرم عند الله هو الاصيل المتين الصلة به ، ولا صلة ولا آصرة الا روحه ، ولا حبل ولا سبب غير القرآن الكريم الذى هو ايضا روح (24) .

تلك هى كرامة الاصالة الانسانية ، وهناك كرامة الاصالة القومية : الانسانية ليست امة واحدة، بل هى امم مختلفة (ودعك من دعوى الانسانية المزيفة التى تبشر بها وتروج لها الجمعيات الماسونية الهدامة بهدف تدمير الاديان والجنسيات والقوميات ليخلو عرش الخلافة للصهيونية ودينها المحرف) فالاختلاف من سنن الله ، « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم»(26) هكذا يقرر الخالق سبحانه ان الاختلاف مقصود وهدف من الخلق (27) ولاشك ان ذلك لحكمة الهية وهو الذى لا يفعل شيئا عبثا . فلابد اذن من الاختلاف ، ولابد أن يكون لكل مجتمع شخصية معينة تنبثق جذورها من اصالة عريقة تميزه عن باقى المجتمعات .

وتقليد امة لغيرها — فكريا أو عمليا — تقليدا أعمى الغاء لحكمة الاختلاف (28) ، والغاء للاصالة ، وبالتالى الغاء للكرامة القومية . وقد أشار صاحب الجلالة الحسن الثانى الى ارتباط التكريم بالاصالة والتقوى فقال فى الرسالة السابق ذكرها :

« لقد كرم الله المسلم — كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد ، ليقدم ، وباستمرار كحجة على الزيف والفساد والتحريف .

— كرمه بربط قيمته بتقواه ، بصرف النظر عن لونه وسلالته .

22) سورة ص 71 — 72 .
23) الاسراء 70 .
24) الحجرات 13 .
25) وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . . . (الشورى 52)
26) هود 118 — 119 .
27) يرى بعض المفسرين أن الاختلاف المذكور هنا اختلاف فى المعتقدات الدينية . وهذا لا يمنع من أن يكون اختلافا فى النظر الى الحياة ، وفى الانظمة الاقتصادية والاجتماعية ، وقد رأينا فى الاية 13 من سورة الشورى أن الاختلاف فى الدين منهى عنه .
28) والمخالفون للحكمة الالهية هنا يمسخهم « قردة » مقلدة ، واذنابا تابعة ، وكلابا تحت موائد الاقوياء تابعة .

— كرمه اذ ابعده عن التقليد الاعمى ، التقليد الذى يسىء الى الاصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة » (29)

تلك فكرة وسنرى كيف تصبح واقعا معاشا عند الحديث عن احياء التعليم الاصيل وجامعة القرويين ، واقامة الاشتراكية المغربية على اساس نظام الجماعة المغربية .

التقليـــد والاصالـــة

يرى علماء النفس ان التقليد غريزة بشرية تظهر فى مرحلة معينة ، وفى حالة الضعف خاصة . فالاطفال يقلدون والديهم واهليهم فى كيفية السير والاكل والكلام ، وفى الاداب والعادات الاجتماعية ، ثم فى المعــارف والعلوم والخبرات والتجارب ، غير ان التقليد يقــف عند حد تتلوه مرحلة الانتاج والابتكار ، والا تجمــد المجتمع وانتكس وارتكس . ومن يقف يرجع الــى الوراء . اذ الركب الحضارى لا ينتظر احدا .

وكما يقلد الصغار الكبار تقلد الامم الضعيفة من اقوى منها . الامم ليست على درجة واحدة فى الرقى الحضارى والعلمى . ولكى تتطور الامم المتخلفة وتساير عصرها ، لابد ان تقلد من هو اكثر منها تقدما وارقى حضارة . ولولا التقليد الاممى لما تجددت المعـــارف الانسانية ولما انتقل مشعل الحضارة من قارة الــى اخرى ، فلقد قامت الحضارة الحديثة على اســاس العلوم الاسلامية ، كما قامت الحضارة الاسلامية على اساس المزج بين الثقافة الاسلامية وعلوم ومعارف اليونان والفرس والهنود والرومان .

غير انه لابد من مراعاة شيئين :

ا — يجب ان يقف التقليد عند مرحلة معينـــة ، تتلوها مرحلة الاستقلال والابداع الذاتى الاصيل .

(فقد انتهت مرحلة النقل والترجمة فى العصــر العباسى الاول ثم جاءت مرحلة الابداع الاسلامى) (30)

ب — لابد من اعمال الفكر والروية فيما يقلد وينقل ويقتبس ، ثم المقارنة بينه وبين عناصر الاصالـــة القومية ، وطرح ما يناقضها او يسىء اليها . وهذا هو التقليد الواعى ، والاعمى نقيضه ، ومن المفيد هنا ان استشهد بحديث نبوى رغم انه قيل فى حادثة صغيرة : « لا يكن احدكم امعة يقول انا مع الناس ان احسنوا احسنت وان اساؤوا اسأت ، ولكن وطنوا انفسكم على ان احسن الناس ان تحسنوا معهم ، وان اساؤوا ان تتجنبوا اساءتهم » فالتقليد الاعمى اساءة وميوعـــة وانحلال ، وعند ما ننظر الى حضارة الغربيين من خلال هذا الحديث النبوى ، فاننا نرى فيها احسانا يجب ان نعمل مثله فنحسن كما احسنوا ، واساءة — للاصالة الانسانية والقومية — يجب ان نتركها فنتجنب اساءتهم

تتركب الحضارة الحديثة — الغربية بشقيهـــا والصينية واليابانية — من شيئين لا ثالث لما :

ا — علوم مادية نظرية وتطبيقية مجردة ومطلقة من عوامل البيئة الجغرافية كالرياضيات والكيميـــاء والفيزياء والطب ، وهذه لا خوف منها ولا خطر اطلاقا فى نقلها والتقليد فيها ، اذ لا علاقة لها بالاصالـــة القومية . فالمعادلة الرياضية الواحدة تحل فى موسكو وباريس وواشنطون ، والخارج لا يتغير من بلد لآخر . وليست به رائحة روسية او مذاقا فرنسيا او نكهة امريكية . والمادة الكيماوية الواحدة تحلل فى مخابـر طوكيو وبكين وبون ، والناتج نفس العناصر لا تزيد فيها او تنقص نظرة الحياة اليابانية او المعتقـــدات الصينية او الفلسفة الالمانية .

فهذه العلوم المادية لا صلة لها بالأصالة القومية احساناواساءة ، او بالعقيدة الدينية نفيا واثباتا . ونحن اولى من يســارع الى نقلهـا وتعليمها وتطويرهـا لا لان المعاصرة تفرض علينا ذلك فقط ، ولكـن لان ديننا يحض على تعلم العلوم النافعة ، ويدعو الـــى الاستفادة منها لتحقيق الخلافة فى الارض على وجـه ارقى وافضل .

ب — علوم انسانية : فلسفات ، اداب ، مذاهـب اقتصادية واجتماعية . وهذه مقيدة بحدود البيئـــة الجغرافية وفيها تبرز عبقرية الشعوب واصالتهــا ، ونظرتها الى نفسها والكون . فنظرة المغربى الى نفسه والحياة ليست هى نظرة الامريكى . ونظرة هذا تخالف

---

(29) دعـوة الحـق عدد مارس 73
(30) « ا » حضـارة العـرب لغوستـاف لـوبـون .
البـاب الخامس من ص 433 الى 494 .
« ب » شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الالمانية زيغريد هونكـه .
الكتاب الخامس من ص 353 الى ص 399

نظرة الروسى ، وما يراه الهندى يخالف ما يراه الانجليزى ، وهنا لابد من الحذر عند التقليد والنقل والاقتباس ، فما يصلح لشعب ليس بالضرورة صالحا لكل الشعوب ، بل قد يكون للاخرين مضرا ، ولنا فى اجدادنا قدوة واسوة حسنة ، فلقد نظروا الى علوم السابقين واخضعوها لمقياس العقيدة الدينية والبيئة الاسلامية ، فأخذوا العلوم المادية الصرفة وجانبا من الفلسفة الالهية التى لا تعارض النظرة الاسلامية فى الجوهر ، وتركوا الاداب والاساطير الدينية والفلسفة الاجتماعية ، لانها مناقضة للبيئة العربية والمعتقدات الدينية .

لقد اساء الادب اليونانى القديم الى العلاقة بين الله والانسان ، عندما عدد الالهة وانزلها من عليائها وادخلها فى صراع ضد بعضها وضد الانسان ، وكانها فرد من افراده تغار وتحسد وتحقد وتكره وتنتقم ، واساءت الفلسفة الحديثة الى الانسان عندما قطعت كل صلة له بالسماء وجعلته .جرد حيوان يعيش ويتناسل ثم يموت ولاشىء بعد ذلك ، اساءت اليه الفلسفة الاجتماعية القديمة عندما قسمت المجتمع الى طبقتين ، طبقة السادة وطبقة العبيد ، واساءت اليه المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الحديثة عندما قسمت المجتمع قسمين : اقلية غنية واكثرية فقيرة . ولا فرق هنا بين اليساريين او اليمينيين ، اذ الثروة والمال — او العجل كما قال الدكتور المهدى بن عبود فى احدى محاضراته — تستحوذ فى الغرب على الافراد والشركات ، وفى الشرق مجموعة حاكمة تتالف من رئيس الحزب ومندوبيه وممثليه ، هناك يعلق العجل من اجل ارباب الشركات الاحتكارية وهنا يذبح فى معبد الدولة . وما على الشعب فى كلا النظامين الا ان يكد ويكدح . فى الغرب انانية واثرة واحتكار ، وفى الشرق احقاد وكراهية وبغض . اين الاخوة الانسانية فى كلتى النظرتين ؟ واين ذلك من فلسفة الاسلام ونظرته الى الانسان وتوزيع الثروات (31) ؟ وهل من الحكمة وسداد الراى ان نقلد فى هذا المجال ؟ عند ما نفعل ذلك فاننا نسىء الى أصالتنا الانسانية والقومية معا ، نسىء الى اصالتنا الانسانية لان الفلسفة الغربية بشقيها فلسفة مادية صرفة تربط الانسان بالواقع المادى وتصرف وجهه عن السماء ، ولا تؤمن بـ « ... ونفخت فيه من روحى » .

وتنفى كل فكرة عن الله والروح . ونسىء الى اصالتنا القومية لان نظرتنا الى الانسان والمجتمع والعلاقات الاجتماعية ، والاخوة الانسانية والمحبة والتعاون الانسانى تخالف نظرة اليساريين واليمينيين معا . اخلص من هذا الاستطراد الى القول ان العلوم المادية مرغوب فى نقلها والتقليد فيها ، اما الانسانية فلا ، لانه لنا فيها رصيد ضخم ، ولانها تسىء الى هذا الرصيد الاصيل .

(والغريب ان الغرب يغرقنا بآدابه الماثمة وفلسفاته المادية الملحدة ، فى الوقت الذى يضن فيه علينا بعمله وصناعته ! فهل يحدث هذا صدفة ؟ أم ان هناك خطة محكمة لتمييع الشعوب الاسلامية وابقائها متخلفة وتابعة ؟)

وقد تطرق صاحب الجلالة الحسن الثانى سدد الله خطاه — فى نطاق دعوته المباركة الى البعث الاسلامى — الى موضوع النقل والتفتح على الحضارة المعاصرة . وبين جلالته ما يجب تعلمه واخذه . وهى العلوم المادية واللغات ، لانها وسيلة الى نقلها . ومثل لذلك بما فعله اجدادنا الاقدمون ، فقال اعزه الله فى كلمة توجيهية امام اللجنة المكلفة بتطوير التعليم الاصيل : « فاللغة العربية لم تصبح لغة عالمية الا بعد ان تعلم العلماء العرب اللغات الاجنبية التى بها ترجموا الى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والحيسوبيين والاطباء الروم منهم والفرس واليونان وما اشبه ذلك .

فاذن نرى ان اللغة العربية لم تكتف بأن تعيش منطوية على قرانها بل لم تتمكن من انتغزو كأداة للغزو حتى قبلت ان تتعامل وتساير حضارات ولغات اخرى ونحن اذ نريد ان ترجع الى الاصل وخلق علماء ، علماء بكل معنى الكلمة ، نريد ان نجعل من علمائنا علماء مشاركين سواء فى ميدان اللغة العربية او الشريعة او الآداب ، ولكن مشاركين كذلك فى المعمعة العالمية التى يخوضها العالم بجانبكم وحتى لا يبقوا جانبيين عنا » (32) .

وبين أعزه الله ما لا يجب نقله كالاشتراكية الاجنبية — وقد تقدم ان فى نقل الانظمة الاقتصادية والاجتماعية اساءة لاصالتنا الانسانية والقومية — فقال نصره الله فى خطاب عيد الشباب سنة 73 .

---

31) يرجع الى العدالة الاجتماعية فى الاسلام لسيد قطب .
32) دعوة الحق مارس 73 .

« فاذن شعبى العزيز انطلاقتناهذه ، الانطلاقة الاجتماعية والاقتصادية التى ترمى الى خلق اشتراكية مغربية ، لا اشتراكية تاتى فى حقائب ، ولا اشتراكية تاتى فى صحف ، ولا اشتراكية نقراها فى كتب دراسية بكليات فى الخارج ولكن اشتراكية مغربية محضةتطابق اصولنا واصالتنا » (33) .

فالعلوم المادية ــ كما تقدم ــ مجردة من عوامل البيئة الجغرافية والاجتماعية لا تتغير اذا انتقلت من قطر الى آخر ، بخلاف العلوم الانسانية والانظمــة الاقتصادية والمذاهب الاجتماعية، فانها خاضعة لعوامل البيئة ، كالنباتات والاشجار ، تتغير وتقل قيمتهــا او تنعدم اذا انتقلت الى بيئة مغايرة ، فالنخيل يعطى تمرا فى طانطان وفى طنجة يصبح مجرد زينة تمتع العــين ولا تشبع البطن ، وهذا ينطبق علــى الاشتراكيــة الشرقية ــ الاصفر منها والاحمر ــ اذا انتقلت الى تربة كالمغرب الذى ابتكر ابناؤه نظام الجماعة التى لم يتفتق عنها ذهن ماركس ولا ماو ، ولا مالهما من اذناب وتابعين ومقلدين .

الجامعــة والجماعــة والمقيم العام

« اذا كنت تجهل عناصر قوتك ، فانظر اين يوجه عدوك سهامه » ذات يوم قال المقيم العام المارشال اليوطى : « لا اخشى على الوجود الفرنسى بالمغرب الا من هؤلاء الرجال الذين يدخلون الى هذه البناية التى يسمونها جامعة القرويين ويخرجون منها وقبابهــم مسدولة على رؤوسم » لقد كان المارشال الذكــى صادقا فيما قال ، صادقا فى تصوره لمركز القـــوة ، صادقا فى تخوفه وتنبئه .

ان الاستعمار اينما كان وحيثما حل لا يعتبــر احتلاله للارض الا مرحلة وقنطرة لاحتلال القلــوب والنفوس ، وان احتلال الحاضر لا يمكنه أن يمتد الى احتلال المستقبل البعيد الا « باحتلال » الماضــى . واحتلال الماضى كماضى يعنى قطع كل صلة للامــة المغلوبة بماضيها وتاريخها وامجادها وعناصر قوتهــا واصالتها ، لتصبح كشجرة بلا جذور يسهل استئصالها وغرسها فى تربة فكرية ومناخ ثقافى جديد .

والوسائل لتحقيق ذلك متنوعة ، منها تشويــه الماضى وتزييفه وتلطيخه ، ومنها وضع حاجز نفسى بينه وبين ابنائه حتى لا يلتفتوا اليه ابدا ، وان فعلــوا فلن يروا الا سوادا ، ومنها خلق حاضر مزيف يبدو مشرقا لامعا وجذابا للعقول والقلوب والابصار ، وكل هذه الاحلام الاستعمارية لن تصبححقيقة وواقعا معاشا اذا كان هناك مركز يشع منه الماضى بثقافته وحضارته وامجاده ، وكانت جامعة القرويين هى ذلك المركــز والمنارة ، كما كانت ايضا ذلك السور المنتصــب فى الجانب الثانى من القنطرة ــ المحتلة ــ والصامــد حائلا ومدافعا وذائدا عن حياض المغرب وكرامتــه واصالته ، ومن هنا انبثق خوف المقيم العام علىالوجود الفرنسى بالمغرب ، واتجهت نيته الى هدم هذه المنارة وتحطيم ذلك السور الحاجز .

ولكن الجامعة العتيدة كانت اقوى مما تصــور المارشال الذكى . والاستعمار لا يمتلك فى جعبتــه سهما واحدا ، فبعد ان فشل الهجوم المباشر اتجه الى اسلوب آخر يسمى اسلوب الحصر والعزل وكــف الفعالية ، وهكذا احيطت الاسوار ــ الفكريــة ــ حول جامعة القرويين ، واهملت وتركت لشأنها . فتجمدت مناهجها وتخلفت عن مسايرة العصر . كما فعلــت انجلترا بجامعة الازهر (34) ــ والمقصود من عملية الحصر والعزل هدفان :

ا ــ ان يكون تخلف الجامعة شاهدا وحجة ودليلا على تخلف الماضى وانحطاطه .

ب ــ ترك الجامعة تموت « عرقا عرقا » الى ان تتلاشى نهائيا دون ضجة واثارة انتباه .

وقد نجح خلفاء المقيم العام فى تحقيق الهــدف الاول نجاحا تاما ، وكاد يتحقق الهدف الثانى لولا ان تدارك الله سبحانه الجامعة العريقة بلطفه ــ وطالما رددت جنباتها يا لطيف يا لطيف ــ فيهأ لها باعثا محييا ومجددا ، هو امير المؤمنين الحسن الثانى خلد الله فى المجددين والمصلحين ذكره .

فقد انطلقت حركة البعث الاسلامى المباركة فى عدة خطوط متوازية . خط روحى يقوى صلة المغاربة بربهم ، وخط فكرىيعيد ربطنا بثقافتنا العريقة الاصلية، واتخاذها منطلقا للتفتح علىالثقافة المعاصرة، واساسا للانطلاقة الاقتصادية والاجتماعية . وفى هذه النقطة خاطب صاحب الجلالة نصره الله اللجنة المكلفة باحياء التعليم الاصيل وجامعة القرويين وتطورهما :

دعــوة الحــق اكتوبــر 73 .

(34) الحلــول المستــوردة . ج 1 ص 28 .

« اننا حين كنا نخطط تخطيطاتنا الاقتصادية والاجتماعية ، والتعليمية لم نكن بغافلين عما يرجع من نصيب وافر فى هذا التخطيط للتعليم الاصيل ، ولا اقول الاصلى واريد ان اسميه بالتعليم الاصيل ذلك ان الاصلى يمكنه الا يبقى أصيلا ، ولكن الاصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات ، الماضى منها والحاضر ، اعتبارا منا ان مخططنا الاقتصادى والاجتماعى لا يمكنه ان يعطى نتائج ولا يمكن ان يدر علينا بالخير اذا كانت تلك المخططات فى مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللاصالة المغربية » (35)

وبين جلالته الوسيلة لتحقيق هذا الهدف فقال :

« لذا ارتأينا ان نضع لجنة ترأسها وزير الدولة الحاج امحمد أبا حنينى ، وكانت تشتمل على وزارة التعليم ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وبعض الموظفين السامين ، ومن لهم خبرة بمشاكل التعليم ومشاكل الثقافة واعطينا الى هذه اللجنة تعليماتنا المدققة حتى يمكنها أن تبرز الى الوجود برنامجا منسقا منطقيا يفتح أمام كل من اتبعه منافذ شتى ، لا يمكن ان تكون منافذ للترفيه ولا منافذ هدايا ، ولكن المنافذ التى نحن فى أمس الحاجة اليها وذلك بأن قررنا أن يكون التعليم الاصيل هو التعليم الاساسى لكل مغربى» (36)

وجامعة القرويين ، والفكر المغربى والحضارة المغربية جدول من النبع الاسلامى ، لذلك قرر جلالته ربط عملية البعث والاحياء بالفكر الاسلامى ، فقال أعزه الله فى الرسالة الملكية التى خص بها « دعوة الحق » :

« وجاءت المناسبات منذ خاطبنا شعبنا العزيز لوضع صيغ عملية تقضى بسعينا الى بلوغ القصد والوصول الى الهدف . فابرزنا تصميمنا على وجوب التفكير فى اطار الفكر الاسلامى وبلغة الفكر الاسلامى حتى تستنير لجيلنا الحاضر ولاجيالنا المقبلة طريق التوحيد وسبيل الحق والهداية » (37)

اما الخط الثالث من عملية البعث الحسنى فيهدف الى ربط المغاربة بالارض والانتاج ، على أساس سليم من رصيد الماضى ، وتحت ضوئه واشعاعه ، وذلك باقامة الاشتراكية المغربية الاسلامية على أساس مغربى أصيل ، يتجاوب مع مشاعرنا ، ويجسم نظرتنا وتصورنا لطبيعة العلاقة بين الانسان والارض وخيراتها .

فاذا كانت العلوم المادية مشاعة ومجردة ، ولا رائحة لها ولا لون ولا نكهة ولا خوف من استيرادها ، فان الوضع يختلف عندما يتعلق الامر بعملية يمتزج فيها الفكر بالمشاعر والعواطف المرتبطة بالكرامة والاصالة ، فالتقليد هنا تعطيل للابداع القومى والغاء للحكمة الالهية من اختلاف الشعوب (38) فى سبيل معيشتها ، وهو بالتالى اساءة للكرامة والاصالة القومية .

فاشتراكيتنا لا يمكن ان تكون اشتراكية مستوردة (وقد رأينا نتائج الحلول المستوردة على نطاق العالم الاسلامى (39)) ولا يمكن ان تكون مغربية صميمة أصيلة . فما هو الاساس المغربى الاصيل ؟ فى خطاب عيد الشباب سنة 73 شرح صاحب الجلالة اعزه الله الخطوط العريضة للانطلاقة الاقتصادية والاجتماعية الحديثة فى نطاق الاشتراكية المغربية الاسلامية ، وبعد ان تحدث جلالته عن تجربة اشراك العمال فى ارباح بعض المعامل ، انتقل اعزه الله الى الحديث عن الارض فقال : « بقيت الصفحة الثانية : أخطر من الاولى بالنسبة لانعكاساتها ، وبالنسبة لما يمكن ان يترتب عنها ، اما عن نجاحها وعدم نجاحها ، ذلك اننا نريد ان نعيد تجربة جديدة فى استثمار الاراضى المسترجعة التى استرجعناها اخيرا بظهير شريف مؤرخ فى 2 مارس .

نحن حاولنا ان نعرف الخلية التى سنبنى عليها عملنا ، وتبادرت الى ذهننا خلية الجماعة ، ومما يؤسف له شعبى العزيز وشبابى المتوثب ان الجماعة المغربية لم يدرسها احد من المغاربة ، ولم يكتب من المغاربة — والحالة هذه — والله .. أقول والله لو وجد لينين فى روسيا سنة 1917 لو وجد قاعدة كقاعدة الجماعة لاتخذها لبناء الاشتراكية السوفياتية » (40)

لماذا هذه الاشارة من جلالته الى الاشتراكية السوفياتية ؟ الاشتراكية الشيوعية — كما تقدم —

35) دعوة الحق مارس 73 ص 7 .
36) نفس المرجع ص 8 .
37) نفس المرجع .
38) يرجع الى الهامشين 27 و 28 .
39) يرجع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا . ج 1 فصل فشل الحل الاشتراكى ص 141 .

اشتراكية صرفة . تهتم بجانب واحد من جوانب الانسان — أرجو الا يمل القارىء الكريم اذا كررت الكلام عن هذه النقطة ، فان ذلك من باب وذكر .. — وهو جانبه الجسدي المادي . فالانسان — في نظرها ليس له من هم الا أن يشبع حاجاته الضرورية — من غذاء وملبس ومسكن وما يتصل بذلك . فلا شيء غير الارض ولا شيء غير الجسد . وكأن الانسان لا تحتوي اعماقه قبسا من روح الهية تربطه بالسماء ، وتسمو به عن الحيوان الاعجم وترفع راسه الى اعلى ، الانسان والحيوان في الشيوعية سواء ، كل شيء مباح في حدود انظمة الدولة وقوانينها التي لا يهمها الا زيادة الانتاج ، وتسخير العامل والفلاح ، وتحويل دمائهما الى بترول لادارة دواليب الآلة الضخمة التي يسمونها الدولة ، (ليتذكر القارىء الكريم اشارات صاحب الجلالة ايده الله الى فكرة اللا مركزية واوامره السامية بتطبيقها في مختلف الميادين) الدولة عندهم هي كل شيء ، وما الفرد الى مسمار صغير حقير يتآكل فيعوض بغيره . الدولة هي الخالق الجبار الموزع للاقوات والارزاق ، وقوانينها هي كل ما كان وكل ما يكون ، اما القوانين الالهية والخلقيةفخرافة يجب التخلص منها ونبذها ، ليستطيع الانسان ان يحقق حيوانيته دون رقيب أو تانيب ضمير . (وبالتالي تحقق انتكاسه وارتكاسه وسقوطه في اسر شهوات نفسه وقيودها واغلالها) ذلك هو تصور الاشتراكيةالشيوعية للانسان ، فما هي نظرة الجماعة المغربية اليه ؟ وفي اي طريق تقوده ؟

الجماعة المغربية لا تعتبر اشباع الحاجات المادية الا جانبا صغيرا من جوانب الانسان ؟ فهو في نظرها انسان ذو أبعاد عديدة ، فهناك اولا البعد الانساني ، وهنا تدعو الى تعاون الافراد . وتحابهم وتكافلهم ، والعمل لما فيه مصلحة الجماعة استجابة لقوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان » وتطبيق للجزء الثاني المتعلق بالنهي الالهي ، فانها لا تقف من الاثم والمنكر والبغي موقفا سلبيا ، لانها تعرف ان العقاب الاخروي اذا كان فرديا ، فان الدنوي جماعي (41) . ولذلكتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم هناك البعد الوطني ، اذ كانت تسلح أفرادها وتعدهم للدفاع عن الوطن اذا ما حاول عدو احتلاله واستباحة محارمه ، وفي ذلك بعد ديني ايضا اذا كانت تعتبر الدفاع عن الوطن جهادا في سبيل الله ، وقد اشار صاحب الجلالة الحسن الثاني ايدهالله وسدد خطاه الى مميزات الجماعة المغربية فقال :

« ذلك ان الجماعة فيها التعاونيات والجماعة فيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجماعةكانت فيها توزيع — التويزة — وتوزيع الماء الجماعة كان واجبها حفر الابار ، الجماعة كان من حقوقها كذلك أننظر في مسائل الحرب او السلم بين القبائل ، كان كل شيء يتمشى في الجماعة بالرايوالاستشارة والشورى لا بالضغط ولا بالقهر .. » (42) وفي معرض حديث جلالته عن اسباب ضعف نظام الجماعة ، ذكر من بينها تصدي الاستعمار لها ، وعمله على التقليل من قدرتها بسبب مقاومتها المسلحة للاستعمار الفرنسي (43) .

ونتج عن فعالية الجماعة شيء هام جدا وهو حل المشاكل محليا وتطبيق جانب من فكرة اللامركزية . وبذلك يبقى للدولة الوقت الكافي والضروري لمواجهة المشاكل ذات الصبغة الوطنية وصرف جهدها في سبيل المصلحة العليا، ومواجهة الاخطار الخارجيةومؤامرات الاعداء الطامعين المتربصين ، وهنا قال جلالته :

« .. وكانوا بهذه الكيفية يجعلون — المخزن — في بعد عن عدة مشاكل يحلونها بأنفسهم، .. فكانت حقيقة اللامركزية التي جعلت اجدادنا يمكنهم أن يجابهوا العدو والاخطار التي كانت قادمة من الخارج مطمئنين على ان المشاكل اليومية الضرورية ستتولى الجماعة حلها » (44) .

تلك هي الخطوط التي رسمتها الجماعة المغربية للانسان ، وهي كما راينا متعددة تربطه بربه عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر — وكانت الجلسات تعقد عادة في المساجد وبعد أداء الصلاة مباشرة — وتربطه بأخيه الانسان عن طريق الدعوة الى التعاون الجماعي ، وتربطه بالارض عن طريق مساعدة الفلاحين ، وتسلحيهم للدفاع عنها وحمايتها .

41) « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » (الانفال 25)
42) نفس المصدر ص 9 .
43) نفس المصدر ص 9 .
44) نفس المصدر .

فاين هذا من الاشتراكية المادية ذات البعد الواحد ؟ واين اصالتنا من اصالتهم وعبقرية اجدادنا من عبقريتهم ؟

نبوءة تتحقق

عندما اشرقت جنبات القصر الملكي بطلعة الامير مولاى الحسن كان والده المغفور لهمحمد الخامس قدس الله روحه بفرنسا ، ولما بلغه الخبر السار كتب الى الحاجب السيد محمد الحسن ابن يعيش رسالة ملكية جاء فيها : « .. واجعلوا الشريف سمى جده الحسن راجين من الله الكريم الوهاب ان يجعله على اثره صالح الدنيا والدين » (45) .

وعندما شب الامير اعزه الله خاطبه المربي الصالح المصلح بقوله : « .. يا بنى قد اخترت لك من الاسماء الحسن لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ، وليكن لك فى جدك الحسن الاول خير اسوة واعظم قدوة » (46) .

وفعلا صدقت نبوءته قدس الله روحه وصدق الحديث الشريف « اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » فلقد كان الحسن الثانى ايده الله صالح دين ودنيا ومصلحا ، ورابط حاضر البلاد بماضيها القريب والبعيد . القريب باحياء نظام الجماعة والبعيد بربط الانطلاقة المغربية الحديثة بالحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى .

الدعوة روح ومرآة

الدعوات الانسانية العظيمة المطلقة من قيود الزمان والمكان ، تمتلك طاقة روحية واشعاعية هائلة لا تخبو جذوتها ولا تصدا جلوتها على مر العصور والاحقاب ، بل ان التقدم لا يزيدها الا قوة ولمعانا واشراقا كلما صادفت من يتفهم مراميها ومغازيها ، وينفعل بها ويتاثر ، ويتصرف وفق منهجها واتجاهها ، اى كلما انتقلت من مجال الفكر والتخطيط والنظر ، الى واقع التطبيق والممارسة والعمل .

ودعوة أمير المؤمنين الحسن الثانى خلد الله ذكره من اجل الدعوات واسماها ، اذ هى كما رايناها دعوة الى الله والى الانسان ، دعوة الى اعادة الصلة بين الانسان وربه ، وتذكيره بأصله الروحى واصالته. دعوة تذكر المغاربة خاصة بماضيهم الاسلامى المجيد وحضارتهم الراقية التى اضاءت افريقيا والاندلس قرونا عديدة .

فهى كروح تنفخ فى شعب استسلم لنوم ثقيل وآن له ان يستيقظ ويعى ما يجرى حوله ، ويحدد موقفه وموقعه من الركب الحضارى الانسانى .

وهى أيضا كمرآة تعكس وجه المغرب الاصيل قبل أن يزيفه الاستعمار ويشوهه ، ويهبطه الى حالة من التقليد الاعمى والتبعية التى تأباها الكرامة القومية ، كما تعكس وجه الانسان الحقيقى قبل ان ينتكس ويرتكس ويهبط وينحط الى مرتبة تأباها الكرامة الانسانية .

انها دعوة الى الكرامة والاصالة الانسانية والقومية فى آن .

فاللهم احفظ ملكنا المحبوب بما حفظت به الذكر الحكيم — وقد اعطيتنا البرهان على حفظه مرتين — حتى تحقق له وعلى يديه ، ما بعد به ويدعو اليه ، من اعادة بعث الفكرة الاسلامية والتخلق بآدابها واخلاقها السامية . واحفظ الشعب المغربى المسلم المعتز باسلامه ، وقه اخطار الحرب الفكرية والنفسية التى تحاول ان تسلخه عن دينه وماضيه وأمجاده واصالته ، وتجعله ذنبا وبيدقا تابعا ، واجعل ذكره بين الشعوب اطيب ذكر واحمده ، واجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

---

45) مجلة الاعماق يوليوز 73 ص 11 .
46) نفس المصدر ص 33 .



ان من اجل نعم الله على عباده — ملوكهم ، فبهم يقمع الله الشر ، وبهم تستأصل الفتنة ، ويقل العدوان ، وبهم يأمن الخائف ، وينتصف المظلوم ، ويطمئن الناس على أموالهم وانفسهم ، وبهم تعمر البلاد ، وتسعد العباد ، ...

لولا الملوك لظهرت شيم النفوس وطبائعها من الظلم والطمع ، والعدوان والجشع ، ولظلم القوى الضعيف ، وانتهب الناس بعضهم بعضا ، ولولاهم لما كف باغ عن بغيه ، وعاد عن عداوته ، فكانت الفوضى ، وكان الفساد ...

وخير الملوك العادلون ، الذين يعدلون فى الرعية ، يخيفون المسيء ، ويؤمنون المحسن ، وقد قيل : عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان ...

ومن سعادة الامة فى هذه الظروف العصيبة ، التى تعصف فيها بالامم عواصف الشر والبلاء ، ان مليكها ، وحامل تاجها ، ورب عرشها ، هو صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى — اعزه الله ، وادام توفيقه ، وزاده حكمة وبصيرة ...

لقد اجمعت الامة على حبه وتقديره ، منذ تبوأ العرش ، وتعلقت به القلوب تعلقا لم ينله احد من الولاة ، وكان مصدر هذا الاجماع — الهاما فطريا ، من عادته ان ينزل على الجماعات فيهديها الى الصواب ، فلما خبرته الامة تأكد هذا الحب ، وزاد ذلك التقدير ، ودلت التجربة على صدق الالهام ، وعلى أنه ربان ماهر ، ودليل صادق ، وقائد حكيم ... وكما منحت الامة الملك حبها واخلاصها وولاءها ، منحها حبه ، وبره ، وعطفه ، ورعايته ، وسهره على مصالحها ، فلا شيء عنده اعز من بلاده ...

بهذا الحب المتبادل بين الملك والشعب ، يكون الخير والصلاح ، لأن الملك اذا أحب الرعية حكمها لمصلحتها ، وجنبها مواضع الهلكة ، وارتاد لها الخصب والنماء ...

واذا احبته الرعية — اطاعت أمره ، وسارعت الى رضاه ، وتعاونوا على جلب المنافع ، ودفع المضار ، وقد جمع الله تعالى لجلالة الملك هذه الخصال الثلاث ، فهو ملك عادل ، ومحب ومحبوب ، يحب رعيته ، وتحبه رعيته ...

وجلالة الملك اعزه الله — شديد الحرص على كرامة الامة وعزها ، ومجدها واستقلالها ؛ اعز أمانيه ان تسير البلاد على نظام اجتماعى ، يستند الى دينها وتقاليدها ، وان تكون عناية الحكومة موجهة الى اصلاح الجمهور ، ترفع عنه الجهالة ، وتيسر له عيشا سعيدا هنيئا ، وتشعره بعدل الدولة فى حكمها ، وشفقتها على الرعية ،

حتى يعيش الضعيف آمنا على نفسه ، وعلى حقه ، ويشعر بيسر الطريق فى الوصول الى حقه ، ويجد كل واحد من عمله ما يكافئه ، وهذه الرغبات الحقة — هى التى يجب ان تكون مقصد الحكومات ، وقادة الامة وساستها . . .

لذلك فان جلالة الملك اعزه الله — يبذل جهده لاصلاح هذا الشعب ، جسميا ، وخلقيا ، وتهذيبيا ، ليكون منه رجال صالحون للحياة الكاملة ، فكما يسأل عن المدرسة ، والمعلم ، والتلميذ ، يسأل عن المزرعة والفلاحين ، وعن المصنع وعماله ، وكما يسأل عن الجيش وجنوده ، يسأل عن المحكمة وقضاتها ، وكما يهتم بكبار رجال الدولة ، واولى الامر فيها ، يبحث عن مساعديهم ، فهو فى تفكير دائم فى كل شان من شئونها ، اهم شيء يريد ان يحققه هو ان تكون البلاد عزيزة الجانب ، قوية بالنبغاء من ابنائها ، يرى جلالته ان النوابغ عنوان البلاد ، ومجد البلاد هو الامل الوحيد لجلالته ...

وبحق للامة المغربية ان تتخذ يوم عرشه عيدا من اجل اعيادها ، فلقد نالت فى عهده ، وعلى يديه اعز امانيها ، وانست من نقيبته ، وسمو نفسيته ، ورجاحة عقله ، وجمال خلاله ، اكمل ما يرجى من ملك تتخذه امة مثلا اعلى لها فى سيرتها ، ووطنيتها ، فلا غرو ان جعلت من يوم جلوسه عيدا عاما لها ، تظهر فيه من آيات الولاء لذاته المحبوبة ، وعرشه المفدى ، اجل واعظم ما تستطيع امة اظهاره فى اى عيد من اعيادها الوطنية ، والاعياد معالم للامم ، ومنارات لأيامها ، وعلامات على طريقها . . .

نعم ، تحتفل الامة بعيد العرش الذى جلب على البلاد بمقدمه الخير العميم ، وعم بمطلعه اليمن والبركات ، وامتدت عوارفه فشملت الحواضر والبوادى ، واصبحت كلها تستظل بظله الوارف ، وتنعم بعطفه السابغ ، وتستضيء بنوره الهادى ...

وهذه الاحتفالات وفاء لولى النعم مولانا امير المؤمنين ، أدام الله له العز والتمكين ، كما انها تنبيء عن شعور تفيض به العواطف ، واحساس ينبعث من قلوب الشعب ، تقديرا لمن يستحق التقدير ، واعترافا من الشعب بالجميل الذى أسداه صاحب هذا العيد ، والذى من اجله اقيمت هذه الافراح ، جلالة الملك المحبوب ، أيد الله ملكه ، واعلى فى الخافقين ذكره .

ماذا أقول وكل وصف دونه
أين الحضيض من السماك الأعزل

ان التاريخ سيكتب بمداد العجب والفخر ، عن تلك الهمم العلياء ، وذلك المجد الذى بناه للمغرب خاصة ، وللامة الاسلامية عامة . ..

ولا زال للعلياء والمجد بانيا
يبلغه الوهاب ما يرجو ويطلبه

لقد عنى — اطال الله عمره السعيد — بالتراث الاسلامى ، والمحافظة على التقاليد الدينية الموروثة ، ووجه عنايته اعزه الله الى القرآن الكريم ، فأمر بانشاء الكتاتيب القرآنية ، لان القرآن هو حجة الله الخالدة ، وهو الاساس المكين ، وحبل الله المتين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وكذلك راى حفظه الله المحافظة على السنة النبوية الشريفة ، وهى الاساس الثانى لتشريع الاسلامى ، والمعين الذى فاضت منه احكام الشريعة مفصلة ، بعد أن جاء بها القرآن الكريم مجملة ، وقد قال الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ، فالسنة شرحت لنا ما اشكل من القواعد الدينية وفروعها ، لهذا رأى جلالته بنظره الثاقب ، وبصيرته المستنيرة — ان تنشأ دار تدرس فيها الاحاديث النبوية ، فانشئت بأمر جلالته : دار الحديث الحسنية . . وكانت احدى اياديه البيضاء على الشريعة الاسلامية فى هذا العصر الذى شغل الناس فيه بالمادة ، وشئون الحياة . . .

لعمر العلا هذا هو المجد الخالد ، والهمة التى لا يدركها فى سموها وعلائها الا أولو العزائم والهمم ، الذين وفقهم الله ، وقليل ما هم ، وهكذا تبنى الامم امجادها ، وتحيي مفاخرها ، ليصلوا مجد الحاضر الباسم ، بشرف الغابر المشرق ...

ومن خطواته الموفقة ، واعماله المجيدة ، استرجاع الصحراء المغربية ، بطرق سلمية ،

تلك الصحراء التي كانت امنية الشعب ، فقد انضم الفرع الى اصله ، واجتمع الشمل ، وانتظم العقد ، وجاء نصر الله والفتح ، وقرت العيون ، وفرح المحزون ، وتلك معجزة الدهر ، وثمرة من ثمرات الفكر ، اسفرت عن الفتح والنصر ، وعلى قدر اهل العزم تاتى العزائم ، وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار ، فأيدى السعد قد ذللت الطرق — بل طوتها ، وقدمت وعود الآمال ، بل انجزتها ...

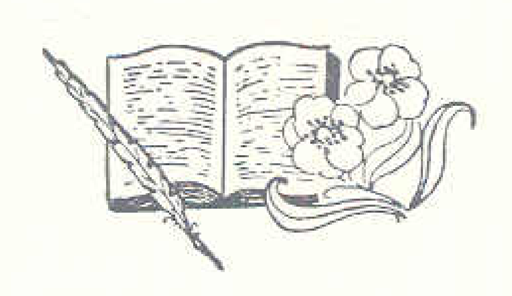
واذا اراد الله اسعاد امة هيأ لها ملكا عالما حازما ، عالى الهمة ، راجح العقل ، سديد الرأى ، فالعلم قوام الامم وحياتها ، وسر نجاحها ورقيها ، ومن اكبر النعم على الشعب المغربى ، أن قدر الله تعالى فى سابق علمه — ان يكون جلالة الملك الحسن الثانى — هو مليكها ، وقائد نهضتها — لقد جمع الله له من المزايا والصفات ما لم يتوفر لغيره من ذوى الجاه والسلطان ، فهو اهل لان يتبوأ عرش الخلافة الاسلامية ، لما آتاه الله من العلم والحكمة ، والتبحر فى كل فن ، فقد جمع الى علوم الدين والشريعة ، الثقافة العصرية ، والعلوم والفنون الكونية ، واللغات الاجنبية ، حتى أصبحنا نباهى بعلومه ، ونفاخر بثقافته ، فى عصر هرمت فيه الدولة الاسلامية ، وفترت الدعوة، وكسدت السلعة ، وقديما قالوا :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ولكنه حفظه الله — بما أوتى من العلم ، والفطنة ، وبعد النظر ، وكمال الدراية ، نهض بالشئون الاسلامية ، نهضة مباركة ، فأقال عثرتها ، وانتشلها من وهدتها ، حتى عادت به شابة ، والايام مساعدة ، والسعود قائمة ، والنحوس نائمة ...

هناه الله بما أولاه ، وبارك له فيما أعطاه ، وحقق له ما يتمناه ، وجعل الدهر عبده ، وهو مولاه ، واعلى الله تعالى شأنه ، ورفع فوق الفرقدين مكانه ، وايده بروح من عنده ، حتى يحقق الدولة المغربية ، وللامة الاسلامية ، ما تصبو اليه من عز وعلاء ، ويمن ونصر على الاعداء ...

ونسال الله الكريم ان يمتعنا بحياة هذا الملك العظيم ، وان يبارك له فى ملكه ، ويزيد فى نعمته ، ويشكره عن رعيته ، وان يقر عينه بولى عهده الامير المحبوب ، سيدى محمد ، وشقيقه الامير السعيد — مولاى رشيد ، وان يحفظ الاسرة الملكية الشريفة من كل مكروه ، وان يجعل عصره عصر ازدهار واسعاد ، كما نساله سبحانه ان يمطر شآبيب رحمته ورضوانه على مولانا امير المؤمنين محمد الخامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه .



يد جلالة الملك الحسن الثاني

وزمـام السيـاسة الدّوليـة

للأستاذ فاروق حمادة .

ـ ا ـ

حبا الله سبحانه وتعالى المغرب طبيعة غناء ، ومناخا خلابا ، ومناظر ساحرة ، وموقعا جغرافيا له مكانته الاستراتيجية سواء من الناحية التجارية ، أو من الناحية الحربية ، هذه المكانة العظيمة لا تفتقد مهما تقدمت وسائل التنقل وآلات الحروب ، أجل ان هذه المكانة كلما تطورت وسائل الحضارة وسرعة الاتصال تزداد أهمية ، وتتعاظم قيمة .

كما أن اللهسبحانه وتعالى منح المغرب قائدا ملهما جمع بين النسب العريق ، والذكاء النادر والوعي العميق وقوة الشخصية التي تواجه احداث العصر المضطربة ، والتي استعصى حلها على القادة والمفكرين ، فيبتسم لها ، قبل أن تصل حدوده ، فما أن تصلها حتى تتلاشى على صخور الشواطىء المغربية وترتد مع الامواج الكليلة الحسرى .

ودخل الاسلام هذه الارض فاصبحت بفضله مدرسة يفد اليها قصاد الحكمة ورواد المعرفة من العالم الاسلامي ومن العالم الاوروبي ، وبدأت موجات العالم تنداح نحو أوربا وغيرها ، واحدة تلو الاخرى ، وانه لمن العقوق والتنكر للفضل أن لا ينظر العالم الاوربي الى المغرب على الخصوص نظرة التلميذ الى استاذه في التقدير والتبجيل والاجلال. وقد سجل التاريخ صفحته التي ستبقى منشورة على مائدة الحقيقة حين هاجمت أوربا ـعلى اختلافهاـ أرضا بزيوت مشاعلها استنارت، وشعوبا بفضل بنات أفكارها ارتقت وسمت ، وجعلها وصمة عار في جبين المهاجم مدى الدهر ، وطبق عليه المثل القائل :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

ففي مطلع هذا القرن بسط المستعمر سلطانه على البلاد الاسلامية ، شرقها وغربها على السواء،وقسمها مزعا مزعا حتى يسهل عليه سرطها واحدة تلو أخرى وحاول جاهدا تمزيق روابط أوصالها الوثيقة .

لكن عوامل الحياة في الأمة الاسلامية رغم ركودها وسكونها كانت وما تزال قوية صالحة تستطيع الخلاص من طغيان هذا المستعمر الباغي ، هذه الروح تتمثل في شعور الأمة الاسلامية بالعزة ، التي يفرضها عليها دينها وقرآنها ، فهبت الثورات على المستعمر فى كل صقع اسلامي ضده يحدوهم اما النصر على الاعداء أو الشهادة في سبيل الله ، وأدرك المستعمر هذا فخطط للقضاء على هذا العامل الذى ألب عليه الشعوب الخاضعة لسلطانه .

وعندما كان يعيش المستعمر أيامه الأخيرة عمل بنشاط أكبر على ترك افكاره ، وآثاره التي تبقى على الامة الاسلامية موردا ثرا لحاجات صناعته، وسوقا قائمة لتصريف بضاعته . كما انه من أول يوم حط فيه رجله ، عمل لانشاء الأجيال على مفاهيمه وتربيتها على تبعيته. فما أن خرج حتى أفسد عقول كثيرين ، وشوه الحافز الذى كان يدفع الشعوب الى مناصفته وعدائه الا وهو الاسلام .

وهبت علينا من جهة أخرى سحب كثيفة رآها بعض منا ، فقالوا : هذا عارض ممطرنا !. وانتظروا غيث هذا العارض ورحمته، وخرجوا بزينتهم للقائه وحشروا اليه الناس ضحى . لكنه : « هو ما استعجلتهم به ، ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء » .. وبدت عوامل التفرقة في أنحاء الامة الاسلامية بلون جديد، ويا لها من فرقة ، جرت الحروب والدمار على كثير من أطراف أمتنا وكم فجعت من أصقاع بخيرة مفكريها ، وزهور رياضها من الشباب الناهض وعدنا من جديد نتلمس دربنا بين عدو لدود عشنا قوته وويلاته ، وعدو حديث يطلق بخور السياسة، وطلسمات المشعوذين، فيغطي مخططاته بدخان فيه رائحة ، ولكنه قاتل على أى حال ، واستحال أمره سرابا . ولكن أعظم اثر كان لـه زرعـه التمرد والانفجار في نفوس الشباب وعقلياتهم ، والتمرد على كل شيء حتى على آبائهم وامهاتهم . ومـا أن جـاءت الاربعينات والخمسينات من هذا القرن حتى بـدا في الأفق السياسي خطان متميزان بالنسبة لعالمنا الاسلامي عموما والعربي خصوصا ، خط متطرف في انطلاقتـه يثور على كل قديم ولو كان التراث والقيم ومجد الآباء والجدود ، وخط أكثر رزانة وهدوءا ، يعتز بالماضي ويحاول العيش في الواقع فاتهم بالرجعية ، والجمود والتحجر .

ودولاب الحياة يسير بسرعة لا ترحم ولا تتوقف وشعوب الأرض تعيش تحت تأثير دعاوتين متعارضتين، وكل دعاوة تدعو شعوب الارض الى حقهـا والـى ايديولوجيتها ، وكل منها تحاول اكتساب العالـم الاسلامي والعربي على الخصوص لشيئين رئيسيين ، لثرواته التي يحتاجها وتظهر قيمتها كل يـوم أولا ، ولمكانه الطبيعي وموقعه الجغرافي من العالم ، والـذى يتحكم في مسيرة اتصال القارات جميعها ثانيا .

واحتدم الصراع بين القوانين على هذا العالم فى الخمسينات والستينات ، ولكن الشعوب الاسلامية وان لم تكن قادرة على مقاومة أية قوة منهما ، كانت تدرك بعض واقعها ان لم نقل كله . وتدرك أن انجرافها الى أى معسكر من المعسكرين ضياع لشخصيتها ، وفقدان لهويتها . في هذه الاثناء انطلقت دعوة ذاك أوانها ووقتها في الحقيقة الا وهي دعوة الشعوب الاسلامية ــ ان صح التعبير ــ الى التضامن فوقف في وجهها عدد من القادة الذين جرفوا بلادهم في الخط الاشتراكي وشوهوا الفكرة ، وسخروا جميع وسائل الاعلام لمسخها ، وتنفير الناس منها . ولفظت الفكرة أنفاسها الاخيرة أو كادت.

يحق لنا هنا ان نتساءل ما قيمة الامة الاسلامية على العموم والعربية على الخصوص في ميزان القوى العالمية ، وما هو دورها في مسرح السياسية الدولية ؟

أقول : حتى هذه الفتـرة كانت لا دور لهـا الا كانسان عاجز تنهب خيراته وتقتطع أطرافه ، وينـال اللكمة بعد الأخرى ، ويعلو صراخه ولا راحم ولا مغيث .

وهنا يبرز دور جلالة الملك الحسن الثاني فـي تغيير اتجاه خط هذه السياسة الظلـوم الغشـوم . والمغرب في تاريخه كله ــ تقريبا ــ عاش امبراطورية موازية للامبراطورية الاسلامية في الشرق يواجه أوربا من جهته وكانت الحرب بينه وبينها سجال ، ولما نال استقلاله اعتمد على السياسة الخارجية التي تقوم على الصراحة والود لكل من لا يعادينا ، والاستفادة من كل من يريد افادتنا .

وفي عام تسعة وستين وتسعمائة وألف ، وكانت قيمة العالم العربي قد بدت في أنظار العالم هزيلة وذلك بعد مـا يسمـونه بحـرب الخـامـس مـن حـزيـران، قامت اسرائيـل بعملهـا الجـريء ؛ فأحرقـت جانبـا مـن المسجـد الاقصـى وارتـج العـالـم الاسلامي من أقصاه في الفلبين شرقا الـى أقصاه في شواطيء الاطلسي غربا وهاج وماج ووزن نفسه وعرف حقيقته في ميزان القوى العالمية .

وهنا بدأ التحول الخطير في حياة الأمة الاسلامية، وانحرفت خطوط السياسة العالمية عن زواياها المرسومة لها . وأعلن الملك الحسن الثاني تدشين عهد جديـد في السياسة الدولية ووضع الحجر الاساسي الـذى قامت



من منطلقه غالبية الاحداث من بعده . ودعا لمؤتمر القمة الاسلامي الاول الذى عقد في الرباط بين 22 و 25 سبتمبر 1969 ولبى النداء ست وعشرون دولة اسلامية وكان منها دول ينص دستورها على أنها علمانية مثل تركيا ، وهو بداية تحول جديد في حياة الدول الاسلامية والتقى هؤلاء القادة في رباط الفتح ، وأعلن الملك الحسن افتتاح المؤتمر وان هؤلاء القادة المجتمعين لم يأتوا ليتدارسوا شؤون وحدة وعلى أى أساس تقوم ؟ بل ان وحدتهم قائمة . ورابطتهم أوثق رابطة انها رابطة العقيدة الاسلامية ، وشعروا جميعا بجو الاخوة ، وأدركوا مقدار عظمتهم ومكانتهم في العالم ، وتناقلت الدنيا أصداء المؤتمر ، والآثار الايجابية التي خلفها ، وخصوصا ما يتصل بالقضية الفلسطينية . وكان عهد جديد أسفر فيه كثير من القادة والزعماء عن شخصيتهم الاسلامية بعد أن تنكروا لها ، وبرزت على مسرح الاحداث كتلة جديدة كتلة الشعوب الاسلامية ، وكان هذا هو المسمار الاول الثابت في نعش السياسة الاستعمارية العابثة بمقدرات الامم .

وفي عام 1970 كان مؤتمر القارة السمراء في رباط الفتح ، وكان عدد القادة الذي حضره قياسيا فلم يتخلف أحد تقريبا . وذلك لعلاقات المغرب الطيبة مع جميع الدول ، ومده يد المساعدة لها وحكمة الملك الحسن الثاني السياسية .

ونقلت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الافريقي في الخافقين ، وأسفر هذا المؤتمر عن نتائج طيبة ما شهدها مؤتمر قبله سواء على العلاقة العربية الافريقية ، أو التصالح والتعاون الافريقي ، ومن أينع الثمار التي قطفها العرب خصوصا من ثمرات هذا المؤتمر قطع العلاقات الدبلوماسية في 1973 مع اسرائيل من أكثر الدول الافريقية ، ثم اعتماد افريقيا السمراء على العالم العربي بدلا من أوربا وأمريكا وروسيا و ...

وتزعزع بنيان السياسة الذى أشيد على أشلاء ودماء الابرياء، فما أن دعى داعي النفير في العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف 6 أكتوبر 1973 حتى انهار صرح هذه السياسة ووقف العالم الاسلامي برمته ، والافريقي بكامله صفا واحدا فكتب الله له نصرا مؤزرا ،جعل هذه الكتلة السياسية تتكلم من موقف القوة والعزة قوة في المال والثروة تتحكم في مصير العالم وان شاءت خنقته رويدا رويدا ، وعزة الاسلام التي رفع الله سبحانه وتعالى بها المستضعفين وأعلى شأنهم . وظهرت هذه الكتلة على حقيقتها .

وبدأت الدول العظمى تخطب ودها تارة ، وظهر ما يدعى بالحوار العربي الاوربي . وتراوغها بأساليبها السياسية التي تمرست بها تارة أخرى ، وبارك العالم الاسلامي فجر هذه السياسة الدولية الجديدة على مائدة الاسلام في (لاهور) حيث انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني الذى كان لبنة أخرى على أساس من مؤتمر الرباط الاسلامي . وكان له دوره الفعال الذى جعل شاه ايران — مثلا — يعلن منذ فترة ليست بالبعيدة (ان اسرائيل اذا دخلت حربا جديدة مع العرب فلتعلم انها ستخوضها مع العالم الاسلامي كله) .

وأصبحت الكتلة الجديدة توجه السياسة العالمية وتملي شروطها ، وتتحكم في أمرها ، رغم الوسائل الكثيرة التي تبيت لها لتعود متناحرة فيما بينها من جديد ، ولتفرط عقد المحبة والوئام الذى نظمته مع أخواتها الدول الافريقية ، ودول عدم الانحياز .

وما المؤتمرات المتتابعة المختلفة المقاصد والاهداف كمؤتمرات دول عدم الانحياز والطاقة والمواد الاولية وغيرها الا تأكيدا لهذين الاساسين اللذين ارسيا في بناء السياسة الدولية بعد عام 1970، على يد جلالة الملك الحسن الثاني لانها أخذت صبغة جديدة وحيوية جديدة لم تكن معهودة من قبل . ولقد كتب أحد المستشرقين الذين يعنون بشؤون العالم الاسلامي كلمة في آخر مقال له وذلك في مارس 1968 ((1) : (اذا وجد القائد المناسب الذى يتكلم الكلام المناسب عن الاسلام ، فان من الممكن لهذا الدين أن يظهر كاحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى) .

وكان توقعه مصيبا ، وقد تحقق بعض ذلك والحمد لله بفضل قيادة جلالة الملك الحسن الثاني — رعاه الله — الذى آتاه الله سبحانه الحكمة وألهمه السداد ، فكان تأثيره على السياسة خطيرا جدا وجهها وجهة جديدة ،فاربك بتؤدته وثباته وبعد نظرته ، ودقيق

(1) مجلة التايمز اللندنية .

معرفته بالتخطيط السياسي ، العملاقين العالميين ووضعهما امام كثير من العقبات التي تحفظ أمتنا من خطرهما وطوى صفحة قائمة في تاريخ العلاقات الدولية والسياسة العالمية وفتح صفحة جديدة لم تكن بحسبان عماليق السياسة .

أما الحديث عن مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط وآثاره فذاك له شان اخر ، ولكني اقول : ان النتائج الباهرة التي حققها لم تكن سطحية الجذور ، قريبة الغور ، وليدة يوم وليلة ، بل انها تضرب أوتادها في أعماق التاريخ الاسلامي ، وتسير بجانب السياسة الخارجية للملك الحسن الثاني وفقه الله الذي يقول الكلمة المناسبة في وقتها المناسب ، فتجد التاييد والرضى من الجميع ، وما هو الا من نتائج مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، ومؤتمر القمة الافريقي ، حفظ الله أمير المؤمنين لهذه الامة الاسلامية ، وللشعوب المستضعفة يقودها نحو السيادة ولتأخذ مكانها الصحيح في انسانية الانسان ، وليعيد الكرة للاسلام وسلطانه ومكانه (يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ، ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

— 2 —

ولقد ظهر في آفاق السياسة الدولية اتجاهات متعددة تتفق تارة وتختلف تارة أخرى ، ويبرز من خلال هذه الاتجاهات خطان واضحان :

1 — تعاظم الدعوة الى الوفاق ، والسعي في سبل الوئام لحل المشاكل والاحداث ، خصوصا مخلفات عهود السيطرة الاستعمارية ، والنزعة الحربية ، وتصفية ركام العلاقات الدولية المتوترة التي خلفتها الحربان العالميتين (ومن الضعيف والقوى على حد سواء) .

حتى أن هذه الدعوة نزلت الى ميدان المساومات السياسية في دول المعسكر الراسمالي كما استخدمت طلاء براقا لنشر الافكار الماركسية في بلدان العالم الثالث وغيره من قبل المعسكر الشيوعي ، وهذا أوضح دليل على أن اهتمام الشعوب في شتى بقاع الارض بالسلام ومؤيداته ووسائله في تزايد وتصاعد ، وكاني أشعر أن اليوم الذى يخلد فيه ذكرى أوائل الهاربين الامريكان من حرب الفيتنام وغيرها أو الرافضين الذهاب الى ساحة المعركة ، وكذلك الضباط الروس الفارون خارج الستار الحديدى يحملون معهم عميق اسرار الصناعة العسكرية المدمرة لكشفها للعالم، أشعر ان فجر ذاك اليوم قريب ، وعندها سيحملون أكاليل الغار ويدخل هؤلاء وأولئك سجل الابطال السلام في تاريخ البشرية الحديث، لأنهم بحق أول من تمرد على نزعة البطش والطغيان وأن عملهم هذا حفر أخدودا في الفكر الاجتماعي والرأى العام الدولي لان أمل الانسان السوى أن يعيش باطمئنان وسلام .

ولقد تكررت في السنوات الاخيرة اللقاءات بين الدول العظمى في هلسنكي وغيرها على مائدة الوفاق ونزع السلاح وجرت المفاوضات العديدة التي ما تزال مستمرة ولما تسفر بعد عن شيء عملي .

ولا يخفى على متتبع للاحداث أن تخفيض القوات في وسط أوربا مثلا كان موضع بحث طويل ومناقشات شائكة . ولئن توصل الخصوم الى ذلك فهل حققت او أزيلت ! أو هل بالامكان ان تخفض في المستقبل القريب !

كما أن هناك أصقاعا في أطراف الارض ما زالت تعاني قسوة المستعمر الذى يدعي أنه وصي السلام الحديث ، والمؤتمن على السعادة البشرية فهي معه في جلاد وقتال وركبت متن الخطر . وعرضت أرواح بنيها وشبابها للتقتيل والتنكيل — ولما أن تختار ما تشاء — لكن رفع الحيف ، واسترداد الحقوق لم يتعين بطريق واحدة هي سفك الدماء وازهاق الارواح . بل هي طريق مذمومة من قديم الدهر ، لا يلجأ اليها الا حين لا ينفع العقل ، ولا يجدى التفكير ، ونسأل الآن : أما آن للانسانية الرشيدة !! التي استنارت — كما تقول — بالعلم واهتدت بالمعرفة ، وتسلحت بالمناهج الحديثة أن تستفيد من ذلك كله فيتنازل الظالم عن ظلمه ، ويسعى المظلوم الى حقه بالثبات والحكمة ؟ ! ويدرج الجانبان في بحبوحة السلام والطمانينة وفي ظلال الاخوة والتعاون ؟ ! وتطوى بذلك صفحات دامية قانية لا تزال أطرافها منشورة ؟ كل عاقل يجيب بنعم !

واننا نقول بكل انصاف محفوف بالفخر والاعتزاز: أن البلد الاول في العالم الذى طالب بحقه جادا ، وسلك سبل السلام والوئام هو « المغرب » ، وما نهج

هذه السبيل عن عجز وضعة ، بل عن ايمان بالحق والكرامة الانسانية وتعلق بالمثل العليا الاسلامية – وذلك حين ابرز ما يجول بخاطر الشعوب ويستأثر باهتماماتها مثالا واقعيا كان الكثير يحسبه وهما وخيالا ، فانبلج صبح المسيرة الحسنية الخضراء من فجاجه ووهاده ، محققة ما يعجز عن تحقيقه دوى المدافع وفرقعة القنابل وقصف الطائرات ، وهدير المدرعات .

ونقلت فكرة السلام « بتصميم وعزيمة » واصبحت مشاهدة ملموسة . فتهافت الناس عليها من كل حدب وصوب ، وغدت نبراسا هاديا وقبسا منيرا ، وخفقت لها القلوب . وانتشت بشذاها الارواح وذابت بجانبها ، وبشعاعها وسناها الغوغائيات الجوفاء ، وانكشفت عوار الافكار الرعناء التي تعرف الهدم ولا تهتدىء للبناء ، وتحسن التخريب ولا تعرف الوفاء !!

وليس عبثا أن تحظى المسيرة باهتمام كافة طبقات الناس على اختلاف أجناسهم وأصقاعهم ونحلهم وأديانهم ، لانها تصادف في قلوب الجميع مشاعر أصيلة وغرائز عميقة .

ولقد كانت أعظم خطوة قلبت مفاهيم الحرب في العصر الحديث ، ولنا أن نقول كاى شاهد على احداث العصر: «وانتصر الاسلام في السادس من نوفمبر 1975» وتلتها خطوة لا تقل عنها بل تستتبعها وتلازمها وتؤكدها ، الا وهي تحويل آلات الحرب والدمار من ميادين القتال الى ساحات الاعمار والازدهار، فالانسانية تقطع جزءا غير قليل من اقواتها للحرب وادواته – أنظر ميزانيات جميع الدول – ، ومن أخطر ما توصل اليه الانسان . وأغلاه ثمنا . وأكبره كلفة السلاح النووى الرعيب ، وسعي الدول جميعها غنيها وفقيرها ... الى خزنه والحصول عليه . فاقدم المغرب على **أعقل** خطة في تاريخ القوة والانتاج الحربى حينما أعلن جلالة الملك عن عزم المغرب على تملك هذه القوة النووية ، ولكن ... لتكون في ميادين الانماء والبناء وقدم خطته المعروفة الى المنتظم الدولي الذى تلقاها باعجاب واذعان فاصل لهم بذلك في خضم البحر الهائج العاتي طريقا يبسا يسلكونه براحة وأمان . ولنا كبير الامل أن يتنادى عقلاء البشرية لولوجه ففيه نجاتهم لان كلمة الخالق ، وشهادة التاريخ تؤكدان الحكمة الباقية « على الباغي تدور الدوائر » .

2 – وأما الخط الآخر فيتجلى واضحا جليا ببروز الكتلة الدولية الثالثة التي تتكون من العالم الاسلامي ، والقارة الافريقية ، أو ما يسمونه شعوب العالم الثالث فلقد أصبحت هذه الكتلة حقيقة موجودة – مع التذكير بان كثيرا من الحقائق قد لا يعمل به احيانا – فلرأيها الاثر الكبير في الاحداث الدولية سياسية كانت ام اقتصادية وأصبحت تضغط بقوة على الكتلتين الكبيرتين فضلا عن احداهما ، وترضخهما للكثير من مطالبها خصوصا عندما تكون كلمة دول هذه الكتلة متحدة متفقة ، لذلك نرى كلتا الكتلتين تعملان باتفاق أحيانا وبانفراد أحيانا لتفريق الكلمة ، ونشر الضباب في طريق رؤية المستقبل وزرع التناحر والتداحر ، وكم من مرة خرجت بعض الدول الكبرى عن رزانة الذئب المتربص ، وتخطت اطار اللياقة الدبلوماسية نتيجة وقوف بعض دول الكتلة الثالثة في وجهها مطالبة بحقها!!

وان هذه الكتلة التي تسفر عن وجهها يوما بعد يوم كانت تحمل أعظم نفس من رباط الفتح من عبق المؤتمرات التي اشرت اليها سابقا ، ولولا اغراق البعض وهبوطهم الى مستوى المساومات والمزايدات لكان من الممكن أن ينقلب سير التاريخ رأسا على عقب .

كما أن المؤتمرات التي دعا اليها جلالة الملك أو عقدت في المغرب كانت تنطلق من مبادىء انسانية عامة لا من اعتبارات شخصية فردية . وشتان شتان بين المنطلقين،ولهذا فستبقى آثارها بعيدة ورؤاها المستقبلية مديدة . وان ما حصلته هذه الكتلة من مكاسب وما ستحصله في المستقبل مدين في غالبه الى حكمة جلالة الملك وسديد فكره .

ولاى مثقف أن ينظر اتجاه السياسة الدولية في الستينات وما قبلها وينظر اليها ليتبين له كيف أصبحت وجهتها الآن ويتوقع المستقبل على ضوء ذلك ؟!!

وادعو الله عز وجل أن يوفق جلالة الملك الحسن الثاني لمتابعة خطواته الناجحة الآخذة بيد الامة الاسلامية من كبوتها ، وأن يلم به شعثها ويرفع عمادها ، ويعيد لها امجادها انه سميع مجيب .

الأرض في دمنا

للاستاذ الشاعر :
محمد البوعناني

شيء من الخلد لا يغتاله الزمن ... ولا تشيب سماه ، انه الوطن

اما انا مغربيا طاب معدنه ... فلن يرد لحنى المنتقى . . . كفن ،

ولن يطول فم يوما على قبلى ... ولن تنام على قيثارتى ، ذقن

صحراؤنا تتحدى : ليس يقتلنى ... موت ولو دفنوا فى القبر ما دفنوا

انا سليل الذين امتد شاطئهم ... وصاح طارقهم ان تحرق السفن

ملأت كاسي – ولو حللت مشربها ... انا بها فى ظلال العرش مفتتن !

صحراؤنا – وامانيها منمقة ... على الجباه حباها السر والعلن

وجيشنا فى غيابات العيون سما ... مستيقظا لا يداري ليله الوسن

ستبرز الرملة الشقراء بسمتها ... حتى يفرض عليها المن والمنن

ومحبس الشمس مختال ، بمعصمه ... تضوي السنابل والأدواح والفنن

* * *

عهد ابن يوسف قبلناه فى حسن ... به نبارك ما نهوى ونحتضن

ما زلت يابن رسول الله تجمعنا ... بتوصيات وعتها الروح والفطن

يا منقذ الشعب بالمنفى وملهمه ... والارض فى فتن ما بعدها فتن

وسدت فى حبنا شوك البعاد وما ... ثناك عنه سرير اعرج خشن

ولا مساومة حبلى مذهبة ... ولا سلاح وتهديد . . . ولا ثمن

اذ جاءك الحق ـ والرؤيا يعطرها ... صوت فصيح من العلياء متزن :
أثبت محمد ، هذا العرش منتصر ... بعزتي ، وسيعلي شانه الحسن !

* * *

الامهات يقدن الصف مقتحما ... قد جف فى صدرهن الحب واللبن
تزغرد الدمعة السمراء تكتب فى ... باب السجون رسالات لمن سجنوا
حتى اتت شمسنا العذراء يسبقها ... عرس الطبيعة والرايات والغصن
ان الشعوب التى ذابت مصائرها ... فى الحق : كيف تراعي طعن من طعنوا ؟
وفى يد الحسن الثاني مفاتحنا ـ ... والعقل والحب ، والارواح والبدن
اليك ما هو اغلى من تطوعها ... وانت سيدها المقدام ... المرن !
يقفوك الاعلون والمستبشرون بهم ... لم يحزنوا خاف مسعاهم ولم يهنوا !
وقد فرضت على الدنيا مسيرتنا ... وانت من بايعوا فى الله وائتمنوا
فاخضوضر المهد والمسطور فى قلم ... وازهر الدرب والميدان والسكن
والارض فى دمنا تنمو بواكرها ... ترابها بعروق القلب مرتهن
سدودها ... كنياشين مرصعة ... باسم الجدود تعالت حولها المدن
لنا عصارة ما تجني اصابعنا ... وما تصيد ، وما تبني ، وما تزن
نحن المغاربة الشجعان ليس لهم ... ثار ، وليس بهم عار ، ولا شجن ...
سوى براءة اعياد وعاطفة ... نشوى ، واغنية يشدو بها الزمن
ونظرة من ولي العهد مورقة ... يصونها الله ، والآيات والسنن
فالحقل مبتسم ، والشمل ملتئم ... والشغل منتظم ، والمرتجى حسن

فهرس العدد 2 من السنة 18

الصفحة

الصفحـــة